منبر الإسلام

العدد ٣ السنة ٢٣

ربيع الأول ١٣٨٥ هـ – ٣٠ يونيه ١٩٦٥

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد الثالث - السنة ٢٣

ربيع الأول ١٣٨٥ - ٣٠ يونيه ١٩٦٥

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- **خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى منظمة تحرير فلسطين**
- **زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة**
- **فى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية** ـ السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
- **تفسير سورة الضحى** ـ فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون
- **الاسلام بين المسيحية والاستعمار فى جنوب السودان** ـ الاستاذ عبد الرحمن الأمين ـ رئيس حزب الشعب الديمقراطى بالسودان
- **فصل الخطاب فى تنظيم النسل** ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- **الصوفية فى الهامهم** ـ الأستاذ حسن كامل الملطاوى
- **الاسلام بين أنصاره وأعدائه** ـ الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر
- **ارادة التغيير وحقوق الانسان** ـ الاستاذ محمود كمال
- **الزواج بين المسلمين وغير المسلمين** ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- **ساعة العسرة** ـ الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل
- **مالايجوز الخلاف فيه بين المسلمين** ـ فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- **ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ـ دوله وشعوبه** ـ الدكتورة عنايات الطحاوى
- **ميلاد النبى أضخم حدث فى تاريخ العرب والاسلام** ـ الاستاذ أنور الجندى
- **فى ذكريات المولد** ـ فضيلة الشيخ حسن وهدان
- **عودة الدراسة الى الجامع الازهر** ـ الاستاذ عبد الرحيم فوده
- **شعر ـ قصة ـ الرياضة ـ الفن ـ العلم ـ الافتاء ـ**

معالم الطريق

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في منظمة تحرير فلسطين

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى الفسطينى امس ان العمل الثورى العربى هو الطريق الوحيد لحل قضية فلسطين .. تحدث الرئيس – فى صراحة ووضوح – عن حقائق الموقف العربى .. كشف سر حملات التشكيك والهجوم على الجامعة العربية ومؤتمرات القمة والقيادة العربية الموحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية شرح الرئيس عبدالناصر دور الجامعة والمؤتمرات فى سبيل العمل العربى .. واوضح التناقضات التى توجد فيه .. قال الرئيس لابناء فلسطين ليس هناك مايدعو الى الياس والمرارة والحزن والغضب .. أكد ان الجمهورية العربية المتحدة مفتوحة لكل فلسطينى .. رد الرئيس جمال عبدالناصر على كل مايوجه الى الجمهورية العربية المتحدة وقال ان فلسطين لن تتحرر الا بالسلاح واننا نحن الذين سنحدد وقت المعركة مع اسرائيل وان المصريين سيكونون أول من يدخل فلسطين .

وقال الرئيس انه قرر الحضور الى المؤتمر – فى آخر لحظة – ليس لمجرد التحية أو الترحيب ولكن لأسباب قال عنها الرئيس « لقد جئت لاتكلم معكم لأننى احسست ان اللحظات التى نعيشها الآن لحظات عسيرة ومضنية فى النضال . حسبت انى لازم اجى واتكلم معاكم كواحد عربى يشعر بما تشعرون به و يحس بما تحسون به والمرحلة التى نمر بها اليوم تقتضى ان نتكلم بوضوح وصراحة .

وتحدث السيد الرئيس عن عوامل الضيق وخيبة الأمل والمرارة التى يحس بها بعض الناس لأن ثلاث دول تحفظت على قرار قطع العلاقات مع حكومة بون ولأن رئيسا عربيا يقف ، لاول مرة ، ويطالب بالاعتراف باسرائيل والتعايش السلمى معها ولأن قرار رؤساء الحكومات العربية بشأن بورقيبه الذى باع الوطن العربى للاستعمار والصهيونية لا يتناسب مع ما فعل الرئيس التونسى .

حملات التشكيك والهجوم

وقال الرئيس .. فيه هجوم وتشكيك فى القيادة العربية . بنسمع هذا الكلام من بعض الصحف العربية .. فيه حملات كثيرة .. الفلسطينيين دائما كانوا هدفا لحملات مستمرة من داخل العالم العربى وخارجه .

وقال الرئيس انا حاتكلم كمواطن عربى . لايتقيد بالرسميات هاتكلم عن قضية فلسطين .. حاسس بالتناقضات الموجودة .. حاسس أن الهجوم بيخلق بلبلة فى الفكر العربى . هذا الهجوم اللى تعودنا عليه طوال المدة اللى فاتت ، من الصهيونية والاستعمار .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر ان اذاعة سوريا هاجمت القيادة العربية الموحدة والمؤتمرات العربية عندما وقع عدوان اسرائيلى على سوريا وقيل ان القيادة العربية لم تقم بواجباتها . وان مافيش فايدة قامت دعوة للحرب والهجوم على اسرائيل .

وحدد الرئيس الطريق الى تحرير فلسطين وقال انه ليس مفروشا بالورد ولكنه مفروش بالدم وعلشان كده لازم نحدد موقفنا ونعرف ما هى وسائل العمل العربى وامكانياته واذا كنا عاوزين نعرف اللى يحرر فلسطين لازم نحدد المسالك العديدة التى يمشى فيها العمل العربى وهى الجامعة العربية ومؤتمرات القمة والقيادة العربية الموحدة .

وتحدث جمال عبد الناصر عن الجامعة العربية وقال انها تمثل الدول العربية بأوضاعها الراهنة ولها امكانيات محددة وكلنا لازم يعرف هذا ولايطلب من الجامعة اكثر مما تستطيع أن تقرره الدول الاعضاء فيها .. ونحن نقول رغم ماخذنا على الجامعة انها أداة توحيد ، ولكن هل الجامعة العربية تستطيع أن تحرر فلسطين أو الجنوب العربى أو الخليج . أو تخلصنا من القواعد الاجنبية الموجودة فى البلاد العربية ؟ لا

سؤال .. وجواب

وتساءل عبد الناصر اذا كان للجامعة العربية حدود ضيقة فهل نفك الجامعة ؟.. واجاب الرئيس قائلا .. لا ان الجامعة مع

الأيام ممكن تقوى وده مسلك من مسالك العمل العربى .

وقال الرئيس أحنا فى اجتماعات الجامعة العربية وافقنا على القرارات الخاصة ببورقيبة ، واحنا تصرفاتنا كدولة لنا موقف أقوى من هذه القرارات ووصل الأمر الى القطيعة ، أحنا لينا قدرة خارج اطار الجامعة واستطعنا ان نمارس هذه القدرة . انعزل بورقيبة شعبيا

احنا خارج الجامعة نتصرف اكثر من التصرفات اللى تكون فى داخلها .

ثم تحدث الرئيس جمال عبد الناصر عن مؤتمر القمة العربى الاول والاسباب التى دعت الى عقده . وقال الرئيس انه شعر خلال هذا الوقت بالخطر الكبير على العمل العربى وشعر ان العمل فى الجامعة – بالطريقة العادية – لن يدفعنا اية خطوة فى سبيل العمل العربى الجماعى ومن الواجب أن نحاول محاولة أخرى .

وتساءل الرئيس للمرة الثانية قائلا هل مؤتمرات القمة طريق لتحرير فلسطين ؟ ورد الرئيس لكى نجاوب على هذا السؤال لازم نعرف أوضاعنا العربية .. فيه تناقض وعدم ثقة بين الدول العربية .. فيه حرب موجودة بين الدول العربية فى اليمن .. فيه صراع بين اليمن والجمهورية العربية من جانب والسعودية من جانب أخر ، هذه التناقضات هل ننساها ونغمض أعيننا عنها ونقول ان الأمور اتحلت والطريق بقى ممهدا وتحررت فلسطين ..

وكان جمال عبد الناصر فى خطابه لابناء فلسطين صريحا عندما قال اننا لا نستطيع أن نجمع على كل شىء . كل كل واحد ليه مصالحه . كل واحد خايف من التانى وهذا واضح فى الشكوك والمتناقضات وعدم السماح للجيوش العربية بالانتقال من دولة عربية الى دول عربية اخرى هذا واقع لازم نعترف بيه .. فيه مشاكل بين سوريا والعراق ، بين سوريا ومصر . فيه مشاكل بين السعودية ومصر . فيه شكوك .. لبنان لايقبل اية قوة عربية

وانتقل الرئيس بعد ذلك الى الحديث عن القيادة العربية الموحدة وقال ان بعض الدول العربية تلقى اللوم على القيادة وانها مقصرة وكل يلقى اللوم على الآخر .. وقال الرئيس ان القيادة تستطيع القيام بعملها اذا حلت الخلافات السياسية .

وحدات جديدة فى قواتنا المسلحة

وقال الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد المؤتمر الأول للملوك والرؤساء اتخذت قرارات .. واتقال أننا حنعتمد ١٥٠ مليون جنيه لتقوية الدفاع العربى فى سوريا ولبنان والاردن وان الجمهورية العربية المتحدة ستدفع ٥٠ مليون جنيه . وفعلا فى السنتين الاخيرتين انشئت وحدات جديدة وحصلت على شراء أسلحة .

وقال السيد الرئيس ان امكانيات الدفاع قد تكون غير كاملة اليوم ولكن حصلت اعتمادات وتعاقدات على أسلحة جديدة وبهذا ستقوى امكانياتنا على الدفاع . واذا كنا غير قادرين على الدفاع فى بعض البلاد العربية فكيف نتكلم على الهجوم واذا تكلمنا عن الهجوم نبقى بنهرج وبنزيف ولكن ليس معنى هذا ان نأخذ خط بورقيبة ونيأس . ابدا لازم نعمل وتكون لنا سياسة بالنسبة لتقوية أنفسنا . واذا كانت الدول العربية كلها قادرة على الدفاع سنكون جميعا قادرين على الهجوم .

ورد عبد الناصر على ما اثير حول الكيان الفلسطينى وأن مصر كانت تطالب به لاستخدام الفلسطينيين فى اثارة المشاكل .. وقال الرئيس يعلم الله اننا لم نكن بأى حال من الاحوال نهدف الى هذا ولكن كنا نرى هدف الاستعمار والصهيونية هو تصفية القضية الفلسطينية اذن فالعمل المضاد لذلك

البقية صفحة ٢٣٢

زعماء العالم الإسلامى ...

مجلس رؤساء الحكومات العربية فى دورته الثانية

اجتمع رؤساء الحكومات العربية فى القاهرة هذا الشهر ليواصلوا دراساتهم لأخطر القضايا التى تواجه الأمة العربية فى تاريخها الحديث .

وقد تمت اجتماعات الدورة الثانية لمجلس رؤساء الحكومات العربية بمقر الامانة العامة للجامعة العربية فى الفترة من ٢٦ الى ٣٠ مايو ١٩٦٥ - برئاسة السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس وفدها فى المؤتمر ، باعتبار الجمهورية العربية المتحدة رئيسة الدورة الحالية لمجلس الجامعة .. وقد حضر الاجتماع وفود : العراق برئاسة السيد طاهر يحيى رئيس الوزراء وسوريا برئاسة السيد نور الدين الاتاسى نائب رئيس الوزراء ، ولبنان برئاسة السيد حسين العوينى رئيس الوزراء ، والسعودية برئاسة الامير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية ، والجمهورية اليمنية برئاسة السيد احمد محمد نعمان رئيس الوزراء ، والسودان برئاسة السيد سر الختم الخليفة رئيس الوزراء ، وليبيا برئاسة السيد وهبه البورى وزير الخارجية ، والجزائر برئاسة السيد هوارى بومدين والمغرب برئاسة السيد الطيب بن هيمه وزير الخارجية ، والكويت برئاسة الشيخ جابر الأحمد الصباح نائب رئيس الوزراء ، ويمثل فلسطين فى المؤتمر السيد أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ولم يتخلف عن الاجتماع سوى وفد تونس .

وقد افتتح السيد زكريا محيى الدين الجلسة بكلمة أعلن فيها أن مسئولية رؤساء الحكومات مسئولية تاريخية يرقبها الرأى العام العربى والعالمى على السواء .

ثم القى السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية كلمة أشار فيها الى ان العمل يسير فى جميع الميادين وفق الخطط التى رسمها الملوك والرؤساء العرب .

قرار رؤساء الحكومات بشأن موقف بورقيبة :

واتخذ مجلس رؤساء الحكومات العربية قرارات : اجماعية فى شأن موقف الحبيب بورقيبة من القضية الفلسطينية فقرر المجلس رفض موقف الرئيس التونسى رفضا تاما ، واعتباره خروجا على الاجماع العربى ونقضا للالتزام القومى لتحرير فلسطين .

وأكد المجلس تمسك الدول العربية بقرارات القمة وتصميمها على تنفيذها تنفيذا كاملا كما قرر المجلس ان تتولى الجامعة العربية ابلاغ حكومة تونس بالقرار الذى اتخذته الحكومات العربية ازاء موقف بورقيبة .

وأقر مجلس الدفاع الأعلى خطة القيادة العربية الموحدة لحماية مواقع العمل فى نهر

فى القاهرة

الاردن واقامة الجيوش الموحدة فى الاراضى العربية .

نص البيان الختامى للمجلس :

ثم اختتم مجلس رؤساء الحكومات العربية دور اجتماعه الثانى وأصدر بيانا بنتائج اجتماعاته أشارفيه الى رؤوس الموضوعات التى اقرها دون ذكر تفصيلاتها واحتفظ بسرية القرارات التى اتخذها لدعم وحدة العمل المشترك فى مختلف المجالات وقرر المجلس ايضا احالة بعض المسائل العسكرية الى الاجتماع القادم للملوك والرؤساء العرب الذى سيعقد فى مدينة الدار البيضاء بالمغرب يوم الاثنين ١٣ سبتمبر المقبل وفيما يلى نص بيان المجلس :

ـ اجتمع مجلس رؤساء الحكومات العربية فى دور اجتماعه الثانى يوم ٢٦ من مايو (آيار) ١٩٦٥ بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة ـ واتصلت اجتماعاته خمسة ايام، أتم فيها نظر مواد جدول أعماله . وأصدر القرارات اللازمة بشأنها .

وقد تحرت هذه القرارات دعم وحدة العمل العربى لتحرير فلسطين . وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى وأكد الارادة العربية فى التمسك بمقررات مؤتمرى القمة وكفالة المزيد من أسباب الفاعلية للقيادة العربية الموحدة ، والمشروع العربى الموحد لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده وصد الاعمال العدوانية الاسرائيلية على الأراضى العربية .

كما تحرت دعم وحدة العمل العربى فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والاعلامية وغيرها ـ واقترح المجلس يوم الاثنين الثالث عشر من سبتمبر (ايلول)١٩٦٥ موعدا لاجتماع مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية فى دورته الثالثة بالدار البيضاء بالمملكة المغربية واتخذ المجلس قرارات أخرى منها :

دعم النضال فى الجنوب المحتل ومده بالمال من صندوق ينشأ من الجامعة العربية .

ـ الموافقة على انشاء صندوق الجباية الفلسطينى والمطالبة باستكمال بعض جوانبه وعرضه فى مؤتمر القمة

ـ اعاده توزيع انصبة الدول العربية فى ميزانية الجامعة العربية ودفع حصة الكويت وليبيا والمغرب والسعودية والعراق والجزائر هذه الميزانية وخفض حصة اليمن وسوريا .

قيام دول الجامعة بايداع وثائق تصديقها على الاتفاقات الاقتصادية .

ـ الموافقة على بذل الجهود العربية المشتركة لتصفية الجو العربى

في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية

السيد حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية

• ينبغي أن تكون المؤتمرات لقاءات جادة تبغي نصرة الحق

• إن اشتراكيتنا قد استوحت تطبيقاتها من الرغبة في الأخذ بيد الشعب كله ...

بسم الله الرحمن الرحيم « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين »

السادة أعضاء مجمع البحوث الاسلامية .
وضيوف الجمهورية العربية المتحدة .

يسرني أن أرحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبد الناصر وأن أؤكد لكم ما نشعر به جميعا نحو اعمال هذا المؤتمر الديني الكبير . الذي نرجو الله له السداد والتوفيق .. ومما لاشك فيه . أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتطلعون الى كل جبهة من أجل النهوض بالفكر الاسلامي .. ليكون هذا الفكر على مستوى الرسالة بروحها وأصالتها وسموها .. فالاسلام دين العزة والحرية والكرامة .. والنضال من أجل الحق .

ايها السادة :

ان دخول الناس فى أول الدعوة فى دين الله افواجا كان مرتبطا بالقدوة والمثل . فحينما يدعو الدين الى العدل .. كان الناس يلمسون العدل ويحسونه ، ويرى الناس فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الأسوة الحسنة والقدوة والمثل ... وكذلك الحال فى كل دعوة مالم ترتبط افعالها بأقوالها ، وواقعها بدعوتها .. لا يمكن أن تصل الى القلوب (**يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون**) .

كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

ارجو لهذا المؤتمر ... النجاح والتوفيق ، وهو يعقد فى مصر ... بلد العروبة والاسلام بلد الأزهر الشريف .

ولقد عقدت مؤتمرات اسلامية كثيرة ،ولكن نجاح المؤتمرات لا يقاس بالقدر الذى يصدر عنها من بيانات رنانة لا يعززها مضمون من العمل والمثل والقدرة ... بل ينبغى أن تكون هذه المؤتمرات لقاءات جادة تبتغى نصرة الحق ... يحلل فيها واقع المسلمين ، وواقع مجتمعهم تقيم فيها الأعمال ، وتدرس فيها التجارب ، وتحسب فيها امكانيات العمل .. لمتابعة التحديات الاستعمارية التى تتخذ فى كثير من الأحيان من الدين سبيلا للتفرقة فى المعاملة أو طريقا للسيطرةالاستعمارية لمد أجل الاستغلال والاستمرار فى استنزاف موارد الشعوب .

وانه لمن توفيق الله علينا ان تكون الجمهورية العربية المتحدة قد تناولت هذه الميادين من الوجهة التطبيقية والعملية بعدد من الاجراءات النافذة التى أعتمدت على الرغبة فى تحرير الفرد من الاستغلال والطغيان ، ومن القلق والخوف من المجهول ... اجراءات أساسها ان يطلق المواطن ملكاته الخلاقة فى عمله ، معتمدا على ربه ، آمنا فى سربه متكافلا فى مجتمعه ، متضامنا مع اخوانه ... فى مجتمع أساسه الدين والأخلاق والوطنية .

فلقد قضت الدولة على الاقطاع وسيطرة راس المال وحررت المعاملات من الربا ... وذلك بالغاء سعر الفائدة على القروض الزراعية كلها . وكرست فى الانسان جهده وعمله ، وهى المعايير التى تقدم على أساسها قروض الانتاج الزراعى كلها .

كما أخذت البلاد بأسباب تخطيط الأسرة ، بغرض مواجهة مشكلة تزايد السكان . ودرءا لمخاطر الانفجار السكانى . ومحاربة للفقر فى منبعه ومهده .

وطبقت الدولة نظاما علميا فى التخطيط يضمن العمالة الكاملة ، واعلاء حق العاملين ، ومشاركتهم فى الادارة والعائد وتشجيع المدخرات ، ومحاربة حبس الأموال واكتنازها والتبديد والاسراف فيها . رغبة فى فتح مجالات العمل والاستثمار وانشاء الصناعات مجالا للرزق لجميع المواطنين .

وكفلت الدولة الحرية لكل مواطن . حرية الكلمة والرأى ، حرية اختيار العمل المناسب ، وحرية الانتخاب بعد ان كان التصويت مرتبطا برغيف الخبز ... وبذلك قد عقدت للثورة المصرية المقومات الاساسية للدين ، بان المسلم حينما يقول « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ..

يعلم بذلك انه حر يدخل الى الحرية من أوسع ابوابها فيؤكد أنه لا مجال أن يكون عبدا لفرد أو أن يستعبده مال أو تحد من حريته تقاليد ما أنزل الله بها من سلطان .

ولقد استشعرت الدولة ضرورة تطبيق التأمين بصوره فى المجتمع .. على أساس أنه نظام يشجع ادخار المواطن جزءا من ماله فى قوته ليكون به مالا يرجع اليه متى انقطعت به اسباب العمل بسبب المرض أو الشيخوخة . بل اخذت الدولة بالتأمين كمعونة وتراحم من جانب المجتمع بالنسبة للمواطن الذى تنقطع موارده بسبب الكوارث . والعلل المقعدة عن العمل جزئيا أو كليا .

ورعت الدولة الطفولة والأمومة..ورسمت السبل الى تنشئة الشباب على أساس من الدين والفتوة .. وقامت الدولة باحترام حقوق المرأة فى المجتمع ومساواتها بالرجل .. فى حدود الشريعة الغراء .. واسقاط بقايا

الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة وان تكون فى بيتها وفى مجتمعها قادرة على ان تسهم فى بناء المجتمع على أساس من القوة والفضيلة .

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وبهذا وبغيره من الاعمال .. وعلى هدى من الدين .. فأن اشتراكيتنا افعال لا أقوال . اشتراكية استوحت تطبيقاتها من الرغبة فى الأخذ بيد الشعب كله وخاصة تلك الطبقات التى طال حرمانها فى قطاع العمل والزراعة اشتراكية ذات كيان مادى ملموس وقيم جديدة هى : العدالة الاجتماعية والكفاية وزيادة الانتاج ، ومضاعفة الطاقات الروحية ، والدعوة السلمية ووضوح الرؤية للأهداف وحق كل مواطن فى الرعاية الصحية والعلم والعمل

ايها السادة ....

ومن حسن الطالع ان اجتماعكم هذا يتم فى شهر فلسطين .. التى انقضى على مأساتها سبعة عشر عاما .. ونقترب من هذه الذكرى الأليمة .

ولعل موضوع فلسطين الوارد فى جدول اعمال المؤتمر يأتى على راس الموضوعات التى ستبحثونها لارتباطه المباشر بكيان العروبة وسلامتها .. فهى القاعدة الوطيدة للاسلام والمسلمين .. وهى تمثل النواة للعالم الاسلامى الكبير لانها تنطق العربية .. وتتكلم بلغة القرآن .

وان ما حدث بالنسبة لفلسطين .. واقامة اسرائيل كصورة من صور الاستعمار لم يسبق لها مثيل فى التاريخ حيث اقيمت باحلال شعب مكان شعب استهانة بالعرب وبالمسلمين ... واستهانة بالرأى العام العالمى ... واستهانة بقيم العدل والحق .

ان الاستعمار الذى استهان بالعرب وبالمسلمين فأقام اسرائيل فى بلد المسجد الأقصى الذى اليه أسرى بعبده من المسجد الحرام ... هذا الاستعمار يؤكد اليوم فى جولته الثانية استهانته بالعرب والمسلمين مرة أخرى عندما تمد ألمانيا الغربية اسرائيل بالسلاح .

فعلينا نحن المسلمين ـ وفى مؤتمركم هذا ان تتصدوا مقابلة لهذا التحدى السافر ...

وفى الوقت الذى بدأت فيه الارادة العربية توحد كلمتها ، وتوحد قيادتها العسكرية ـ وتعلن عن قيام منظمة جيش التحرير الفلسطينى وابراز الكيان الفلسطينى ، وتتخذ الخطوات الايجابية للمحافظة على الحق العربى للمياه العربية .. يخرج من الصف العربى من ينقلب على الصف العربى .. ونحن فى معركة المصير ، ممثلة فى هذا الموقف كالهارب من المعركة .. فقد باء بغضب من الله .

أيها الأخوة ...

فى مؤتمركم الثانى هذا لمجمع البحوث الاسلامية للازهر الشريف .. قبلة العالم الاسلامى ، ومنارة الهدى لدين الحق .

أدعو الله لكم .. واحمل اليكم ، تحية مباركة طيبة من الرئيس جمال عبد الناصر وأمله لكم فى النجاح والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تفسير القرآن

سورة الضحى

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

جرت عادة الناس فى معاملتهم لبعضهم مع بعض أن يؤكدوا اخبارهم بالقسم بكل ماله احترام فى نفوسهم ليصدقهم الناس فيما يخبرونهم به ، فكانوا فى الجاهلية يقسمون بآلهتهم فيقسمون باللات والعزى وغيرها من الاصنام التى يؤمنون بها ويعبدونها دون الله أو يقسمون بآبائهم فيما هو معروف من تقدير الانسان لفضل أبيه عليه واحترامه له ، ثم جاء الاسلام بدعوة الناس الى الايمان بالله وحده واخلاص العبادة له دون غيره وامر الناس أن يقتصروا فى أيمانهم قال الله تعالى « **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم** » سورة البقرة .

وورد عن عبد الله بن عمر انه قال « ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال « **ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** » ، وفى لفظ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من كان حالفا فلا يحلف الا بالله** » وعنه انه قال « **لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون** » .

اما القسم من الله تعالى فلا يصح ان يجرى على هذا النحو لان كلام الله حق وصدق ـ لا يحتاج معه السامع الى تأكيده بالقسم حتى يصدقه ويطمئن اليه وانما يقسم الله بأحدى آياته ونعمه على عباده ليذكرهم بهذه النعم ويقربهم اليه .

فقد أقسم الله تعالى فى القرآن بالليل والنهار والشمس والقمر ونحوها من مخلوقات الله الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته ليتذكر الانسان هذه النعم ويؤمن بفضل الله عليه ويبادر بالاخلاص له فى عبادته ولا يعبد غيره من مخلوقاته .

وهو المقصد الأول من الرسالات السماوية كلها التى جاء بها الرسل السابقون وجاء بها رسول الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ لا خلاف بين الأديان السماوية فى ذلك ولا فى سائر أصول الاسلام وقواعده ،

لانها كلها صادرة من الله تعالى ولا يمكن ان تختلف فيها الرسالات قال الله تعالى « **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** » ـ وسورة الضحى من قصار السور وآياتها احدى عشرة آية وهى السورة الثالثة والتسعون فى ترتيب سور القرآن الكريم نزلت بمكة فى مفتتح عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة التى بعثه الله بها لهداية خلقه واخراجهم من الظلمات الى النور . فقد نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم الوحى فى أول مرة وهو يتعبد فى غار حراء واقراه أولى آيات القرآن وهى قوله تعالى : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم** » . وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لقى شدة فى نزول الوحى عليه فى المرة الأولى لانه لم يكن له به عهد ، وانه رجع الى خديجة زوجه يرجف فؤاده ويقول « **زملونى زملونى** » فطمأنته زوجه السيدة خديجة وأذهبت عنه الخوف من ان يكون ما رآه شيئا آخر غير النبوة وأكدت له انه سيكون نبى هذه الأمة ، ثم فتر الوحى عن الرسول صلى الله عليه وسلم عدة أيام فحزن الرسول وخشى ان يكون الوحى قد انقطع او ان الله قد قلاه وابغضه ، فنزلت هذه السورة لتذهب عنه ما خشيه ، وتؤكد أن تأخر الوحى عنه ليعطى فرصة يستعيد فيها هدوءه وليذهب عنه ماائر فيه من مفاجأة الوحى له اول مرة وبدات السورة بالقسم بالضحى ـ وهو الوقت الذى يشتد فيه ضياء الشمس فى النهار ويسعى فيه الناس الى ارزاقهم واعمالهم ، كما اقسم بالليل اذا سجى اى سكن بسكون اهله حينما يشتد الظلام ويبادر كل مخلوق الى مأواه فتبادر الحيوانات الى حظائرها والطيور الى اوكارها والناس الى بيوتهم فتسكن هذه المخلوقات كلها وتسترد ما فقدته من قوة اثناء العمل طوال النهار وقد اقسم الله بالضحى والليل انه ما ودع رسوله اى تركه وما قلاه اى أبغضه .

واكد ان آخرة الرسول صلى الله عليه وسلم خير له من الأولى ، والمراد من الآخرة الأيام والسنين التى يدخرها لمستقبله ففى الأولى ابتداء الوحى الذى لم يستمر بضعة أيام ، وفى الآخرة سيستمر نزول الوحى مدة نزول القرآن الكريم الى أن يتم له نعمة نزول القرآن بآخر آية من آياته فى حجة الوداع على رسوله صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدا عهده بالوحى وهو يخشى الا يتمكن من القيام بأعباء الرسالة فى الأيام التالية لبدء الرسالة لأنه بدأها وحده وبغير انصار له وكان يخشى الا يصدقه الناس ، أما فى السنين التالية لبدء الوحى فقد قام بتبليغ الرسالة وآمن به عدد قليل من أصحابه ثم تكاثروا حتى صاروا قوة دفع بها الرسول شر أعدائه المشركين فى غزواته وانتصرعليهم وتوج الله انتصاره عليهم بفتح مكة .

ثم قال الله تعالى « **ولسوف يعطيك ربك فترضى** » بشارة بما سوف يعطيه الله من النجاح والنصر على اعدائه ـ وقد اقتضت حكمة الله سبحانه الا يتم النصر الا بعد جهاد شديد ووقت طويل من دعوة سلمية وقتال فى سبيل الله لتأمين الدعوة ولرد عدوان المعتدين ، فقد احتاج ذلك الى اكثر من عشرين سنة ، ولذلك كان التعبير القرآنى بقوله تعالى « **ولسوف يعطيك ربك فترضى** » . ثم بعد ان يبشره الله بذلك كله ناسب ان يذكره بما كان عليه الرسول فقال تعالى : « **ألم يجدك يتيما فآوى** » والاستفهام للتقرير أى انك كنت كذلك اذ كان صلى الله عليه وسلم يتيما توفى ابوه وهو حمل فى بطن أمه كما توفيت أمه بالأبواء وهو فى السادسة من عمره ـ وايواء الله له يتناول كثيرا من نعم الله عليه، فقد قبلت السيدة حليمة السعدية ان ترضعه رغم يتمه ، كما ان الله سبحانه وتعالى عطف

عليه قلب جده عبد المطلب فآواه فى بيته ، وقبل أن يفارق الدنيا أوصى به عمه أبا طالب فآواه عمه وضمه الى عياله . وعامله معاملتهم وأثر عنه انه كان يقربه فى مجلسه لما يبدو عليه من مخايل الذكاء والنبل وصفاء النفس وحسن الخلق ثم ذكره الله بنعمة أخرى عليه وهى أنه كان ضالا فهداه الله ، والضلال المنسوب اليه هو الحيرة التى كان عليها الرسول قبل الوحى اذ كان يخلو الى نفسه فى غار حراء ويفكر فى الخلق والخالق ويستعرض فى ذاكرته ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع وما كان عليه اليهود والنصارى من تحريف وتغيير تنبو عنه الفطرة السليمة ، وكان يبحث عن الحق فى ذلك كله فكانت هداية الله سبحانه وتعالى له ، فرسالة الاسلام هى رسالة الحق والعدل وبذلك زال ما كان عليه من حيرة واطمأنت نفسه بالحق الذى عليه وبالقرآن الكريم الذى أمر بتبليغه للناس .

ثم ذكره الله بنعمة أخرى وهى انه كان عائلا أى فقيرا فأغناه الله فان والده توفى فى شبابه ولم يترك لورثته مالا كثيرا ، اذ لم تمض به الأيام مدة كافية للكدح والعمل حتى يجمع ثروة كبيرة لأسرته وقد اغنى الله سبحانه وتعالى نبيه بما دره عليه اشتغاله بالتجارة وبما أفاده من مال زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها ثم جاء القرآن بعد ذلك بتوجيه بعض الأوامر للرسول صلى الله عليه وسلم المناسبة لما أنعم الله عليه فانه وقد ذاق اليتم فى صغره يكون أولى من غيره بألا يقهر اليتيم ، أى لا يذله بل يحتفظ له بكرامته وعزة نفسه ويحسن اليه وهو المراد بقوله تعالى ((**فأما اليتيم فلا تقهر**)) **ثم عقب بعد ذلك بقوله** ((**وأما السائل فلا تنهر**)) والمراد بهذه الآية النهى عن زجر السائل وهو طالب الارشاد لأنه لا يسأل الا بعد حيرة وقد مرت بك هذه الحالة قبل ان ينزل عليك الوحى فلا ترد سائلا ولا تنهره أى تزجره ويمكن ان يراد من السائل طالب الحاجة كما ذهب الى ذلك كثير من المفسرين ويكون النهى عن نهر السائل فى هذه الحالة ضرورة رده ردا جميلا بالعطاء من الموجود أو بحسن الاعتذار .

ثم ختمت السورة بقوله تعالى ((وأما بنعمة ربك فحدث)) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى بعد ان انعم عليك بنعمة النبوة وهى من أعظم النعم بل أعظمها فعلا كما أنعم عليك – بالمال الذى اغناك بعد فقر – لذلك يكون المطلوب منك اظهار نعم الله عليك بالتحدث بها والا تخفيها كما يفعل البخلاء الذين يخفون أموالهم خشية ان يطلبها منهم ذوو الحاجة من السائلين والمحتاجين .

الإسلام بين المسيحية والإستعمار في جنوب السودان

الأستاذ على عبد الرحمن الأمين
رئيس حزب الشعب الديموقراطى بالسودان

أبدأ مقالى هذا بتقديم أجزل الشكر وأعظم التقدير للقائمين بأمر هذه المجلة الاسلامية العظيمة « منبر الاسلام » أن تفضلوا وأفسحوا لى المجال لألقى هذه الكلمة من فوق (منبرها) على الملايين من قرائها فى العالم الاسلامى بل وفى غير العالم الاسلامى ممن مدت لهم الترجمة أسباب الارتباط بحبلها المتين والشرب من منهلها الروى .

وقد قصدت من كلمتى هذه أن أضع أمام القراء صورة لموقف الدعوة الاسلامية بجنوب السودان وهى صورة قد تكون مصغرة بقدر ما يسمح به نطاق المجلة ولكنى أرجو أن تكون واضحة متكاملة بحيث تمكن القارىء من الوقوف على الحقائق والالمام بالأسباب والدوافع بالقدر الذى يجعل تلك الصورة بينة السمات واضحة المعالم .

يقع السودان فى قلب القارة الافريقية ويتاخم أقطارا كثيرة متاخمة مباشرة فبينما يتصل شماله بالجمهورية العربية المتحدة والمملكة الليبية يشترك جنوبه فى حدوده الجنوبية والشرقية والغربية باثيوبيا - كينيا - يوغندة - الكنغو - افريقيا الوسطى - تشاد اشتراكا وثيق الصلة فبين كل قطر من هذه الأقطار قبائل يسكن جزء من القبيلة أرض السودان ويسكن الجزء الآخر فى البلاد المجاورة . والسودان بهذا الوضع الاستراتيجى الفريد يستطيع أن يؤثر فى هذه المجموعة من الأقطار الافريقية ، كما أنه لا بد أن يتأثر بها فهو عبارة عن جسر عظيم تستطيع طلائع الدعوة الاسلامية المنبعثة من شمال القارة على وجه العموم ومن رحاب الأزهر المعمور على وجه الخصوص تستطيع طلائع الدعوة بعد أن تم زحفها المقدس فعم جميع أرجاء الجزء الشمالى من السودان وأطل روادها الميامين على أواسط افريقيا بوقوفهم على مشارف خط العرض ١٢ الذى جعله المستعمرون خطا فاصلا بين الاسلام والمسيحية وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة وخبرة أن يقيموا الحواجز والسدود حول هذا الخط ليوقفوا تيار الاسلام ويطفئوا أنواره والله متم نوره ولو كره الكافرون .

ونحن حينما ننظر الى موقف السودان الجنوبى فنصوره بحق بمثابة الجسر الذى يمكن أن يعبر منه نور الاسلام فيمد أواسط أفريقيا بنور الايمان وحرارة التوحيد ويعتبره نقطة ارتكاز يمكن أن تنطلق منها مواكب النور والحضارة وعناصر القوة والادراك وأسباب الحياة الحرة الكريمة الى أحشاء افريقيا نحن حينما ننظر اليه هذه النظرة الفاحصة التى يمليها موقفه الاستراتيجى الفريد ينبغى أن نعلم أن الاستعمار لا بد أن ينظر اليه نفس النظرة فلا بد له من أن يحاول اقامة العقبات أمام زحف الاسلام ليصد تياره وليحول بينه وبين اجتياز هذا الجسر حتى يخلو له الجو فيستحوذ على الجزء الجنوبى من السودان ليجعله قاعدة يرتكز عليها فى وثوبه على أواسط افريقيا ونقطة ينطلق منها فيتغلغل فى أحشاء القارة حتى يتصل حبله بما له من قواعد ثابتة فى جنوب وشرق وغرب افريقيا ٠

والمستعمرون يعلمون تمام العلم ـ وخاصة البريطانيون منهم ـ أن لا سبيل لهم الى السيطرة على أواسط أفريقيا الا اذا حوصرت الدعوة الاسلامية حصارا منيعا بحيث لا تتخطى الجزء الشمالى من السودان وبحيث تقام الحواجز والسدود حول خط العرض ١٢ وهو الحد الذى وقف عنده الزحف الاسلامى قبل احتلالهم السودان فى سنة ١٨٩٨ ٠

ان مساحة السودان مليون ميل مربع وقد دخله العرب حاملين لواء الاسلام منذ عصر الخلفاء الراشدين فعندما اندفع تيار الاسلام الى أرض الكنانة عبر صحراء سينا ولم يكد المسلمون يستقرون حول مصب نهر النيل العظيم حتى تتبع بعضهم النهر صعدا الى مملكة النوبة المسيحية فى أرض الجنادل فاخترقوها اذ لم تكن صالحة لسكنى العرب أصحاب الجمال الناشئين فى رحاب الصحراء فاخترقوا أرض الجنادل الى الأرض الفسيحة المنبسطة جنوب مملكة النوبة وانتشروا حول النيلين الأبيض والأزرق وأرض الجزيرة ولحق بهم من الجبهة الغربية أفواج من العرب الذين انحدروا من أرض مصر وشمال افريقيا عبر الصحراء الى سهول دارفور وكردفان بالسودان ثم اتجه الكثير منهم شرقا نحو حوض النيل فالتقى مع الوافدين عن طريق النيل كما أن عددا أقل من ذلك جاء الى السودان فى العصر الأول عبر البحر الأحمر عن طريق باب المندب مجتازا أرض الحبشة المسيحية وعن طريق جدة الى ميناء عنداب الى مناطق بربر على ضفاف النيل ولما أحس المسلمون بالكثرة والقوة والمنعة اتجهوا نحو الشمال فأزاحوا مملكة النوبة المسيحية وربط الاسلام بين مصر والسودان هذا الرباط الضارب فى الأعماق والذى لا تقوى على اضعافه بل ازالته أية قوة استعمارية أو أية نعرة عنصرية أو أية أغراض انتهازية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠

وقف المد الاسلامى عند خط العرض ١٢ ولم يتجاوزه الا صوت خافت وشعاع ضئيل يلوح حينا ويخبو ضياؤه أحيانا ويكاد مظهره ينحصر فى هؤلاء الأفراد المخاطرين الذين يذهبون الى المناطق الجنوبية بقصد التجارة وفى هؤلاء الجنود الذين صحبوا البعثات التى ذهبت الى الجنوب لاكتشاف منابع النيل فاستقر بعضهم المقام هناك ٠ ومن هؤلاء مثلا أولئك الجنود ـ من مصريين وسودانيين ـ الذين صحبوا أمين باشا فى رحلته الى مناطق خط الاستواء ثم اعتزلوه واستقروا فى تلك المناطق حينما انضم أمين باشا الى القوات الألمانية التى كانت تستعمر مناطق البحيرات٠

وفى هذه الفترة من القرن التاسع عشر اتجهت أنظار المبشرين المسيحيين الى جنوب السودان وبدأ رواده الأوائل يسافرون الى أعالى النيل والى نهر سوباط ويضعون اللبنة الأولى للتبشير المسيحى فى جنوب السودان٠

ثم قامت ثورة المهدية واستمرت فى حروب طاحنة فى الشمال ولم يكن للاستقرار والأمن والعدالة مجال وصرفت حياة القلق والفوضى المسلمين فى الشمال عن أى اتجاه نحو الجنوب فلم تخط الدعوة الاسلامية فى عهد المهدية أية خطوة فى المناطق الجنوبية ٠

وفى سنة ١٨٩٨ أناخ الاستعمار البريطانى بكلكله واحتلت جيوشه السودان ومنذ أن وطئت أقدام الانجليز أرض السودان الطاهرة شرعوا فى وضع خطة تهدف الى فصل المديريات الجنوبية الثلاث (خط الاستواء - بحر الغزال - أعالى النيل) عن شمال السودان - فاتخذوا ثلاث خطوات عملية لتنفيذ تلك الخطة الرامية لفصل الجنوب عن الشمال .

أولا : أصدروا قانونا يحرم على المواطن الشمالى (العربى المسلم) أن لا يتجاوز خط العرض ١٢ وهو الحد الفاصل بين الشمال والمديريات الجنوبية الا بعد حصوله على اذن كتابى من الحاكم البريطانى .

ثانيا : سمحوا لعدد محدود من التجار أن يمارسوا البيع والشراء فى المديريات الجنوبية لأن الضرورة تحتم ذلك غير ان كل تاجر حددت له منطقة معينة محرم عليه أن يتعداها ووضعوه تحت رقابة صارمة من رجال التبشير فاذا أبدى القسس أية ملاحظة على أى تاجر أنه يعرقل سير التبشير أمر الحاكم البريطانى بطرد ذلك التاجر فى الحال وأمره بالانتقال الى الشمال .

ثالثا : وهو الأمر الأساسى الفعال - جاءوا بالارساليات التبشيرية من أوربا وأمريكا واستراليا من مختلف الجنسيات المسيحية ومنحوا كل ارسالية منطقة خاصة تبسط نفوذها عليها - وقامت الحكومة بمهمة التعليم فى شمال السودان وعلى أساس برامج عربية وسلمت مهمة التعليم على اختلاف درجاته وأنواعه للارساليات المسيحية فى المديريات الجنوبية الثلاث وأخذت تقتطع كل عام من ميزانية التربية والتعليم فى السودان الجزء الخاص بالتعليم فى المديريات الجنوبية فتسلمه للارساليات المسيحية باعتبار أنها هى القائمة بشئون التعليم فى الجنوب - وأخذ المبشرون على عاتقهم تنفيذ المخطط الاستعمارى فصارت الكنائس تدرس كجزء من التعليم الدينى عداوة الشماليين كعرب وكمسلمين وتبث فى نفوس الشبيبة أن الشماليين يريدون اختطافهم كرقيق كما كان يفعل آباؤهم تجار الرقيق من قبل لولا وقوف الانجليز الى جانبهم وحمايتهم لهم .

ان المرء ليأسف أشد الأسف لهؤلاء المبشرين الذين يزعمون أنهم كرسوا حياتهم لنشر المسيحية والذين لا يسع المرء الا أن يعجب بهم لصبرهم ومثابرتهم ومجهوداتهم وبقائهم فى عزلة عن العالم بين الغابات والأحراش ولا صلة لهم بالعالم الا هؤلاء القوم البدائيين السذج يدرسونهم ويمدونهم بالطعام والشراب والكساء والعلاج - ان المرء ليأسف لهؤلاء حينما يجدهم يضعون أنفسهم فى خدمة الاستعمار فينفذون خططه المنافية للانسانية والبعيدة كل البعد عن روح المسيحية . فهم مثلا يغرسون فى أذهان الجنوبيين ان آباء الشماليين هم تجار الرقيق الذين كانوا يختطفون آباءهم ويستعبدونهم - يدرسونهم ذلك - وهم بلا شك يعلمون أنهم يجافون الحقيقة ويقترفون الكذب فهم يدركون أن تجار الرقيق الذين كانوا يختطفون الزنوج من افريقيا وليبيعونهم فى أسواق أوربا وهم الأوربيون من برتغال وطليان وبريطانيين وألمان . وان تاريخ الموانى الأوربية وتاريخ الأساطيل البحرية لا تزال تسود جزءا كبيرا من صفحات التاريخ الأوربى واذا كان هناك بعض العرب أو بعض الزنوج قد مارسوا تجارة الرقيق فانما كانوا فى الواقع يقومون بدور السمسار لتجار الرقيق الأصليين هم الأوربيون آباء هؤلاء المبشرين وآباء هؤلاء المستعمرين - أما أمريكا فتجارتها فى الرقيق لا تحتاج الى برهان فقد نقلت شعوبا بأسرها من أفريقيا السوداء لاسترقاقهم فى أرضها ولا تزال المعارك الدامية بين الزنوج والأمريكان البيض تشير الى هذا التاريخ الأسود . يعرف

المبشرون كل ذلك ولكنهم يحاربون الشماليين ويساعدون على بث بذور العداوة والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد تنفيذا لسادتهم المستعمرين وهكذا رضوا لأنفسهم أن يضعوا المسيحية تحت تصرف الاستعمار لتكون أداة العداوة والتفرقة والاستعباد •

ان الاسلام دين دعوة • والرسول العظيم - صلوات الله وسلامه عليه - انما أرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وانما أرسل مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ولعل هذا هو السر فى أن المسلم هو بطبعه داعية الى الله أقول ذلك لما شاهدته فى جنوب السودان فى هذه الظروف القاسية حينما كان الانجليز يستعمرون السودان ويعملون بقوة لفصل الجنوب عن الشمال فلا يسمحون لشمالى أن يدخل الجنوب الا باذن وهم بالطبع لا يأذنون الا لمن لا يشعرون بأن فى وجوده خطرا على الدعوة المسيحيه او لا يمكن أن يقوم بنشر الدعوة الاسلامية وهم أيضا على هذا الأساس يختارون التجار ويحددون مناطقهم ويراقبونهم كل المراقبة ولكن هذا التاجر الذى لا يعلم من الاسلام الا العقائد الضرورية والعبادات اللازمة وهذا الموظف الذى لا يفوق زميله التاجر فى هذه الناحية ولكنه يفوقه من حيث اتساع الأفق واتساع المعارف العمومية يقوم كل منهما فى أوقات فراغه بل وفى أثناء عمله ويستغل كل الظروف التى تجمعه بمن يصيخ اليه بسمعه من المواطنين الجنوبيين ليقوم بواجب الدعوة الى الاسلام ويستطيع فى محادثة بسيطة أن يقنع سامعه الجنوبى فيعلن اعتناقه الاسلام ثم يشرع فى تعليمه الصلاة • وهكذا استطاع هؤلاء « الحلابة » كما يسمونهم أن يقوموا بعمل عظيم ويؤدوا رسالة الدعوة الى الاسلام ويتعرض الكثيرون منهم بسبب ذلك الى العنف والشدة وهم لا يبالون - والى هؤلاء الجنود المجهولين يرجع الفضل كل الفضل فى احتفاظ الاسلام بأراضيه بل وفى امتداد ظله الوارف وسط هذه الحرب الضروس التى يقوم بها الاستعمار مستعينا برجال الكنيسة الذين يزعمون أنهم دعاة دين والواقع أنهم أشد خطرا من المستعمرين لأنهم يلبسون الخطة الاستعماريه مسوح الدين لولا ان هؤلاء الحلابة كانوا أصلب عودا وأشد ايمانا برسالة الاسلام وانتصار دعوته •

والآن وقد استقل السودان وخرج البريطانيون من أرضه الى غير رجعة ولكننا وجدنا أنفسنا أمام مشكلة معقدة فقد استحكم العداء الذى عمل الاستعمار البريطانى أكثر من نصف قرن من الزمان وأصبح الجنوب فى حالة ثورات واضطرابات وقتال مستمر بين المواطنين الجنوبيين والمواطنين الشماليين ولم يجد هذا التسامح الذى وصل نهايته وهذا العطف الذى بلغ غايته مما يبديه الشماليون نحو مواطنيهم فى الجنوب علما منهم بأن كل ما يبدو منهم انما هو أثر من آثار الاستعمار ليس لهم فيه يد ولا قدرة لهم على دفعه - ولا يزال الاستعمار البريطانى والاستعمار الأمريكى والاستعمار البلجيكى والتعصب الحبشى لا يزال كل ذلك يمد الجنوب بكل أسباب التمرد والفتنة ويعمل لاشعال نار القتال والثورة ولا يزال بين الشماليين من يحسن الظن بالمستعمرين ويركن اليهم ويدور فى فلكهم وأخيرا ظهرت اسرائيل فى المسرح كرأس رمح للاستعمار فهى تعلم أن العرب أحاطت بها أو كادت فهى تعمل الآن على الاحاطة بالبلاد العربية ولعل نقطة الضعف فى نظرها هى السودان • وما دام التخطيط الاستعمارى يرمى الى فصل الجنوب عن الشمال فلا غرابة اذا لمسنا نشاطها يحوم حول السودان للتمهيد لهذا الفصل ولتعبيد الطريق للزحف الاستعمارى •

يسكن جنوب السودان نحو المليونين والنصف ، منهم نحو المليونين وثنيون او لا دين لهم ومنهم نحو الأربعمائة ألف من المسيحيين ونحو المائة ألف مسلم - هذا هو الوضع الآن على وجه التقريب • ولو ادرك رجال الارساليات المسيحية واجبهم الدينى وابتعدوا عن الاستعمار وخططه المنافية كل المنافاة لروح المسيحية فانى أعتقد أننا لا نجد فى جنوب السودان أية مشكلة • فليس هناك مجال للاحتكاك فنحن لا نريد أن نحول

المسيحيين الى مسلمين، كما أننا نعتقد أن رجال الارساليات فى الجنوب لا يريدون ان يحولوا المسلمين الى مسيحيين، واذا علمنا أن مليونين من الجنوبيين لا يزالون على الوثنية أو عبادة الأسلاف أو لا دين لهم علمنا أن هناك ميدانا فسيحا ومجالا واسعا للمسلمين وللمسيحيين على السواء ويستطيع كل من الفريقين أن يعمل بكل قوة لتحويل الوثنيين أو الذين لا دين لهم لدينه وأن يتعايش الدعاة ـ دعاة الاسلام ودعاة المسيحية ـ تعايشا سلميا ، ففى ميدان الوثنية متسع للجميع ونحن لا نشك قط أن النصر سيكون للاسلام وسيتحول اليه المليونان •

ان بساطة العقيدة الاسلامية وسهولة ادراكها يفتح الطريق أمام دعاة الاسلام فيدخل الجنوبيون في دين الله أفواجا وان سهولة العبادة الاسلامية ـ هذه الطهارة الميسرة والجنوب كله أمطار غزيرة وأنهار جارية • وهذه الصلاة التى يؤديها المرء فى أى مكان تحت الشجر وفى العراء في السهل والجبل وتعدد الزوجات فى منطقة جرت عادة سكانها واقتضت تقاليدها أن يعددوا الزوجات حسبما يسمح به امكانياتهم واباحة الاسلام جمع الأربع فى عصمة واحدة واباحة الطلاق اذا دعت له الضرورة وامكان اكمال الأربع كلما نقص عددهن بالطلاق كل ذلك يذلل أمام الاسلام كل عقبة ويفتح أمام دعوته الطريق الى قلوب أولئك القوم ـ الى غير ذلك سهولة الاسلام ويسره مما لو ذهبت أعدده لاحتاج الأمر الى مجلدات •

ان مجمع البحوث الاسلامية الذى دعى مؤتمره الأول بضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية ـ واقترح مؤتمره الثانى اتخاذ خطوة ايجابية بانشاء منظمة لتقوم بأداء هذه الرسالة ـ أن هذا المجمع يكون قد قام بواجب اسلامى عظيم اذا استطاع أن يخطو خطوة عملية فى هذا السبيل وهى سبيل سهلة ميسرة •

اننا نشعر أن الجمهورية العربية المتحدة تقوم بعمل ضخم فى مجال نشر الاسلام وبعث تراثه وايقاظ المسلمين فهذه البعثات الاسلامية التى يدوى صوتها فى الكثير من بلاد الاسلام تجأر بالدعوة الى الله وتأخذ بيد المسلمين نحو الجادة البيضاء ، وهؤلاء الطلاب من حدب وصوب من جميع الأقطار الاسلامية الذين تزدحم بهم مدينة البعوث وهذه الرسائل والكتب والمصحف المرتل وتبسيط قواعد العبادات وترجمتها وتطبيقها عن طريق التصوير والتسجيل كل ذلك مما يقوم به الأزهر الشريف ومما بدأ يعمل له مجمع البحوث الاسلامية ومما ينهض به المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كل ذلك نشعر به كل الشعور ونقدره تمام التقدير ونعلم أنها خطوات موفقة تتلوها خطوات وخطوات ان شاء الله وأن القومية العربية التى تعتبر بحق حجر الزاوية فى النهضة الاسلامية ستخطو فى مجال تدعيم الاسلام وتعميق مفاهيمه واتساع رقعته وسيادة سلوكه وقواعده خطوات واسعة وثابتة بقيادة باعث النهضة وأمل العروبة والاسلام الرئيس جمال عبد الناصر ـ اننا نشعر بذلك كله ولكننا نهيب بالمسلمين شعوبا وحكومات أن يساهموا مساهمة فعالة بالمال والأفكار والرجال لجعل هذه المنظمة التى قرر مجمع البحوث الاسلامية قيامها لنشر الدعوة الى الله حقيقة واقعة ومنظمة قوية فعالة حتى يرتفع منار الاسلام فيسير المسلمون فى ضوئه هادين مهتدين يتضح الطريق أمام أولئك الذين ما زالوا يتخبطون فى ظلام الوثنية تخبط العشواء فى الليل البهيم •

فصل الخطاب فى تنظيم النسل

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

كثر النقاش والجدل فى هذه الأيام عن « تحديد النسل » أو « تنظيم النسل » أو مشكلة تزايد السكان » .

وأصبحنا نقرأ فى المجلات والصحف ، ونسمع فى الاذاعة ، وفى الأندية والقاعات آراء المؤيدين والمعارضين لتحديد النسل او تنظيمه ، كحل لمشكلة تزايد السكان : كل يدلى بوجهة نظره ، ويؤيدها بما يرى من الأدلة ، والدراسات ، والاحصاءات ، وتأتى هذه الدراسات ، أو المساجلات والمناظرات ، أحيانا من جانب المشتغلين بفقه الشريعة ، وأحيانا من جانب المشتغلين بالنواحى الاجتماعية أو الاقتصادية .

ويخطىء من يظن أن البحث فى « تحديد النسل أو تنظيمه » بحث جديد على التفكير الاسلامى ، أو أنه من لوازم المدنية الحاضرة، ومما ولدته النظم المستحدثة فى الاجتماع والمعيشة التى تسير على أساليب لم يكن كثير منها معروفا من قبل .

كما يخطىء من يظن أن المسألة من حيث دراستها وما ينتهى اليه حكمها ذات جوانب مختلفة يستقل بعضها عن بعض ، فهى من الجانب الدينى كذا ، ومن الجانب الاجتماعى كذا ، ومن الجانب الاقتصادى كذا .

ذلك بأن الأحكام فى الشريعة الاسلامية ليست مجرد قوانين روحية أو خلقية لا صلة لها بواقع الحياة العملية ، بل يدخل فى اعتبارها تقدير المصالح ، وملاحظة أمر الاجتماع وما تستقيم عليه شئون الناس فى حاضرهم ومستقبلهم ، وما تتحقق به الغاية أو الحكمة الكبرى من استخلاف الانسان فى الأرض ليعمرها ويصلحها وينعم بآلاء الله فيها ، ويشكره عليها حق الشكر ، عابدا اياه وحده لا يشرك به شيئا .

لذلك كان هذا الموضوع الحيوى الواقعى ، أحد الموضوعات الكثيرة التى بكرت على التفكير الاسلامى ، فتناولها التشريع فى عهد النبوة حين كان القرآن ينزل ، وكان الرسول

ـ صلى الله عليه وسلم ـ يراوح المسلمين ويغاديهم بأحكام الله ، مستمدة من كتابه ، أو آخذة بروحه ، مستظلة بمبادئه ، ثم عنى به الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الفقهاء، وتساءل عنه الناس فى كل مجتمع من المجتمعات فى العواصم الاسلامية الكبرى ، ووضعت أدلته ومصادره التشريعية موضع البحث شرحا وتخريجا ، وفهما وتمحيصا ، وظل ذلك هو الشأن فى مختلف العصور التى جاءت بعد ذلك الى هذا العصر ، وأقول : الى هذا العصر، ولا أريد أيامنا التى نعيشها الآن بالذات .. ولكن أريد هذا القرن أو هذا الجيل من الناس الذين عاصروا الأحداث منذ بدأت النهضة الفكرية السياسية والاجتماعية والفقهية تستيقظ بنا ، أو توقظنا وتحملنا على أن نعالج أوضاعنا ، ونصلح أحوالنا ، ونقيم صرح حياتنا من جديد على أساس من القيم الصحيحة المستمدة من ديننا ، البريئة من شوائب الجهل والتقليد والاستمساك بما ألفنا وتوارثنا ولو كان باطلا صريحا ، أو واقعا فاسدا ، أو تحريفا خاطئا .

ولذلك احتفظت الصحف والمجلات والكتب التى صدرت فى هذا القرن العشرين بكثير من الفتاوى والآراء والمقالات التى تتحدث عن تحديد النسل أو تنظيمه .

واذن . فالفكر الاسلامى لم ينقطع مجراه من أول عهده الى يومنا هذا عن دراسة هذا الموضوع والخوض فيه على نحو من الأنحاء ، حتى جاء « الميثاق الوطنى » فنبه الى « مشكلة تزايد السكان » وقرر أنها هى « أخطر العقبات التى تواجه جهود الشعب المصرى فى انطلاقه نحو رفع مستوى الانتاج فى بلاده بطريقة فعالة وقادرة » ، « وأن محاولات تنظيم الأسرة بغرض مواجهة مشكلة تزايد السكان تستحق أصدق الجهود المعززة بالعلوم الحديثة » .

واذن فليس « الميثاق الوطنى » وليس ما جاء بعده من بيانات أو خطب تتحدث عن هذه المسألة ، هى أول الصيحات التى دوت فى محيط المجتمعات الاسلامية ، وانما هى آخرها حتى الآن ، ومن واجبنا أن ندرسها دراسة قوية منصفة عادلة فى اطار أحكام الاسلام لنصل فيها الى العلاج الذى يجب أن نأخذ به فورا ولا نترك شعبنا ينظر اليه كمسألة من المسائل النظرية التى لا يلحقها خطوات عملية تنفيذية ، فلقد مضت العهود التى كانت البحوث فيها تجرى للترفيه الفكرى ، والتسلية العقلية ، والاكتفاء بمعرفة النتائج معرفة نظرية لا تقدم ولا تؤخر .

ولكى نصل الى فصل الخطاب فى هذا الموضوع نعرض له من الجوانب الآتية :

١ ـ دراسة الموضوع فى نطاق السنة النبوية .

٢ ـ دراسة الموضوع فى نطاق الفقه الاسلامى .

٣ ـ تطبيق الأحكام التى يسفر عنها البحث على أحوال الأفراد وعلى الشعب عامة .

فلنأخذ فى بيان ذلك كله ، وبالله التوفيق .

١ ـ دراسة الموضوع فى نطاق السنة النبوية

١ ـ عرضت السنة النبوية لهذا الموضوع باسم « العزل » فاتخذت هذه الكلمة منذ ذلك عنوانا للموضوع فى الفقه الاسلامى .

والمراد بالعزل : أن ينزع الرجل عن المرأة ـ اذا قرب انزاله ـ فيلقى بمادته المنوية خارج الفرج ، وكانت هذه هى الطريقة الطبيعية السهلة المعروفة للناس اذا أرادوا منع الحمل لسبب من الأسباب .

ولما كان «العزل» من شأنه أن يمنع الحمل منعا مؤقتا ، ولا يقطع النسل قطعا تاما ـ كتعقيم المرأة أو الرجل مثلا ـ اعتبرت كل وسيلة علمية ، أو طبية ، أو تجريبية ، تؤدى الى ذلك « أى الى المنع الموقت دون القطع التام » فى معنى العزل وبمثابته ، فتعطى حكمه .

٢ ـ وقد وردت فى موضوع العزل أحاديث تمسك بها المجيزون، وأخرى تمسك بها المانعون .

أ ـ فمن أهم ما تمسك به المجيزون :

* حديثان رواهما جابر رضى الله عنه .

أحدهما يقول فيه :

« كنا نعزل على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ينزل » .

وهذا الحديث متفق عليه بين البخارى ومسلم ، وقد جاء فى رواية مسلم :

« **كنا نعزل على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبلغه ذلك فلم ينهنا** » .

فهذا الحديث بروايتيه الصحيحتين الثابتتين فى أصح كتابين من كتب الحديث ، وهما صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، يفيد أن « **العزل** » كان يقع فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ينزل عليه ، وتفيد رواية مسلم معنى زائدا على ذلك ، وهو أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلغه ذلك فلم ينههم عنه . وقد قرر علماء الأصول أنه يجوز الاستدلال بالتقرير من الله ورسوله على حكم من الأحكام ، لأنه لو كان ذلك الحكم حراما ، لم يقرروا عليه ـ أى لم يتركوا يفعلونه ـ وقد ذهب أكثرهم الى أن مجرد اضافة الصحابى الحكم الى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجعل له حكم الرفع لأن الظاهر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اطلع عليه وأقره لتوفر دواعيهم على سؤالهم اياه عن الأحكام ، وذهب فريق منهم الى أن وقوع الفعل فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يكون دليلا على جوازه الا اذا كان ذلك بعلم الرسول .

فمن الواضح أن حكم العزل بناء على ذلك هو الجواز ، لأن العزل كان يقع ، وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أنه يقع ، ومع ذلك لم ينه عنه .

والحديث الثانى عن جابر يقول فيه :

« **ان رجلا أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : ان لى جارية هى خادمتنا ، وسانيتنا فى النخل ـ أى ساقيتنا التى تسقى نخلنا ـ وأنا أطوف عليها ، وأكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها ان شئت ، فانه سيأتيها ما قدر لها** » ـ **رواه أحمد ومسلم وأبو داود** .

ويتضمن هذا الحديث أمورا :

أحدها : أن الرجل قرر أمام الرسول أنه « **يطوف** » على هذه الجارية المملوكة له ، وسواء أكان «الطواف» هنا كناية عن الفعل ، أو كان بمعنى أنه يحوم حولها ويريد منها ما يريده الرجال من النساء ، فقد عرض الرجل مشكلته على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين اتبع ذلك بقوله : « **وأكره أن تحمل** » .

ثانيها : ان الرجل أشار الى الأسباب التى تجعله يكره أن تحمل ، اذ يقول « **هى خادمتنا وسانيتنا فى النخل** » ، فربما كان تحرجه من أنها جارية للخدمة والسقى ، فهو يأنف أن يكون له منها ولد ، وربما كان تحرجه من أنها اذا حملت وولدت ، لم تتفرغ للخدمة، بل تشغل بحملها وولدها عما أريدت له ، وعبارته تفيد أنها مخصصة لذلك ، ولا يقوم بهذا العمل غيرها ، لأنه يقول « **هى خادمتنا وسانيتنا** » ، أى : لا يقوم بخدمتنا وسقايتنا فى النخل غيرها ، فهذا هو الذى جعله يكره أن تحمل منه ، فهو اعتبار مصلحى جزئى خاص بهذا الرجل ، أى أنه يرمى به الى تحقيق مصلحة عادية له، تتعلق به وبأهله، فاذا أقره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علمنا أن الشارع يعتبر مثل هذه المصلحة الجزئية الخاصة ، أى يراها مصلحة مشروعة .

ثالثها : أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقره على ذلك حيث قال : « **اعزل عنها ان شئت** » .

فهذه العبارة النبوية تفيد أنه فهم عن الرجل مشكلته ، وفهم الأسباب التى دعته الى كراهية حملها منه ، وأقره على هذه الأسباب ، واعتبرها بذلك أسبابا مشروعة ، وأشار عليه بما يحقق له هذه الرغبة ، ويحل له هذه المشكلة فقال « **اعزل عنها ان شئت** » . ـ أى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى أشار بالعلاج بعد أن درس المشكلة وعرف الأسباب ، وكان العلاج الذى أشار به هو أن يعزل عنها .

فاذا كان الحديث السابق الذى رواه جابر يقرر أن « **العزل** » كان يقع على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن ينزل ، وأن الرسول كان يبلغه ذلك فلا ينهى عنه ، فان هذا الحديث يفيد معنى أعمق فى الجواز والمشروعية ، اذ يقرر أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى أشار « بالعزل » كعلاج لمشكلة السائل بعد أن فهم عنه ، وقدر

الأسباب التى ذكرها *

أما قوله – صلى الله عليه وسلم – فى هذا الحديث « فانه سياتيها ما قدر لها » .. فهو رد على ما قد يرد فى بعض الأذهان من أن « **العزل** » مظهر من مظاهر الفرار مما قدر الله ، وسيأتى بيان لهذا الرد ، وشرح للفكرة التى يريد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يثبتها فى الناس عن القدر .

*** وهناك حديث عن أبى سعيد ، قال : « قالت اليهود : العزل الموءودة الصغرى ، فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – كذبت يهود ، ان الله – عز وجل – لو اراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه » – رواه احمد وأبو داود والترمذى والنسائى .**

وهذا الحديث يدل على أن نظرة اليهود الى « العزل » تختلف عن نظرة الاسلام اليه ، فاليهود تراه « الموءودة الصغرى » أى تراه وأدا حقيقيا وتزعم أنه يقطع الحمل أصلا ، وقد أكذبهم النبى – صلى الله عليه وسلم – وأنبأ أن العزل لا يمنع الحمل اذا شاء الله خلقه ، لأن الماء قد يسرى الى الرحم منه حالة الجماع ما يكفى للحمل دون أن يتنبه الرجل الى ذلك ، ومن المعروف أن الحيوانات المنوية هى من الدقة والصغر بحيث ان النقطة التى هى مثل رأس الدبوس تحتوى على عشرة آلاف حيوان منوى ، ومن المعروف أيضا أن بعض الناس لا يشعر ان كان قد نزل منه قبل النزع شىء يسير جدا أو لم ينزل ، واذن فاحتمال الحمل قائم ، ولو شاء الله لكان الحمل مهما احتاط لمنعه الزوجان .

وكذلك يقال فى كل ما يشبه العزل من وسائل منع الحمل الى وقت ، فكل هذه الوسائل ليست قاطعة فى منع الحمل ، وانما هى ذات تأثير غالبى فقط ، فليست من باب الوأد الحقيقى الذى تزعمه اليهود فى العزل .

وقد أوضح هذا المعنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى عدة أحاديث ، منها هذا الحديث الذى نحن بصدده ، ومنها الحديث الثانى من حديثى جابر – رضى الله عنه – اذ يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – فيه : « **فانه سياتيها ما قدر لها** » **ومنها** ما جاء – فى حديث آخر عن أبى سعيد عن النبى – صلى الله عليه وسلم – : « **ما عليكم ألا تفعلوا فان الله – عز وجل – قدكتب ما هو خالق الى يوم القيامة** » . الى غير ذلك .

فالفكرة التى يريد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يثبتها فى الناس ، هى : أن القدر لا بد أن يبلغ مداه ، أى أن الله تعالى اذا كان قد سبق قدره وعلمه بشىء فلا بد من وقوعه ، واذن فليس العزل الا سببا ظاهريا امكانيا كسائر الأسباب المشروعة التى أقامها الله وأباح لنا أن نأخذ بها ، بل أوجب علينا ذلك فى بعض الأحيان ، مع أنها ليست تامة التأثير بذاتها ، بل لا بد من انضمام عدم المانع اليها فهى تفيد اذا أراد الله أن تفيد ، لأنه حينئذ يجريها وييسرها ويمنع الحوائل عنها فتتم الأمور المترتبة عليها بتوفيقه جل شأنه ، وهى تبطل اذا أراد الله أن تبطل ، لأنه حينئذ يسلط عليها الموانع والحوائل ، ويسلب عنها فرص التوفيق .

واذن فالمسالة ليست مسألة « موءودة صغرى » كما يزعم اليهود ، لأن الحمل حين يأتى يكون قد أتى بارادة الله فلم يجر عليه وأد ، واذا لم يتم فعدم تمامه باذن الله فلم يوجد شىء ذو حياة حتى يمكن أن يوصف بأنه قد وئد .

هذا وسيأتى حديث معارض لهذا الحديث، وفيه وصف للعزل بأنه الوأد الخفى ، وسنذكره عندما نسوق أدلة المعارضين ، وندرسه ان شاء الله تعالى .

*** وعن أسامة بن زيد : أن رجلا جاء الى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : انى أعزل عن امرأتى ، فقال له : لم تفعل ذلك ؟ فقال له الرجل : أشفق على ولدها ، أو على أولادها ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لو كان ضارا ضر فارس والروم»** – رواه أحمد ومسلم – .

ففى هذا الحديث أن الرجل كان يعزل عن امرأته خوفا على ولدها أو أولادها .

ويفهم مما أجابه به الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يعنى الاشفاق مما يعرف بالغيلة – بكسر الغين – والمراد بها أن

يجامع الرجل المرأة وهى مرضع أو وهى حامل، واللبن الذى ترضعه المرأة ولدها حينئذ يسمى « الغيل » - بفتح الغين وسكون الياء - وكانت العرب ترى أن ذلك يضر بالولد ويجعله ضعيفا ضاويا ويبقى أثره فيه حتى بعد أن يبلغ ويشتد ، ولذلك قالت أم الشاعر المعروف بـ « تأبط شرا » ترثيه بعد موته :

ولا أرضعته غيلا

أى أنها لم ترضعه لبن « الغيل » ، بل كانت تمتنع على أبيه وهى حامل به ، فلم ينشأ ضعيفا ولم يسر اليه ذلك الاعتلال الذى يلازم من رضعوا مثل هذا اللبن ، طول حياتهم .

وهذا المعنى قد أشير اليه فى بعض الاحاديث - غير هذا - فقد روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد بن السكن - رضى الله عنها - قالت :

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« لا تقتلوا أولادكم سرا ، فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه » .

قال ابن منظور فى لسان العرب - مادة دعثر - :

« دعثر الحوض وغيره : هدمه ، وفى الحديث : « لا تقتلوا أولادكم سرا ، انه ليدرك الفارس فيدعثره » أى يصرعه ويهلكه ، يعنى اذا صار رجلا .. والمراد النهى عن « الغيلة » وهو أن يجامع الرجل المرأة وهى مرضع فربما حملت ، واسم ذلك اللبن « الغيل » - بالفتح - فاذا حملت فسد لبنها ، يريد أن من سوء أثره فى بدن الطفل ، وافساد مزاجه وارخاء قواه ، أن ذلك لا يزال ماثلا فيه الى أن يشتد ويبلغ مبلغ الرجال، فاذا أراد منازلة قرن فى الحرب وهن عنه وانكسر ، وسبب وهنه وانكساره الغيل» .

ويرى القارىء أن بين الحديثين ما ظاهره التعارض :

فالحديث الأول الذى رواه أسامة ينفى أن يكون لما أشفق الرجل منه على ولده أو أولاده - وهو الغيلة أو الغيل - اثر فى اضعاف الولد بالمعنى الذى يعرفه العرب .

والحديث الثانى الذى روته أسماء يثبت أن الغيل له أثر سىء على الطفل حتى ان هذا الأثر ليلاحقه ولا يزال ملحا عليه ولو اشتد وبلغ مبلغ الرجال .

يرى القارىء هذا التعارض بين الحديثين ، ومن حقه أن يسأل : أى المعنيين هو المطابق للواقع ؟

ونقول فى الجواب عن ذلك :

أولا : ليكن الواقع هذا أو ذاك ، ولكن القضية الأصلية تبقى على حالها ، أى أن العزل جائز مباح اذا كان هناك سبب مقبول يحمل عليه ، واختلاف الحديثين ليس فى هذا المبدأ، مبدأ الجواز أو الاباحة، وانما الاختلاف فى تقدير هذا السبب المعين وهو : هل الغيلة تضر بالطفل كما تفيده التجربة عند العرب ، أو لاتضر بالطفل كما يشاهد فى أطفال الروم والفرس ، والاختلاف فى تقدير السبب شىء آخر بعد تقرر مبدأ الحل .

ونمثل لذلك بما اذا قال المشرع : **أبحت الفطر فى رمضان لعذر المرض أو السفر ..** فهذا مبدأ مسلم به عند جميع العلماء ، لكنهم قد يختلفون فى أن حالة معينة تعد مرضا أو لا تعد مرضا ، فيقول أحدهم : ان وجع الاصبع مثلا مرض مبيح للفطر ، بحكم العموم الذى يفيده اطلاق لفظ المرض ، ويقول آخر : لا ، ليس وجع الاصبع بمبيح للفطر، لأن روح الترخيص يدل على أن المرض المبيح هو الذى تحصل به المشقة على الصائم ، وكذلك يقال فى السفر : هل مطلق السفر ولو من القاهرة الى حلوان مثلا يعد مبيحا للفطر ، لأن الله أطلق ، أو المراد بالسفر ما كان على مسافة خاصة لا تقل عن كذا ، بدلالة السنة والعمل؟

فليس هذا اختلافا فى مبدأ اباحة الفطر بالمرض أو السفر ، ولكنه اختلاف فى أن الوجع الفلانى مرض أو ليس بمرض ، وفى أن الانتقال الفلانى سفر أو ليس بسفر .

واذن فقضية جواز العزل لا تتأثر بالاختلاف فى تقدير السبب الذى يقتضيها ، ولكن السبب نفسه هو الذى قد يثبت فيؤثر ، وقد يبطل فلا يكون هناك تأثير من جانبه .

وثانيا : الحقيقة أنه لا تناقض ولا تعارض بين الحديثين : فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرف بالتجربة ما عرفه قومه من أن الغيلة ضارة بالطفل الرضيع أو الحمل ، فنهى عن ذلك على وجه الارشاد لصيانة الأطفال والاحتياط لهم وسد الذرائع التى قد تؤدى الى فسادهم صحيا ولو على سبيل الظن، فليس نهيه عن الغيلة من باب نهى التحريم ، والا لكان ذلك تكليفا بحكم فى غاية المشقة ، لأنه يتعذر على الرجل والمرأة فى العادة الصبر على ترك الاتصال الجنسى بينهما طول مدة الحمل والارضاع ، وقاعدة سد الذرائع المظنونة لا تقوى على معارضة المصلحة الراجحة ، وهى مصلحة رفع الحرج بملاحظة حال الناس وما يلاقونه من العنت والمشقة فى احتمال ذلك ..

وفى هذا يقول ابن القيم ـ فى كتابه « زاد المعاد » ص ١٨ ج ٤ ـ وهو بصدد دفع التعارض :

« **وقد يقال : ان قوله « لا تقتلوا أولادكم سرا » نهى عن أن يتسبب الى ذلك ، فانه شبه الغيل بقتل الولد ، وليس بقتل حقيقة ، والا كان من الكبائر ، وكان قرين الاشراك بالله ، ولا ريب أن وطء المراضع مما تعم به البلوى ، ويتعذر على الرجل الصبر عن امرأته مدة الرضاع ، ولو كان وطؤهن حراما ، لكان معلوما من الدين ، وكان بيانه من أهم الأمور ، ولم تهمله الأمة وخير القرون ، ولا يصرح أحد منهم بتحريمه ، فعلم أن حديث أسماء على وجه الارشاد والاحتياط للولد وألا يعرضه لفساد اللبن بالحمل الطارى عليه ، ولهذا كانت عادة العرب أن يسترضعوا لأولادهم غير أمهاتهم ، والمنع منه غايته أن يكون من باب سد الذرائع التى قد تفضى الى الاضرار بالولد ، وقاعدة سد الذرائع اذا عارضتها مصلحة راجحة قدمت عليها ـ أى قدمت المصلحة الراجحة على سد الذريعة ـ** انتهى كلام ابن القيم .

وهناك حديث فى هذا الشأن يدل على هذا الجمع ، وهو ما رواه أحمد ومسلم عن جذامة بنت وهب الأسدية ، وفيه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ، فنظرت فى الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم شيئا » .

ومعنى هذا : لقد تفكرت فى هذا الأمر ناظرا الى تجارب العرب ، فهممت أن أنهى عن الغيلة ، لكننى نظرت بعد ذلك ، فى الروم ، وفارس فوجدت التجربة غير قاطعة ، لأنهم يغيلون ولا يضر ذلك أولادهم شيئا ، فلذلك عدلت عن نهى أمتى عن الغيلة نهيا على وجه التحريم ، وان كنت أرشدهم الى ملاحظة ذلك احتياطا على أولادهم بقدر الامكان .

وسنعود الى هذا الحديث ونتكلم عنه بتمامه بين أدلة المعارضين ان شاء الله .

***

ب ـ وتمسك الذين لا يجيزون العدل :

*** بما روى عن أبى سعيد قال : خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة بنى المصطلق ، فأصبنا سبيا من العرب فاشتهينا النساء ، واشتدت علينا الغربة وأحببنا العزل ، فسألنا عن ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا فان الله ـ عز وجل ـ قد كتب ماهو خالق الى يوم القيامة » ـ متفق عليه ـ .**

يستدل القائلون بعدم جواز العزل بهذا الحديث ، فيقولون :

ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن العزل فقال : « **ما عليكم ألا تفعلوا** » وهذه عبارة تفيد النهى عن العزل ـ قال ابن سيرين : هى عبارة أقرب الى النهى ، وحكى ابن عون عن الحسن انه قال : **والله والله لكأن هذا زجرا** ، وقال القرطبى : **كأن هؤلاء فهموا من** « لا » النهى عما سألوا عنه ، فكأنه قال : **لا تعزلوا وعليكم ألا تفعلوا .**

ـ ثم ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتبع ذلك بتقرير أمر القدر وأنه غالب غير مغلوب ، فقال : « **فان الله ـ عز وجل ـ قد كتب ما هو خالق الى يوم القيامة** » وهذا يؤيد ،

النهى عن العزل ، اذ أنه لا يرد قدر الله فلا فائدة منه وانما هو عبث .

هذا هو استدلالهم

والواقع أن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما عليكم ألا تفعلوا » لا يدل على تحريم العزل ، وكل ما فيه أنه ليس عليهم حرج فى ألا يفعلوه فاذا أراد أحد أن يستدل بالمفهوم فيقول : وبذلك يثبت الحرج فى فعله ، فان دلالة المفهوم ضعيفة ولا سيما اذا كان فى الأحاديث الأخرى تصريح بجواز العزل ونفى عن فاعليه .

ولذلك يحتمل أن تكون « لا » فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم « ما عليكم ألا تفعلوا » زائدة ، والتقدير : ما عليكم أن تفعلوا ، أى لا حرج عليكم فى العزل ، وزيادة « لا » فى الكلام معروفة ، كما فى قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شىء من فضل الله » .

قال الأخفش : تقديره ليعلم أهل الكتاب و « أن لا » صلة زائدة مؤكدة ، وقال الفراء : معناه : لأن يعلم ، و « لا » صلة زائدة فى كل كلام دخل عليه جحد ـ أى نفى ـ .

ثم ان لنا أن نتساءل : هل كان أصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ متحرجين من العزل أو عدم العزل ؟ والجواب : انهم كانوا يحبون أن يعزلوا كما هو نص الرواية ولكنهم تحرجوا من العزل فسألوا عنه ، وانما تحرجوا منه لخوفهم من أن يكون مظهرا من مظاهر الفرار من قدر الله ، ويظهر أن هذا الأمر كان يشغل الأذهان يومئذ بدليل ما ورد فى الأحاديث الأخرى التى عنيت بأن تشرح فكرة القدر ، وأنها هى أساس العقيدة ، والعزل لا ينافيها .

فاذا كان التحرج انما هو من العزل ، فالجواب لا يكون بنفى الحرج عن عدم العزل ، وانما يكون بالتصريح بحكم العزل اباحة أو تحريما ، كأن يقول أنتم تسألون عن العزل فاعزلوا ولا حرج ، أو لا تعزلوا ،

أما أن يقول أننى أنفى الحرج عن عدم العزل ، فذلك بعيد ، لأن عدم العزل ليس مسئولا عنه ، وهم لا يتحرجون منه حتى ينفى الحرج عمن لم يعزل .

هذا ما يحتمله قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ما عليكم ألا تفعلوا » ، ولذلك يحس المستدلون بهذه العبارة على عدم الجواز ، بأن دلالتها ليست قوية ، فيقول بعضهم : هى أقرب الى النهى ، ويقول بعضهم : لكأن هذا زجرا .. الخ .

والحقيقة ان العبارة محتملة ، وان الأحاديث الأخرى تفسرها فترجح الاباحة على ما قلنا من أن « لا » زائدة .

✻ وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العزل : أنت تخلقه ؟ أنت ترزقه .. أقره قراره فانما ذلك القدر » ـ رواه أحمد ـ .

والمانعون يستدلون بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أقره قراره فانما هو القدر » على عدم جواز العزل .

والواقع أن هذا أمر للارشاد والتنبيه على أن الحمل أو عدم الحمل انما يرجع أمرهما الى ما قدره الله ، وهو ما تدل عليه الأحاديث الأخرى ، فمجموع هذه الأحاديث كأنه يقول : ليس العزل بمانع قدر الله ان كان قدر الحمل وليس عدم العزل بمحول قدر الله ان كان قدر عدم الحمل .

فالمسألة هى اهتمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتركيز العقيدة فى أمر القدر ، لا فى اباحة العزل أو عدم اباحته ، اذ أن الاباحة ثابتة بالأحاديث الأخرى الصريحة .

✻ وعن جذامة بنت وهب الأسدية قالت : حضرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أناس وهو يقول : لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم شيئا ، ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ذلك الوأد الخفى ـ وهى

« **وإذا الموءودة سئلت** » – رواه أحمد ومسلم .

استدل المانعون

أولا – بأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرر أن الغيلة لا تؤثر على أولاد الروم وفارس ، فأبطل بذلك ما كان يعتقده العرب في شأنها ، ومن ثم يبطل كونها سببا للعزل .

ثانيا – بتصريح النبي – صلى الله عليه وسلم – حين سئل عن العزل ، بأنه « الوأد الخفي » وهذا يدل على حرمته .

هذا هو استدلال المانعين ..

وقد رد عليهم المجيزون بما خلاصته :

أولا – بأن كون الغيلة تؤثر أو لا تؤثر ، لا يقدح في كون العزل مباحا ، بل لعل الحديث يدل على اباحة العزل بصدره هذا اذ أن النبي – صلى الله عليه وسلم- يقول انه قد هم بالنهي عن الغيلة حين ظن أنها مؤثرة ، ومعنى ذلك أنه يريد تنظيم النسل على نحو لا يكون معه ضرر للأولاد ، وذلك انما يكون بالعزل ونحوه أو بمنع الرجال من الاتصال بالنساء في زمن الحمل والارضاع ولما كان الثاني حكما شاقا لا يطيقه الناس – كما سبق بيانه – لا يبقى الا اباحة العزل ونحوه .

ثانيا – انه لا يلزم من كون العزل « وأدا خفيا » على التشبيه أن يكون حراما ، وانما الحرام هو الوأد الظاهر الذي اجتمع فيه القصد والفعل .

على أن الزيادة التي في آخر هذا الحديث ، وهي سؤالهم عن العزل وجوابه – صلى الله عليه وسلم – بأنه الوأد الخفي .. الخ . هي زيادة تفرد بها أبو سعيد بن أبي أيوب عن أبي الأسود ، ورواه مالك ويحيى بن أبي أيوب عن أبي الأسود ولم يذكراها ، وهي معارضة لجميع أحاديث الباب ، وقد حذف هذه الزيادة أهل السنن الأربع « انظر ص ١٩٨ ج ٦ من نيل الأوطار للامام الشوكاني»

وهناك أقوال كثيرة في حديث جذامة هذا، منها ما يحاول الجمع بينه وبين ما يعارضه من الأحاديث ، ومنها ما يقرر أنه ناسخ لغيره كما زعم ابن حزم وأنكره عليه المحققون .

وبذلك يتبين أنه حديث فيه كلام كثير، يوهن الاحتجاج به على حرمة العزل .

* بقي بعد ذلك حديث رواه أحمد وابن ماجه عن عمر بن الخطاب قال :

« **نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يعزل عن الحرة الا باذنها** » ..

وقد علق على هذا الحديث صاحب المنتقى الذي شرحه الامام الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار » – وهو الامام ابن تيمية – بقوله : « وليس اسناده بذلك » .

* * *

٢ – دراسة الموضوع في نطاق الفقه

لقد ذهب الفقهاء مذاهب شتى تبعا لاختلافهم في الأحاديث الواردة في الموضوع ، قبولا لسندها أو فهما لما تدل عليه ، أو جمعا بينها ، أو غير ذلك .

وكثير منهم ينحو نحوا اجتماعيا في تخريجه واستنباطه ، ومنهم من يستند الى العوامل النفسية ، ومنهم من يلاحظ في تحليله وفقهه المعاني التي ربما يظن أنها من الدراسات الحديثة ، كملاحظة الأمور الجنسية بالنسبة للزوجين .

ونحن نسجل هنا آراء الفقهاء بقدر ما يتسع له المجال ، منبهين الى بعض الملاحظات التي يحسن التنبه اليها ، فنقول :

١ – قال ابن القيم في كتابه « زاد المعاد » ص ١٦ وما بعدها من الجزء الرابع – بعد أن أورد الأحاديث المبيحة للعزل :

« فهذه الأحاديث صريحة في جواز العزل ، وقد رويت الرخصة فيه عن عشرة من الصحابة علي ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي أيوب ، وزيد بن ثابت ، وجابر ، وابن عباس ، والحسن بن علي ، وخبات بن الأرت ، وأبي سعيد الخدري ، وابن مسعود – رضي الله عنهم ... »

« وحرمه جماعة منهم أبو محمد بن حزم وغيره » .

« وفرقت طائفة بين أن تاذن له الحرة فيباح أولا تاذن فيه فيحرم ، وان كانت زوجته أمة أبيح باذن سيدها ولم يبح بدون اذنه ، وهذا منصوص عليه في مذهب احمد ـ رحمه الله ـ ومن أصحابه من قال لا يباح بحال ، ومنهم من قال يباح بكل حال » .

ثم ذكر أحاديث المنع والنهى عن العزل وقرر انه ليس فيها ما يعارض أحاديث الاباحة مع صراحتها ، بما لا يخرج عما ذكرناه ، ثم قال :

« وقد اتفق عمر وعلى ـ رضى الله عنهما ـ على أنها تكون موءودة اذا مر عليها التارات السبع ، فروى القاضى أبو يعلى وغيره باسناد عن عبيد بن رفاعة عن ابيه قال : جلس عمر وعلى والزبير وسعد ـ رضى الله عنهم ـ فى فى نفر من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتذاكروا العزل فقالوا : لابأس به ، فقال رجل : انهم يزعمون أنها الموءودة الصغرى ، فقال على ـ رضى الله عنه ـ : لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع ، حتى تكون من سلالة من طين ، ثم تكون نطفة ، ثم تكون علقة ، ثم تكون مضغة ، ثم تكون عظاما ، ثم تكون لحما ، ثم تكون خلقا آخر ، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : صدقت أطال الله بقاءك » ـ وعلى ـ رضى الله عنه ـ يشير الى قوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » ـ الآية .

٢ ـ يرى الحنفية أن منع الحمل مباح بشرط أن تاذن فيه الزوجة لاشتراكهما فى حق الولد ، قال صاحب الهداية « ولا يعزل عن زوجته الا باذنها لأن تحصيل الولد من حقها ، وللكمال بن الهمام وغيره من علماء الحنفية مثل هذا ، وقال علماء الحنفية « هذا هو أصل المذهب ، ولكن المتأخرين افتوا فى زمانهم بجوازه لأحد الزوجين بغير رضا صاحبه اذا خيف على الولد السوء لفساد الزمان ، وهذا منهم مبنى على قاعدة تغير الأحكام بتغير الزمان .

٣ ـ ومن فقهاء الأمصار من يرى أن محاولة منع الحمل بالعزل ونحوه مكروهة ، لأن فيها تقليلا للنسل ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « تناكحوا تناسلوا تكثروا ، فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » .

فلاحظوا بذلك حق الأمة فى الولد وأن من صالحها أن يكثر عددها لتكون قوية أمام أعدائها .

ونقول : أن من حق الأمة أيضا أن يكون أبناؤها أقوياء فى أبدانهم وصحة أجسامهم ، وأقوياء بأخلاقهم ، فاذا كانت الكثرة العددية تؤدى الى ضعف المستوى الصحى أو التعليمى أو الأخلاقى ، كان للفقيه أن يوازن بين كثرة مع الضعف والخور ، وقلة مع القوة والتماسك .. وفى الحديث الشريف ما يدل على أن الكثرة الواهنة ممقوتة محقرة فى نظر الاسلام .. فقد صح أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الآكلة الى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا بل انتم كثيرون ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قال قائل : وما الوهن يا رسول الله قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

٤ ـ قال الامام الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار ص ١٩٨ ج ٦ تعليقا على ما جاء فى حديث الرجل الذى كان يشفق على الأولاد فيعزل عن زوجته :

« هذا رأى الاشفاق على الأولاد ـ أحد الأمور التى تحمل على العزل ، ومنها الفرار من كثرة العيال ، والفرار من حصولهم من الأصل ، ومنها خشية علوق الزوجة الأمة لئلا يصير الولد رقيقا » .

ولم يصرح الامام الشوكانى بأن هذه الأسباب فى نظره مبيحة للعزل ومنع الحمل ، وانما ذكرها مقررا انها من الأمور التى تحمل

على العزل ، وان كان يترجح أنه يقرهـا كأسباب يجوز قصدها ، وان لم يتأكد تأثير العزل فى منع الحمل .

وكثرة العيال التى يذكرها الامام الشوكانى قد يصحح قصـدها معنى روى عن الامام الشافعى - رضى الله عنه - فى تفسير قوله تعالى :

« **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أوما ملكت ايمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا** » .

وذلك أنه يقـول : معنى « **ذلك أدنى ألا تعولوا** » : ذلك أقرب ألا تكثر عيالكم .

فاذا صح التفسـير وقبل من أهـل اللغة ، كان فى الآية الكريمة اشارة الى أن التشريع القرآنى يتجه الى كراهية كثرة العيال فيكون مما يتلاءم مع هذه الكراهية العمل على تنظيم النسل حتى لا يكثر العيال .

وبعبارة أدق : يفهم الشافعى أن الله تعالى أمر من خاف عدم العدل عند تعدد الزوجات بأن يقتصر على واحدة ، وعلل ذلك بقـوله : « **ذلك أدنى ألا تعولوا** » - أى ألا تكثر عيالكم بالمعنى الذى فهمه الشافعى - فيفهم من ذلك أن الخوف من كراهية الكثرة ملاحظ فى النهى عن التعدد الذى لا يؤمن فيه من الجور وذلك لأن الكثرة حينئذ ستصحبها اختـلال حال الأطفال وضعفهم وعدم استطاعة الأب ضـبط أمورهم فى جو الضرائر ، أو فى حال الجـور على الأمهات ، والشارع يكره ذلك ، ويعلم أن الناس بطبيعتهم السليمة يكرهونه ولا يحبون أن يقعوا فيه ، فلذلك يصرفهم عن التعـدد فى هذه الحالة بذكر ما له من عاقبة وخيمـة بكثرة النسل كثرة لا يستطاع معها اصـلاح أمره ، واحسان تربيته .

وهذا المعنى الذى فهمه الشـافعى - رضى الله عنه - قد اعترض عليه بعض الناس لما زعـم من أنه مخالف للغة ومن هـؤلاء المعترضين : الثعلبى ، فانه علق على تفسـير الشافعى بقوله : « **وما قال هذا غيره** » ومنهم أيضا ابن العربى الذى زعم ان « عال » لاتأتى فى اللغة الا على سبعة معان لا ثامن لها ، وعد هذه السبعة حصرا ، ونفى أن يكون منها عال بمعنى كثر عياله .

ويعلق القرطبى فى تفسيره على هـذين فيقول :

« قلت : أما قول الثعلبى « ما قال غيره » فقد أسنده الدارقطنى فى سننه عن زيد بن أسلم ، وهو قول جابر بن زيد ، فهـذان امامان من علماء المسلمين وأئمتهم قد سبقا الشافعى اليه وأما ما ذكره ابن العربى من الحصر وعدم الصحة فلا يصح .. وأما عال بمعنى كثر عياله فذكره الكسائى وأبو عمر الدورى وابن الأعرابى ، قال الكسـائى أبو الحسن على بن حمزه : العرب تقول عال يعول ، وأعال يعيل - أى كثر عياله - وقال أبو حاتم : كان الشافعى أعلم بلغـة العرب منا » - راجع ص ٢٢ ج ٥ من تفسـير القرطبى .

وفى لسان العرب فى مادة « عول » :

« وقال أكثر أهل التفسـير : معنى قوله تعالى: « **ذلك أدنى ألا تعولوا** » أى ذلك أقرب ألا تميلوا وتجوروا ، وقيـل : ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم ، قال الأزهرى : والى هذا القول ذهب الشافعى قال : والمعروف عند العرب : عال الرجل يعول اذا جـار ، وأعال يعيل اذا كثر عياله ، قال الكسائى : عال الرجل يعول اذا افتقر ، قال : ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله ، قال الأزهرى : وهذا يؤيد ما ذهب اليه الشافعى فى تفسير الآية لأن الكسائى لا يحكى عن العرب الا ما حفظه وضبطه قال : وقول الشـافعى نفسه حجـة ، لأنه - رضى الله عنه - عربى اللسان ، فصيح اللهجة ، قال : وقد اعترض عليه بعض المتحذلقين فخطأه ، وقد عجل ولم يتثبت فيما قال ولا يجوز للحضرى أن يعجل الى انكار ما لا يعرفه من لغات العرب ، ا هـ . كلام اللسان .

٥ - وللامام الغزالى رأى فى منع الحمل ذكره فى ص ١٤٩ ج ٤ من كتابه احيـاء

العلوم المطبوع بمطبعة نشر الثقافة الاسلامية بمصر سنة ١٣٥٦ هـ ٠

وخلاصة هذا الرأى : أن منع الولد مباح ولا كراهة فيه ، قال : لأن النهى انما يكون بنص أو قياس على منصوص ، ولا نص فى الموضوع ، ولا أصل يقاس عليه ، بل عندنا فى الاباحة أصل يقاس عليـــه ، وهو ترك الزواج أصلا ، أو ترك المخالطة الجنسية بعد الزواج ، أو ترك التلقيح بعد المخالطة ، فان كل ذلك مباح وليس فيه الا مخالفة الأفضل، فليكن منع الحمل بالعزل وما يشبهه مباحا كما أبيح ترك الزواج ، وترك المخالطة الخ ٠

هذا رأى الامام الغزالى فى منع الحمل بقطع النظر عن البواعث التى تدفع اليه فانه يرى أن من البوعث ما ليس منهيـــا عنه ولا مكروها فلا يؤثر فى حكم الاباحة ، وذلك كما قال : مثل استبقاء جمال المرأة ونضرتهـــا ، ومثل الخوف من كثرة الحـــرج بسبب كثرة الأولاد ٠

ويرى أن من البواعث ما هو مكروه منهى عنه فيستتبع ذلك كراهة منع الحمل نظـــرا للبواعث عليه ، وذلك كما قال : مثل الخوف من الأولاد والاناث كما كانت عادة العرب ٠٠

ويتبين من هذا ان الغزالى يرى أن منـــع الحمل مباح فى ذاته وبقطع النظر عما يحمل عليه من البواعث ، وأنه يكون مكروها اذا كان الباعث عليه مكروها ٠

٦ ــ ويرى ابن حزم وبعض الفقهاء كابن حبان : عدم جواز منع الحمل بالعزل ونحوه مطلقا ، وحجته أنه وردت أحاديث الاباحـــة وهى صحيحة من غيـــر شك ولكن وردت كذلك أحاديث المنـــع وهى تنسخ الاباحـــة الأصلية ٠٠ ورد عليه مخـــالفوه بأن دعوى النسخ تحتاج الى تاريخ محقق يبين تأخـــر ما يدعى أنه ناسخ وأنى له ذلك ، هذا مع ما وجه الى أحاديث المنع من نقد فى الرواية، وفى الدلالة ، ولذلك يعرض جمهور الفقهاء عن هذا القول الذى يقرر عدم الجواز باطلاق ولا يرونه شيئا ٠

٧ ــ وروى أن عمرو بن العاص كان يخطب فى المسجد الجامع بمصر فيحذر الناس منها : كثرة العيال ، اذن فهو يوجه الى تنظيـــم النسل وقد أورد له المقريزى احدى خطبه التى كان يحذر فيها من كثرة العيال ٠

***

٨ ــ ويرى بعض الباحثين الاجتمـــاعيين والاقتصاديين : أن أمر تنظيم النسل مرتبط بكفاية الموارد ، فاذا كانت الموارد الطبيعيـــة كافية لتغطية الكثرة الكاثرة من النسل فـــلا مقتضى لتحديده أو تنظيمه ويتحدثون عن كفاية الموارد فى النطاق العالمى، أو فى النطاق المحلى ، ويأتون باحصاءات وبيانات تدل على تحقق هذه الكفاية ٠

والواقع أن كفاية الموارد فى النطاق المحلى أو العالمى ، مسألة نظرية فاذا كانت الأرض بما فيها من الثروات التى أودعها الله ، وبما علمه الله الانسان من استغلالها وتسخيرهـــا والانتفاع بثمراتها المختلفة زراعة وصـــناعة واســـتنباطا تكفى الناس مهمـــا كثروا وتناسلوا ، فان هذه الكفاية ــ ولا سيما فى النطاق المحلى لكثير من الشعوب ــ هى كامنة فى الأرض وثرواتها ، وليست جاهزة حاضرة يمكن مد الأيدى اليها واستخلاصها والانتفاع بها فى عام أو أعوام أو فى جيل وأجيال ، فلا بد من مرور زمن طـــويل ، ومن تهيىء فرص مواتية ومن تكاتف أيد قوية عاملة ، ومن نضال شاق مثابر متواصل ، للوصول الى درجة الكفاية ٠

وشعبنا المصرى مثلا قد عاش مئات السنين فى ظل أنظمة جائرة ، وسيطرة ظالمة كان هدفها اضعافه وارهاقه وسلبه ما منحه الله من خيرات ، وتعطيل مواهبه حتى لا يتطلع الى التخلص من مستعمريه وغاصبى حقوقه ، فهل ننتظر ان يتبدل حال هذا الشعب من النقيض الى النقيض فى سنوات معدودة ٠٠ فيستطيع أن يلاحق مشكلة ازدياد الســـكان فيحلها بتكثير الانتاج واستثارة الموارد ، مع العلم بأن هذا يحتاج الى تفرغ تام ، وصفاء

فى جوه السياسى وأمن تام من المؤامرات التى ما زالت ، ولن تزال ، تحاك من حوله ، وهل نقول له : نم أيهـــا الشعب مغمض العينين وتناسل كما شئت أن تتناسـل ، ويكفيك أن يد الاصلاح قد بدأت تعمل فى فى نواحى العلم والتعليم والزراعة والتصنيع؟ أو الحزم أن نحسب ونخطط ونحصى ونقارن ونوازن فاذا تبين لنا أن الوقت سيمتـد بنا ، وأن مما يصلح عليه شأننا أن نجمع بين العمل والسعى والاصلاح ، وبين تنظيم النسل لوقت من الأوقات ، حتى نرى الميزان يعتدل بين ما ننتج من الثمرات ، وما ننسل من الأفراد ..

٣ ـ تطبيق الأحكام التى أسفر عنها البحث على أحوال الأفراد وعلى الشعب عامة

١ ـ يتبين مما ذكرناه فيما تقـدم ثلاث نتائج يمكن استخلاصها :

أولا : ان مبدأ منع الحمل لتحقيق مصلحة ولو كانت جزئية ، مبدأ مسلم به فى التشريع الاسلامى تؤيده السـنة الصحيحة ويقول به جمهور الفقهاء .

ثانيا : أن البواعث والأسـباب التى تدعو الى منع الحمل كثيرة ، يشـير القرآن الكريم الى بعضها ، وتدل السنة المطهرة على بعضها ، ويذكر الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أمثلة لها ، ومنهم من يتوسع فى ذلك الى حد بعيد كما فعل الامام الغزالى .

ثالثا : أن بعض الأمراء المسلمين من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عمرو بن العاص أمير مصر ، كان يوجه الشعب الى تنظيم النسل بتحذيرهم من كثرة العيال ، أى أن مبدأ التنظيـم نودى به من حكومة اسلامية ، وعلى نطاق الشعب ، وذلك بأسلوب التوعية والتحذير من عواقب ترك النسل تحكمه الفوضى .

٢ ـ واذا أردنا تطبيق هذه النتائج على الأفراد ، ثم على الشعب ، فاننا نقول :

* بالنسبة للافراد : لا شك فى أن لكل فرد أن ينظر فى حالته وحالة زوجته وأسرته من مختلف النواحى، فاذا رأى سببا أوأسبابا تدعوه فى خاصة نفسه الى منع الحمـل فى بعض الأوقات ، تنظيما لأمره ، واحتياطا لصحة زوجته أو أولاده ، فلا بأس عليه من ذلك .

* بالنسبة للشعوب : يجوز لكل شعب تقدير ظروفه الخاصة وتقرير ما يراه صالحا له ، محققا لمصلحته ، فاذا تبين له بوسـيلة تفيد العلم الصـحيح أو الظن الراجـح ـ كالاحصاءات الدقيقة ، والنظر فى الخطة القومية المنظمة للانتاج والتنميـة ـ أن من مصلحته العامة تنظيم النسل وتقليله فى فترة معينة ، فليس هناك ما يمنع شرعا من العمل على ذلك .

* ولا نقر الرأى الذى يربط بين هـذا وبين كفاية الموارد نظريا ، لما بيناه من قبل .

كما لا نقر الرأى الذى يقول : ان الاباحة خاصة بالأفراد ، لا يجوز اجراؤها كحكم عام على الشعب ، بحجة أن الأصل الذى ترغب فيه الشريعة هو تكثير النسل، لا الحد منه .

وانما نرفض هذا الرأى لأسباب :

١ ـ منها : ما بيناه من أن الكثرة ليست دائما هى مظهر القوة والعزة ، فانها قد تكون كثرة كغثاء السيل ، كما جاء فى الحـديث الشريف ، فهى اذن ليست مقصورة لذاتها ، فاذا علم أنها ستؤدى الى ضعف الشعب فى مجموعه ، والى هزاله بضعف الأفراد فيه خلقة أو خلقا ، كان له بل كان عليه ، أن يختـار الوسيلة التى تتحقق بها قوة الشعب وعزته .

ولا ننكر أن على ولاة الأمور فى ذلك واجبا ، هو العمل على التنمية والتوسع فى الصناعة والزراعة ونحو ذلك ، لمقابلة كثرة النسـل

كما يحدث الآن والحمد لله على نطاق واسع بفضل ثورتنا المباركة ، ولكننا فى مرحلة تقتضى الأمرين جميعا : أن نتوسع فى التنمية وأن نحد من كثرة النسل فى فترة التوطيد والتمكين للاصلاح والنهوض ، فالاكتفاء بأحدهما دون الآخر تطويل لمرحلة الانتقال من الضعف الى القوة ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الفساد الى الصلاح .

٢ ـ ومنها : أن الشريعة اذا كانت تبيح تنظيم النسل بالعزل ونحوه ، اعتبارا لمصلحة جزئية خاصة ، حتى يصل الأمر الى ملاحظة الحفاظ على قوام زوجة أو نضارة جسمها ، فاولى ـ من غير شك ـ أن تعتبر المصلحة العامة للشعب فى مجموعه ، فتلاحظ ماينبغى من الحفاظ على صحته العامة ، وثروته العامة ، وأخلاقه وتربيته وأسلوب حياته ماديا وأدبيا واجتماعيا ، فان الجماعة اذا تعارضت مصلحتها مع مصلحة الفرد قدمت مصلحتها ، كما هو مقرر فى الشريعة .

٣ ـ والنتيجة من هذا أننا نقرر فى ثقة واطمئنان :

١ ـ جواز تنظيم النسل فى شعبنا المصرى ، بناء على ما تبين من احصاءات الدولة وبياناتها وميثاقها من أن الشعب يعانى من مشكلة « زيادة النسل » وأن لذلك خطره وأثره الكبير فى اثقال الشعب عن « انطلاقه نحو رفع مستوى الانتاج فى بلاده بطريقة فعالة وقادرة » .

٢ ـ وأن السبيل الى ذلك هو توعية الشعب ، وتحذيره من عواقب الاندفاع فى طريق تضر بالمصلحة العامة .

٣ ـ وأن على الأفراد أن يستجيبوا لهذه الدعوة كل فى نطاق ظروفه وبقدر امكانه ، مشاركة فيما يصلح به حال الشعب ، ويجعله قادرا على الكفاح والنضال فى سبيل النصر والعزة والكمال .

٤ ـ وأن على أهل العلم والثقافة والوعاظ والأئمة أن يشتركوا فى هذه التوعية ، ويبينوا للناس مشروعية هذا الحكم على الوجوه التى شرحناها ، مستمدة من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما عليه الجمهرة من الصحابة والفقهاء .

وبالله التوفيق ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين .

الصوفية في إلهامهم

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

شاء الله سبحانه ، وهو الفعال لما يشاء أن أعرف فى نشأتى ، مصادفة ، رجلين من أعلام التصوف فى عصرنا ، فنهلت من وردهما الصافى المروق ، أصفى المشارب وأحلاها ، وقد فقدتهما واحدا بعد واحد، وسبحان الحى الذى لا يموت، فأصبحت أطوى ضلوعى على ذكرياتهما الحلوة ، فآنس بها ، وأحمد الله على صحبتهما. لأنى أعتبر تلك الصحبة أعظم حدث سعدت به فى حياتى ، كيف وقد دلانى على الله ، وربيانى فى طاعته تعالى ، وهى السعادة الحقة •

واحتفظ للعارف الاكبر منهما برسائل قليلة ، لكنها تضمنت نصائح روحية ، من الهام نفس زكية ، بارة تقية •

واحتفظ للثانى بحكم صوفية شعرية ، كان ينطق بها الهاما لوقته ، وكنا نكتب منها ما تيسرت لنا كتابته حتى تكاملت لدينا مجموعة مباركة من الحكم ، يفاخر بهاصوفية زماننا عصور الصوفية الزاهرة •

أما أول الرجلين فهو العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى ، وهو أستاذى الذى بايعته على تربيتى فى السلوك الى الله ، وقد انتقل الى دار الرضوان فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ •

وأما ثانى الرجلين فتلميذه الأول العارف بالله سيدى الشيخ على عقل ، الذى عاون فى ثقافتى الدينية وتربيتى الصوفية بأمر أستاذه، وقد انتقل الى دار الرضوان فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٨ •

وهما من صالحى خلفاء العارف بالله ، قطب زمانه ، ومجدد قرنه ، سيدى الشيخ محمد أبو خليل ، الحسينى نسبا ، الشافعى مذهبا، ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق ، وصاحب الطريقة الخليلية التى انتشرت فى البلاد شرقا وغربا ، وقد انتقل الى رضوان الله فى يونية سنة ١٩٢٠ •

وسأعطى أخى القارىء الكريم فى هذه العجالة نماذج من تلك الحكم والنصائح النثرية والشعرية وهى تفصح بأسلوبها عما كان يتحلى به الامامان من معرفة وصفاء ، وعلم وحكمة ، وأدب كامل فى الدين .

فمما نصحنى به أستاذى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى ، طيب الله ثراه ، فى احدى رسائله (وكان حينئذ بالاسكندرية وكنت بالقاهرة) قوله :

« أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها ، فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيها ، وفيها ما فيها ، لأنك ان دبرت وصح التدبير ، وهو مطلوب شرعا ، فلا تدرى كيف قضى فيه ، فان صح القضاء بالرضاء فهو القضاء ، وان حصل الجفاء سألناه اللطف فى القضاء ، مع الرضاء على انه الرضاء » .

وها أنت تراها نصيحة غالية ، تعلم المؤمن **الرضا بمواقع المقدور ، وهو عند الصوفية أساس من أسس تعاليمهم ، التى يبنون عليها تربية القلوب فى جنب علام الغيوب ، حتى أنهم قالوا : الرضا بمواقع القدر نعم الوسيلة الى درجات المعرفة .**

وقد أثر عن القطب الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى (من أعلام القرن السادس الهجرى) أنه كان يقول فى هذا المقام :

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الأمور التى تجرى بتقديرى

لى خالق رازق ما يشاء يفعل بى
احاط بى علمه من قبل تصويرى

واذا نظرت فى أقوال أئمتنا المجتهدين ، الذين عقدت الأمة لهم ألوية الامامة فى الدين ، أخذت عنهم هذا المشرب كذلك ، لأن السادة الصوفية لم يبتدعوا شيئا فى الدين ، بل هم أخذوا منه بالعزائم دون الرخص والتأويلات ، وأقبلوا على الله بكلياتهم وجزئياتهم ، فسمت مذاقاتهم، حتى ظن العوام أنهم غالوا فى الدين، ونأوا عن الصراط المستقيم ، وحاشاهم أن يفعلوا ذلك وهم يتمسكون بالكتاب والسنة ، ويتأسون بمولانا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الأقوال والأفعال والأحوال ، وانما الجديد هو أنهم وضعوا آداب القلوب فى سلوكها الى الله فى قالب علم ، عرف بعلم « التصوف » ولقب أهلوه بلقب « الصوفية » ، وقيل للمتشبهين بهم « المتصوفة » ، وذلك شبيه بما وقع فى شأن العلوم الأخرى التى نشأت فى صدر الاسلام ، فقد وضعت مثلا قواعد اللغة العربية فى قالب علم عرف بعلم النحو ، ووضعت أحكام الشريعة فى قالب علم عرف بعلم الفقه ، ولا يقال أن النحويين أتوا بلغة جديدة ، أو أن الفقهاء أتوا بشرع جديد .

هذا ومن تسليم الامام مالك ورضاه بقدر الله انه ــ رضى الله عنه ــ كتم أمر مرضه بسلس البول عن تلاميذه ومحبيه أعواما طوالا ، فلم يعرفوا أن تلك العلة كانت السبب فى تخلفه عن الذهاب للحرم النبوى كعادته ، وجلس للتدريس فى منزله ، ولما علموها آخر حياته سألوه ، ولماذا لم تخبرنا بذلك يا امامنا فقال : أأشكو خالقى لعباده ؟

كما أن الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ يقول فى توحيد خالص لله تعالى ، وفى رد الأمور لمشيئته سبحانه :

وما شئت كان وان لم أشأ
وما شئت ان لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت
ففى العلم يجرى الفتى والمسن

على ذا مننت وهذا خذلت
وهذا اعنت وذا لم تعن

فمنهم شقى ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن

فاذا نحن قارنا أحوالنا بأحوال هؤلاء الصالحين ، وجدنا الفرق واضحا وكبيرا ، فنحن نضجر بمواقع القدر وهم يسلمون ، ونحن نشكوا وهم يشكرون ، ذلك باننا نجهل الحقيقة وهم يعلمون ، ونضعف فى ايماننا وهم يوقنون .

أما عن الحكم الشعرية ، فانى ناقل لاخوانى مثلا رائعا منها ، لأستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل ، فقد كان – رضى الله عنه – ينشد على مجلس الذكر ليشد عزائم الذاكرين، فكان فيما قال وكتبناه عنه :

حوالى فضل الله من كل جانب
عزيز غزير جاره اليوم واصل

فأردت أن أبين للسامعين الذين لم يقفوا من قبل على حاله النورانى ، ان هذا من الهامه الفورى وليس شعرا مؤلفا على روية وتفكير ، أو محفوظا من قديم .

فقلت لسيدى الأستاذ حوالى مرة اخرى ياسيدى الشيخ ، وكنت أثيرا عنده ، فقال عفا الله عنه :

حوالى نور العلم يسكن جبهتى
أسالم أيامى وما أنا جاهل

فقلت : حوالى مرة أخرى من فضل الشيخ ، فقال :

حوالى نور المصطفى وأنا به
أموت وأحيا انه لى مناهل

فقلت : حوالى أيضا لو سمحت ياسيدى (وكنت قد رأيت انتباها شديدا من السامعين) فقال :

حوالى ايناس من الله وحده
وما لعبت يوما بعقلى الشواغل

فقلت أريدها والله مرة أخرى اكراما لذكرى مولانا الامام الحسين – رضى الله عنه – (وكانت الحفلة مقامة فى مناسبة ذكرى مولده المبارك) فقال قدس الله سره :

حوالى اشراق من الشرع ثابت
وشمس التجلى ما عليها حوائل

وعندئذ هب الجمع على كثرتهم وقوفا ، وصفقوا طويلا ، وصاحوا صيحة الاعجاب ، ولا أقول بعد الذى جاء فى الشطرة الأخيرة من البيت الأخير ، الا ما قاله الله تعالى (الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم) .

الاسلام

ان دين الاسلام هو أعظم دين شرعه الله لعباده لتكميل اصلاحهم فى أنفسهم وأخلاقهم وأعمالهم ومجتمعهم ، ويمكن للناظر المتبصر فهم ذلك اذا استعرض عقائد الاسلام وتربيته الاخلاقية وما شرع فيه من الأعمال والاحكام، وما اشتملت عليه من الحكم العالية والاسرار اللطيفة وأظهر من ذلك وأقرب ان ينظر الى تاثيره من قبل فى أمم الشرق التى كانت راسفة فى أغلال الاستعباد والذل غارقة فى لجى العقائد الخرافية الوثنية، والأخلاق المرذولة فانتشلها من ذلك كله وزكى نفوسها وطهر أخلاقها وجمع كلمتها ، ولايزال الاختبار الى اليوم يشهد بأن المسلمين أطهر الامم خلقا وأصحهم نسبا وأبعدهم من الفحشاء والعهر مما بقى لهم من حياتهم الأولى ، وضع الدين الحق فى يدهم باجتماعهم عليه ودفاعهم عنه صولجان العزة والسلطان فى العالمين الشرقى والغربى ما يناهز ألف سنة ، مدة لم تنلها

بين أنصاره وأعدائه

الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر

أمة من الأمم السابقة ولا الحاضرة فيما نعلم .

ولا يحفظ التاريخ أن دينا غير دين الاسلام انتشر من حدود فرنسا غربا الى جدار الصين شرقا فى مدة لاتزيد على مائة وخمس وعشرين سنة مقرونا بالعدل والاحسان والرحمة والصيانة والعفة ، مطهرا للمجامع الانسانية من قاذورات الشيطان وفسوقه واثمه ، وهذا هو الأمر الذى اختص به دين المسلمين وملكهم – السرعة والطهارة والعدل والثبات مدة طويلة فى أحسن بقاع المعمورة وقع ذلك مع فقد المواصلات الموجودة اليوم ، وما كان لهم من أسبابها الا الاقدام وظهور الدواب برا ، والمراكب الشراعية بحرا . فهذان دليلان عظيمان على مكانة دين الاسلام من حيث هو دين بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لاصلاح البشر ، أحدهما علمى وهو عقائده وأخلاقه واعماله وأحكامه الموجودة بين ايدينا ، ومن السهل أن نستقريها من القرآن والسنة ، وثانيهما حسى تاريخى نقل الينا تواترا لا يمترى فيه احد وهو الحياة الطاهرة التى بثها فى الأمم حين اخذت به .

وموضوع الكلام فى موقفى هذا هو الشق الأول :

أن المركز الذى تصدر عنه الاخلاق والاعمال التى ينبنى عليها صلاح الفرد أو فساده ، ثم صلاح المجموع المؤلف من الأفراد أو فساده هو النفس وما رسخ فيها من العقائد والاخلاق وما تنشره تلك العقائد والاخلاق من الرغائب والمطالب وما يصدر عنها من أعمال ، فاذا كانت العقائد باطلة ، والاخلاق فاسدة كان مايصدر عنها من الأخلاق والاعمال شرا وشقاء على الفرد ثم المجموع .

واذا كانت العقائد صحيحة والاخلاق صالحة كان ما يصدر عنها خيرا وسعادة للفرد ثم المجموع فهذا أصل عظيم فى صلاح المجتمع البشرى وهو صلاح نفوسهم أولا التى هى الاصل ، ولا صلاح بدونه فهذا هو أساس الاصلاح الاسلامى ، وفرض العين اللازم الذى لابد من تقديمه ، والذى لابد من انجازه أولا ، لكون ما سواه من الفروض الكفائية فى الرتبة الثانية ، ومنها الصناعات والحرف الدنيوية ، وما شاكلها فتأثم الأمة اذا اجمعت على تركها ، وقد ثبت الآن ان التوسع فيها

على غير أساس من الاصلاح الاسلامى من تقديم اصلاح النفس الانسانية قبل آلاتها انما هو شر محض على البشر ، وعن ذلك نتجت الحرب العالمية والمجزرة الانسانية التى لم يسمع فى التاريخ بما يدانيها والمطلعون على الشئون العالمية يشذرون بوقوع ما هو أعظم منها وأسوأ فى القريب العاجل وأى مانع يمنع عنها مادام ظلام النفوس يحول بين البشر وبين النور الساطع الطاهر نور هداية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومادام ضجيج الأهواء يحول بينهم وبين سماع صوت دعوته وقرآنه صوت الرحمة والمحبة والسلام والسعادة والحياة الطيبة والعدل .

أن دين الاسلام هو دين الفطرة أى ان الله خلق فطرة الانسان على مقتضى هذا الدين الحق

فكما أنه هو الحق فى الخارج والواقع فهو الملائم والمناسب للفطرة الانسانية لأنها مجبولة على وفقه ولا يستطيع أحد ان يبدلها بفطرة أخرى لاتبديل لخلق الله قال اللــــه تعالى ، **« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمــون » الروم ٣٠ – وقال الله تعــالى « وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » – الجاثية ٢٢ – ذكر الله فى هذه الآية فى أصل الخلق وحكمته الحق والجزاء بالعدل ، ودين الاسلام هو الذى يصدق ذلك ويطابقه ٠**

وعن موافقة دين الاسلام للفطرة الانسانية والعقل الانسانى ينشأ ذلك الثبات المعروف من المسلم الصحيح الاسلام على دينه وعــدم استطاعته التحول عنه الى غيره ، ولان دينــه قد أقامه شاهدا على من سواه وحاكما عليه بالبرهان والفرقان بما عرفه اياه من تاريخ الدين وما عرف منه وما أبقى على أصله من لدن نوح الى محمد صلى الله عليهما وآله وسلم فهو كمن يعرف الدعاوى المعروضة وبيناتها ويميز حقها من باطلها ، ولذلك قال مسيو جول سيكار الفرنسى فى كتابه الحديث ٠ العالم الاسلامى فى الممتلكات الافرنسية : **ان المسلم يتعذر ان يتحول عن الاسلام الى النصرانية ، فالطريقة المثلى لتنصير المسلمين ايقاعهم فى الالحاد والتعطيل أولا ، حتى اذا أصبحوا بغير دين وزال ما للقرآن من السلطان على عقولهم سهل حينئذ تنصيرهم لان البشر لا يستطيعون أن يعيشوا بغير دين ٠**

ان المسلم يعتقد أن دين الاسلام هو دين الله على السن جميع انبيائه فكلهم انما جاءوا يدعون الى عبادة اله واحد منفرد بالربوبية الشامل معناها للخلق والرزق والتــدبير – والتصريف والايجاد والامداد والانعام عــلى الخليقة والاحسان اليها والملك لها والتــولى لشئونها لا شريك له فى ذلك ومتفرد بالالوهية الجامع معناها لاتصافه عز وجل بصفات الكمال والجلال والاكرام من القدرة التى لايعجزهـا شىء ، وهو فى ذاته منزه عن مشابهة المخلوقات لم يلده شىء ولم يلد شيئا ولا يكافئه غيره ، فهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فكل ماسواه مخلوق له ذليل بين يديه فهو عزوجل وحده المستحق للعبادة والاجلال والخضوع والمحبة وهو وحده الذى يرغب الراغبون اليه ، ويجتهد الداعون فى سؤال حاجاتهم منه ٠

فله الحمد كما أن بيده الملك كله فخلصت محبــة المسلم وعبادته واجلاله ورغبتــه ورهبته للاله الحق الواحد الذى بيده ملكوت كل شىء ومهما أحب المسلم احدا من عبــاد الله من نبى مرسل أو ملك مقرب فانما احبه بحبه فلم يتفرق قلبه ولم تتشتت أهواءه ولم يتذبذب عمله ، فمحيت من قلبه المسلم أوهام الوثنية ووساوسها كل المحو ، ثم أن للمسلم وازعا قلبيا يزعه عما لايحل له ، ورقيب منه يذكره اذا غفل ، ففى الصلاة المتكررة كل يوم يرفع همته عن مواقعة الفحشاء والمنكر ، ويذكره بربه وبرحمته وعدله وما أوجبه عليه ووعده به من المجازاة على كبير عمله وصغيره ، وفى الزكاة والصوم والمتكروين كل عام ما يشعر قلبه بمحبته اخوانه والاحسان اليهم ويزكى نفسه من رذيلة البخــل ويوثق رابطته بأمته ، ويورثه القوة على كبح جماح الشهوة ويعده للتقوى ٠

وفى الحج ما يملأ قلبه تعظيما لشــعائر الله ومعرفة بأخوانه المسلمين وارتباطا عــلى وجه المساواة فى أراء شرائع الحج وتربيــة للنفس على احتمال مشاق السفر النافع ، وهكذا كل أعمال العبادة التى شرعت فى دين الاسلام ، فانها تذكر ما يجب من تعظيم الخالق وشــكره وبالاحسان الى المخلوق ومعاونته مع مافيها من تربية النفس وتكميلها وتعودها النظام والمحافظة عــلى الواجب والمكافلة مــع الأمة ٠

فترى المسلم يحمل فى قلبه الرحمة للعباد بان ربه رحيم يحب الرحماء من عباده ويأمرهم برحمة الخاصة والعامة ، ممتلئا قلبه بالمحبة لأخوانه المؤمنين لأن ربه يحبهم وقد أمــره بمحبتهم ، مطالبا نفسه بالعدل لانه مــأمور باقامته والشهادة به على القريب والبعيد أيا

كان ، متنزها عن القاذورات من الفحشاء والبغي والمنكر لأن ربه القدوس الطاهر يكرهها وينهانا عنها ويعاقب عليها • يرى المسلم انه هو الحر كل الحرية فانه لا يعتقد أن أحدا غير الله يقدر على خلق ولا رزق — ولا احياء ولا اماتة ولا ضر ولا نفع مع اعتقاده أنه ليس فى الحوادث الكونية شيء من الفوضى أو الخروج عن اراده عز وجل بل هى مدبرة بأمره مقدرة بعلمه تجرى اسبابها بحكمته عز وجل الى الى مسبباتها •

فالمسلم لا يخشى وهما ولا خيالا ، ولايتعلق بأحد سوى مولاه ولا يرجو النفع ولا يخاف الضر الا منه فلا تخنع نفسه أمام مظاهر هذه الحياة ولاتذل •

هذه حرية المسلم فى عقيدته ، أما حريته فى خلقه وعمله فانه يفهمها على خلاف ما يفهمها عبيد الشهوات ومامورو الشياطين فهو يعتقد ان الرق اللازب هو ان يصير الشخص مستعبدا للشهوات المحرمة ، وان الحرية أن يملك زمام اهوائه ونزعاتها فيخضعها لسلطان الدين والاعتدال والعقل ، وبذلك يصير مؤمنا كاملا •

يحرص المسلم على الكيس والاخذ بالاسباب بحزم ونشاط فيها لعلمه بان ربه يحب الكيس ويلوم على العجز ، فاذا غلب على أمره عاد على نفسه باللوم فيماقصرت فيه والى ربه بالاستغفار من ذنبه ، ثم لم تهن نفسه ولم ينقطع أمله ، و : « لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »•« ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » ثم كان ما وقع له واعظا له فى مستقبل أمره لأن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين •

يقع المسلم فى الخطيئة فلا يصر عليها خوفا من عاقبة الاصرار ومعالجة الموت وانطباع النفس بطابع الدنس ولا يرجع فى طلب محوها وغفرانها الى مخلوق مثله ولكنه يعود الى ربه ومالك أمره فيستغفره ومن يغفر الذنوب الا الله •

ففى العقائد والاعمال من تهذيب النفس وتزكيتها ورفعتها ما لا خفاء فيه ففى هذه فوائد اجتماعية نافعة للامة ومكملة لاتحادها ومذكرة به ، وشرح ذلك فى كل عمل شرعى مما يطول ولا يتسع له الوقت فلنضرب له مثلا فى فرض الصلاة التى هى عبادة محضة من حيث كونها مغذية للايمان ونتيجة له فانها مع ذلك لم تخل من الفوائد الاجتماعية •

ارادة التغيير وحقوق الانسان

الأستاذ محمود كمال

لقد ردد زعيم العروبة عبارة «ارادة التغيير» مرات ومرات ، فى خطبه العديدة ، التى ألقيت فى مختلف المناسبات ، كما تضمن الميثاق العبارة نفسها فى أكثر من موضع منه ، مثال ذلك ماورد فى مقدمته مما جرى نصه كما يلى

(١) — ان ارادة الثورة فى تلك الظروف الحافلة لم تكن تملك من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته

« ولقد كان مجرد اعلانها فى حد ذاته فى جو المصاعب والخطر والظلام دليلا على صلابة ارادة التغيير الثورى وعنادها الذى لايلين »

(٢) — ان ارادة الثورة لدى الشعب العربى المصرى ، والصدق الذى سلحت نفسها به ، حققت مقاييس جديدة للعمل الوطنى •

« لقد أكدت هذه الارادة وصدقها أنه لا يمكن أن تقوم عوائق أو قيود على امكانيـة التغيير الا احتياجات الجماهير ومطالبها العادلة » •

وفى هاتين الفقرتين من الميثاق ، نجد أن عبارة « ارادة التغيير » قد قرنت بعبارتين أخريتين هما : « مطالب النضـال الشعبى واحتياجاته » و« احتياجات الجماهير ومطالبها العادلة » ، والعبارتان تؤديان معنى واحدا •

واقتران هاتين العبارتين أو أى منهما بعبارة ارادة التغيير ، يؤدى بنا حتما الى تفهم الغرض المقصود من السياق ، وهو أن ارادة التغيير وامكانية اجرائه لا يكونان الا نتيجة لمطالب النضال الشعبى واحتياجاته •

وهذا الغرض الملحوظ من السياق ينطوى كحقيقة ثابتة الجذور ، على معان عميقة الأثر فى الحياة الانسانية ، منذ أن تشعبت مناحيها ، وتزايدت ، ومنذ أن تكاثرت حاجـياتها ، وتنوعت ، ومنذ أن تعددت أسباب الخلاف بشأنها ، واحتدم الصراع والنزاع من أجلها ، ومن أجل المكاسب والمغانم والمزايا المرجوة من امكانية الحصول عليها •

وهذه المعانى هى ، فى الواقع ، العامل الاساسى فى بلورة الأحداث العالمية العظمى على

مدى التاريخ ، وخلال الحقب والاجيال المتعاقبة وسيبقى الأمر كذلك ، لأن اسبابها باقيــة لا تزول مادامت الأرض والسماء ، ومادام الناس يعمرون هذا العالم ، وتفسير ذلك هـو أن الشعوب متطورة بتطور الحيــاة نفسها وتجددها ، وآخذة ، في الوقت ذاته ، بوسائل التقدم والارتقاء .

والحياة تأبى للشعوب الخمود أو الجمود ، والبقاء على حال واحدة ، ويستحيل أن يحول بين الشعوب وتقدمها وارتقائها حائل مهمـا يكن ، فانها تجرف فى سبيلها اية عوائق قد تعترضها نحو غاياتها التى تهدف اليهـا ، وتفتت كل الصخور القائمة فى طريقها نحو هذه الغايات ، ومن الناحية الأخرى فان وسائل التقدم والارتقاء ، التى لا تفلتها الشعوب ، فى أى ظرف من الظروف ، تختلف من زمان ، ومن مكان الى مكان ، فكلما وجدت حاجات جديدة تستوجبها طبيعة الحياة فى مكان ما ، بحيث يستحيل أن يستغنى عنها لامكانية التطـور الانسانى ، كلما جهد الانسان فى الحصول عليها ، وأجهد نفسه فى سبيلها ، ولابد له أن يحصل ، فى النهاية ، عليها أما فى سهولة ويسر ، متى كانت الظروف صالحة فى سهولة وأما فى مشقة وعسر ، متى كانت الظروف صعبة المراس ، قوية ، عصية ، فاذا كان الأمر كذلك افرغ الانسان كل امكانياته فى سبيل الحصول على احتياجاته ، واذن فلن يحول بينه وبينها حائل ولن يقف فى سبيله اليها مانع ، لأن ارادته الصلبة العنيدة لابد لها من أن تغلب تلك الحوائل والموانع على أمرها ، وتلزمها أن تذوب فلا تبقى لها من بقية .

وخلاصة هذه المعانى مجتمعة هى انه اذا ما تطورت احوال الشعوب ، فى زمن من الأزمان واتجهت الى الحصول على ما يستلزمه هذا التطور من حاجات ، فوجدت من يقف فى سبيل حصولها عليها ، من حاكم ظالم ، أو قوى جبار معتز بقوته وجبروته ، أو مغتصب عنيد لا تلين قناته ولا تهن عزيمته ، ثارت فاشتدت فى ثورتها وغضبت فاشتدت فى غضبتها ، وهاجت وماجت ، فلا تهدأ ثورتها ، ولا تخمد حدتها ، الا بعد أن تهد كيان الظالم ، وتدك معاقله ، وتفنى قوته ، والا بعد أن تطوح بذلك القوى المعتز بقوته فى غياهب الحياة ، أو غمرة الفناء ، وبعد أن تقذف بالمغتصب الى الهاوية فلا يعود ، ثم هى ، بعد ذلك كله ، تفوز بالثمرة المرجوة من هذا الجهاد العنيد بكل حاجاتها التى هى وسيلتها الى التقـدم المرغوب والارتقاء المنشود .

فالثورات ، والحالة هذه ، وليدة الحاجات المتجددة للارتقاء والتقدم ومسايرة الحضارة ، عندما توجد الموانع والحوائل التى تقف دون امكانية الحصول عليها .

وما من شعب أمتد به الطموح الى الحصول على حاجاته المؤدية الى نيله ما يريد من ذلك الا كانت وسيلته اليها هى الثورة فى وجوه المعارضين مهما كانت اقدارهم ، ومهما كانت مقاومتهم له شديدة عنيفة ، فان اخفق يوما ، واصل جهاده فى قسوة وعناد ، حتى يظفر بغاياته وينال مبتغياته .

وهكذا علمتنا الثورات التى توالت فى تاريخ الانسانية ، منذ نشأتها ، أن الشعوب تريد ، فتحصل على ما تريد ، شاء الظالمون أو لـم يشاءوا ، رضى الغاصبون أم لم يرضوا ، كما علمتنا أن الشعوب لا تطمع كثيرا فى مزيد متى حصلت على مطالبها العادلة .

وأصدق الأمثلة التى يستشهد بها فى هذا الصدد هى الثورة المصرية التى نشبت فى سنتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢ ، فقد عجزت هذه الثورة فى سنة ١٩١٩ عن الحصـول على المطالب الشعبية كاملة ، بينما نجحت فى سنة ١٩٥٢ فى انتزاع الاستقلال من براثن الاستعمار مع استكمال عناصره ، والارتفاع بالجمهـورية العربية المتحدة الى مستوى الدول الكبرى فى المجال الدولى ، والمضمـار العالمى ، وكانت هذه الثورة مثلا احتذته بعض الدول النامية فى افريقيا ، خاصة ، ونسجت على منواله ، فارغمت الغاصبين على الرحيل من ديارهـا ، وأقامت على انقاض الاستعمار دولا مستقلة ذات سيادة ، تبشر بمستقبل مجيد فى ظل الاشتراكية القويمة ، المرتكزة على أسس من الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص .

وانه لمن حصافة الرأى ان يقر بذلك الحاكمون ، أصحاب السلطة والسلطان ، الذين بيدهم مقاليد الأمور ، فلا يحولوا بين الشعوب وحقوقها الطبيعية فى الحياة ، وعادة يعبر عن تلك الحقوق فى الاصطلاح العالمى بعبارة « حقوق الانسان » وانما يمنحونها لها ، اختيارا ، ويحددون معالمها ، فى الوقت نفسه ، تحديدا يمنع اساءة استعمالها ، أو الخروج بها عن معانيها المقصودة منها •

وقد حدث ، أن أقرت تلك الحقوق ، فى أعقاب بعض الثورات العالمية التى نشبت ، على الاخص فى القرون من السابع عشر الى التاسع عشر ، وفصلت فى وثائق نشرت على العالمين ، ولكن الواقع هو أنها ظلت مرسومة فى تلك الوثائق ، وكانت مجرد بنود جذلة اللفظ ، سامية المعنى دون أن تفرض على مخالفتها أية جزاءات ، ومادام الأمر كذلك فان قيمتها تكون شكلية غير جدية ، والى أن يحين الزمان الذى يتفق فيه على جعلها اجبارية فستبقى حياة الشعوب عرضة للهزات والثورات من حين الى حين •

ورغم شكلية تلك الحقوق ، وانعدام فاعليتها ، فقد تحالفت عليها قوى الشر ايضا فأخمدت انفاسها وأسدلت عليها ستارا من النسيان ، واذ وجد جماعة من الناس أن الأمر هو كذلك ، حاولوا أن يبعثوها من رقادها ، أو على الاصح ، أن يعيدوها الى الحياة ، فالقوا لهذا الغرض ، هيئة دولية اطلق عليها رجال السياسة اسم « الجوق الاوروبى » فكان ذلك قبل الحرب العالمية الاولى ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، ولم تنجح تلك الهيئة فى تحقيق شىء من أغراضها •

ولما أن قامت الحرب العالمية الأولى شغل الناس بها ، وانصرفوا عما عداها من الأمور ، ثم وضعت هذه الحرب أوزارها ، وشكلت عصبة الامم ، فرأى المنتصرون ضرورة اشباع مطامع الشعوب الظامئة الى الحرية ، فاعلنوا فيما اعلنوه من مبادىء ، « وثيقة حقوق الانسان » ومع ذلك فقد ذوت تلك الحقوق مرة أخرى ، لأنها كانت ، كما قدمنا ، مجرد نصوص غير مقترنة بجزاء على مخالفتها ، كما ذبلت العصبة نفسها ثم ماتت واندثرت لأنها عجزت عن أداء رسالتها التى أنشئت من أجلها •

وحدث ، بعد ذلك ، فى سنة ١٩٢٨ ، ان رأت « طائفة » من أهل الفضل فى لندن من بينها الكاتب الشهير هـ٠ج٠ويلز ٠٠ اعداد قواعد تقى الانسان شرور الحياة ، ووضعت مشروعا أعلنت فيه حقوق الانسان ، وجعلته مكونا من احدى عشرة مادة ، وكان اهم ماورد فى هذه المواد متعلقا بحرية الملكية ، وحق التعليم ، وحرية العقيدة ، والحرية الشخصية ، وحق العمل ، وحق القاصر فى حماية الجماعة ٠٠ الخ

وبعث أصحاب هذا المشروع الى المهاتما غاندى يسألونه رأيه فيه فأجاب « ماهى النتيجة العملية لاعلان هذه الحقوق ، ومن الذى يشرف عليها ويرعاها ، وسواء اكنتم تقصدون الى الدعاية وحدها ، أم الى تنوير الرأى العام العالمى ، فقد ابتدأتم من الطرف المخطىء ، وانى اقترح عليكم ، وأرى ان الصواب هو ان تبتدئوا باعلان « واجبات الانسان » ولاشك عندئذ أن الحقوق ستتبع كما يتبع الربيع الشتاء •

« انى أكتب اليكم عن تجربة وخبرة ، فقد بدأت حياتى مهتما بحقوقى ، وكان جهدى منصرفا لتقريرها والحصول عليها ، وسرعان ما أدركت أن لاحق لى حتى قبل زوجتى ، فأخذت انظر فى واجباتى ، وما على قبل زوجتى وولدى واخوانى والمجتمع فأديتها ، وأنا اليوم أجد نفسى ولى من الحقوق ماليس لرجل آخر فى هذا العالم »

كما بعث أصحاب المشروع الى جواهر لال نهرو يطلبون مشورته فأجاب « سمع الناس كثيرا ، مع الاعجاب ، عن مواثيق وبيانات أعلنت حقوق الانسان ، وانتهت الى لاشىء ، واحقها بالذكر ميثاق « بريان كيلوج » الذى حرم الحرب ، ولقد نظرت فى بيانكم عن حقوق الانسان فأزعجنى أن لا أجد فيه ما يهدى الى كيفية تحقيقه •

« أنا لا أقصد التفاصيل ، بل أقصد الاصول التى يقام على قواعدها العالم اقتصاديا واجتماعيا ، واذا كان من الحق ، وهو عندى الحق ، أن مآسى العالم الحالية ترجع قبل كل شيء الى فساد نظامه السياسى والاقتصادى ، فلابد من تغيير هذا النظام ، كى يستطاع تطبيق ما تريد منه من الحقوق التى اعلنتموها

« ان بيانكم ، يامستر ويلز ، ليس قابلا للتحقيق بحال من الاحوال ، مادام النظام الاستعمارى والرأسمالى ، يسودان العالم .

« تقولون أن لكل انسان كذا وكذا من الحقوق ، وهو كذلك ، ولكن أنى لهذا الانسان أن يصل الى حقوقه تحت النظام الرأسمالى ، ثم انى له أن يتمتع بشيء منها ، مادامت أمة ، أو طبقة ، تسيطرعلى أخرى وتسخرهاان الطريق الى الخلاص هوالاشتراكية وان يقوم النظام العالمى الجديد على أصولها »

ولابد لنا أن ننظر فى هذين الرأيين ، رأى المهاتما غاندى ، ورأى نهرو ، وقد وضع أولهما تاريخ الهند الحديث ، وكان ثانيهما من أفذاذ الرجال فى العالم .

أما غاندى فقد أصاب كبد الصواب ،لان كل انسان يجب أن يدرك واجباته ، أولا ، سواء أكانت نحو نفسه أو نحو اسرته أو نحو مجتمعه الذى يعيش فيه ،فأذا ما اهتدى الى معرفة تلك الواجبات معرفة صحيحة ، ثم نفذها تنفيذا صادقا ، فى حق كل من هذه الاطراف ، كان له أن يطالب كلا منها ، بعد ذلك ، بماله قبله من حقوق ، فأذا ما وجد هو ، ووجد غيره من الافراد فى مجتمعه ،فى ذات الوقت ، قوة من القوى ، تمنعهم منها وتحول بينهم وبينها ، فقد وجب أن يتعاونوا جميعا على السعى جاهدين فى أزالة تلك القوى من الطريق والاطاحة بها ، والحصول على تلك الحقوق قوة واقتدارا، وهذا هو ما يحصل فى واقع الحياة ، وبمعنى آخر ، فان هذه هى الكيفية التى تنشأ فى ظلها الثورات فى مختلف الاوقات ، وهذه هى نتائجها ،كما قدمنا فى صدر هذا المقال .

وأما نهرو فقد صدق فى وجهات نظره من أن الاشتراكية ، بالوصف الذى ورد فى اجابته ، هى الطريق الى الخلاص من المظالم التى تعانيها البشرية ، من سلب للحريات ، بانواعها ، واغتصاب للحقوق المشروعة فى حياة كريمة عزيزة تليق بالانسان المتحضر ، ومن اجل هذا فأن الاشتراكية ، بهذا المعنى آخذة ، فى الآونة الحاضرة ، فى الذيوع والازدهار ، لأنها مرتكزة على اصول من الحكمة وواقع الحياة ، ومصلحة المجتمعات ، وهى ، فى الوقت نفسه ، مختلفة ، فى كيانها وجوهرها ، عن بعض النظم المعروفة التى تطلق عليها مسميات أخرى .

وهكذا فان غاندى ونهرو يكونان قد جمعا فى هاتين الاجابتين على المشروع الآنف ذكره بين العناصر الضرورية التى تنصهر فيها الحقوق والواجبات والعوامل المختلفة الأخرى التى من شأنها المساعدة على تمكين البشرية من القيام على أسس سليمة قويمة دائما ، من الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، وعلى التخلص ، فى الوقت نفسه ، من أسباب الصراع المرير بين القوى المتنافرة المتعارضة عند الامم بعضها وبعض ، تبغى احداها السيطرة والاستغلال ، وتحاول الأخرى جاهدة الفكاك من المذلة والاستعباد والتحكم فى مصائرها .

وهكذا ، أيضا فان الميثاق يكون قد وسم صورة واضحة المعالم للاطراف التى تتصارع فى هذه الحياة الدنيا ، ثم كشف عن حقيقة محدودة الابعاد ، هى أن هذا الصراع فيه غالب ومغلوب دائما ، والغلبة للشعوب التى تسعى وراء حاجاتها الضرورية للتقدم والارتقاء ، والاستمتاع بحياة نزاعة للخير للمجموع يسودها الوئام وترفرف عليها اجنحة السلام

الزواج بين المسلمين وغير المسلمين

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

١ - عرض القرآن الكريم للعلاقة الزوجية فى كثير من مقاماته .. وحديث القرآن فى هذا الجانب يشف عن تقديره لهذه الرابطة ، وعن حيطته لها بالوسائل الكفيلة بصحة عقدها ، وسلامة كيانها ، وصيانتها من التصدع ، وبقائها فى اطار المحبة ، ليظل كل من الزوجين لباسا واقيا لصاحبه الآخر من كل مضرة تلاحقه لو بقى على وحدته فى عزلة عن التزوج .

ومعروف أن الزواج فى قديمه وفى حديثه يجرى على شرائع مختلفة .. وكان فى الجاهلية العربية على تقاليد بدائية .

وعندما هتف القرآن بدعوته الاصلاحية العامة كان من اهدافه الاولى أن يعنى بشأن الأسرة من كل ناحية .

فكان من مقدماته أن ينظم زواج المسلم بغير المسلمة ..

ومن سنة الله فى تشريعه يومئذ : ان ينزل وحيه - غالبا - عند سبب يقتضى نزوله .

ليكون الوحى منظورا اليه فى الحادث ، فيصادف وعيا أكثر لدى المؤمنين .

وفى يوم جاء الى النبى - صلى الله عليه وسلم - مرثد بن أبى مرثد الغنوى ، يسأله عن الحكم فى رغبته أن يتزوج بمشركة من العرب تدعى - عنان -

فنزل الوحى بالمنع من تزوج المسلم بالمشركة ((ولا تنكحوا - بفتح التاء - المشركات حتى يؤمن - بتشديد النون - . ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم» .

وقيل أن السبب فى الآية هو : ان عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - كانت له امة مملوكة ، فاعتقها ، وتزوجها .. فعابه بعض أصحابه على تزوجه بمن كانت أمة .. وتمنوا لو انه تزوج بامرأة حسيبة من نساء قريش ليكون ذا نسب مع اكابرها .. فنزلت الآية بالمنع ..

وسواء : أكان السبب هذا ، أو ذاك - ولا مانع أن يكون الأمرين جميعا - فقد تبين للنبى وللمسلمين ان زواج المشركات صار ممنوعا ، وعلم لهم ان ذلك المنع أصبح قطعيا فى نساء قريش المشركات ، وفى حكمهن كل امرأة لا تدين بدين سماوى من المجوسيات والبوذيات ، ونحوهن ، ولو كانت فى قومها من الذوات المبجلات اللاتى تعجب الرجل لجمالها ، أو لسبب ما ..

وفى نفس الآية يمتدح الله زواج الأمة - ان اقتضى الأمر - أو من كانت أمة مملوكة على زواج المشركة ، حتى تدخل فى الايمان ، ولا قيمة لامتيازها مع الشرك ..

٢ – ثم يتسع الوحى فى هذه الحادثة فيذكر الحكم فى زواج المسلمة بغير المسلم « **ولا تنكحوا – بضم التاء – المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ، ولو أعجبكم** »، والتاء فى لفظ تنكحوا مضمونة..

وهو خطاب نهى كذلك ، وموجه الى الرجال المؤمنين ، فلا يجوز لهم ان يعقدوا الزواج لمشرك على مؤمنة : مهما يكن فى المشرك من مميزات تعجب ، ولا يجوز كذلك للمؤمنين أن يتركوا مسلمة تعقد على نفسها زواجا لمشرك ...

والعبد المؤمن مهما يكن متواضعا فى شأنه كله ، فهو خير من المشرك ، حتى يدخل فى الاسلام مؤمنا به .

فما وجهة الاسلام فى منع التزوج بين أهله وبين المشركين والمشركات .

٣ – الأسلام ينظر الى الأسرة نظرة واقعية باعتبارها الخلية الأولى فى تكوين المجتمع ...

ويعتبر عقد الزواج توثيقا بين الجانبين ، ووسيلة الى الانتاج ، والى امتداد المصاهرة ، والأنساب بين قبيلة وقبيلة ، وقد يكون صلة بين دولة ، ودولة .

فحينما يكون الزواج مقترنا باختلاف الزوجين فى الايمان ، والشرك : يكون هذا مثار العداء ، ومكمن الداء ، ويكون جمعا بين النقيضين كما تحاول التوفيق بين الحق والباطل .

والطمع فى تحصيل هذا كما يطمع الأعمى ، أن يبصر القط الأسود فى الحجرة المظلمة .

وقد عرج القرآن على ذكر اسباب هذا التحريم ، فقال فى ايجاز :

« أولئك يدعون الى النار ، والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » .

والمعنى : ان هؤلاء المجردين من العقيدة بتاتا ، أو المشركين فى عقيدتهم من الكفار يتعثرون فى وثنيتهم ، وفى شركهم ، ولايجتمع لهم مع الشرك صلة بالله ، ولا نفحة من كمال روحى ، أو اجتماعى .

فهم يقولون زورا ، ويعملون منكرا ، ويستدرجون الناس بمسالكهم الى سوء القدوة ، والعمل المؤدى الى النار ...

فى حين أن الله يدعو الى الجنة والى المغفرة بهدايته ، وتوفيقه لمن اتجه الى الحق ، وأخذ بأسباب النجاة فى دينه ، وفى دنياه ، وفى نفسه ، ومجتمعة .

فكيف يتفق الرباط الزوجى مع هذا التناقض بين شخصين ، وكل منهما فى طرف ..

وفوق ذلك : فان الزوجة تعرف من أسرار الزواج ، وخاصة شأنه ، وما يتصل به من أمور حكومته ، وقومه مالا يعرفه غيرها ..

وكذلك يعرف الزوج من شأن الزوجة ، ومن طريقها مالا يتاح له من طريق سواها .. ووجودهما على الكفر والايمان ايقاع بأحدهما فى قبضة الآخر ، وقد يكون أحدهما مستغلا لصاحبه فى تعرف مالديه من معلومات خطيرة عن دولته اذا كانا من غير دولة واحدة

فلا تكون الحياة الزوجية سكنا لأحدهما مع صاحبه ، ولا يكون أحدهما لباسا واقيا للآخر كما فرض فى الزيجة .

واذا كان القرآن أجمل أسباب المنع فللعقول مجال فسيح فى التفكير والتذكر بما نبه الله عليه اجمالا .

ونحن فى ضوء التاريخ ، وتجارب السياسة والمخالطة ندرك ما أشار اليه القرآن « ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » .

وخلاصة ما سلف : أن الاسلام أبطل زواج المسلم بالمشركة وزواج المسلمة بالمشرك .

٤ – وبقى الحديث عن الزواج بين أبناء الاسلام ، وأهل الكتاب : من اليهود والنصارى وهذا : أكثر ما يسألنا الناس عنه ..

وفى هذا المقام تفصيل هين

فبعض السلف من رجال الأسلام يمنع منعا مطلقا كما فى جانب المشركين ، ويعتبرون أن اليهود أشركوا بقولهم أن العزيز بن الله... وأن النصارى أشركوا بقولهم : ان عيسى هو الاله أو ابن الاله .. وقد وصفهم الله بالشرك فى نحر قوله – سبحانه – .

« اتخذوا أحبارهم ، ورهبانهم أربابا من دون الله .. الى أن قال فيهم جميعا : سبحانه عما يشركون » .

وهذا تصريح فى وصفهم بالشرك ، فلا تزاوج بيننا وبينهم .. الا بشرط الايمان ، كما ذكر الله فى جانب المشركين قبل ..

٥ – وجمهور الصحابة والتابعين بعدهم وفقهاء الأسلام على غير هذا المنع المطلق فان الآية السالفة فى شان المشركين لم تترك على عمومها فى شان الكتابيات بالنسبة للرجال المسلمين ..

بل اباح الله للرجل المسلم أن يتزوج من يهودية او نصرانية وذلك فى قوله تعالى بسورة المائدة : « .. وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات .. والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، اذا آتيتموهن اجورهن محصنين ، غير مسافحين ، ولا متخذى اخدان .. آية – ٥ – »

فهنا تنصيص على حل الطعام بيننا وبين اهل الكتاب ، وتنصيص على تحليل زواجنا – الرجال فقط – بنسائهم العفيفات .. وبقى التحريم سائدا فى التزوج بيننا ، وبين المشركين ، وبين نسائنا المسلمات ورجال اهل الكتاب ، فانه ممنوع للاية الصريحة فى المنع ..

ولأن تمكين الزوج الكتابى من زوجة مسلمة يعرضها للفتنة فى دينها ، وللتحكم فى متابعة زوجها ، ولسماع الذم فى رسولها ، وكتاب وبها ، فتكون كالأسير المغلوب تحت يد خصمه العنيد ..

ولهذه الاعتبارات لم يجعل الله لغير المسلم سبيلا على الزوجة المسلمة .. وهذا هو حكمة التخصيص للمنع المطلق باستثناء النساء الكتابيات لرجالنا فى التزوج بالمحصنات – العفيفات – منهن : بالعقد ، والمهر ، ولنفس المقاصد الشرعية .. كما هو الشان فى التزوج بالمسلمة .

٦ – ويتضح لك هذا التوجيه : فى اباحة الكتابية لنا ، دون اباحة المسلمة للكتابى : أننا نؤمن بموسى ، وعيسى ، كما نؤمن بمحمد عليهم الصلاة والسلام ، ونؤمن بالتوراة والانجيل اللذين نزلا من عند الله كما نؤمن بالقرآن ..

وأن تعاليم الاسلام تقص علينا الا تثير معهم جدلا ، الا بالتى هى أحسن ..

وتقص علينا كذلك أن ننصف الزوجة الكتابية ، كما ننصف الزوجة المسلمة فى العشرة والأنفاق ، وسائر العلاقات الشخصية

وفى عشرتنا لنسائهم يعرفون منا محاسن الاسلام : فى تشريعه وفى آدابه ، وأخلاقه ، فلا يخاصمونه ، ولا يطعنون عليه فى جهالة

ثم هى بعد ذلك على حريتها فى عقيدتها اذا بقيت أو أسلمت ، وليس لزوجها المسلم أن يتعرض لها فى عبادة ، ولا عقيدة ، لأن دينه يعلمه انه « لا اكراه فى الدين » .

فالزوجة الكتابية تحت زوجها المسلم فى أمان من كل مساءة ، أو ادنى اساءة لأنها معه فى ضوء الأسلام ..

فلا حرج أن تكون شريكة الحياة مع المسلم .. وليس هذا فورا للمسلمة مع غير المسلم ، وهم خصوم الداء .

٧ – ومما يرشح هذا الاتجاه – فى الكتابية – انها ليست مشركة بالمعنى الذى ظنه المانعون .. وذلك لأسباب ..

قال الله تعالى يقول : « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ، والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » .

ويقول « ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين : أن ينزل عليكم من خير من ربكم » .

ففى هاتين الآيتين مقابلة بين أهل الكتاب والمشركين بالعطف ، والعطف يقتضى المغايرة بين الأول والثانى .

فلا يكونون فى الكفر سواء ..

ووجودهما على الكفر والايمان ايقاع

وكذلك حينما يطلق الشرك : يكون نصا صريحا فى مشركات ومشركى العرب ، وفى المجوس ، وفى البوذيات ، ونحوهن مما نسمع عن طوائف لا تمت الى دين سماوى ..

بخلاف أهل الكتاب ، فليس اطلاق الشرك عليهم صريحا كغيرهم ، فيكون مستواهم فوق مستوى الوثنيين الخ ..

وأنت ترى القرآن يصفهم فى خطابه بأنهم أهل الكتاب « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا - يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم - قل : يا أهل الكتاب تعالوا ..

يا أيها الذين أوتوا الكتاب .. الخ . الخ.
فتلك الأساليب تزيدنا ارتياحا الى التفريق فى شأن الزوجات من أهل الكتاب دون سواهم من غير المسلمين .

٨ - وروى عن عمر - رضى الله عنه - انه أراد التفريق بين طلحة بن عبيد الله وزوجته الكتابية .. وبين حزيفة بن اليمان ، وزوجته الكتابية .. فقال له حذيقة : هل تراها حراما فأخلى سبيلها - يا أمير المؤمنين ؟؟ فقال لا أزعم انها حرام « ولكنى أخاف أن تتعاطوا المومسات من أهل الكتاب ..

فهذا تحذير ، وحيطة من عمرلئلا يتسامح المسلمون فى الكتابيات ، حتى ينحدروا وراء الرغبات الشخصية .. وليس ذلك تحريما ولا تلويحا بالتحريم ، وانما هو توعية من عمر

وعلى هذا : استقر الأمر على الأباحةبقولة عمر ، وعثمان ، وطلحة ، وجمهرة الصحابة والتابعين .

ولعل هذا التفريق بين الشركات والكتابيات فى المنع والجواز - بعد النصوص التى اقتبسناها - يزيدنا تأكيدا بأن الكفر كله مسخوط عند الله ، وأنه طرف ، والايمان طرف آخر وقديما يقول أهل العلم : الكفر كله ملة واحدة - يريدون : أنه كذلك ، بالنسبة للايمان الحق .

ومع هذا : فقد فرق الله بين بعضه والبعض فى أحكام الدنيا .. كما هو الشأن فى تزوج المسلم بغير المسلمة من الكتابيات فقط ، أو نحو ذلك من مفارقات فى التعامل .

ويمكن أن نعتبر الكتابى مخطئا ، وأن المشرك خاطىء .. والمخطىء من تجاوز الصواب الى الخطأ الطارىء علىعقيدته ،التى كانت صحيحة فى أولها ، ثم انحرف فيها الى الباطل ، وأما الخاطىء : فهو الناشىء على الخطأ ، والممعن فيه .. فليس له أصل من صواب، حتى يقام له فى الدين أى وزن .

وللعلماء كذلك تلميحات فى التفرقة بين الجانبين ، فهو يقولون : كفر دون كفر أى بعض الشر أهون من بعض .. ولكنه تفريق دنيوى فقط لا يعفى بعضهم من وعيد الله فى الآخرة .

وبعد - فان يكن زواج الكتابيات مستساغا فى الأسلام : فلأن الكتابية ذات مبدأ فى التدين ، ولا يخشى من جانبها مايخشى من المجردة عن المبدأ - المشركة - الدينى عامة وربما كان فى انتمائها - الكتابية - الى دين سماوى فى الجملة : ما يحفزها على التزود من الحق ، واعتزالها للباطل يوما ما .

واذ : انتهينا من شرح زواج أبناء الأسلام بغيرهم : فما أجدرنا بوضع بذورنا فى الأرض الطيبة !! وما أطيب أن نتخذ حلائلنا من ذوات ديننا ، كما أشار الينا ، وأحبه منا رسولنا صلى الله عليه وسلم (.. فاظفر بذات الدين .. الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة ..) ورحم الله الأمام مالكا ، اذ يقول فيما نقله عنه ابن حبيب (.. ونكاح اليهودية ، والنصرانية ، وان كان قد أحله الله تعالى - مستثقل ، مذموم ..)

ولا نحسب تفضيل الكتابية عند البعض الا مبالغة فى تقديرها ، وفى النفرة من ذوات معينة بين المسلمات .

ونعود فنقول : ليست فتياتنا على حظ من أخلاق الاسلام ومميزاته ، حتى يتفوقن على أولئك الكتابيات اللاتى يعجب بهن ابناء الاسلام .

خواطر مستشار

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستورى والإدارى

المستشار
على على منصور

كان الحديث فى المقال السابق عن خلافة ابى بكر . وكيف خف الانصار بعد ان قبض الرسول الى سقيفة بنى ساعدة للتشاور فى أمر الخلافة ، حيث انتهى الأمر الى مبايعة أول خليفة لرسول الله . وها نحن نتابع البحث لنبرز اهم ما دل عليه اجتماع السقيفة من قواعد أساسية لنظم الحكم فى الاسلام ، مما هو اسمى وادق من القواعد الدستورية العصرية .

دلالة اجتماع السقيفة على قواعد هامة لنظم الحكم (قواعد دستورية)

ويجمل بنا هنا ان نحدد اهم ما يستخلص من قواعد سياسية دستورية فى شأن الخلافة أو الامامة مما وقع فى سقيفة بنى ساعدة وماسبقها وماتلاها بقليل ، والنطاق العام البارز هو ان حرية الرأى بلغت أقصى الحدود فمن حق كل مسلم ان يدلى برأيه وأن يرشح نفسه او أن يرشح غيره ، مبديا الحجج وأهم القواعد :

أولا – وجوب نصب خليفة :

الجمهور على ان ذلك واجب شرعا وتكون للخليفة او الأمير الرئاسة العامة فى الدين والدنيا ، وقوام الخلافة النظر فى المصالح وتدبير شئون الأمة وحراسة الدين والأدلة على ذلك :

أ) اجماع الصحابة على ذلك ؛ حتى أنهم قدموا البيعة على دفن الرسول .

ب) ان فى الخلافة دفعا للمضار وجلبا للمنافع وهذا واجب بالاجماع .

جـ) من الواجبات أيضا حماية استقلال الأمة بحراسة حدود الدولة وتحصين ثغورها ، وعبارة الفقهاء فى ذلك اقامة الحدود وسد الثغور واجب وهو لا يتم الا باقامة أمير أو خليفة ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

د) ثبت عن الرسول قوله « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم عليهم » رواه أبو داود من حديث أبى سعيد وأبى هريرة ويعلق الامام ابن تيمية على ذلك بقوله فأوجب الرسول تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر تنبيها بذلك الى سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد والعدل واقامة الحج والجمع والاعياد ونصرة المظلوم واقامة الحدود وكل ذلك لا يتم الا بالقوة والامارة » .

وذهب فريق من المسلمين الى أن الخلافة واجبة بالدليل العقلى لا النقلى ، ووفق الأستاذ عبد الوهاب خلاف بين القولين ، وأضاف كونها واجبة بالشرع أكمل وكذا وجوبها بالأمرين معا ، لأنها بالعقل تجوز بمجرد الغلبة وبالشرع لا تجوز الا بالبيعة .

ويقول ابن خلدون فى المقدمة « وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب نصب الخليفة راسا لا بالعقل ولا بالشرع ، منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج ، والواجب عند هؤلاء انما هو امضاء أحكام الشرع ، فاذا تواطات الامة على العدل وتنفيذ الاحكام الشرعية لم تحتج الى امام فلا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع ، وانما حملهم على هذا المذهب الرغبة فى الفرار من الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب » .

ثانيا ـ ليست الخلافة ، أى رئاسة الدولة الاسلامية حقا لقريش :

هذا هو المبدأ الثانى الذى دلت عليه احداث سقيفة بنى ساعدة ، بل انها حق لجميع من توافرت فيه شروطها من المسلمين ، والادلة على ذلك وعلى مرجعها الى الأمة تختار من تشاء هى :

أ) لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة ما يدل على انها محصورة فى قريش ، أو فى جماعة بعينها او أسرة خاصة او فرد معين .

ب) ترك الرسول أمرها دون تعيين ، ومقتضى ذلك ان أمرها موكول للأمة ولو كانت لقريش لعين من يخلفه ولو كانت وراثية لعين عليا مثلا .

جـ) كان من حجج المتكلمين من الصحابة يوم السقيفة انهم لايعلمون رأيا قاطعا للرسول فيها ، حتى أن بعضهم رشح سعد بن عبادة من الانصار ، وحتى أن البعض الآخر قال : منا أمير ومنكم امير .

د) ان الحجة التى ساقها ابو بكر وردت فيها عبارة قد تشعر بأن الخلافة لقريش هى قوله : ان هذا الأمر لا تدين العرب فيه الا لهذا الحى من قريش ، والصحيح أنه ساق هذه الحجة من ناحية احترام العرب لقريش منذ القدم ، ولاستمرار صفة المنعة والعصبية لها اذ ذاك وقد وردت خطبته فى السقيفة بنصوص أخرى تفسر ما يقصد حيث قال « ان هذا الأمر ان تولته الأوس نفستها عليه الخزرج ، وان تولته الخزرج نفستها عليه الأوس ، ولا يدين العرب الا لهذا الحى من قريش وكانى به يقول : ان ولى الخلافة احد من فريقى الانصار فى المدينة فسينازعه فى الأمر الفريق الآخر فما البال بالعرب جميعا فى الجزيرة وهم لم يدينوا يوما ما للخزرج ولا للاوس وانما غالبيتهم دانوا لقريش فمرجع الأمر اذا لمن ترضى عنه اغلبية المسلمين .

ولو كان ما قاله أبو بكر عن قريش نصا فى الدين ما خفى على باقى الصحابة من الانصار وما فكروا فى ترشيح سعد ابن عبادة .

هـ) يؤيد ذلك ما قاله عمر حينما كان يفكر فى الخلافة بعد أن طعن بالخنجر وقد مر ذكره ، بل انه قال أيضا لو كان سالم مولى حذيفة حيا لاخترته ، اذ كيف يفكر فى استخلاف مولى بعد ما سمعه بالسقيفة من أن الائمة فى قريش .

و) يؤيد ذلك أيضا النصوص الكثيرة الشرعية الثابتة بالتبرؤ من عصبية الجاهلية وبان أكرم الناس عند الله أتقاهم ـ « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ... الخ .

وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون « ان الاحكام الشرعية كلها لابد لها من حكم ومقاصد تشرع من اجلها ، والحكمة فى اشتراط النسب القرشى ليست التبرك بوصلة النبى على ما هو مشهور ، اذ أن تلك الوصلة موجودة لكل مسلم والتبرك بها حاصل ، والتبرك ليس من المقاصد الشرعية .. واذا بحثنا عن المصلحة فى اشتراط النسب القرشى لم نجدها الا فى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية لصاحب المنصب ، ويرتفع بها الخلاف ليسكن اليه اهل الملة ، وذلك لأن قريشا كانوا عصبة مضر واصلهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بتفرق الجماعة ، والشارع حريص على رفع التنازع والشتات . بخلاف ما اذا كان الأمر فى قريش لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب والعصبية والشرف فاشترط نسبهم لذلك » .

ثالثا ـ كيف يولى الخليفة : القاعدة الثالثة استخلاصا من وقائع يوم السقيفة هى :

١ ـ الامام أو الخليفة ينتصب بالاختيار والبيعة . وذهب بعض الفقهاء الى أن الامام كما يصير اماما بالبيعة يصير اماما بالاستخلاف وبولاية العهد ، ويرد على ذلك الشيخ عبد الوهاب خلاف بقوله « وهذا القول ليس صوابا ، لأن الاستخلاف والعهد ان لم يقره أهل الحل والعقد فلا أمامة ، ولو أن المسلمين رأوا بعد وفاة ابى بكر خيرا من عمر وبايعوه ما عارضهم معارض ولا كان عهد ابى بكر حجة ، وكذلك لو بايع المسلمون واحدا غير الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم فالعهد والاستخلاف لا يعدو أن يكون ترشيحا من السلف للخلف ، والأمة بعد ذلك صاحبة القول الفصل فيمن تختاره اماما . كما ان لها الحق فى الاشراف على سياسته فى عهد امامته ولها الحق فى عزله اذا لم يقم بما عاهدهم عليه فى بيعته » والادلة على ذلك :

أ) ما أجمعت عليه الأمة من بيعة ابى بكر يوم السقيفة واليوم التالى بالمسجد .

ب) أجمع مجتهدو الفرق الاسلامية كلها عدا الشيعة(١) على أن الامامة لا تثبت الا بالاختيار أو بالنص ، وما دام النص من قرآن أو سنة قد انتفى فلم يبق الا طريق واحد هو الاختيار (الانتخاب) .

ولقد أفاض الدكتور محمد ضياء الدين الريس فى ذكر أقوال العلماء والفقهاء عن أن الامامة عقد الموجب فيه اى الطرف الاول هو الأمة اى أن المسلمين فى تعبير البعض منهم وانتهى الى أن الامامة هى مصدر السلطات وان الامامة أو الخلافة نيابة عن الأمة أو وكالة عنها فى راى البعض .

ويجمل بنا فى هذا الصدد أن نشير فى ايجاز الى انه كيف اختلفت الاراء حول كيفية تعيين الخلافة ، وكيف انقسمت الامة فيه احزابا وشيعا وراى كل حزب باختصار .

ولقد أسلفنا راى المهاجرين والانصار فى ان كلا منهم احق بالخلافة وحجج كل فريق .

ومن حجج المهاجرين ان النبى قال « الائمة من قريش » وانه أوصانا بالانصار أن نحسن الى محسنهم ، وأن نتجاوز عن مسيئهم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم . وصحح السيوطى الحديث بان الرسول قال الائمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا

(١) الشيعة الزيدية يعترفون بامامة الشيخين ابى بكر وعمر وهذا تسليم بالبيعة والانتخاب ويذهبون بعد ذلك الى أن الامامة شورى فى جميع أبناء فاطمة فاقروا مبدأ الشورى وان حصروه فى دائرة معينة ، واما الامامية فيقولون أن الامام اختفى ويصح اقرار نائب عنه .

فرحموا » ومن حجج الانصار عدا ما سلف قول الرسول « اسمعوا واطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى رأســــه كالزبيبة » .

٢ ـ راى الشيعة . يتفقون مع أهل السنة فى وجوب نصب الخليفة ، أما فى شخص الخليفة فقـــد اختلفوا ، فمنهم من يرى قصر الخلافة على أهل الرســـول على ، والعباس وبقية بنى هاشم . ومنهم من حصر الخلافة فى على وذريته من فاطمة بطريق الوراثة ويستدلون على ذلك بوقائع وردت تلميحا وأخرى وردت تصريحا منها :

أ) أن الرسول بعث عليا الى الحجيج وعلى رأسهم أبو بكر ليبلغ الناس الأحكام التى نزلت فى سورة براءة ويقول نزل على جبريل فقال : « يبلغه رجل منك » .

ب) كان الرسول يؤمر على بعض البعوث والسرايا وفيها أبو بكر وعمر وغيرهما فامر عليهما عمرو بن العاص فى بعث ، واسامة بن زيد فى بعث آخر ، ولم يؤمر على على احدا قط .

ج) استشهدوا بحديث عن الرسول قاله وهو بغدير خم فى عودته من حجة الوداع حيث وقف واخذ بيد على فقام الى جواره وقال « أيها الناس اعلموا أن عليا منى بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبى بعدى وهو وليكم بعدى »

ومن فرق الشيعة الاسماعيلية والاثنا عشريه ويشترطون فى الامام فوق انه من نسل على من زوجته فاطمة ، أن يكون معينا من قبل سلفه فعلى فى رأيهم عين الحسن والحسن عين الحسين .

أما الزيدية فيشترطون أن يخرج الامام مطالبا بحقه فى الامامة فأجازوا بذلك خلافة أبى بكر وعمـــر وزادوا فى الشروط أن يكون شجاعا عالما سخيا ويختار الاصلح من ذرية على من فاطمة بالانتخاب لا بالتعيين من السلف .

٣ ـ رأى الخوارج : كانوا يقولون بصحة خلافة ابى بكر وعمر وعثمان فى سنيه الأولى وعلى الى ان قبل التحكيم، ويرون ان الخلافة حق لكل عربى حر ، ثم بدلوا الشروط فقالوا يكفى الاسلام والعدالة . ويطلـــــق عليهم بعض المستشرقين أنهـــم جمهوريون ويسميهم فان فلوتن ذوى المبادى الديمقراطية المتطرفة .

٤ ـ رأى المرجئة . وكانوا يرون عدم تكفير كل من نطق بالشهادتين مهما ارتكب من المعاصى مع ارجاء الفصل فى أمره لله وحده ولذلك رضوا بخلافة بنى أمية .

٥ ـ رأى القدرية أو المعتزلة : نشأوا كفرقة دينيــة نوقن بالقضاء والقدر ، وبحرية واختيـــــار الانسان ، ثم انقلبوا الى فرقة سياسية ، وكما يقول المسعودى ، يرون أن الامامة اختيار من الامة لأى فرد مؤمن عدل ، وجميعهم على نفى شرط النسب « القرشية » ويضيف المسعودى أن جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم على ذلك الراى ، الا أن النجدات من فرق الخوارج فزعموا أن الامامة غير واجب نصبها متى عدلت الأمة ولم يكن فيها فاسق .

من حضارة الإسلام

ساعة العسرة

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

* بدر وتبوك * غزو مرير * سياسة الانكماش * زيادة الايمان * أبوخيثمة * الذين خلفوا * شدة الابتلاء * التوبة والأحكام

بدر وتبوك :

كانت غزوة بدر اول غزوة بدا بها النبى جهاده ثم كانت غزوة تبوك آخر غزواته . وبينما كان المسلمون عند الغزوة الأولى فى أشد الحاجة الى يد تعين وشخص يزيد وكانوا فى الأخيرة قد كثروا واستغنوا فانه لم يعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب أحدا من المهاجرين والانصار لم يخرج معه الى القتال فى بدر مع القلة والحاجة . بل ان رسول الله رد من الصبيان من رآه صغيرا يتطاول فى الصف ليطول قامات الرجال ويخفى عن رسول الله صغر سنه ، وجعل النبى القائد يهمس بزج رمحه من فعل ذلك ويخرجه من الصف رحمة بأهله ولأنه لم يتهيأ بعد للقتال .

وكذلك فعل رسول الله فى كل غزوة خرج اليها بعد بدر ، فلم يغز الا فى فئام من الناس دون فئام ولم يستوف قط ، حتى اذا كانت غزوة تبوك استنفر كل المسلمين واستوفى ولم يعف احدا الا بعذر مقبول .

ولبى الناس نداء النبى وخفوا الى طاعته والامتثال لأمره ، فى ألوان من النفوس تؤمن وتنافق ، وخطى من السير تنهض وتتعثر ، واقوال من الالسنة تثير وتثبط ، ولكن رسول الله لم يرد أحدا ممن خرج معه فى هذه الغزوة وكأنما انقلب الأمر من تطوع حر فى الغزوات الأولى الى اجبار قاس فى الغزوة الأخيرة ، وأحس كل مؤمن برغبة النبى وحدة صدقه فأخذ يستعد ويتأهب ،وجعل كل من له عمل أو زرع أو تجارة ينجزه ويكمله – مهما تفرعت حواشى المكاسب – حتى ينفض منه يده حين تحين النفرة ، فاذا حانت كان على كل رجل أن ينفض يده من رزقه وينتظم فى صفه • فلما حانت ومرت الصفوف وكان أحد الرجال فى طريقها لم يزل يسقى نخلات له وهو بعد لم يبل أرضها بالماء ولم يكن له غيرها يأكل منها ويعيش نفض يده منها ومن مائها ومضى فى الجماعة وهو يقول : الغزو مع رسول الله خير منها •

ومع أن الذين خرجوا قد بلغوا ألوفا كثيرة وكان من أوجب الأمور أن تحصيهم جريدة أو ديوان فان رسول الله ترك لأهل المدينة وللقبائل أن تحصى أنفسها لتعرف من خرج ومن لم يخرج • أما رسول الله فانه لم يغب عن عينه كل من تلكأ أو تخلف من أصحابه الأدنين بعذر أو دونه ، كما لم يغب عن قلبه وسمعه كل أنة أو همسة تتحرك فى هذا الجيش الكبير فكان ينبىء بها ليمضى المؤمن فى ايمانه وينخذل المنافق عن نفاقه •

ولم يكن كل ما حدث فى هذه الغزوة – مما لم يحدث من قبل – عجيبا من قائد أمة يرى من الحكمة أن يحمل كل فرد فيها عبئه وينهض بواجبه ، فقد صارت الأمور الى غير ما كانت من أعباء وآمال • وكان من الحكمة ان تنتقل عين القائد وسمعه وقلبه الى أرضه وقومه وجنده فيرى كل حاضر وغائب ويسمع كل حاث ومثبط ويعرف كل مطيع وغادر اذ لا تستقيم أمور الأمة كلما كبرت الا بان يكبر العلم بها ويزداد الوعى بأمورها ، والا فهى اقرب الى التفكك والدمار ان تركت لعين الغفلة تنام عنها أو للفوضى تقودها وترعاها •

غزو مرير :

وندب النبى الناس الى هذه الغزوة فى عام مجدب كان خريفه يابسا وشتاؤه ممسكا وربيعه مانعا الا أموالا قليلة وابلا متناثره هزيلة وثمرات على قلتها لم تبلغ النضج ولم تملأ العين •

وبدأت دعوة النبى الى الغزو منذ الخريف فى ذى الحجة ثم خرج للغزو فى رجب من العام التاسع من هجرته الى المدينة • وكان رجب فى ذلك العام قد جاء بلهبان من الحر تجفف ما تحت الظلال فاذا استرسل الحر الى البادية والصحراء التهبت الرمال وأشعلت السعير •

ولم تكن الغزوة هذه المرة فى ناحية من نواحى الجزيرة فقد أصبحت للاسلام قوة داخلية هائلة ، ويكفى لاخضاع قبيلة أو عدد من القبائل أن تسير اليها سرية بقائد صحابى فيستجيب الرؤساء ، ولكن النبى دعا هذه الغزوة الى أن تستقبل سفرا بعيدا وتحمل عبئا ثقيلا وتتجه الى دولة مخيفة السلاح ممتدة السلطان بعيدة آماد الأرض وأعداد النفوس •

كانت هذه الغزوة موجهة الى الروم ، فكان من حق كل نفس أن تتردد ولاسيما قبل أن يكتب تاريخ المسلمين أن اشارة النبى هذه كانت أمرا لابد من تحقيقه بتحطيم الروم ، وقبل أن يمضى قتيبة بن مسلم الباهلى بنفس تعاليم هذا الجيش لفتح خراسان بنحو ثمانين عاما •

وكان التهكم أيسر على نفس الجبان وأهون على قلب المنافق فبرز من المنافقين الجبناء من يهمس فى آذان الناس ويقول : أتحسبون جلاد بنى الأصفر • كقتال العرب بعضهم بعضا ؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنون فى الحبال •

وربما كانت وقعة مؤتة التى حدثت من قبل قد بقى ظلها يخيف الجبناء فقد قتل الروم فيها ثلاثة من خيرة قواد العرب ثم انسحب الجيش • ولم يستطع الخائفون حينئذ أن يقدروا بطولة خالد بن الوليد فى انسحابه بجيش المسلمين سليما ، أما النبى فقد قدره

نصرا أكيدا أوحيلة للنصر المؤجل ولقب خالداً بسيف الله المسلول •

ومع أن النبى كاشف المسلمين بامر هذه الغزوة دون أن يورى كما كان يفعل فى كل غزواته وظل يدعو للتهيؤ والاستعداد ثمانية شهور كاملة ، فانه قد غمض على الناس أن يكشفوا السر الذى بعث النبى اليها ، فقد يكون ثأرا لموقعة مؤتة وقد يكون أرهابا للروم حين بلغ النبى انها جمعت له جموعا كثيرة بالشام وان هرقل قد دفع لجنده أرزاقهم لسنة مقدمة وأن قبائل العرب فى الشمال قد أجلبت معه وسارت فى مقدمات جيشه • وسواء أكان واحدا من هذه الأسباب أو من غيرها أو كانت كلها جميعا فان أختفاء السر كان عبئا ثقيلا أضيف الى أعباء الجدب والحر ومشقة السفر وحرب الروم •

ولم يسع القائد الحكيم – مع كل هذه العوائق والهموم – الا أن يندب للحرب وأن يعمم الدعوة وأن يستوفى وأن ينذر بالعتاب والعقاب كل متخلف بلا عذر • ولم يجد المسلمون بدا من الطاعة – مهما اختلفت درجاتهم فى الايمان – فلبوا القائد وخرجوا معه بالأنفس والأموال والمراكب والأزواد •

كان الذين خرجوا فى بدر ثلثمائة وبضعة عشر وفى أحد سبعمائة وفى خيبر ألف وخمسمائة ويوم الفتح كانوا عشرة آلاف ويوم حنين كانوا اثنى عشر ألفا ، أما تبوك فقد بلغوا أكثر من ثلاثين ألفا •

ولم تجد غزوة من مشقة وهم مثلما وجدت هذه الغزوة اذ لم يكن معها ماتجره من الدواب والطعام والماء مايناسب العدد والحر ومدى الطريق ، بل لم تكن النفوس التى انتظمتها كلها ذات صدق ووفاء ، ولكن بحسبهم أن كان منهم بقية من أهل بدر وكثير ممن جربوا المشقة فى كل الغزوات

سياسة الانكماش :

وبدأ النبى حين دعا الناس الى الاستعداد لغزو الروم يدعوتهم الى الانكماش وسياسة التقشف اذ كان فى شبه حصار من الطبيعة ومن الروم معا ، وظل يدعو الى ذلك ثمانية أشهر كاملة وكان مالابد منه لكل قائد يخرج بقدمه من مازق الحصار حتى ولو كان نبيا •

واستجاب الناس فربطوا على بطونهم ورفضوا شهواتهم ، بل ترفع كثير منهم عن كثير من الحلال ، ووجد الاسراف العيون التى تزدريه والنفوس التى تمجه ووفر الناس الابل للركوب – ولو أنهم لم يستطيعوا الا أن يوفروا لكل عشرة أو اكثر جملا واحدا – وأبقى كل من استطاع ما اقتدر عليه – ولو قبضة كف من ذرة أو تمر أو كسر من الخبز والشحم والقديد مهما تغيرت أو عطبت – ويكفى أن تشق الثمرة أو تقسم الكسرة بين اثنين أو اكثر وأن يبل الماء الريق أو يرطب الشفاه

ولم تكن الامة الاسلامية – ومعها كل الامم – حين ذلك تعرف من سياسة الانكماش ما عرف من بعد ، من توفير السلع لترخص وتباع ثم ترد أثمانها على انتاج جديد – كما يقولون اليوم فى علم الاقتصاد – ولكن الامر – ولم يكن علما – كان بديهة للتقشف والتوفير ثم رد ما بقى على الحاجة الى الغزو والقتال ، فالأمر هو نفسه مهما كان بديهة أو كان علما •

ولما آن للنبى أن يبدأ السير للغزو كانت الثمار القليلة – ولا سيما فى المدينة – قد آن لها أن تطيب ، وتطلعت اليها العيون تعد لها الأيام ، كما اشتاقت النفوس وحنت الأبدان الى التفيؤ بالظلال والأشجار • ولكن النبى اصدر أمره بالمسير قبل أن تجنى الأيدى ثمرة أو تركن الرءوس الى ظل فوقع الناس فى أباس انكماش •

ودروس العفة والايمان كانت تلقى من قبل على فرد أو جماعة ، ولعل آخر درس القى منها كان على الانصار فى غنائم حنين حين أمتدت شهواتهم اليها والنبى يؤلف بها قلوب اهل مكة • وكان كل درس نافعا بليغا فى نطاقه الضيق ، فلم يبق الا الدرس الجامع الذى هو انفع وأبلغ ، وعلى القائد أن يلقيه على الأمة جميعها حتى تعرف سبيل التهيؤ الجماعى العريض للقتال المرير والنصر الأكيد القريب •

وعلم النبى فى هذه الغزوة كل الأمة أن يتقارب البعداء ويتعاون الغرباء وأن يشعر كل فرد بقوة الجماعة وسطوة الوحدة ، ويتعود كيف يمضى فى الشدة كما يمضى فى الرخاء ويحتال للمآزق حتى ينجو بنفسه وبقومه .
ولم يكن هناك من مفر للأغنياء الذين تسير أممهم فى الحميم الا أن يسيروا معها ولو شقوا كروش الابل ليشربوا ماءها ويبلوا جلود أكبادهم فى لهب الحر بما بقى منها رطبا مبلولا كما فعل جيش العسرة فى تبوك .

زيادة الايمان :

ومهما اختلفت آراء الفقهاء حول زيادة الايمان ونقصه أو بقائه قدرا لايزيد ولا ينقص فان أفضل الآراء أن زيادة الايمان ترمى الى مضاعفة العمل الصالح لزيادة الثواب والأجر ، وبهذا المعنى عمل كثير من الصحابة الأولين وكرروا العمل وضاعفوه ولم يملوا قط ، وكان من بين هؤلاء رجال لم تبق قمة فى الجاه الا بلغوها ولارتبة فى الدين الا صعدوا فيها ، وربما كان أحدهم من السابقين الأولين العشرة الذين ضمنت لهم الجنة ثم كانوا ممن حضر بدرا فغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر غير أنهم مضوا يعملون ويضاعفون رغبة فى الزيادة وطمعا فى الدرجة ، ومع أن الوعود التى سبقت لهم بالجنة والمغفرة لن تنقض حتى لو أخطأوا كما أخطأ حاطب بن ابى بلتعة وثعلبة بن حاطب البدريان فعفا النبى عن الأول وهجر الثانى وقاطعه ، فقد طلب هؤلاء مزيدا من الايمان والاحسان ولم يكن الوعد بالجنة غاية يقفون عندها دون المضى مع رسول الله ونصره ومؤازرته فى كل وجه يريد

فحين استنفر النبى المسلمين الى تبوك وكان ذات مرة على منبره فى مسجد المدينة يحث على جيش العسرة ويوصح للناس امرهم ويجليه ويخبرهم بوجهه الذى يريد ليتأهبوا أهبته قام عثمان بن عفان رضى الله عنه - وكان احد من اقبلت تجارته بربح وفير - فقال : يارسول الله ، على مائة من الابل برحالها واحمالها

وتهلل وجه رسول الله اذ وجد فى الأمة التى ضاق بها الخطب وأذهلها الجدب والغزو مثل عثمان ، ثم استمر يخطب ويحث الناس واذا بعثمان يقف مرة ثانية وهو يقول : وعلى مائة أخرى برحالها وأحمالها .

وسرت موجة فى الصحابة من الفرح والاعجاب بعثمان وزاد وجه النبى اضاءة وتهللا وكأنما انتظر قليلا على قمة منبره ليجود أحد من الناس كما جاد عثمان فلم يفعل أحد ، لأنه لم يكن أحد ربح كما ربح ، فنزل النبى مرقاة من المنبر ثم وقف واستأنف الكلام لعل جوادا يفعل ، فما كان من عثمان الا أن وقف مرة ثالثة يقول ، على مائة ثالثة برحالها واحمالها

قال راوى الحديث : فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيده هكذا - أى يحركها كالمتعجب - ثم قال « ما على عثمان ما فعل بعد اليوم ! »

ابو خيثمة :

ومضى القائد بجيشه الى لقاء الروم ولقى الناس من العسرة مالم يعرف وصفه الا الأكباد التى احترقت والابل التى شردت والرمال التى احترقت ثم بلغ النبى تبوك دون ان يلقى كيدا أو يجد عدوا ولكنه كان قد أحصى كل من حضر من أصحابه الأقربين وكل من غاب ، وكان ممن رحمه النبى رجل يقال له أبو خيثمة كان قد عرف عنه الطاعة وصدق الايمان ثم عرف عنه القدرة على الخروج والغزو ، وكأنما تمنى ان لم يكن قد غاب ، بل كان على ثقة من قلبه - وهو نبى - انه سيلحق به لا محالة .

وكان أبو خيثمة عبد الله بن خيثمة - أو أبو حتمة كما احتملوا - غنيا ذا زوجة حسناء وصاحب ظلال تكاد تورف وثمار تكاد تطيب وحين خرج رسول الله بجيشه تخلف ابوخيثمة يتلهف على ظلاله وثماره ، ثم أوغل رسول الله فى الصحراء نحو تبوك ومضى فيها أياما .

وأبو خيثمة كلما انفجر صبح أو خيم ليل تمنى أن يلحق برسول الله وتحرك لأمنيته ثم لم يجد من نفسه بعثا على المضى ولا اصرارا حتى اذا مضت عشرة أيام ورجع الى أهله للقيلولة فى يوم قائظ ملتهب وجد امرأته قد استظلت بعريش لها فى بستانه وقد رشت

أرضه وبردت الماء وهيأت الطعام • ودخل أبو خيثمة فرأى الحال على مارأى •

وكأنما طارت شرارة من عينيه فرأت جيش العسرة وارتدت الى قلبه تلهبه وتحرقه فصمت الرجل صمتة كادت تهلك فيها نفسه ثم أرسل صوته يزجرها ويقول : ياسبحان الله ، رسول الله ـ وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ـ فى الضح والريح والحر يحمل سلاحه على عاتقة وأبو خيثمة فى ظلال باردة وطعام مهيأ وامراة حسناء ! ماهذا بالنصف !

ثم احتد غضب أبى خيثمة فقال : والله لا أدخل عريشا ولا أكلم زوجة حتى ألحق برسول الله ، ثم أناخ راحلته وتزود وارتحل وجعلت امرأته فى اثناء ذلك تكلمه فلا يكلمها ثم شد على راحلته يطلب رسول الله فلم يلحق به فى الطريق •

ودنا أبو خيثمة من تبوك فرأى اصحاب رسول الله رجلا يسيل به السراب قادما من بعيد فقالوا : هذا راكب على الطريق • وما كادوا يقولون ذلك لرسول الله حتى نطق ما كان قد تعلق به قلبه فهتف لسانه يقول « كن أبا خيمثة » •

ولم يكن لأبى خيثمة أن يغيب يوما واحدا اذ لم يغب من قبل وهو فقير ، وقد سبق له أن تصدق بصاع من تمر وكان هو كل جهده فلمزه المنافقون فذمهم القرآن ومدحه فى قوله تعالى « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهـــدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم •• »

وأقبل أبو خيثمة يدنو من مكان النبى صلى الله عليه وسلم فقال الناس : هذا أبو خيثمة يارسول الله • فأناخ راحلته وسلم على النبى فقال له النبى ـ بين العتاب والتهديد ـ أولى لك ! فجلس أبو خيثمة بين يدى رسول الله يقص خبره ويفصله ورسول الله يقول له خيرا ويدعو له •

الذين خلفوا :

وكان لثلاثة آخرين قد قعدوا فى المدينـة دون أن يخرجوا أثر بالغ فى نفس رسول الله ونفوس أصحابه اذ لم يكن منهم تردد أو نفاق ثم لم يظهر عليهم فقر • فلم تغب أشخاصهم عن عين رسول الله ، فقد كانوا أقرب اليه وألصق به جوارا •

وقعد فى المدينة غيرهم بضعة وثمانون رجلا منهم من لم يجد حمولة ولا طعاما ، فأذن له رسول الله بالتخلف فقعد فائض الدمع حزينا ، ومنهم من قعد ليقدم عذره بعد صدقا أو كذبا اذا رجع النبى بعد غزوة وحسبما يكون العدد والرجوع بنصر أو هزيمة ، بل منهم من أقعده رسول الله لتميعه وهذره كما فعل بالجد بن قيس :

قال له رسول الله « ياجد ، هل لك فى جلاد بنى الأصفر ؟ » فادعى ذلك المتميع أنه يخاف ان هو خرج أن يفتتن بنساء بنى الأصفر ، ولم يستح العابث أن يقول ذلك لرسول الله فأعرض عنه الرسول وتركه يرتكس فى فتنة أشد ، قال فيها القرآن «ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين »

ولم تكن تخفى على رسول الله طبـــاع الجماعات الكبيرة وما تموج به أمورها فتلتقى أو تتناقض فكان رسول الله يداوى كل طبع بما يناسبه من دواء فاذا لم يجد ما يشفى الا الكى كوى •

غير أنه لم يكن فى بال رســول الله من المتخلفين مثل ما كان لأولئك الثلاثة وقليل غيرهم ممن لم يجدوا حمولة ولا طعاما ، فكان رسول الله كلما نزل شعبا أو ارتقى مكانا أو قطع واديا قال للذين معه •• ان بالمدينـة قوما ما سلكتم واديا ولا قطعتم شعبا الا وهم معكم حبسهم العذر »

وكان هؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك ومرارة ابن ربيعة وهلال بن أمية وكلهم من الأنصار وقد حضر الآخران بدرا ولم يحضرها كعب ولم يعاتبه رسول الله فيها • وقد تخلف الثلاثة بلا عذر ولكنهم لم يضمروا كـذبا ولا نفاقا فاجتمع عليهم الضدان : كانوا فى قدرة على الغزو فاستحقوا عقوبة التخلف ، وكانوا على رسوخ فى الايمان وقد أظفر اثنان منهم بعفو بدر فاستحقوا العفو ، فلم يبق الا شىء بين بين ولعله العتاب

وليس شيء أمن على المؤمن من العتاب على التقصير ، وهو بالغ أشد المرارة لو كان رسول الله ذاته هو الذى سيتولى ولايته وينفذ أمره". واذا هان العتاب على جندي في آخر الصف فكيف به على نفس رجل ككعب بن مالك صار في أول الصف ، وقد أدناه النبي منه وكان شاعرا فانشد رسول الله فى الحماسة فقال له « انت تحسن صفة الحرب » ثم أمره فى سفر صحبه فيه أن يحدو بالشعر وراء ناقته فحدا !؟

وكانت فى كعب بن مالك السلمى مظنة كبر وعجب ، أو يحسبها خصوم له من قومه بني سلمة كذلك ، وذلك من بردين ثمينين يمشي فيهما وكانه يزهى بهما • وبينما رسول الله يقلب وجهه فى أصحابه وهو جالس معهم فى تبوك تذكر كعبا فقال « ما فعل كعب بن مالك ؟» فقال رجال من قومه بني سلمة : يارسول الله ، حبسه برداه والنظر فى عطفيه!

ولم يدع الله كعبا دون أن يدافع عنه وهو غائب لا يستطيع أن يرد أذى ولا كيدا فان الله يدافع عن الذين آمنوا ، فانبرى معاذ بن جبل للسلمي وقال له: بئس ماقلت! والله يارسول الله ما علمنا عليه الا خيرا • فسكت رسول الله •

شدة الابتلاء :

وقفل رسول الله بجيشه الى المدينة بعد ان أقام بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ولم يلق فيها كيدا ولا عدوا ، وجاءه هناك يوحنا ابن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على الجزية كما أتاه بعض أصحاب النواحي يصالحونه ، وبعث رسول الله خالدبن الوليد فى سرية من هناك الى أكيدر دومة فجاء النبى مصالحا •

ولما بلغ المتخلفين قفول رسول الله جاءوه جميعا يعتذرون ويحلفون وكانوا وكان الرسول معهم كما قال الله فيهم « سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضواعنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين »

أما كعب بن مالك فقد حضره بثه وحزنه ورأى أنه لن ينجو الا اذا اجمع صدقه مهما أصابه من عتاب أو من عقاب فجاء الى النبى وسلم عليه فتبسم رسول الله تبسم المغضب وأشار أن يقبل فأقبل وجلس بين يديه •

وسأله رسول الله قائلا « ما خلفك ؟ الم تكن قد ابتعت ظهرك ؟» فامتلك كعب نفسه وكان رجلا عاقلا فصيحا ـ وقال : يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر ، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي • ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه أنى لارجو فيه عقبى الله • والله ماكان لى عذر ، ووالله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم •• أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك ، قد خلفه رسول الله لامر الله فسمى هو وصاحباه بالمخلفين •

وتوالى الابتلاء على كعب من قومه ومن غير قومه ومن المسلمين عامة • وقومه بنو سلمة الذين حسدوه قدمه أحدهم عند رسول الله بقوله : حبسه برداه والنظر فى عطفيه ، ثار منهم جماعة وراءه بعد ان قام من عند رسول الله يلومونه على أن لم يكذب فينجو كما نجا غيره ، ومازالوا يؤنبونه كالمشفقين عليه حتى كاد يرجع الى رسول الله فيكذب نفسه ،ولكنه أحب أن يستأنس باقوال كل من اعتذروا لرسول الله فعرف أن صاحبى بدر : مرارة وهلال قد مضيا فى الصدق كما مضى ، فلما عرف ذلك أشاح بوجهه عن قومه ومضى غير عابيء بماقالوا •

وأمر رسول الله أن يعتزل الناس هؤلاء الثلاثة فاجتنبوهم وتغيروا عليهم حتى زوجاتهم أمرن باعتزالهم فأطعن • واستكان مرارة وهلال فقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما كعب ـ أشب الثلاثة وأقواهم ـ فقد جعل يخرج الى الصلاة ويطوف فى الاسواق ويتسور جدران أهله وحدائقهم لعله يجد من يكلمه فلا يجد احدا !•

ولم تظل قصة كعب وصاحبيه محبوسة فى المدينة أو الجزيرة فطارت الى الآفاق حتى وطئت بساط ملك غسان على أطراف الشام وكان الملك يعرف كعبا ويعرف أنه يكتب فأرسل اليه الملك برسالة فى السر يحرضه على النبى ويدعوه الى اللجوء اليه •

وضل ملك غسان الصواب ، فما كان لرجل مثل كعب قد ضاقت عليه الأرض بما رحبت لأن رسول الله غاضب عليه ثم يجد فى الأرض متنفسا وسعة ولو كانت كلها جنات وعروش ملوك • فما تناول كتاب الملك حتى قال فى نفسه : هذه أيضا من البلاء ، لقد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك ! ثم عمد الى التنور برسالة الملك فسجرها به

التوبة والاحكام :

ومضى على تلك الحال خمسون يوما قد هجر الثلاثة المخلفين فيها كل الناس أقرباء وأبعداء، ثم تهاجر الثلاثة فلم يعد احد منهم يكلم الآخر أو يراه • وبينما كعب جالس على حاله تلك من الغم والحزن واذا صوت صارخ ينادى قائلا: ياكعب بن مالك ، أبشر • فعرف كعب أن قد جاء الفرج وخر لله ساجدا ثم نزع عنه برديه وكساهما من جاءه بالبشرى •

لقد نزل القرآن يقول « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم »

نزل القرآن بهذه الآيات التى نبهت شأن النبى بذكر الله واللجأ اليه ، ومع أن التوبة لم تفارقه فقد بشرته الآيات بقبولها ، وكأنما مافعله رسول الله من دعوة الأمة الى العسرة مستوحيا رضا من الله وتوبة اذ علمها رسول الله فى هذه الدعوة ما يجمعها وينصرها • أما ماجاء فيها من توبة المهاجرين والأنصار فذلك رجوعهم من التردد والوقوف على باب المعصية الى حالة الطاعة ، وانتقالهم من الكسل الى النشاط وخروجهم من صفة القعود الى صفة السفر والجهاد • وقد كررت الآيتان لفظ التوبة تكرير توكيد بقبولها وتنبيها على أن الله تاب عليهم من أجل الطاعة والصبر على المشقة وطول المكابدة •

وتبين من فعل الثلاثة الذين خلفوا ان الناس لا يسمون صادقين حتى تستوى ظواهرهم وبواطنهم ، ويوفوا بما عاهدوا الله عليه حتى يرتفع النفاق فى العقيدة والمخالفة فى العقل، فاذا لم يكونوا كذلك واختلقوا الكذب وتركوا الجهاد بلا عذر لم يدخلوا فى اعداد الصادقين كما تبين أن الكذب كما أخبر عنه رسول الله لايصلح منه جد ولا هزل •

ولم تكن توبة الذين اتبعوا النبى فى ساعة العسرة كلاما مقولا ولكن طاعة وانفاقا وخروجا بالأنفس والأموال والزاد والماء • وليس احد من الناس قاطبة ــ والمؤمنون خاصة ــ مستثنى من احتياجه الى التوبة رجاء الترقى الى ماهو أكمل وأعلى • « ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله •• »

ولقد وضع رسول الله فى هذه الغزوة آدابا حكيمة وأحكاما فاصلة ، وألزم المسلمين ان يتبعوها وأن يقضوا بها ــ ولا سيما فى ساعة العسرة ــ لئلا يزهى المسلمون أو يبطروا واذا كان الزهو أمرا ماحقا فالبطر أولى حذرا وأشد خطرا •

وتجلى فى قصة العسرة خلق سياسى تخلق به الرئيس المجرب والقائد المظفر ، ففيما بين بدر وتبوك اتسع سلطان النبى وصعد من قيادة ثلثمائة فى الحرب الى ثلاثين ألفا وتزيد وقد شوهد وهو يرعى هذه الالوف من غير جريدة ولا ديوان لاتفوته احصاء وعدا ومعرفة وأحوالا •

وقد علم رسول الله أمته أن لا تقتصر فى طلب النصرة على داخل شئونها وحدودها ، وانما عليها أن تطلبها كذلك فى خارج أرضها

وعدودهما (*) وليس عليها من بأس أن تلقى بقوتها القليلة وفقرها الشديد عدوا أقوى منها عدة وأعظم مظهرا ، فانه لايدرى أحد لمن تكون الغلبة ، فهى من عند الله وحده ينصر من يشاء .

وفي حومة اليأس لم يقر رسول الله شهادة على غائب بقبيح ولو كان الشاهد من أهله ، فكان صلى الله عليه وسلم على حذر ، فان بنى سلمة قد ذموا كعبا فى غيابه ، فلما ظنوا رضا النبى عليه حين خلفه لصدقه وأمر الله فيه ثاروا اليه حتى يكذب فيرتطم فى الفجور ، فلم يشفقوا عليه فى الحالين غائبا وحاضرا

وخروج قوم من المسلمين للجهاد دون قوم ان كان فرض كفاية فى كل مايرد عنهم الأذى ويجلب لهم الخير ، فهو فرض عين فى كل عسرة يلقونها ، وليس على أحد منهم أن يتخلف بنفسه أو ماله الا وهو يرجو أن يلقى عتابه أو يصيب عقابه ، مالم يكن متخلفا بعذر صحيح من مرض أو ضعف فانه لايفقد اجره ولا يضيع ثوابه

وقد اجتمع عدد من أئمة المسلمين على أن اتباع القائد المسلم فى ساعة العسرة لم يكن للنبى وحده بل هو لكل من يقود الأمة الى فلاحها حتى القيامة . وكان من هؤلاء الاوزاعى وتلميذه سعيد بن عبد العزيز وابن المبارك والفزارى والسبيعى وأبو جابر ، فقد قالوا: انما هو لأول الأمة وآخرها للقتال فى سبيل الله وجهاد أعدائه واعزاز أوليائه .

وهكذا كان امر العسرة امرا فصلا لم يقبل توانيا ولا تخلفا بل كان كله جدا واقبالا وعزما واسراعا . وليس من درس واعظ أو عظة أبلغ من أن يعرف المسلمون مايجب عليهم فى ساعة العسرة فانه لم يكن لهم من اسوة افضل من جند العسرة فى تبوك ، أولئك الذين اولاهم الايمان طاعة وقوة وأولتهم الطاعة والقوة نصرا عزيزا

مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الفصل الخامس عشر
نبذ جاءت متفرقة فى الكتب نؤيد
سعة صدر علماء السلف
ونفورهم من التعصب للرأى

١ ـ خرج عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى زمن خلافته قاصدا مكة للحج ولما وصلها تزوج امرأة منها ، وفى أثناء اقامته بمنى لرمى الجمار صلى بالناس الظهر ، والعصر ، أربع ركعات صلاة تامة ، غير مقصورة .

وذلك أن اجتهاده أداه الى أن زواجه بمكة أعطاه حكم المقيم .

قال البخارى فلما بلغ عبد الله بن مسعود أن عثمان صلى أربع ركعات وهو بمنى ، استرجع ، ثم قال : صليت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنى ركعتين ، وصليت مع أبى بكر بمنى ركعتين ، وصليت مع عمر ركعتين ، فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان .

وروى أبو داود أن عبد الله بن مسعود صلى بعد ذلك بمنى وراء عثمان صلاة العصر أربع ركعات ، فقيل له : عبت على عثمان الاتمام فى السفر ، ثم صليت وراءه أربعا ، **فقال : الخلاف شر كله .**

وانما فعل ذلك ابن مسعود لأنه سمع من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله فى سياق الكلام على طاعة الأمراء : « يصلون بكم ، وان أصابوا فلكم ولهم ، وان أخطأوا فعليهم » .

وقد اتفق العلماء جميعا على أن المسافر اذا اقتدى بمقيم فانه يتبعه فى الاتمام . حتى عند من يقول ان فرضه ركعتان ، فلا يجوز له مخالفته . حتى وصفه بعضهم بأنه فى هذه الحالةمن مساجين الامام .

ما عدا ابن حزم فانه يقول : يسلم المأموم المسافر بعد الركعتين ويخرج من الصلاة .

ولعلك أدركت من صنيع ابن مسعود عندما وكل أمر اجتهاد عثمان ـ رضى الله عنه ـ الى نفسه ، وتابعه خوف الوقوع فيما هو أشد خطرا على المسلمين ، وهو شبهة الخروج على

الامام ، وذلك باب فتنة ليس على المسلمين أضر منه .

٢ - عندما تعرضت متون كتب المالكية لحكم البسملة فى الصلاة فى الفاتحة ، وغيرها ، من أنه الكراهه ، لكل مصل ، فى الصلاه السريه ، والجهريه ، وهو المشهور عن مالك ، أو الاباحه ، أو الندب ، او الوجوب. قال القرافى وكثير من المالكية : الورع ان يبسمل المصلى أول الفاتحه للخروج من خلاف من يرى الوجوب .

وكان المازرى(١) يبسمل أول الفاتحه سرا فى صلاة الفرض ، فلما سئل عن عمله هذا ، قال تلك الكلمة الحكيمة : « مذهب مالك من بسمل لا تبطل صلاته ، ومذهب الشافعى من لم يبسمل بطلت صلاته ، وصلاة متفق عليها خير من صلاة قال أحدهما ببطلانها » .

٣ - روى البخارى عن قتادة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ فى الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب ، وسورتين ، فى كل ركعة سورة ، وكان صلى الله عليه وسلم يسمعنا الآية أحيانا .

قال الحافظ بن حجر فى شرحه لهذا الحديث : وروى النسائى عن البراء بن عازب قال : كنا نصلى خلف النبى - صلى الله عليه وسلم - الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان ، والذاريات ، وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك أحيانا لبيان أن ذلك جائز .

(٢) قال الحطاب فى شرحه على متن خليل جزء ٢ صفحة ١١٤ .

واذا صلى مالكى(٣) خلف حنفى مذهبه أن سجود السهو لنقص سنة مثلا يكون بعد السلام ، فانه يسجد معه بعد السلام ، ولا يخالفه ، قال ابن ناجى : لأن الخلاف شر .

ثم قال أى الحطاب وكذا العكس ، أى اذا صلى مالكى خلف امام شافعى : يرى أن سجود السهو فى جميع الأحوال يكون قبل السلام فانه لا يخالفه ، ثم قال : ان صلاة المالكى خلف الشافعية صحيحة **ولو رآه يفعل خلاف مذهبه (٤)**

وسئل الامام مالك عن مصل فاتته ركعة أو أكثر . مع الامام متى يقوم ؟ هل يقوم بعد تسليمة الامام الأولى ، وقبل التسليمة الثانية ؟ أو ينتظره حتى يفرغ من التسليمة الثانية ؟ فقال : ان كان الامام ممن يرى وجوب التسليمة الثانية(٥) انتظره المأموم المالكى حتى يفرغ منها ، ثم يقوم لاتمام صلاته .

وان قام بعد تسليم الامام المذكور تسليمة واحدة فلا اعادة عليه ، **ولكن بئس ما صنع .**

ولذا قال ابن وهب من كبار علماء المالكية : أن قام المأموم المالكى بعد تسليمة واحدة فقد أساء ولكن لا يعيد صلاته .

وقال أشهب من صلى خلف من لا يرى الوضوء من مس القبل كالحنفى ، لا شئ عليه ، ثم قال : انظر كلام القرافى (٦) فى كتابه « الفروق » فى الفرق ٧٦ .

---

(١) بفتح الزاى أو كسرها . وهو عالم مالكى منسوب الى بلدة بجزيرة صقلية .

(٢) الحطاب هو : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربى الأصل ، المكى المولد ، المعروف بالحطاب ، وهو من كبار المالكية ، المولود سنة ٩٠٢ هـ والمتوفى سنة ٩٥٤ هـ .

(٣) مذهب مالك أن سجود السهو لنقص سنة يكون قبل السلام ، وان كان السهو بزيادة شئ فى الصلاة يكون سجود السهو بعد السلام، أما الشافعى فسجود السهو عنده كله قبل السلام ، سواء أكان بنقص أم بزيادة .

(٤) كأن توضأ الشافعى ولم يدلك أعضاء الوضوء . فان التدليك فرض عند مالك وليس كذلك عند الشافعى كما تقدم .

(٥) انظر رقم ٦ من الفصل الرابع .

(٦) المتوفى سنة ٦٨٤ هـ .

قال القرافى : هل يجوز أن يصلى الشافعى خلف المالكى وان خالفه فى الفروع ؟ قال : والجواب أنه اذا خالف الامام نصا قاطعا ، أو اجماعا ، أو قياسا جليا ، فانه لا يجوز الاقتداء به ، لأن عمله هذا ليس بشرع ، رما ليس بشرع لا يجوز أن يتبعه احد فيه .

ومثال ذلك اذا وجد الامام والمأموم فى مكان لا يستطيعان تعيين جهة الكعبة فيه ، فاجتهد كل منهما ، فقال أحدهما : هى جهة المشرق ، وقال الآخر لا بل هى فى جهة الجنوب ، فانه لا يجوز أن يصلى أحدهما وراء الآخر ، لأنهما اختلفا فى القبلة ، والاتجاه الى القبلة شرط فى صحة الصلاة بالنص القاطع ، والاجماع .

فكل واحدمنهما يعتقد أنه لو ترك اجتهاده، وتبع صاحبه ، يكون تاركا لأمر مجمع عليه ، وتارك المجمع عليه لا تصح صلاته .

أما اذا كان اختلاف الامام ، والمأموم . فى أمور ليست أحكامها ثابتة بنص صريح ، ولا اجماع ، ولا قياس جلى ، فانه يجوز أن يصلى أحدهما وراء الآخر ، مهما كانت درجة الخلاف .

كان يرى مالكى الامام الشافعى وهو يتوضأ لم يعمم مسح رأسه ، أو لم يدلك أعضاء الوضوء حال غسلها كما سبق . فانه يجوز له أن يصلى خلفه . وان كان مذهب مالك ان تعميم مسح الرأس فرض ، وكذلك تدليك أعضاء الوضوء .

وذلك لأن تعميم مسح الرأس . والتدليك، لم يثبت كل منهما بنص صريح ، بل أخذ الحكم فيهما من ظاهر نص محتمل التأويل ، أو مفهوم لفظ ، وليس واحد منهما مجمعا عليه بين جميع علماء المسلمين ، فلا يصل حكم منهما الى درجة القطع به . بل هو محل اجتهاد .

فأين الحكم المقطوع به من المظنون ؟ وأين المجمع عليه من المختلف فيه ؟

وبهذه القاعدة يتضح الفرق غاية الوضوح .

ثم مثل القرافى بأمثلة أخرى ، منها : لو توضأ مالكى من اناء وقع فى مائه روث عصفور ، ورآه الشافعى ، فانه يجوز للشافعى أن يصلى خلفه ، ولا يضره ذلك . **كما لو ترك الامام المالكى البسملة فى الصلاة** ، فانه يجوز للشافعى أن يصلى خلفه كذلك ، لأن المالكى لم يخالف حكما مجمعا عليه ، ولا مقطوعا به كما تقدم .

ثم قال : **فهذه المسائل كلها دائرة على معنى واحد ، وهو أن من اعتقدنا فيه أنه خالف نصا مقطوعا به . لم يجز لنا تقليده ، وان لم نعتقد ذلك . جاز لنا تقليده . والصلاة خلفه ، والله أعلم .**

تنبيه مهم :

الآن وقد عرضنا من أقوال السلف ما يزيل كل الشبهات التى أثيرت حول الخلافات التى تركت كثيرا من المسلمين فى حيرة كما علمت .

رأينا لهذه المناسبة أن نعرض لخلاف لم نقف له على توجيه ترضاه العقول . راجين ممن عنده علم فيه من اخواننا العلماء أن يتفضل ببيان أسباب هذا التفاوت . حتى نسجله فى الطبعة الثانية من كتابنا « ما لا يجوز فيه الخلاف » ان شاء الله .

ذلك هو اختلاف قيمة الدينار(١) الشرعى من الدراهم(٢) الشرعية باختلاف أبواب الفقه، لا باختلاف العصور ، والأمكنة ، والعرف .

وبيان ذلك أن الفقهاء جعلوا قيمة الدينار ١٢ درهما شرعيا فى ثلاثة أبواب من أبواب الفقه ، وهى : باب السرقة . وباب النكاح .

---

(١) قدر العلماء فى عصرنا هذا قيمة العشرين دينارا من الذهب بما يساوى ٤/٧ ٢٨ درهما وزنا بالدرهم المصرى .

وقال بعض علماء الحنابلة : ان العشرين مثقالا من الذهب التى تساوى عشرين دينارا شرعيا تساوى ٨٥ (جراما) من الذهب عيار ٢١ .

(٢) وقدر العلماء قيمة ٢٠٠ درهم شرعى بما يساوى ٩/٧ ٢٧ (ريالا) مصريا .

وباب الدية (•)

فقالوا : ان حد السرقة يقام على من يسرق ¼ (ربع) دينار ذهبا أو ثلاثة دراهم فضة ، وان أقل الصداق ربع دينار ، أو ثلاثة دراهم فضة أيضا ، وان دية القتيل اذا قدرت بألف دينار مثلا فانه يقوم مقام هذه الدنانير ١٢ ألف درهم •

وجعلوا قيمة الدينار الشرعى عشرة دراهم فى بابين : باب الزكاة • وباب الجـزية • فقالوا : ان الزكاة تجب على من يملك نصابها من الذهب أو الفضة • ويمضى عليه فى ملكه عام ، وقدروا النصاب من الذهب بأنه عشرون دينارا ، ومن الفضة بأنه ٢٠٠ درهم ، وان الجزية التى تؤخذ من الذمى هى دينـار فى العام على الغنى القادر من أهل الكتاب • نظير الزكاة التى يدفعها المسلم ، فاذا لم يكن عند الذمى ذهب يؤخذ منه عشرة دراهم فضة • ومعنى هذا أن الدينار فى هذين البابين يساوى ١٠ دراهم فقط ، لا ١٢ درهما كما فى الأبواب الثلاثة السابقة (•)

كان من المعقول أن تختلف قيمة الدينار من الدراهم باختلاف أوقات الصرف ، وتفاوتها بتفاوت قيمة الذهب فى الأزمان المختلفة ، أو البلاد المتباعدة ، لا باختلاف أبواب الفقه ، ولكنى وجدت جميع العلماء الذين اطلعت على مؤلفاتهم • سـواء منهم من كان فى العصر الأول • أو العصور الأخيرة •

وسواء أكانوا من فقهاء المغاربة، والأندلس، أم من فقهـاء المشـارقة ، كالحجازيين ، والكوفيين • وجدتهم جميعا متفقين على هذا التفاوت بتفاوت أبواب الفقه • كما رأيت (•) وقد سجل هذا التفاوت أبو عبد الله محمـد المعروف بالحطاب المالكى المتوفى سنة ٩٥٤هـ (•) فى شرحه على متن خليل جزء ٢ صفحة ٢٩٢ فى كتاب الزكـاة حيث قال « الدنانير فى الأحكام الخمسة ثلاثة : كل دينار منها يساوى اثنى عشر درهما من الفضة • وهى دينـار الدية ، ودينار النكاح ، ودينـار السرقة (•) واثنان : كل دينار منهما يساوى عشرة دراهم فضة • وهما دينار الزكاة ، ودينار الجزية (•)

انتهى • فما سر هذا ؟؟

والله سبحانه الموفق للصواب (•)

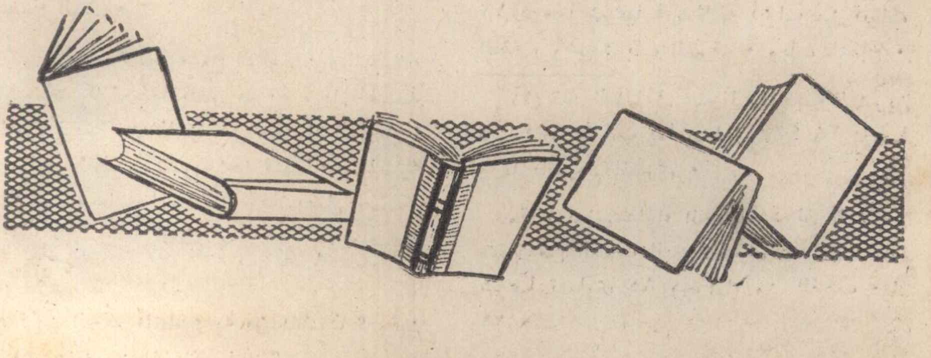

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

لعله من المسلم به بيننا انه قد دخل على المسلم فى دينه ما ليس منه وتسرب فى عقائده من حيث لا يشعر مالا يتصل بأصل هذه العقيده . بعد ان عرضت البدع فى العقائد والاعمال وكادت تحل محل الاعتقاد الصحيح وكادت تأخذ مكان الشرع القويم ولم تلبث ان ظهرت آثارها فى اعماله وعم شؤمها فى جميع احوال معاشه .

ولعلنا على اتفاق أيضا فى ان وارثى علوم الدين والقائمين على حفظها قد قل فى معظم بلادنا الاسلامية ولم يبق من هذا الدين العظيم . دين الدنيا والآخرة . دين المعاش والمعاملات والتقى . لم يبق منه الا رسوم لا يكاد يدركها نظر الناظر . وعبر المجتمع الاسلامى فترة زمنيه طويله كان المسلمون فيه عبئا على الاسلام لضعفهم وتواكلهم . وعجزوا عن - ارادة أو عن غير ارادة - حتى عن أن يأمروا بمعروف أو ينهوا عن منكر فى الوقت الذى هيأ الناس انفسهم لتحصيل مبادىء العلوم والمعرفة العصرية حتى يشقوا طريق معاشهم فى الحياة متناسين تماما انهم . بتخلفهم فى طريق العلوم الاسلامية فانما يسيئون الى انفسهم قبل أن يسيئوا الى الاسلام . فأخطأ المسلم فى فهم الكثير من المعانى . أخطأ فى فهم التوكل والقدر فمال الى الكسل وقعد عن العمل ووكل الأمر الى الحوادث تصرفه حيثما تهب ريحها ويظن انه بذلك يرضى ربه ويوافى رغائب دينه . وأخطأ المسلم فى فهم ما ورد فى دينه من ان المسلمين خير الأمم وان العزة والقوة مقرونتان بالأسلام أبد الدهر . فظن ان الخير ملازم للمسلم وان رفعة الشأن تابعة ليقظة الاسلام وان لم يتحقق شىء من معناه فان أصابته مصيبه أو حلت به نازله تسلى بالقضاء وانتظر ما يأتى به الغيب بدون أن يتخذ وسيلة لدفع هذا الطارىء أو ينهض الى عمل ليتلافى هذا الخلل وأخطأ المسلم فى فهم معنى الطاعه لأولى الأمر والأنقياد لأوامرهم فالقى مقاليده الى الحاكم ووكل اليه التصرف فى شئونه ثم ادبر

عنه حتى ظن ان الحكومة يمكنها القيام بكافه شئونه جميعا من ادارة وسياسة دون ان يكون لها منه عون سوى ضريبة يدفعها أو نصابا يؤتيه . والواقع ان معنى الحكومة فى ذهن المسلمين كانت ابعد ما يكون مما يصوره الاسلام . فهم اودعوا ثقتهم فى الحاكم الى حد التأليه . من حيث ظنوه قادرا على كل شيء بدون عون من أحد وانقلبت هذه الثقة الى الأدبار والتخلى . والسلبيه من حيث انهم تركوه وشأنه لا يساعدونه فى حادث ولا يعينونه فى أمر جلل اللهم الا اذا ارغموا على ذلك . ومن هنا . انصرف المسلم عن النظر فى الأمور العامة جملة وضعف شعوره بحسنها وقبيحها اللهم الا ما يمس شخصه ومصالحه منها . اما الحكام . فكانوا أقدر الناس على انتشال الأمة الاسلامية مما سقطت فيه الا انهم لم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الأبدان لاهوائهم ومطامعهم واذلال النفوس لسلطانهم وابتزاز الأموال لانفاقها فى ارضاء نزعاتهم لا يرعون عدلا ولا يستشيرون أولى الرأى ولا يتبعون سنه حتى افسدوا الاخلاق كافة بما حملوها على النفاق والغش والكذب .

هذا ما أصاب المسلمين فى عقولهم وعزائمهم وأساليبهم بسبب ابتداعهم فى دينهم وخطئهم فى فهم أصوله وجهلهم بأصوله ومعانيه ولهذا سلط الله عليهم من يسلبهم نعمة لم يقوموا بشكرها وينزل بهم من عقوبة الكفران ما لا قبل لهم بدفعه الا اذا تداركهم الله بلطفه .

ونحن فى هذه العجالة لو حاولنا سرد الظروف والملابسات التى دخلت واقتحمت مجتمعنا المسلم فى القرون الماضية . لم نجد لها من سبب واضح يجمع عليه المنطق والعقل . ويقودنا اليه التفكير السليم المخلص . لم نجد من سبب الا الاستعمار وتآمره وحقده ثم ضعف المسلمين . وتواكلهم وانفضاضهم عن كتاب الله وسنة رسوله العظيم .. واذا كانت السلبية التى ورثها المسلم وأورثها . نبعت من عجزه وعجز ايمانه بحتمية حقوقه فى الحياه حقوقه الطبيعية والاقتصادية والسياسية . واقتناعه بعدم جدوى قدرته فى انتزاع هذه الحقوق . الى حد ضاعت فيه كل معالم القيم والأخلاقيات فان قيام ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ التى قامت لنصرة الانسان العربى ولاسترداد الحق العربى كانت تمثل الايجابية بأجلى معانيها فهى تخرج من بين صفوف الشعب المناضل لتقف ضد رأس الأفعى (الأستعمار) وتطرده طردا مرتين وتتربص بكل مساوىء الأستعمار وآثاره من اقطاع واحتكار فتجتثه من منبته لتقيم قواعد جديدة فى المعاملات وقيما جديدة وأخلاقيات جديدة تهدف للعدالة الاجتماعية التى ضاعت معالمها الا فى رءوس ملايين الشعب العربى . وفى وسط كل هذه التحديات تضع ايجابيتها عند قمة العمل الوطنى » بانشاء جيش وطنى قوى مؤمن ثم تجلل كل هذا وتكلله بتقرير الحياة الديمقراطية السليمة . حياة الشورى واحترام الرأى وتقديسه وبث الحرية واعادة المواطن العربى الى حظيرتها بعد ان فقد كل طعم للحرية والحياة . وهكذا فى رأينا ان ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ بمراحل كفاحها الطويل . قد ابانت لنا حقوقنا . وأعادت العدل الى اصحابه كما كشفت عن أضخم حقيقة رهيبة تلك التى كان ينسج الأستعمار خيوطها حول العالم الاسلامى ليقضى على مقوماته . ناسيا ان الاسلام حى ومكانه القلب . وقوته فى الايمان به » .

يقول الميثاق فى بابه الأول « وفى نفس الوقت أيضا فان الشعب المصرى تحت ظروف هذه المعارك الدوريه المتشابكة المتداخلة كان مصرا على ان يستخلص للمجتمع الجديد الذى يتطلع اليه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم اخلاقية جديدة وتعبر عنها ثقافة وطنية جديدة . ان هذا العمل العظيم تحقق بفضل عدة ضمانات .

أولا ــ ارادة تغيير ترفض آى قيد اوحد الا حقوق الجماهير

ثانيا ــ طليعة ثورية مكنتها ارادة التغيير الثورى من سلطة الدولة لتحويلها من خدمة المصالح القائمة الى خدمة المصالح صاحبة الحق الطبيعى والشرعى وهى مصالح الجماهير .

ثالثا – ايمان لا يتزعزع بالله • وبرسله ورسالاته السماوية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان •

وهكذا جاءت ارادة التغيير لتعبر لنا عن الايجابية • الفعالة • والقدرات الكامنة فى المجتمع المسلم • **قدرات العمل والخلق والانشاء والتطوير** فى كل صوره وفى كل قطاعاته التى كانت مفقودة • والتى حرم منها المواطن اجيالا طويلة • وهكذا نجد لأول مرة • ربطا واضحا بين الارادة وحقوق الجماهير واذا كانت هذه الحقوق قد أوضحها الميثاق فى باب آخر وبلورها فى حقوق اساسية لكل مواطن فى مجتمعنا المسلم • فهى حقوق اجتماعية • ضرورية كالماء والهواء • وهى حق المواطن فى الرعاية الصحية والدواء والاستشفاء وحقه فى ان يتعلم هو وأولاده دون مقابل مادى وحقه ان يعمل وينتج ويصبح عضوا عاملا حيا فى مجتمع حى • ثم حقه فى التأمينات الأجتماعية التى تضمن له الأمن والأمان فى شيخوخته أو عند عجزه واصابته واذا كانت الارادة الثورية أول ما تتجه •

تتوجه الى كفالة هذه الحقوق فهى ببساطة تنتزع المواطن المسلم من احساسه بالضياع وفقده لكل معانى القيم والاخلاقيات • لترد اليه انسانيته • وتعيد اليه حقوقه التى ضاعت أو أضاعها ضعف المسلم عبر القرون الطويلة • والمسلم هنا وقد تمتع بهذه الحقوق تؤكد التفاعل المتبادل بين المسلم ومجتمعه وتؤكد دوره الحتمى فى اسهامه بايجابية وعن ايمان بكل مقدرات أمته العربية •

فكأن الحقوق أعادت الذات • وكأن الحقوق ارجعت النفس الى مدار القوة والمسلم القوى خير من المسلم الضعيف •

ثم تجىء ارادة التغيير هذه لتعيد وتحول سلطة الدولة من خدمة مصالح الحكام واغراضهم وأهوائهم وشهواتهم • الى خدمة مصالح جماهير شعبنا العاملة التى ملكت ثروتها •

ووقفت على مقدراتها وأصبح أسهامها فى العمل واجب عقيدى يعود عليها واليها بكل

النفع والأرتقاء – ولم لا بعد ان قضت هذه الارادة الثورية على الأهواء والهوى • يقول تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله .... فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » •

« بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم »

« يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » •

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » •

وفى أعقاب هذا التغيير الجذرى الذى فرضته الارادة الثورية لمجتمعنا الاشتراكى اصبحت المسئولية الشخصية لكل مواطن مسلم واضحة • وحق جهاد المسلم واضح بعد ان احيط بكل مقومات الوجود الانسانى • وبعد ان وضحت أيضا الأهداف الكبرى التى عاش من اجلها وبعد ان – « اصبحت الحرية تعنى حرية الوطن والمواطن واصبحت الاشتراكية تعنى الكفاية والعدل • واصبح طريق الوحدة هو الدعوة الجماهيرية لعودة الأمر الطبيعى لأمة واحدة عربية مزقها أعداؤها ضد ارادتها وضد مصالحها « وفى أعقاب كل هذه – الشعارات التى طبقها مجتمعنا من وحى ايمانه بها أصبحت المسئولية الشخصية لكل مواطن مسلم حتمية ... وضرورية ... وواجبة ويقول تعالى « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين » •

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » •

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » •

« وأن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والأرض الا فى كتاب مبين » •

وهكذا أصبحت اولى المسئوليات ، لكل مواطن فى مجتمعنا الاشتراكى بعد أن ملك ذاته واسترد مقدراته هو ان يفنى فى سبيل اعلاء كلمة مجتمعة والحفاظ على أهدافه من خلال قيمه واخلاقياته الجديدة التى تنبع كلها من الاسلام الحقيقى ومعنى هذا ان ملايين المسلمين الذين عاصروا وعاشوا ثورة التغيير انما اصبح من مسئولياتهم دفع هذا التحول فى كل اتجاه اجتماعى بناء طالما هو يهدف لصالح هذه الملايين . وصالح معاشهم . وصالح سلوكهم ومعاملاتهم .

والأسلام الحقيقى لم يسمح لأى سلطة دينية أن تسود . فالاسلام لم يدع لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على ايمانه .

يقول تبارك وتعالى للرسول « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » كما لم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط فى الأرض . بل الأيمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله وحده ويرفع عنه كل رق الا العبوديه لله وحده .

ويقول تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو الى الخير - وهم المراقبون عليها - يردونها الى سواء السبيل اذا انحرفت عنه .

اذن لكل مسلم ان يفهم عن الله تبارك وتعالى . من كتاب الله ومن سنة رسوله دون وساطة أحد الا أن الأسلام وهو دين وشرع وضع حدودا ورسم حقوقا ولا يمكن ان تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام الا اذا وجدت الأرادة الثورية التى تقيم الحدود وتنفذ حكم الحق .

وتصون نظام الجماعة لصالح الجماعة . فلا اقطاع ولا استغلال ولا احتكار . والا فاين يجد الدين طريق القلوب والعقول وهى مغلقة مقفلة من الفقر والبؤس والفاقة والضياع .

وهكذا تلتقى الأرادة الثورية مع تعاليم القرآن الكريم فى تغييرها لمعالم مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو الى مجتمع جديد أساسه العدالة والعدالة الأجتماعية واقامة الحد على كل مستغل أو محتكر . وفى هذا اطلاق لحريات المواطن المسلم المؤمن اطلاق لحرية رزقه ولحريته فى ان يتعلم وان يعمل وان يسهم عن ايجابيته ومشاركته فى حياة مجتمعه وبقائه ».

يقول الميثاق فى بابه السابع « ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الأنسان وسعادته وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الأحتفاظ للدين بجوهر رسالته « لأن جوهر الرسالات الدينية وعلى رأسها الاسلام لا يتصادم مع حقائق الحياة .

بل هو الحياة نفسها بما أوضح من معاملات وأرسى من أخلاقيات ... انما ينتج التصادم دائما من سوء فهم الدين - ضد طبيعته - لعرقلة التقدم والنمو لجماهير شعبنا المناضلة وذلك بافتعال تفسيرات للدين الاسلامى تتصادم مع حكمة الله السامية ورسالة الرسول العظيم .

وثيقة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة

الدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف

اصبح النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاة نصيره وعمه أبى طالب ، وبعد وفاة زوجه السيدة خديجة ، هدفا لأشد أنواع الاضطهاد والهوان من المشركين فى قريش . والواقع أن الرسول عليه الصلاة والسلام يئس من هداية أولئك المشركين ، ففكر فى أن يهجر مكة كما هاجر منها بعض أصحابه الى الحبشة من قبل ، ولكنه ما كان ليستطيع مثلهم أن يتجه الى الحبشة فهو مبعوث الى قومه من العرب أولا ثم الى سائر الناس أخيرا . وقصد الرسول الكريم الطائف لعله يظفر بمعونة قبيلة ثقيف ، ولكنه لم يلق فى الطائف غير الأذى والاعراض عن دعوته . وحين عاد عليه الصلاة والسلام الى مكة ، أخذ يبحث عن أوساط أخرى يوجه اليها دعوته ، فصار يعرض نفسه على القبائل العربية فى موسم الحج وفى الأسواق ويدعوهم الى الاسلام ، ولكنه لم يظفر بأى تأييد من تلك القبائل حتى لاح له أمل من يثرب حين لقى فى السنة الحادية عشرة للنبوة (نحو سنة ٦٢٠ م) ستة نفر من الخزرج عند العقبة فدعاهم الى الاسلام فآمنوا ووعدوا أن ينشروا الدين الجديد فى يثرب ، وكانت هذه هى بيعة العقبة الأولى التى تمت فى العقبة بالقرب من مكة . وكتب المؤرخ ابن اسحق عند كلامه على هذه البيعة ان أولئك الستة من الخزرج قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : « انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله فلا رجل أعز منك »

وعاد هؤلاء الستة من أهل يثرب الى مدينتهم وتحدثوا عن الدين الجديد فاطمأن العرب فيها اليه ليوحد كلمتهم ويعيد اليهم الأمن والسيادة . وفى موسم الحج التالى قدم الى النبى اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج ولقوه عند العقبة فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان ، ولا يعصوه فى معروف . وهذه هى بيعة العقبة الثانية (وان كان بعض المؤرخين يعتبرونها بيعة العقبة الأولى ولا يحسبون اسلام الستة الخزرجيين فى العام السابق بيعة بالمعنى الصحيح) .

وأرسل النبى عليه السلام مع أهل يثرب واحدا من الصحابة هو مصعب بن عمير ليفقههم ومواطنيهم فى الدين وليكشف للنبى - صلى الله عليه وسلم - أحوال تلك المدينة ، ونجح مصعب ثم عاد الى مكة ، فابلغ النبى نجاح الدعوة وأن المسلمين فى يثرب آمنون لا يزعجهم اضطهاد كالذى يلقاه المسلمون فى مكة . ووفد على النبى فى موسم الحج التالى (نحو سنة ٦٢٢ م) عدد كبير من أهل يثرب من الأوس والخزرج بينهم المسلم وغير المسلم . وقابل المسلمون منهم النبى - صلى الله عليه وسلم - ليلا عند العقبة ، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين فبايعوه بيعة العقبة الكبرى أو الثالثة (وهى الثانية عند بعض المؤرخين) . وكانت هذه البيعة أوسع نطاقا من البيعة السابقة ، اذ جاوزت الايمان الى حلف يدفع به المسلمون من يثرب أى أذى عن النبى عليه السلام ، وأصحابه . قال الطبرى فى تاريخه انهم أعطوه عهودهم « على انا منك وأنت منا وعلى أنه من جاءنا من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا » . وبهذه البيعة أصبح أهل يثرب « أنصار » النبى يذودون عنه وعن دعوته . واختار وفد يثرب اثنى عشر نقيبا من بين أعضائه لتنظيم الدعوة للاسلام فى بلدهم .

اما الأسباب التى جعلت أهل يثرب بالذات مستعدين لقبول الدعوة الاسلامية فبعضها دينى وبعضها سياسى . وفى رأينا أن الأسباب السياسية كان لها الشأن الأول . فمن الناحية الدينية كان أهل يثرب على اتصال باليهود فعرفوا شيئا عن الأديان السماوية ، ولم تكن النبوة أو الرسالة أو الوحى مصطلحات جديدة عليهم . بل ان اليهود فى يثرب كانوا ينتظرون ظهور نبى من بينهم يجمع شملهم ويعيد لليهودية سلطانها المفقود . وقد أشار ابن اسحق الى ذلك عند كلامه على استجابة الانصار لدعوة النبى فى بيعة العقبة الأولى ، فقال : « وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ، أن يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم . فكانوا اذا كان بينهم شىء قالوا لهم أن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا ، والله انه للنبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام . »

ومن الناحية السياسية كان العرب من أهل يثرب يرون فى النبى عليه السلام الزعيم الذى يستطيع توحيدكلمتهم ووضع حد للخلاف الشديد القائم بين الأوس والخزرج وهو الخلاف الذى أفاد منه اليهود فاستطاعوا أنيسيطروا على اقتصاديات يثرب .

وكانت هجرة اليهود الى يثرب ، مفرق الطريق فى تاريخ الجماعة الاسلامية الناشئة ، فقد كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قبل الهجرة زعيما دينيا فحسب يبشر بمثله العليا ويدعو الى الاسلام ويتحمل الاضطهاد فى سبيل ذلك ولا يفكر فى المقاومة . أما بعد الهجرة فقد أصبح عليه السلام زعيما سياسيا الى جانب زعامته الدينية ، وأصبح للجماعة الاسلامية بزعامته قوة سياسية يحسب حسابها ، وهكذا وضعت الهجرة اللبنة الأولى فى بناء الدولة العربية الاسلامية الواسعة الأرجاء . أما صحبه من المهاجرين فقد قدموا بهجرتهم الى يثرب تضحيات كبيرة وقد اعتلت صحة كثيرين منهم وأسقمهم جو يثرب ، والحنين الى مكة ، فضلا عن فقد أموالهم فى مكة ، والفاقة الشديدة التى صاروا اليها فى يثرب ، وشعورهم بأنهم عالة على الأنصار ، ولم يخفف من هذا كله ما وجدوه عند الأنصار من الترحيب وكرم الوفادة . من أجل ذلك كله كان للمهاجرين بين الجماعة الاسلامية مكانة خاصة ، أشار اليها سبحانه وتعالى فى سورة التوبة (الآيات ٢١ — ٢٢) : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم ومقيم ، خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » .

ومنذ حل النبى فى يثرب — التى أصبحت تسمى المدينة إختصارا ، لمدينة النبى ، كما عرفت بعد ذلك باسم المدينة المنورة — أخذ الاسلام فى الانتشار فيها وبدأ فى احلال السلام بين بطونها محل الخلاف والمنافسات . وكان الرسول بطبيعة الحال قانعا فى أول الأمر بما يلقاه المسلمون فى يثرب من حرية العقيدة غير راغب فى الالتجاء الى القوة لينشر بها الاسلام .

وفى الواقع ان موقف العناصر المخلفة من سكانها يستحق التأمل والدراسة . فأهل المدينة من العرب اعتنق فريق كبير منهم الاسلام وأصبحوا أنصارا للنبى . أما الفريق الآخر وهم المنافقون فكانت له مواقف متناقضة مع المسلمين ، وكانوا يوقعون بين المسلمين ويسببون للنبى قلقا شديدا فى بعض الأحيان ، ولكنهم لم يفلحوا فى القيام بعمل حاسم لصد تيار الاسلام ولا سيما بعد أن نجح النبى فى اقرار الأمن فى المدينة وازالة حدة النزاع بين الأوس والخزرج واليهود ، فضلا عن أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يعمل على هدايتهم ويتغاضى عن دسائسهم .

أما المهاجرون من مكة فكانت المشكلة بالنسبة لهم ايجاد وسائل العيش . وقد حل النبى عليه الصلاة والسلام هذه المشكلة بأن عمل على المؤاخاة بينهم وبين الأنصار فكان يجعل لكل مهاجر أخا من الأنصار ، ويكون لهذا الاخاء حكم اخاء الدم والنسب فيشارك المهاجر أخاه الانصارى فى أسباب العيش والتوارث . وظل هذاالنظام قائما حتى بطلت الحاجة اليه بعد غزوة بدر الكبرى . وظل لهذه المؤاخاة أثرها فى التوارث الى أن نزلت أحكام الميراث فأصبحت أساسا للتوارث . وقد بدأ بعض المهاجرين يشتغل بالتجارة حتى استطاع أن يستقل بالعيش ، كما اشتغل بعضهم بالزراعة فى أملاك الأنصار : ومع ذلك فقد ظل بعض المهاجرين فى فقر شديد ولم يكن لهم مأوى يلجئون اليه فجعل النبى — صلى الله عليه وسلم — لهم صفة مسجده أو داره يأوون اليها وصاروا يعرفون باسم أهل الصفة .

أما اليهود فقد سالمهم النبى فى البداية لأنهم أهل كتاب . وقد رحبوا به أولا وظنوا أن فى استطاعتهم استمالته لاعتناق دينهم ونشر نفوذهم فى شبه الجزيرة وتمكينهم من هزيمة المسيحية التى طردتهم من فلسطين. ولكنهم حين رأوا نجاح دعوته بدأوا فى مقاومته وأخذوا ينكرون رسالته وأمعنوا فى الجدل مع المسلمين ، وأظهر بعضهم اسلامه ليتمكن من اثارة الريب والشكوك التى قد تزعزع عقيدة المسلمين .

ويبدو أن المدينة كان بها بعض المسيحيين ولكنهم كانوا أقلية ضئيلة جدا ، ولم يكن من لهم شأن فى الحياة السياسية والنزاع بين العناصر المختلفة من السكان . ومع ذلك فقد كان واضحا أن الاسلام يعتقد بقربهم اليه ونرى الاشارة الى ذلك فى الآية ٨٢ من سورة المائدة : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون »

وأصبح النبى عليه السلام فى المدينة على رأس الجماعة الاسلامية الناشئة ، وأصبح له سلطان زمنى الى جنب سلطانه الدينى ، فاتجه الى تنظيم المجتمع فيها ولاسيما أنها لم تكن تعرف التنظيمات المدنية والسياسية التى كانت تعرفها مكة قبل ذلك ، فضلا عن أن الخصومات العنيفة بين الأوس والخزرج واليهود أدت الى تكتل كل فريق منها .

وقد وصلت الينا خلاصة هذه التنظيمات التى قام بها النبى — صلى الله عليه وسلم — فى كتاب ، أو صحيفة ، أو وثيقة ، أعلنها النبى — صلى الله عليه وسلم — على الملأ فى المدينة ، وجاء فى أول هذه الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس » .

وهذه الوثيقة التى نقلتها الينا المراجع العربية تضم أحكاما كثيرة خاصة بالعرب وأخرى باليهود . ومن المحتمل

انها كانت في الأصل وثيقتين مستقلتين جمعهما المؤلفون في نص واحد ، وكانت احداهما للعرب والأخرى لليهود ، ولكنهما كانتا في أسلوب واحد .

ولسنا نعرف تماما التاريخ الذى تم فيه هذا الاعلان التنظيمى من جانب النبى عليه الصلاة والسلام ، ولكن الراجح أنه كان تتويجا لجهوده فى سبيل توطيد الامن واقامة حكومة نظامية فى المدينة ، وانه كان بعد النصر الذى حازه المسلمون فى معركة بدر اذ تبينت الحاجة الى مثل هذه التنظيمات لتنظيم العلاقة بين طوائف العرب واليهود، وللرد على محاولة بعض اليهود اثارة الشعب ضد النبى عليه السلام وضد أتباعه فى تلك الفترة الحرجة من الكفاح بين المشركين والمسلمين ولمعالجة الأمور التى نشأ بعضها عقب تلك المعركة . ومن اهم المبادىء التى تضمنها الاعلان الذى نشره النبى عليه السلام فى المدينة ما يأتى :

أولا — « ان المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس » . والملاحظ هنا أن المؤمنين والمسلمين أمة لا تقوم على أساس الدم وانما على أساس العقيدة فهى قابلة للامتداد بحسب من ينضم اليها من المؤمنين الجدد. ومع ذلك فقد اعترف الاعلان بالمجموعات القبلية القائمة ، وأشار الى المهاجرين بوصفهم وحدة ، كما أشار الى قبائل من الأوس والخزرج ، ولكنه لم يترك لهذه المجموعات ما يشعرها بالتكتل الا دفع الفدية والدية وما الى ذلك مما لا يتعارض مع وحدة الأمة .

ثانيا — ان لافراد هذه الأمة جميعا نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وانهم متضامنون فى اقرار العدالة ومقاومة المعتدى ومساعدة الضعفاء والمحتاجين منهم . فالمؤمنون جميعا على من بغى من تلك المجموعات أو سعى الى الظلم والفساد بينهم و « أن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم » وهذا النص الأخير صريح فى القضاء على دعوى الجاهلية : انصر أخاك ظالما أو مظلوما .

ثالثا — سمح لمشركى يثرب بالدخول فى هذه المجموعة باعتبارهم ممن « تبع المسلمين فلحق بهم وجاهد معهم » ومع ذلك فانهم لا تكون لهم حقوق المسلمين كلها ، لأن الاعلان نص صراحة على أن « لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن . »

وهكذا نرى النبى على الصلاة والسلام يميز مشركى يثرب على مشركى قريش ، ولا عجب فان المشركين فى يثرب لم يضطهدوا النبى — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ، ولم يخرجوهم من ديارهم ، ولم يكن لهم شأن يذكر فى مقاومة الاسلام . وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — يأخذ المشركين فى يثرب باللين ولا ييأس من هدايتهم ، فضلا عن أنه كان يأخذ الروح القبلية فى المدينة بالاعتبار ، ولا يريد أن يقدم على اقصائهم من الشئون العامة فى مدينتهم محافظة على الوحدة ورعاية لذويهم من الأنصار .

رابعا — ان الحكم فى هذه الأمة الواحدة التى أعلن محمد عن قيامها هو لله تعالى ويمارسه رسوله محمد . فقد جاء فى الوثيقة « انه ماكان بين اهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله » . وطبيعى أن تفويض هذه السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية لمحمد عليه الصلاة والسلام كان يستند الى آيات قرآنية كريمة ، فقد قال تعالى فى سورة النساء الآية ٥٨ : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » . وقال تعالى فى سورة النساء الآية ٦٤ : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وقال تعالى فى سورة النساء الآية ٦٨ : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ».
وقال تعالى فى سورة النساء الاية ٧٩ : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » .

وقال تعالى فى سورة الاحزاب الآية ٣٦ : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ».
وطبيعى أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يمارس هذه السلطات مهتديا بأحكام التنزيل ، وأن دستور الحكم فى الأمة الاسلامية هو القرآن والسنة ، وليس العرف أو التقاليد القبلية .

خامسا — أن مشركى قريش لا محل لهم فى هذه الأمة الاسلامية فقد نصت الوثيقة على أنه « لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وانه لاتجار قريش ولا من نصرها » .

وطبيعى أن النبى — والمسلمين كانوا يعتبرون مشركى قريش العدو الأول للاسلام . ومن الملاحظ أن حظر اجارة أى مال أو نفس من قريش حظر على المشركين فى يثرب لأنهم هم الذين كان يخشى منهم ذلك . أما المسلمون فلم يكن هذا الحظر محل بحث بالنسبة لهم .

سادسا — أن يكون موقف أفراد هذه الأمة الاسلامية واحدا فى الحرب والسلم ، فيشترك الجميع فى القتال متساوين ، ويتعاقبون عليه فى عدل ومساواة ويشتركون فى الدفاع عن الأمة الاسلامية . فقد نصت الصحيفة على « أن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » والمولى هنا بمعنى الجار أو الحليف وليس بمعنى السيد أو العبد المعتق . كذلك نصت الوثيقة على أن مسالمة المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم ، وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا » . كذلك نصت الوثيقة على « أن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله » والبواء فى اللغة السواء ، أى أن المؤمنين بعضهم لبعض كفء . وهكذا أصبح الحرب والسلم من شئون الأمة وليس من شئون الافراد ، وأصبحت الأمة الاسلامية هى التى تثأر للمسلم . وكان هذا بداية لتحول الثأر الى عقوبة مدنية .

سابعا — أن لأفراد هذه الأمة الاسلامية ما كان فى النظام القبلى من حقهم فى أن يحموا ويجيروا من يريدون وأن يلتزموا العهود التى يريدونها ، وأن الامة تتقيد بهذه الحقوق . فقد نصت الصحيفة على « أن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » ولكن هذه الحقوق لا تنصرف الى حماية المشركين من قريش أو حماية أموالهم .

والملاحظ أن اقرار الحقوق القبلية القديمة فيه رعاية للفرد وحقوقه المكتسبة فى بيئته .

ثامنا — ان احكام هذه الوثيقة تنصرف الى اليهود فقد نص على « أن من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » وعلى اليهود المشاركة فى

الدفاع ضد أى هجوم على المدينة . ولكن احكام الوثيقة ليست واضحة بشأن اشتراك اليهود فى الحرب الهجومية التى يقوم بها المسلمون خارج المدينة والراجح أنه لم يكن يطلب منهم فى هذه الحالة الأخيرة الا أن يقفـوا موقف الحياد ولا ينعروا خصوم المسلمين .

وتضم الوثيقة نصا عن اليهود يشير الى « انه لايخرج منهم أحد الا باذن محمد » والراجح أن المقصود هنـا أن لا يسمح لليهود بالخروج لأى قتال الا بموافقـة النبى عليه الصلاة والسلام .

وهكذا لا يجوز لليهود أن يحالفوا أحدا ويهموا لنصرته ولا أن يهاجموا أحدا الا بموافقته عليه الصلاة والسلام . وطبيعى أن هذا كان يهدف الى القضاء على احتمال لقيام حلف بين اليهود ومشركى قريش .

ونصت الوثيقة على أن يتحمل اليهود نفقاتهم الخاصة حين يحاربون مع المسلمين . وطبيعى أن ذلك كان يتبعه أن يكون لهم نصيبهم من الغنائم فى مثل هذه الحرب .

وتركت الوثيقة لليهود حريتهم الدينية الكاملة فقـد نصت على أن « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم أو أثم فانه لا يوقع الا نفسه وأهل بيته » كما تركت لهم أموالهم ونصت على أنهم من حيث المصلحة العامة متساوون بالمسلمين .

تاسعا ـ نصت الوثيقة على أن تكون مدينة يثرب حرما « لأهل هذه الصحيفة » أى للذين وجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليهم هـذه الوثيقـة أو الاعلان وهم « المؤمنون والمسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم » ، فلا يجوز لهم القتال فيها والمقصود بطبيعة الحال وضع حد لأى حروب داخلية فى المدينة .

عاشرا ـ يتضح من الوثيقة أن السلطة القضائية كلها أصبحت مركزة فى يد النبى عليه الصلاة والسلام .

ويشهد تطبيق هذا المبدأ على اليهود بأن الوثيقة كانت بعد النصر الأدبى والسياسى الذى ناله النبى والمسلمون فى معركة بدر .

والواقع ان ما يتجلى من عناد اليهود ومساجلاتهم مـع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن ينتظر معـه خضوعهم للنبى فى الأمور القضائية . ولكن الواقع أنهم كانوا يخشون المسلمين ولا سيما بعد انتصارهم فى بدر ومحالفتهم القبائل العربية الضاربة بين المدينة وينبع ، فضلا عن أن اليهود كانوا قد انقسموا على أنفسهم حتى لقد حدث بعد ذلك أن اقـدم المسلمون على قتال بعض القبائل اليهودية وحاصروها وانتهوا باجلائها عن المدينة فلم تحرك سائر القبائل اليهودية ساكنا .

وقد مر بنا أن الوثيقة كفلت الحرية الدينية لليهود وطبيعى أن من شأن ذلك أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يقضى فيما يعرض عليه من شئون اليهود وفقا لاحكام دينهم ، اللهم الا فى مسائل الحرب والسلم وما الى ذلك من الشئون العامة التى ترتبط بكيان المدينة والتى تعرضت لها هذه الوثيقة .

وهكذا نرى أن هذه الوثيقة من جانب النبى عليـه الصلاة والسلام اقرت ما لا يتعارض مع وحدة المسلمين من التقاليد القديمة ، ولكنها وحدت كلمة الجماعة الاسلامية ونظمت صفوفها وبثت التعاون والتضامن بين افرادها ، وجعلت اساس هذه الجماعة الدين وقدمته على صلة الدم ، كمـا جعلت لهذه الجماعة شخصية سياسية لها على المسلمين حق التضامن فى السهر على الصالح العام واقرار الأمن ومعاقبة المفسدين . كما أنه عليه الصلاة والسلام أخـذ غير المسلمين بالحسنى وترك لهم حرياتهم الدينية غيـر يائس من هدايتهم الى الدين الجديد ولكنه لم يتساهل فى أى شىء يهدد كيان الجماعة الاسلامية .

والملاحظ أن هذه الوثيقة يعترض على قيمتها التاريخية وصحة نسبتها الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك لأنها لم ترد الا فى سيرة ابن اسحق التى نقلها الينا ابن هشام ، وانها تنصرف فى بعض نصوصها الى اليهـود والمشركين مع أنها تبدو صادرة من جانب واحـد وليس كمعاهدة كان اليهود أحد أطرافها المتعاقدة فيها ، كما قد يعترض على الوثيقة بأن نصوصها فيها تكرارا وصياغتها بعيدة عن الترتيب .

ومع ذلك فان هذه الاعتراضات يمكن الرد عليها بأن ابن اسحق الذى نقل الينا بواسطة ابن هشام أول من أرخ للسيرة وانه مصدر قديم جدا . ولعله انفرد بايراد هذه الوثيقة لأن سيرة ابن اسحق خاصة بحياة النبى ـ صل الله عليه وسلم ـ واعماله ، ومطولة ، وتسمح بالاسهاب فى كل ما يتعلق بها . وفضلا عن ذلك فاننا لا نعرف مرجعا قديما عرض لهذه الوثيقة وكذب ما كتبه ابن اسحق بشأنها . أما عن صدورها من جانب واحد فقد رد على مثل هذا الاعتراض بأن انتصار المسلمين فى بـدر واتساع سلطانهم فى المدينة وضرورة تنظيم الجمـاعة الاسلامية الجديدة جعل النبى فى مركز يسمح له باملاء كلمته ووضع النظم التى يرتضيها على نحو ما يفعل قواد الثورات السياسية أو الاجتماعية التى تكلل بالنجاح .

أما عن لغة هذه الوثيقة وما فى نصوصها من تكرار فالراجح أنها استعملت ألفاظا وتعابير كانت شائعة آنذاك ثم قل استعمالها تدريجيا ، والراجح أيضا أن ما فيها من تكرار ونقص فى الوحدة وانسجام التاليف انما يرجع الى أنها نقلت فى البداية بطريق الرواية الشفوية ولم تدون الا فى العصر العباسى فضلا عن هذا كله فان هذه الوثيقة وثيقة تشريعية لم يكن فى مصلحة أحد وضعها أو تزويرها .

والواقع أن وثيقة النبى انتهى تطبيقها بالنسبة لليهود فى المدينة بعد غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة ، اذ تمت سيطرة النبى عليه الصلاة والسلام على المدينة بعد أن انتصر على آخر قبيلة يهودية فى المدينة وهى قبيلة بنى قريظة .

أما بالنسبة لقريش ولسائر القبائل العربية فان صلح الحديبية قد فتح الباب أمام الرسول فى السنة السابعة للهجرة للتحالف مع من شاء من القبائل ولعل حكم هذه الوثيقة وتطبيقها انتهى بفتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة ، وذلك نتيجة لتغير مركز المسلمين ، اذ أصبحوا أكبر قوة فى شبه الجزيرة العربية وأصبح من الضرورى وضـع دستور جديد يطبق فى أنحاء شبه الجزيرة . ولكن ظهور بوار الفتنة وحركة المرتدين فى أواخر أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، حال دون وضع دستور شامل جديد .

وكان لزاما على أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام أن يوحدوا بين سكان جزيرة العرب وأن يضعوا نظـاما لحكم الأمة الاسلامية .

الجوانية

الأستاذ عثمان أمين

الجوانية : أصول عقيدة وفلسفة ثورة — فلسفة ترى الأشخاص والأشياء رؤية روحية وتسعى الى تزكية الوعى والحرية ، وتعالج غربة الانسان فى المجتمع المعاصر .

ما أكثر ما يتجنى الناس على الفلسفة فى أيامنا هذه ، تجنوا عليها باسم الدين ، زاعمين أن وراء الايمان بالوحى والنقل لا يوجد الا الفراغ والعدم . وتجنوا عليها باسم العلم ، زاعمين أن وراء تجربة الحس ومقاييس الكم لا يوجد الا الخيال والوهم . وتجنوا عليها أخيرا حين ظنوا أن كل المذاهب التى تباهى اليوم بالانتساب اليها هى مذاهب تمثلها حقا ..

وما ينبغى للفلسفة أن تسكت على هذا التجنى . الفلسفة قبل كل شىء قلب وعقل : انها تعتمد على العلم كما تعتمد على الايمان ، وليس معنى هذا أن يصدق الفيلسوف كل شىء دون فحص ونظر، ولا أن يرفض كل اعتقاد لايستطاع البرهنة عليه : فبين هذين الطرفين المتقابلين تقف الفلسفة كما يرى « مين دوبيران » : « تأخذ بينهما مكانها ، فتنظر الى الروح الانسانى كما هو بتمامه دون تشويه » الفلسفة ، أو علم الحكمة ، تقيم حدود العقل وتجعل للاعتقادات نصيبا »

ذلك أن الفلسفة لا تستطيع أن تجاوز نطاق « الوعى » الانسانى ، أو تخرج عن الشعور النفسانى . والوعى الانسانى نوع من « الكشف » الباطنى أو « الوحى » الداخلى . وهو على أنحاء : فيكون وعيا عقليا أو دينيا أو أخلاقيا . ولذلك وجدنا الفلاسفة الحقيقيين متفقين على الحقائق الثلاث الكبرى : روحية النفس ، ووجود الله ، وقانون الأخلاق . وفى الوعى الانسانى مستويات كثيرة من الوجود ، وفيه مراتب عديدة من الكمال . ولكن التجريبيين لم يروا فيه الا المراتب الدنيا ، مراتب

الأحاسيس ، في حين أن العقليين انما رأوا المراتب العليا ، مراتب الأفكار .

وقد سبق لى أن أشرت الى مذهبى الفلسفى فى بعض كتبى ومقالاتى ، وصرحت به لتلاميذى فى أحاديثى ومحاضراتى . ولكنى سأتحدث اليوم عنه حديثا مجملا متصلا ، فأقول :

اخترت لفظ « الجوانية » عنوانا على فلسفة اهتديت اليها بعد طول درس وتأمل ومعاناة . ولئن يكن مفهوم هذه الفلسفة جديدا على مفاهيم الفلسفات المعاصرة فليس اسمها بجديد على اللغة العربية : فالجوانى والبرانى لفظان عربيان فصيحان ، (وردا فى حديث نبوى شريف : « روى الحارث الهمدانى عن أمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا على : ما من عبد الا وله جوانى وبرانى ، بمعنى سريرة وعلانية. فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه . ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه) » .

واذا كنا لا نزال نستعمل لفظ الجوانى والبرانى فى لغتنا الجارية، فلست أرى داعيا جديا للتزمت أو التحرج من استعمال اسم « الجوانية » عنوانا على مذهبى ، واسم « البرانية » وصفا للمذاهب الأخرى التى أقف منها موقف المعارضة .

وقد يسأل القارىء عن « الجوانية » ما هى ، فأقول : انها فلسفة تحاول أن ترى الأشخاص والأشياء رؤية روحية ، بمعنى أن تنظر الى « المخبر » ولا تقف عند « المظهر » وأن تلتمس « الباطن » دون أن تقنع « بالمظاهر » ، وأن تفحص عن « الداخل » بعد ملاحظة « الخارج »، وأن تلتفت دائما الى « المعنى » والى « القيمة » والى « الماهية » والى « الروح » من وراء اللفظ والحس والظواهر والأعراض .

وينتظر القارىء منى طبعا أن أشرح هذه التعريفات المجردة ، ولكنى سأدعها الآن لأقدم صورة أدبية جميلة أنقلها عن مقال حديث لكاتب عربى لماح ، وهى صورة قد تعطى ـ مؤقتا ـ فكرة بسيطة عما أعنيه بالنظرة الجوانية :

روى أن سقراط رأى مرة رجلا وسيما بدينا شديد القوى متين الأركان ، فقال له : « ياهذا كلمنى حتى أراك » يقصد بذلك أن يقول له : كلمنى حتى أرى ألك قلب ؟ ألك عقل ؟ أعندك ذوق ؟ أم ان المسألة لا تعدو هذه المادة التى أراها أمامى تأكل وتشرب وتلهو وتلعب ، وتصعر خدها للناس ، ثم تموت فستحيل الى تراب تدوسه الأقدام . أفى هذا الاطار وحده تدور ؟ أم لك بجوار هذا قلب يؤمن بالله ؟ وعقل فيه من التجارب والحكمة والمعرفة ما يجعلك انسانا فى مخبره ومظهره ؟

وروى كذلك أن بعض الخلفاء خرج مع بعض وزرائه وندمائه للتنزه والصيد ، وأخذوا معهم الشطرنج ليروحوا به عن أنفسهم عند الحاجة. وبينما هم على لوح الشطرنج ينقلون البيادق، واذا برجل على هيبة ورواء وجمال رآه الخليفة، فغطى اللوح وجلس جلسة الخلافة ، اذ كان يحرص على أن لا يظهر فى اللعب الا مع خلصائه . وجلس الرجل ، فأخذ الخليفة يسأله عن شىء من القرآن فلم يجد عنده منه شيئا . وسأله عن شىء من تاريخ العرب وأيامهم فلم يجد عنده منه شيئا أيضا . فما كان منه الا أن كشف عن لعبته وقال لوزيره :

« العب فما معنا أحد » !

وواضح من هاتين الروايتين أن الحكيم اليونانى والخليفة العربى كانا ينظران الى الأشخاص نظرة جوانية ، وأن الانسان عندهما ليس بمظهره بل بمخبره ، وليس بماله وجماله ، بل بأصغريه قلبه ولسانه . وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى العميق فى قوله : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم » (٢٢ : ٣٧) وقوله : « قالت الأعراب : آمنا . قل ، لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .. وعبر عنه عليه السلام فى قوله : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » وقوله : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل أمرىء ما نوى » .

وأعود الآن الى شرح « الجوانية » شرحا فلسفيا، فأستعير كلمة أخرى للفيلسوف «من روبيران » اذ يقول : « فرق كبير بين أن نعرف الحقيقة بأذهاننا ، وبين أن نجعلها حاضرة على الدوام فى نفوسنا » • يقصد بذلك أن يميز بين حقيقة عرفنا رسومها وحفظناها وحقيقة ملأت قلوبنا وعشناها كما نميز نحن بين صلاة هى عبارة عن الفاظ وحركات تؤدى أداء آليا ، وصلاة هى مناجاة لله ، تعصم من الفحشاء والمنكر والبغى ، وكما نفرق بين صيام هو امساك عن الطعام والشراب، وصيام هو امساك عن أذى الناس بالقول أو العمل • وقس على ذلك سائر الأشياء التى تقال أو تؤدى من غير وعى ، انها تختلف اختلافا عميقا عن « الأشياء التى يضع الانسان نفسه فيها » ، ان صح هذا التعبير ومن أجل ذلك كانت « الجوانية » عندنا مرادفة « للوعى » وكانت « البـرانية » مرادفة « للآلية » •

واذن فالفلسفة الجوانية تنطوى على ضرب من الميتافيزيقا يمكن أن نسميها ميتافيزيقا « الرؤية الواعية » • وبديهى أن هذه الرؤية ليست هى الرؤية الحسية الفزيولوجية، بل هى رؤية جوانية نفسية أو الرؤية بعيون الروح ، كما كان أفلاطون يقـــول • وهذه الرؤية الانسانية الواعية انما تتجلى فيها حكمتنا وتجربتنا وروتينا ، كما بين لنا الفنان حامد سعيد فى نظريته الطريفة عن رؤية الأشياء الطبيعية ، والفلسفة الجوانية ، اذ تروم معرفة الأشياء والأشخاص معرفة ميتافيزيقية حقيقية أى معرفتنا عن طريق « المبادىء » ، ومن الداخل وبنوع من التأليف الحدسى ، انما تنادى بما نادى به برجســـون ، من وجوب التفرقة بين طريقين فى المعرفة مختلفين جدا : أحدهما طريق الرؤية الجوانية والنفـاذ الى الروح ، بالتعاطف القلبى والمشاركة الوجدانية، والثانى طريق الرؤية البرانية « بالتفرج » من الخارج والمشاهدة الحسية أو التحليل المنطقى : فلو أن مدينة ما أخذت لها صور فتوغرافية من جميع الأوضاع الممكنة ، فجميع تلك الصور – مهما كمل بعضها بعضا – لن تعدل تلك النسخة البارزة التى هى المدينة التى نتحول فيها • ولو أن قصيدة من الشعر ترجمت الى جميع اللغات الممكنة ، فجميع تلك الترجمات ، مهما بذلنا فيها من محاولات لحسن الصياغة ، ومهما زدنا عليها من محسنات وتنقيحات ، لكى تعطى صورة تزداد اقترابا من القصيدة الأصلية ، فما هى بمعطية أبدا المعنى الباطنى للأصل الذى نقلت عنه : فالصـــورة اذا أخذت من مواضع معينة ، والترجمة اذا صنعت برموز معينة ، تبقى كلتاهما دائما ناقصة بالقياس الى الشىء الذى صور أو الشىء الذى تحاول الرموز أن تعبر عنه » •

والواقع أن الفـكر الميتـافيزيقى هو فى صميمه وعى متدبر للعلاقة بين الروح والوجود: لا نزاع فى أن غاية الميتافيزيقا أن تؤدى الى معرفة • ولكن لن يكون لدينا فكرة عن هذه المعرفة ، ما لم يكن هنالك جهد يبذل للتأمل والروية فى خلوة روحية • واذن فأول شروع الفكر الميتافيزيقى هو مجاوزة المظهر، ولو وقف النظر الميتافيزيقى عند التسـجيل الخارجى لتخلى عن رسالته• النظر الميتافيزيقى الحقيقى يريد أن يصل الى رؤية الأشياء رؤية من شأنها أن تجتاز الأشياء مرحلة الظواهر ، وأن تكتسب جوانية هى جوهرها وماهيتها ولبابها •

والنظر الميتافيزيقى التأملى الجوانى يقربنا من الأشخاص ويدنينا من عالم الانســـان على خلاف النظر التحليـلى المنطقى أو التجريب الحسى فان الوجود ليس شيئا قد فرض علينا من الخارج ، وانما نحققه فى الخارج بما نمنحه من تصديق وما نقدر له من قيمـــة ، وهو يكتسب صفة التماسك والجوانية فى ذلـك المنح والتقدير •

لذلك كانت الجوانية عندنا مرادفة للحرية: لأن الحرية عبارة عن وعى يصاحبه فهم • واذا أراد الانسان أن يطلب هذه الحرية، فلن يجدها فى شىء من الأشياء الخارجيـــة ، كانطلاق الجسد واشباع النزوات والشهوات ، أو وفرة المال وذيوع الصيت ، بل انه واجدها فى نفسه التى بين جنبيه ، وواجدها فى أمر مطلق

مستقل عن كل ما عداه ، وهو قدرته على الحكم، أى استطاعته القبول أو الرفض أو التوقف عن اطلاق أى حكم ـ وذلك هو معنى الحرية عند الفلاسفة الرواقيين •

ووجدت هذه الحرية الجوانية نفسها فى الأخلاقيات الديكارتية التى ترمى الى سيطرة النفس على أهوائها وانفعالاتها : فالنفس الواعية المطمئنة انما ترتفع فوق المزاج المتقلب الحائر، وتصمد لقسوة الأقدار وصروفها ، واثقة من ذاتها لأنها مستكفية بذاتها ، معتزة بأنها من جوانيتها فى حصن منيع • ومع ذلك فالحكيم الديكارتى لا يعيش فى برج من العاج ، معتزلا الناس : انه رجل « كريم » فهو لذلك يمضى قدما لغزو الطبيعة بعد الكشف عن أسرارها، ومتى تم له أن ينمى وعيه لذاته ، يتعمق صلته بالكون ، ومتى تم له أن يتبين القيمة الحقيقية للأشياء ، وأن يزهد فى كل ما هو برانى ، فلا شىء يحول بينه وبين أن يغامر فى الدنيا ، لكى يستمتع بها فى الحدود المشروعة ، ولكى يقدم المحبة والمعونة لغيره من عباد الله الصالحين •

وانتقلت الى الفيلسوف « كاندل » فوجدت هذه الحرية ممثلة فى فكرته عن القانون الأخلاقى • القانون الأخلاقى عنده « أولى » أو « متقدم بالرتبة » ، وبعبارة أخرى ، القانون الأخلاقى « جوانى » وسابق على كل تجربة ، وليس مكتسبا من الخارج • وارادة الانسان حين تعمل على نحو أخلاقى، تخضع لقوة خارجة عنها كاللذة أو المصلحة أو الشعور ـ بل ان ناموسها من ذاتها ، واذن فهى ذاتها مصدر سيادتها واستقلالها • وفلسفة كاندل السياسية تقرر هذه الحرية الجوانية فى علاقة الأمم بعضها ببعض ، بصورة لا يعرف التاريخ لها نظيرا : فهى تؤكد حق الشعوب جميعا فى تقرير مصيرها ، ومقاومة كل تدخل أجنبى فى شئونها ، أو محاولة فرض أى وصاية عليها : فليست الدولة متاعا يقتنى ولا سلعة تباع وتشترى وانما هى جماعة انسانية ، حرة بمحض انسانيتها ، فلا يحل لأحد أن يفرض سلطانه عليها •

وبعد فقد اتضح للناس جميعا أن أزمة العالم الحديث مرجعها الى غلبة نوازعه البرانية على مطامحه الجوانية • وان شئنا قلنا ان سبب هذه الأزمة أن عضلات السياسيين أصبحت أقوى من قلوبهم ، كما قال جمال عبد الناصر • لقد اهتزت أرجاء الدنيا فى الحرب العالمية الأخيرة • وما كادت الانسانية المكروبة تتنفس الصعداء وتتطلع الى الفرج بعد الشدة ، حتى أخذت تتلمس السبيل الى درء كارثة عالمية جديدة • وأحسب أن الملاذ الأخير للانسانية هو الاستمساك بعرى الفلسفة الجوانية : ولا غرو فان هذه الفلسفة تحاول جاهدة أن تحدد المهمة الأصلية للفلسفة ، وهى أن تكون « حارسة للمدنية » كما أرادها أفلاطون ، وأن تعيد الى العصر الذرى ـ عصر « المادية التاريخية » و « الوضعية المنطقية » ـ الشىء الأصيل الذى افتقده الناس وهم أحوج ما يكونو اليه : وهو الايمان بالله والولاء للانسان •

الدين عدو الاستعمار

للأستاذ عبد الحميد الدواخلى

ما اختلف الناس في شيء قدر اختلافهم فى أمر الدين، ومع ذلك فهم اذا عرضت لهم قضية من القضايا هرعوا اليه ، بين مختبر لمقدرته، أو لائذ بحكمته ، بين آخذ منه أو ناقد له ، أو متهجم عليه أحيانا ، والدين مع هذا وبرغم هذا كالطود الشامخ على شاطىء محيط ، يهدر الموج من بعيد ، ولكنه يتفانى حين يبلغ قدم الجبل .

ولقد شاعت فى الناس أكذوبة كبرى تضع الدين من النفس البشرية محل المخدر من عقل المدمن ، وكان رواد هذه الفرية هم الفلاسفة الماديون ، وفى مقدمتهم ماركس ، حين زعم أن الدين الذى يربط الناس بخالق ميتافيزيقى هو « أفيون » يصرف الشعوب عن المطالبة بحقوقها ، واستجابت لهذه الفرية شعوب قاست ظلم طغاتها الذين استعانوا بالكنيسة فى قمع الحركات التحررية ، فكان أن التصق الظلم بالكنيسة ، وهى بيت الدين ، فالتصق بالدين عن طريق الملازمة المنطقية ، فحين كره الناس الكنيسة كرهوا الدين الذى يصدر عنها ، ومن ثم شاع فى الناس ابان الثورة الفرنسية تلك القولة التى تصور الحملة على الدين فى أعنف صورها : « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ! » .

ذلك أمر يتصل فى أصوله وفى مجال انتشاره بالمسيحية فى أوربا لظروف صاحبت التطور الصناعى منذ بداية عصر النهضة ، وهو لا شك غير منطبق على كل دين ، لأن اختلاف الظروف هو الذى يفرق بين المواقف، وأقرب ما يعرض لنا فى هذا المقام من انتصارات الدين فى ميدان السياسة أن نجد أن الاسلام البرهمية قد استطاعا بتعاونهما تحرير الهند ، وطرد الاستعمار الانجليزى من أرض ظل يستعمرها ثلاثمائة عام أو تزيد . كان ذلك حين استيقظ فى الناس الضمير الدينى الذى أضاء لهم سبيل الكفاح .

ومع أن الدين قد صنع معجزات فى تحرير شعوب كثيرة فى العصر الحديث ، وفى قمع مظالم قارفها الاستعمار زمنا طويلا فى

المستعمرات الافريقية والاسيوية ، فان الناس ما زالوا يتساءلون : هل الدين حقا عدو الاستعمار ٠٠؟ وكان مبعث التساؤل أنهم وجدوا بعض الطوائف التى تنتسب الى الدين تعيش عيشة متواكلة متبطلة ، كما تعيش الديدان الضارة فى الماء الآسن ، تطلق لحاها ، وترسل أوهامها وخرافاتها فى الناس باسم الدين ، وغلب على الناس أن هؤلاء هم وحدهم أهل الدين الخالص ، لأنهم الطيبون أو أهل الباطن ، الى غير ذلك من الدعاوى الفاسدة ، وزاد الأمر سوءا فى نظر طائفة كبيرة من المتعلمين فى العالم الاسلامى أن بعض الطرق والطوائف التى تنتسب الى الدين قد تعاونت تعاونا مثمرا مع الاستعمار ، سواء فى شمال افريقية أم فى الهند ٠

وكان على المكافحين ضد الاستعمار هنالك أن يقضوا أولا على هذه الصفوف الخلفية المتآمرة لكى يأمنوا سلامة ظهورهم من طعنات الخيانة التى ترتدى مسوح الدين، فلما بلغت هذه الحركات التحررية مداها عد انتصارها على الخونة انتصارا على الدين فى نظر البسطاء ، أو هكذا أرادوا ، رغم أن القليل من التأمل يكفى للفصل بين الدين وبين أعدائه من تجارة المتنطعين !

والقليل من التأمل هنا ينبغى أن ينصرف الى بعض نصوص من الدين قاطعة فى تحديد موقفه من الاستعمار والمستعمرين ، وهى بالتالى تحدد موقف المؤمنين من أعداء الدين ٠

فالاسلام يعتبر الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ٠

وهو حين توجه الى الناس بالخطاب قد قصد الى أن الناس فى حقيقة أمرهم متساوون فيما يستحقونه من الحرية ، وفيما عليهم من مسئولياتها ، ومن ثم حرم استرقاق الانسان لأخيه الانسان أو اذلاله له ، وكان من هدى النبوة ولا شك أن ينطق عمر بن الخطاب فى وجه عامله « عمرو بن العاص » الذى تجاوز ولده الحد فى معاملة المصريين بتلك القولة المشهورة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ! ؟ » ٠

وكان المصريون آنذاك ولما يدخلوا فى دين الله ، ولكنها المساواة التى قررها الاسلام للناس جميعا دون تفرقة ٠

هذا الأساس الدينى الذى قام عليه بنيان الدين الاسلامى كان ولا شك بحاجة الى قوة تحميه من عوامل التخريب والوهن، فكان من فرائض الاسلام الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ، من أجل حماية الأرض ، والعرض ، والمال ، ومن أجل نشر العقيدة الخالصة ٠٠ عقيدة تحرير البشر من الخضوع لغير الله ، فكان من تعاليم الدين: أن من مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن مات دون أرضه فهو شهيد، ومن مات دون دينه فهو شهيد ، وكان من هدى النبى – صلى الله عليه وسلم – : « أن من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو فقد مات ميتة جاهلية » ٠

وكان من هدى السنة أن العدو اذا هاجم أرض الاسلام كان فرضا على جميع المسلمين أن يهبوا للذود عن بلادهم ، تخرج المرأة لهذا الغرض بغير اذن زوجها ، والعبد – ان وجد – بغير اذن سيده ٠ وليست هذه مبالغة ، انما هى اجراء للتعبئة العامة التى تحشد كل القوى فى مواجهة العدوان ٠ وهى تعبئة لا يعفى منها سوى الضعفاء والمرضى والاطفال، أما غير هؤلاء فهم مكلفون بالجهاد وحتى يتم اجلاء الغاصب عن أرض الوطن ، وهم أيضا منطلقون طواعية، أسخياء بأرواحهم ، بحكم ايمانهم بالله ، وغيرتهم على بلادهم ، وعلى دينهم ، ولأنهم يعلمون أن من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله الفرار يوم الزحف ، وقد نعى القرآن على بنى اسرائيل حرصهم على الحياة ، وتضحيتهم بالوطن خوف الموت : « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؟ فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ٠٠ »

ومن ذلك وغيره يتبين أن الدين الذى كره العدوان من فرد أو من جماعة على غيرهم قد دعا أتباعه الى أن يتخذوا أهبتهم ، ويعدوا عدتهم كاملة لملاقاة العدو « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

والاستعمار الذى داهم البلاد الاسلامية منذ بعيد يمتص خيراتها ، ويستعبد أهلها هو أخطر ما واجه الشعوب من العدوان بغير حق ، فهو فى الحقيقة استرقاق للأحرار بالجملة ، والدين قد حرم الاسترقاق فى سائر صوره ، وهو سرقة وتلصص ، والدين قد جعل جزاء المفسدين هكذا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض وهو ظلم صارخ والدين قد حرم الظلم ، ودعا الى الثورة عليه فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - :

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وهو عدوان على بلاد آمنة وتدمير لحضارات عريقة ، وتهديد لقيم انسانية خالدة من الحب والعدل والمساواة ، وليس فى الدنيا أثمن من أن يموت المرء فداء هذه القيم التى بدونها تصبح الحياة غابة صراع ، ويصبح الناس وحوشا ضارية ، يتآكلون ويتفانون ، وبذلك يكون الاستعمار فى الحقيقة عدوانا على الحياة الانسانية ذاتها ، مهما اتخذ من الأسباب والذرائع ما يبرر به عدوانه ، ومهما ادعى حسن القصد فى غزوه البلاد .

بقى أمر هام ينبغى أن نشير اليه هو أن الاستعمار - فى رأينا - كان رد فعل للأوضاع التى سادت العالم الاسلامى فى عصور الانحطاط ، تلك الأوضاع الضعيفة الواهنة التى أغرت غزاة أوربا بالعدوان على البلاد الاسلامية لاقتسام تركة « الرجل المريض » ، كما كان شائعا آنذاك .

ومن حقائق الدين أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فاذا كان المسلم يريد الخلاص فعلا من الاستعمار فان عليه أن يتحرر أولا من العوامل التى جلبت الاستعمار الى بلاده ، عوامل « القابلية للاستعمار » ولا خير فى حرية تصحبها الفوضى والخمود ، ولا أمل فى معركة ما لم يعد لها ما يلزمها وفوق مايلزمها من القوى النفسية التى تحصن الشعوب ضد عوامل التحلل والاستسلام .

ومن أعظم القوى التى تضمن لشعوبنا التماسك فى مواجهة العدو أن يعود الناس الى حظيرة الدين ، وأن يرجعوا الى تعاليمه ككل ، وأن يتناولوها أجزاء ومزقا ، لا تسمن ولا تغنى . فالله قد أنزله دينا ينتظم شئون الدنيا والآخرة ، فليس من المنطق ولا من الخلق أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض . والدين حين دعانا الى الجهاد العسكرى دعانا أيضا من قبل ذلك الى الجهاد النفسى ، واستغلال أيام السلم لهذا الجهاد الشاق العسير .

ان أمامنا معارك خطيرة ستدور رحاها على أرضنا ، وأرض أى عربى هى أرض العرب جميعا ، ستكون معارك مقدسة لتحرير أرض العربة التى بارك الله حولها . والعدو ليس بغافل ، والزمان لا يرحم المغلوب وانما يصفق للغالب . لقد دخلنا من قبل معركة لم نتسلح لها بغير الفساد ، فكان أن ضاعت فلسطين ، وبقى علينا اليوم أن نسترد ما فقدناه وأن نثأر لشهدائنا الأبرار . سيكتب لنا النصر الكبير ، ونسجل بدمائنا على صفحة التاريخ قصة كفاح خالدة ، قصة كفاح العرب متآخين ، متعاونين ، متساندين أمام قوى البغى والاستعمار فى اسرائيل وفى الجنوب العربى وفى كل مكان من أرض العروبة .

ليس اليوم كالأمس وان غدا لناظره قريب ! لقد آمن رؤساء العرب وملوكها بأن لا سلام لضعيف ، ولا أمان لمستكين وأن السلبية داء يقتل الشعوب وينكل بها تنكيلا ! والشعوب العربية وحدها هى التى تعد صمام الأمان للحاضر والمستقبل على السواء ، والعون الخارجى الذى يسند حكما أو نظاما ليس سوى ظل زائف وخيانة لارادة الشعوب !

فالى الأمام دائما ، أيها العرب ، واحملوا عبء الحضارة الانسانية على كواهلكم كأقوى ما تكون الكواهل وأكرم ما يحمل العبء !

ثورتنا

ثورة الحق والكرامة

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

فى غمرة احتفال الأمة بعيد الثورة المجيدة يجمل بنا أن نلقى الضوء على جانب من أهم جوانبها العظيمة ، التى حددت معالمها ووضحت أهدافها ، وضمنت مؤازرة الشعب لها ، لتجاوبها مع الفطرة ، وتلبيتها نداء الطبيعية فى صورتها الخيرة الكريمة ، وأية حركة من حركات الاصلاح يدعمها المنطق وتؤيدها الأحداث وتتجاوب مع الفطرة السليمة وتنادى بها متطلبات الزمن ، حركة تسير فى طريقها الصحيح وتتجه الى الغاية فى أمن وسلام ٠

ومن الجوانب المشرقة فى ثورة يوليو ١٩٥٢ انها ثورة قامت على الحق ومن أجل الحق وقامت من أجل كرامة الوطن والمواطن ٠ وقد اجمعت الفلسفات على أن الحق أقوى دعامة ترتكز عليها سعادة البشر ، وأقدس شىء فى الوجود تتعشقه النفوس وتضحى فى سبيله بأغلى ما تملك من نفس ونفيس ، والحق قوامه العدل والانصاف واحترام المقدسات ورعاية الحرمات واتاحة الفرص المتكافئة للجميع ليحسوا بنعيم الحياة ولذة الوجود ٠ وهذه المبادىء هى أساس الحياة الكريمة ودعامة الاستقرار فى المجتمع ، ففى ظلها لايكون ظلم ولا استبداد ولا تحكم ولا استعباد ، وتحت لوائها لايوجد ايثار للهوى ولاميل للعصبية ولا فوارق ولا استثناء ولا محسوبيات ٠

ويكفى الحق شرفا أنه اسم من اسماء الله فهو الحق المبين ، وقد اقتضت حكمته وعدالته أن يضع نظام الحياة السعيدة على هذا الاساس المتين ٠ وان يجعل رسالاته منزلة البشر على هذا الصراط المستقيم ٠ يقول الله سبحانه « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ويقول وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » ٠ والاسلام بهذا الحق جاء ثورة على الاوضاع الفاسدة ، التى ضلت فيها العقول وزلت الآراء ، وعمت الفوضى وفسدت الأخلاق ٠ ورسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بفعله وقوله وسلوكه العام منا ، الحق عاليا ،فأدى اليه كل مظلوم ، وانس الى جواره كل راغب وأمن كل خائف ، وجعله عقيدة راسخة فى النفس تدفع الى الجهاد فى سبيله وتضحى من أجل المحافظة عليه ٠

والكرامة عنوان الشرف الذى ميز الله به الأنسان على سائر المخلوقات ٠ واستحق به ان يكون خليفة فى الأرض ٠ **قال تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر**

والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » • وهذه الكرامة تقوم على احساس الأنسان بوجوده كفرد له كيانه واحترامه ، وعلى العمل فى هذا الأطار ليتوفر له مايريد • ويلزم هذا الاحساس الجميل تعشق المعالى والترفع عن الدنايا ، واباء الضيم وعزة النفس وقوة الشخصية ، والغيرة على الحرمات والدفاع عن الشرف ، والحرص على الحرية والاستقلال ، وحماية الوطن من الغاصب والدخيل ، والعمل المتواصل لتكون كلمته هى العليا فى المحيط الدولى •

والأسلام قد غرس هذه المعانى الكريمة فى نفوس المؤمنين ، حتى آمن كل فرد بشخصيته وفهم رسالته فى الحياة ومنزلته فى المجتمع والاسلام يقررأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ويحرم على المؤمن أن يطلب العزة من غير الله فان ذلك يؤدى به الى سلوك لايرضاه الله له يتخلق فيه بأخلاق المنافقين ويوسم بميسم الأذلة المتهالكين ، المفرطين فى شرفهم وكرامتهم انظر اليه وهو يذم المنافقين ويتوعدهم بالعذاب الأليم لأنهم كانوا يمالئون الكفار أعداء الدين ويتقربون اليهم بالدس ضد المؤمنين ونقل الأخبار اليهم والتواطؤ معهم على النيل من الدعوة • وذلك لقاء متعة شخصية يراها المنافق فى مال أو منصب أو ما سوى ذلك • **قال تعالى « بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما • الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ؟ فان العزة لله جميعا » • وحث المؤمنين على أن يكون خضوعهم لله وحده وذلك بطاعته هو والالتجاء اليه فى كل أمور الحياة « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا »**

ان الله سبحانه لا يرضى لمؤمن أبدا أن يظل فى مكان يسام الخسف فيه أو يذل لغير الله وأمره امرا مؤكدا أن يهاجر من دار الذلة الى دار العزة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ووعده ان خلصت نيته فى هجرته أن يبد له خيرا من داره واكرم من أمواله ، وأصدق من خلانه •

فقال فى شأن الراغبين فى الذلة القانعين من الحياة بالدون « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى **أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »** وقال فى وعده **للمهاجرين « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة • ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله »**

الحق أن كل ثورة تقوم على هدى الحق والكرامة والمبادىء العالية لابد لها ان تنجح مادام الخير العام رائدها ، ومادام خلوص النية هو شعارها فى جميع الخطوات •

وقد جاءت ثورتنا العربية فى يوليو ١٩٥٢ لأحقاق الحق وازهاق الباطل ، وتوفير أسباب العزة والكرامة للمواطنين ، الذين ظلوا سنين طوالا يشقون فى ظل الأوضاع الفاسدة ، التى كان الحق فيها مضيعا ، لايجد له مكانا بين الملكية المستبدة ، والحزبية المغرضة ، والاقطاع المستغل ، والاحتكار المتحكم ، وكانت الكرامة ضائعة بين تحكم الاستعمار وطغيان الطبقات وزيف الألقاب وضلال الكبراء ، وبين الفقر المدقع والضعف المتخاذل والتخلف الذريع • فوقف الحق مناديا بأعلى صوته : لا ملكية ولا استبداد ، ولا حزبية ولا اقطاع ، ولاجشع ولا احتكار ، وأطلت شمس الكرامة من عليائها مؤذنة بأفول نجم الاستعمار ، ومحو الفوارق الشاسعة بين الطبقات وزوال الالقاب ، وانطلقت ثورة الحق والكرامة تبنى وتعمر وتشيد وتصلح ، وتفتح الابواب وتذلل السبل وتأسو الجراح وتبذل العون ، وتوحد الشعارات وتحدد الأهداف ، وتكر بجيش جرار منظم فتدمغ الباطل فى كل ميدان ، وتتعقب الذل فتقاتله فى كل مجال ، ووقفت فى معترك الجهاد تناضل بحكمة وروية ، ورفعت مشكاة السلام التى يضىء مصباحها بزيت نقى لا شرقى ولا غربى ، فاستضاءت بنوره الدول الافريقية والاسيوية ، ووجدت

كل النفوس المتعشقة للحرية أمنها وطمأنينتها في رحاب الجمهورية العربية ٠

الحق صريح لا يقبل الخداع ، وهو يوجد أنصع مايكون فى الهدى السماوى الذى مثلته رسالة الاسلام أكرم تمثيل ومجدته اكبر تمجيد ، وهذا الحق لا ينبغى أبدا أن يلبس بالباطل ، وأعظم ما توجد اماراته وأروع ما تكون أمثلته فى سير الابطال المجاهدين الذين خلدهم التاريخ وكانت صفحاته الاسلامية أروع صفحات زخرت بأسماء الالاف من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، والكرامة مقوماتها شريفة فاضلة ، لا يجوز أن تلتمس من شعار زائف ولا أن تستورد من معايير أجنبية ، أوتلتقط من غثاء سيل المدنية الزائفة ٠ والحق كذلك لاينتصر وحده أبدا ، فلابد له من قوة تحميه وتشد أزره وتدفع عنه ٠ والاسلام — وهو دين الحق — لم يستغن أبدا عن حمايته بالقلوب والسواعد والأسلحة وكل الامكانيات ولم تبلغ دعوة من دعوات الاصلاح غايتها الا اذا أمنت السير فى طريقها ، وأعدت العدة لمقاومة الباطل الذى يعترضها ، وهو مايعنيه قول الله سبحانه مبررا اذنه للمؤمنين بحمل السلاح والاستعداد لصد العدو « ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا »

والكرامة كذلك لا ينبغى أن تكون أمنية نتمناها أو شعارا نردده باللفظ فحسب ، فذلك لا يغنى شيئا ، انها لاتتوفر الا بالجد والعمل المتواصل والكفاح الدائب ، والضرب فى جنبات الأرض لابتغاء فضل الله واستخراج الكنوز المخبأة فى زوايا الكون ٠ ليجد الفقير لقمته والمتعطل عمله ، ويجد الجاهل سبيله للتعلم ،والمريض دواءه للشفاء وملاك الأمر كله ايمان وتضحية ٠ وأساس ذلك هو صدق الفكرة وخلوص النية ٠ ومرد الأمرين الى الثقة بالله واستمداد القوة منه ، واتباع الحق الذى وضعه لهداية البشر ، قال تعالى « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه، ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »

سدد الله على الخير خطا العاملين ، وبارك جهود المخلصين ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ٠

- ٢ -

خضع نظام الفتوة فى عهد الناصر لدين الله - كما بينا - لسلطان الدولة ، واصبح جزءا من أجهزتها ،ضمن اطار خاص من الطقوس الغامضة ، والتقاليد المعقدة ،مما أضفى عليه لونا من التقديس فى نفوس أعضائه ، واحاطه بسياج من الرهبة والاجلال فى أعين افراده ، فلا يستطيع العضو أن يفلت من قيوده ، أو يتحلل من التزاماته اذا انخرط فى سلك الجماعة . وقد جعل الناصر رياسة الفتوة اليه ، وجماع أمرها فى يده ، ومرجع الامر فى هذا التشكيل كله اليه .

وقد اختلف المؤرخون فى الاغراض التى كان يهدف اليها الناصر من الخروج بالفتوة عن صورتها السمحة الاولى ، الى هذا النظام المعقد الممتزج ببعض تعاليم الصوفية ، وخاضوا فى تعليل هذه الاغراض ، وذهبت بهم الظنون كل مذهب :

١ - ففريق يرى أن الناصر لدين الله كان حريصا على اقامة خط دفاعى يقى البلاد الاسلامية من زحف الصليبيين الذين أغاروا على سواحل الشام ، وبعض الولايات الداخلية ، وأصبحوا يهددون أمن البلاد

وسلامتها ، فهو يضع لتشكيله هذه القيود الصارمة ، ويحيطه بهذه الهالة المقدسة ليثبت أمام المعتدين .

٢ ـ وفريق من المؤرخين يرى أن هدف الناصر كان هو القضاء على تفكك الغزاة والمتطوعة الذين يحمون ثغور الدولة وحدودها حسب أهوائهم ومشيئتهم وذلك بجمعهم تحت راية واحدة ، واخضاعهم لنظام واحد تحت لوائه ، حتى لا يفلت زمامهم من يد الدولة ، كما حدث أحيانا من شغب هؤلاء المتطوعة فى كثير من البلاد الاسلامية ، وخروجهم على قوانين الدولة .

٣ ـ وفريق يرى أن هدف الناصر من تشكيل هذا النظام طمعه فى أن يعيد هذا النظام الى الخلافة العباسية ما فقدته من هيبة منذ قرون ، حين خرج عليها الولاة والامراء فى أغلب الاقاليم ، وتناوشتها أطماع الصليبيين من كل جانب وأخذوا ينتقصون من أطرافها ، ويغيرون على ثغورها .

وقد رجح أغلب المؤرخين الهدف الاخير ، وقالوا ان الناصر لم يقصد بنظامه تنظيم فكرة الجهاد فى الدولة ، والذود عن كيانها ، بقدر ما كان يقصد الى تقوية مركزه فى الخلافة ، واستعادة جزء من سلطانها المفقودة واتهموه بانه تنصل تماما من حروب الجهاد التى جرت فى أيامه ، ولم يكن اهتمامه بالفتوة ناشئا عن أية فكرة متصلة بالجهاد ، ويدللون على ذلك بتلك الطقوس الغامضة التى مزجها بتعليم الفتوة ليجعل منها منظمة سرية تأتمر بأوامره ، وتخضع لسلطانه ، لا قوة اضافية تسرع الى نجدة الجيش النظامى حين يهتف داعى الجهاد ، ويؤيدهم فيما يذهبون اليه أن صلاح الدين الذى كان معاصرا للخليفة ، وجاهد ضد الصليبيين جهادا مريرا ، حتى انتزع منهم مواقعهم موقعا بعد آخر فى سوريةوفلسطين طلب من الخليفة العون فى جهاده ضد المعتدين ، ولكن الخليفة الناصر المقيم فى بغداد بعيدا عن المعركة ، والذى لم يعن بالاحداث القائمة فى الغرب حيث كانت تقوم المعارك فى سبيل الدين اكتفى بأن أرسل الى صلاح الدين ـ بالاضافة الى كلمات التشجيع ـ فئة قليلة من المقاتلة .

وهذا يؤيد ما ذهب اليه البعض من أن الناصر لدين الله قد انحرف بالفتوة عن اسمى أغراضها ، وانبل مقاصدها ، واتخذ منها تكئة لبسط نفوذه وتقوية سلطانه لا غير ، مع أن رقعة البلاد الاسلامية كانت تموج اذ ذاك بحرب مقدسة ، تستلزم تضافر القوى وتركيز الجهود ، واستخدام كل المنظمات فى طرد الدخيل .

ومع ذلك لم ينجح الناصر فيما كان يرمى اليه من أغراض ، ولم تغن عنه منظمته من الضعف شيئا ، وظل الانحلال ينخر فى جسم الخلافة حتى قضى عليها المغول بعد نصف قرن من حكم الناصر .

على أن الفتوة قد ظهرت على مسرح الاحداث فى صورة أخرى بسبب هذا التشكيل الذى ابتدعه الناصر ، أو ابتدعه له مريدوه ، فمع التواء القصد والانحراف عن مناهج الفتوة ومعانيها السامية ، أمكن لها أن تحقق خارج العراق كثيرا من أغراض الجهاد ، وظهرت الفتوة فى صورة أخرى هى الى الفروسية أقرب ، وذلك ان الامراء والسلاطين فى أكثر نواحى الدولة قد بهرتهم هذه السراويل التى اخترعتها منظمة الناصر ، وجعلتها نهاية المطاف فى قبول « الفتى » فى المنظمة ، وأخذوا يسرحها وأصبح ارتداؤها فى نظرهم دليلا على سمو صاحبها ، ورفعة قدره فى درجات الجهاد والفروسية ، وبات محتما على من يلبس السراويل أن يثبت فروسيته فى ميدان الجهاد ، والكر والفر ، والطعن والضرب والقتال وحتى بعد انتهاء هذه المنظمة الناصرية ، وحل فروعها ، ظل سحر هذه السراويل قائما بين الامراء والسلاطين فى مختلف الانحاء خارج العراق ، بل شاع ارتداؤها حتى بعد زوال الخلافة العباسية ، وتنافس فى لبسها الامراء واتباعهم ، وكثر بين لابس السراويل التحلى بالالقاب التى تدل على الشجاعة والفروسية « كلقب الغازى والفاتح » وابلوا فى الحروب الصليبية بلاء حسنا ، وظل هذا الامر متبعا فى القرن الرابع عشر حيث درج سلاطين المماليك فى مصر على منح سراويل الفتوة للامراء والاعيان ، وانتظموا جميعا فى ميدان الجهاد تحت لقب جديد هو لقب الفرسان ، وتحت شعار جديد هو شعار الفروسية .

وهكذا تبدلت كلمة الفروسية بكلمة الفتوة ، وساعد على شيوع كلمة الفروسية ، هذه الاعداد الهائلة من فرسان القرون الوسطى الذين اتجهوا الى ساحة الحروب الصليبية فى الشرق اكتسابا للمجد ـ فى ظنهم ـ وبحثا عن المغامرة والشهرة ، فالتقوا بفرسان المسلمين فى ساحة الوغى ـ واطلق على الجميع كلمة الفرسان ـ حيث ذاق فرسان الفرنجة من ألوان الشجاعة والاقدام ما أذهلهم ، والقى الرعب فى قلوبهم .

وقد اقترنت الفروسية فى هذا العهد بالصفات التى تحلت بها الفتوة فى العصور السابقة ، فاصبحت مزيجا من الشجاعة التى لاتقهر ، والاقدام الذى لايرد ، والوفاء الذى لايتخون ، والتسامح الذى يتملك القلوب ويستل البغضاء ، وهكذا لم يتغير من الفتوة الا اسمها ، أما جوهرها النقى الخالص فقد ظهر فى هذه الصورة الجديدة الرائعة .

من أجل هذا أعجب فرسان الصليبيين الذين توافدوا على الشرق عقب صيحة البابا أوربانوس بالمحاربين المسلمين الذين التقوا بهم فى ساحات الحروب على أرض الشام وفلسطين . وقد كتب مؤرخو الفرنجة كثيرا عن هذه الفروسية التى اختلبت ألبابهم ، وبهرت أعينهم ، فى أشخاص عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين وقوادهم ، وأشادوا بهذه البطولات النادرة ، وجعلوا منهم ـ على مدى العصور ـ مثلا أعلى على شجاعة النفس ، وصدق العزم ، وبعد الهمة ، ونبل الغرض ، وصفاء القلب ، وروح التسامح .

وفى سيرة صلاح الدين ـ أثناء حروبه مع الفرنجة أمثلة كثيرة من هذا التسامح الكريم مع ملوك أوربا وأمرائها ، حتى من اشدهم لددا وخصومة ، وكيف كان يعاملهم فى الهزيمة بروح التسامح ، مما جعل سيرته أسطورة يتغنى بها مؤرخو هذه الحقبة من فرنجة ومسلمين .

وقد سجل التاريخ فى هذه المعارك كثيرا من صور البطولات الفذة ، وظهر على مسرح الحوادث كثير من الفرسان الذين ورثوا كل صفات الفتوة وأخلاقها ، وبرزوا بين معالم التاريخ فى اطار أخاذ من المجد وصور مشرقة من العظمة ، يجدر بنا ان نجلى صفحاتها لابنائنا ونحن على أبواب محنة تشبه تلك المحن السابقة وبين شهوات وأطماع تتنمر بنا من كل جانب ، ففى تجليتها عبرة ، وفى تجليتها قدوة صالحة لمن يريد أن يتقرب الى الله بالجهاد فى سبيله .

من أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

ان الكتابة عن أوصاف النبى العربى ، والرسول القرشى ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عن أخلاقه الكريمة وخصاله الحكيمة ، مما أعجز المتقدمين ، وأعيى المتأخرين وقد أصاب الشاعر العربى حيث يقول :

لم يبق للمداح فضل بعد ما
نطقت بك الآيات من رب السما
كلا ولو جعلوا القوافى أنجما
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

نعم ـ لم يبق بعد ذلك للباحث مهما كان بليغا فى كلامه ، والتعبير عن مرامه ، شىء من مجال القلم والكلم ، اللهم الا أن يتتبع كمفسر لها ، ويستنير بها كمستنبط من رموزها وسياقها ، ويتفحص الأحاديث الواردة فيه فيستسقى من مناهلها المباركة . فكان الباحث لا يأتى من عنده بجديد ، وانما يبين للناس ما بينته الآيات البينات ، وأفادته الأحاديث الواضحات . نعم يبين ذلك كل بأسلوبه ، على قدر علمه وفهمه ، ولا يستطيع أن يزيد عليه شيئا ، فان المجال دقيق ، وبالاعتراف بالعجز حقيق ، يعجز عنه قدرة الانسان ، ويكل عنه القلم واللسان .

لقد وصف الله سبحانه ، نبيه ورسوله ، وحبيبه وصفيه ، محمدا صلى الله عليه وسلم ، فى مواضع كثيرة من كتابه المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

منها قوله عز وجل «لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم » خاطب الله سبحانه في هذه الآية قبائل العرب كلها فقال **« لقد جاءكم رسول من أنفسكم »** وبهذا أخبرهم أن الرسول الذى أرسله اليهم خاصة والى عامة البشرية عامة ، ليس بغريب عنهم ، وانما هو منهم ، وهم يعرفون نسبه كما يعرفون حسبه . فقد ثبت عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه انه قال **« ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبى صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب »** وقوله **« وله فيهم نسب »** بيان لقوله « الا وقد ولدت النبى » لأن النبى صلى الله عليه وسلم اصطفاه الله تعالى من بنى هاشم من قريش . **فقد روى الامام مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله اصطفى كنانه من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم »** هذا . وقريش تنسب الى معد بن عدنان ، وقبائل العرب من مضرها وربيعتها ويمانها انما هم من ولد معد بن عدنان . وأما بيان نسبه صلى الله عليه وسلم الى عرب اليمن (وهم القحاطنة من ولد قحطان بن سبا) كما قال المؤرخون : ان آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لها نسب في الأنصار وان كانت من قريش ، والأنصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان .

وعلى هذا ففى الآية ترغيب للعرب عامة في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والايمان به ، فانه قد تم شرفهم بشرفه ، وعزتهم بعزته ، وفخرهم بفخره ، وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة ، وطهارة النسب والأخلاق الحميدة **والى هذا أشار قتادة رضى الله عنه بقوله « جعله الله تعالى من انفسهم ، فلا يحسدونه على ما أعطاه الله له من النبوة والكرامة »** هذا . وهناك احتمال آخر في تفسير قوله تعالى « من أنفسكم » فقد قال الخازن في تفسيره ما نصه : « وقيل ان قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) عام ـ يعنى ان الخطاب لا يختص بقبائل العرب ـ وحمله على العموم أولى ، فيكون المعنى على هذا القول : لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم ، أى من جنسكم ، بشر مثلكم ، اذ لو كان من الملائكة ، لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والأخذ عنه » انتهى . وقرأ ابن عباس والزهرى « من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه : انه صلى الله عليه وسلم من أشرفكم وافضلكم .

وروى الامام البخارى في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا ، حتى كنت من القرن الذى كنت منه » يعنى عندما بعثه الله تعالى نبيا ورسولا .

ثم وصفه الله سبحانه بقوله « عزيز عليه ما عنتم » انه شديد عليه ما عنتم ، يعنى مكروهكم وضلالكم وحرمانكم من التوحيد ، كما وصفه الله بقوله **« حريص عليكم »** انه صلى الله عليه وسلم حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم واهتدائكم الى طريق الحق ، وفى ختام الآية وصف الله سبحانه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله : **« بالمؤمنين رؤوف رحيم »** ولا يخفى ما فى معنى الرأفة والرحمة من المعانى السامية . قال الحسن بن الفضل « لم يجمع الله سبحانه لأحد من انبيائه بين اسمين من أسمائه ، الا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد سماه رؤوفا رحيما ، كما قال سبحانه ـ فى وصف ذاته ـ ان الله بالناس لرؤوف رحيم » انتهى .

ومما وصف الله تعالى به نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قوله **« يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »** .

فقد نص الله سبحانه بهذه الآية على انه ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى عالم البشرية بهذه الأوصاف المباركة ، ارسله شاهدا لسائر الأنبياء والمرسلين بالتبليغ وتأدية الرسالة ، وأرسله مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين وارسله داعيا للناس كافة الى الايمان بالله وحده واطاعته ، وانما ذلك باذن من الله ووحى منه ، وأرسله سراجا

منيرا، أنار به عالم البشرية بعد ما كان مظلما، فاهتدى بنوره نحو الايمان والتوحيد والعلم والمعرفة ومصالح الحياة وسعادة الدنيا والآخرة . وفى ختام هذه الآية يقول الله تعالى « **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا** » .

وبهذا ينص على فضل هذه الأمة على سائر الأمم ، لانهم ينالون بايمانهم وأعمالهم الصالحة فضلا كبيرا من الله تعالى ، مزيدا على ما يستحقونه (كسائر الأمم) من الأجر والثواب ، ولا شك أن هذا مما خص الله به نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فى شخصه وفى أمته ، والى هذا أشارة فى قوله تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا مباركا فيه .

ومن الآيات التى نزلت فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » فقد ثبت فى تاريخ البشرية أن العالم قبل بعثه محمد صلى الله عليه وسلم كان أهل كفر وشرك وضلال ، متورطا فى مفاسد الجاهلية كما أن أهل الكتابين (التوراة والانجيل) كانوا فى حيرة من أمور دينهم ، لطول مدتهم وعهدهم به ، مما أدى الى الاختلاف فى كتبهم ، والفساد فى شئون حياتهم حتى سادت الفوضى على الانسانية . فبعث الله سبحانه محمد بن عبد الله صلى عليه وسلم فى حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والفلاح ، حتى دعاهم الى الحق ، وبين لهم سبيل الصواب ، وشرع لهم الأحكام ، وميز الحلال عن الحرام ، وهداهم الى الصراط المستقيم ، طريق السعادة فى الدارين ، والى هذا اشارة فى قوله عز وجل « **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ، يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** » .

وقال ابن عباس مفسر الصحابة رضى الله عنه وعنهم « ان قوله تعالى ــ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ــ عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن ، فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتاخير العذاب عنه ، ورفع المسخ والخسف والاستئصال ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا رحمة مهداة » .

ومنها قوله تعالى « **وما أرسلناك الا كافة للناس** » فقد نص الله سبحانه فى هذه الآية أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى كافة الناس (عامة عالم البشرية) بحيث لا تختص رسالته بقومه العرب ، ولا بعهده ، بل تعم الناس من الأقوام أجمعين ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، منذ عهده الى يوم القيامة ، رسالة أبدية خالدة ، لا تعقبها رسالة ، وهذا بدليل قوله تعالى « **ولكن رسول الله وخاتم النبيين** » **وروى الامام البخارى ومسلم فى صحيحيهما** عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **أعطيت خمسا لم يعطهن احد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، واعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة** » .

ورحم الله الامام البوصيرى شاعر النيل الجليل حيث يقول :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ماطاولتها سماء

لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنا منك دونهم وسناء

تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء فوقها علياء

هذه جملة من الأوصاف التى وصف الله بها نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وهذه هى الفضائل التى خصه الله تعالى بها وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين، ولا سيما الشفاعة التى يشفع بها أمته بل الأمم جمعاء باذن ربه سبحانه ، حتى لا يبقى فى النار من قال لا اله الا الله كما فى الأحاديث الصحيحة التى سنرويها فى بحث خاص ، تلك الشفاعة التى يقوم بها فى مقامه الأعلى لدى الله سبحانه وهو المقام المحمود الذى خصه الله به حيث

قال ((عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)).
وقال النبهانى فى موازنته لهمزية البوصيرى:

خصك الله بالشفاعة فردا
في مقام يخافه الأنبياء

أنت فيه الامام تسجد لله
وكل الورى هناك وراء

اللهم كما جعلتنا من أمته ، متعنا بشفاعته ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وفى الختام – نقدم للقراء الكرام ((القصيدة الصلواتية)) التى انشأناها بهذه المناسبة فى كابل سنة ١٣٦٦ هـ :

أصلى على من فى السموات أحمد
وفى الأرض محمود حميد محمد

أصلى على طه ويس والذى
اذا لم يكن فالكون ما كان يوجد

أصلى على خير الأنام وصفوة الـ
خلائق طرا ، غيره لا يؤيد

أصلى على من للنبيين خاتم
بشيرا نذيرا ، وهو فى الرسل أوحد
أصلى على من جاء لله خاضعا
أصلى على من مثله ليس يولد
أصلى على من جاء بالحق مرسلا
حبيبا ، ومن ذا مثل ذاك يمجد ؟

أصلى على من جاء تبيان وصفه
على ألسن الرهبان ، والوصف أزيد

أصلى على من حاز للخلق حسنه
ومن هو فى الآفاق والكون يحمد

أصلى على من مدحه أعجز الورى
ومن وصفه فى الكتب والصحف يسند

أصلى على آل النبى ومن همو
لهم فى الورى أعلى الخصال وسؤدد

أصلى على صحب النبى ومن همو
نجوم الهدى ، والكل فى الله جاهدوا

أصلى لعل الله يرحمنا بها
أصلى لعل الله ينجي وينجد

ميلاد النبى

لا ريب كان ((ميلاد النبى)) أعظم حدث فى تاريخ العرب والاسلام ، بعيد المدى فى احداث العالم كله . ولم يزل ((اسمه)) صلى الله عليه وسلم منذ بعثته يطوف الارض ويدوى برسالة الحق وينشر بين المشرق والمغرب كلمة الله ((القرآن)) ورسالة الحق ((الاسلام)) . ويمنح الانسانية نموذجا حيا للانسان الكامل ، والمثل الحى ، للبطولة والخلق والعدل والوفاء ، ولم تزل حياته وتاريخه موردا للباحثين فى كل مكان، خصومه واحباؤه على السواء ، عرضوا له وبحثوا فكره ، وحللوا مواقفه ، وبهرهم جميعا بطبيعة الانسان قبل رسالة النبى ، وبقوة الشخصية قبل دعوة الحق .

أضخم حدث فى تاريخ العرب والاسلام

الأستاذ أنور الجندي

فالذين لم يتأثروا به نبيا عرفوه بطلا ، والذين تشككوا فى قرآنه هداهم بتصرفه الى الحق انسانا .

فكارليل يصوره فى أروع لوحة للبطولة فى صورة نبى ضمن خمسة من عظماء العالم ، ومرجليوث يثق به حين أنزلت آية الحراسة والحماية فعرف حراسه وقال ان الله سيحرسنى ويحفظنى ، يقول مرجليوث : وقد قرات هذه الرواية فى مختلف كتب السيرة فهى مؤكدة ، وما كان محمد يكذب على نفسه اذا كان يكذب على الناس . وهكذا تبهر حياة الرسول وشخصيته كل من يتصل بها من كتاب الشرق والغرب ، القديم والحديث، فان خالفوه او وجهوا لفكره عبارات النقد فانما مصدر ذلك « الخصومة » أو عدم تعمق فهم عصره أو حياته أو اختلاف وجهات النظر . نجد اميل درمنجم وتولستوى ووشنجتون أرفنج ووليم موير ، جميعهم يناقضون رأيه ولكنهم ينظرون اليه فى اجلال وتقدير . بل ان الذين ذهبوا الى مخاصمته والحملة عليه مثل لامنسى وشيخو فانما كان يحملهم على خصومته ذلك الوهج القوى الذى يحيط بشخصيته وأثره فى كل من يتصل به فى حياته، أو يعايش سيرته أو كلماته أو دعوته على مدى الاجيال . وهكذا منذ بعث عليه الصلاة والسلام ما زال وسيظل مؤثرا فى الفكر الانسانى ، يكسب الخصوم والانصار على المدى الطويل ، فمنذ بعثته فى مكة وهجرته الى المدينة يمد خيوطه ، ويرسل فكره خارج الجزيرة العربية حتى بلغت الصين شرقا والاندلس غربا فى مدى قرن من الزمان ، ثم امتد وهجها وضياؤها حتى غمر أوربا واتصل بها فى فرنسا وايطاليا ثم امتد الى آسيا حتى وصل جزرها وأقطارها ، ثم تعمق فى افريقيا حتى استعلن فى أجزائها وحناياها ، حتى الذين عاشوا فى جوه هنا فى بلاد العرب ولم يتأثروا به ، أرسل لهم دعوته عبر البحار ، يقول أمين الريحانى : لقد كان « كارليل » أول من عاد بى من وراء البحار (امريكا) الى بلاد « العرب » حين كشف لى صورة محمد .

*

ولقد استأثرت سيرة محمد بدراسات ممتدة لم تتوقف على العصور ، بدأها محمد ابن اسحق المتوفى ١٥٣ هـ ومحمد بن عمر الواقدى المتوفى ٢٠٧ هـ ومن ثم أصبحتا مصدرا لكل ما جاء بعدهما ، وما تزال سيرة ابن هشام ، ومغازى الواقدي ، وطبقات ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذرى والانوار المحمدية اللنبهانى والمواهب اللدنية فى المنح المحمدية للقسطلانى من أوائل كتب السيرة ، التى ظلت دائما تضاف اليها سيرة جديدة : كسبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحى والسيرة الحلبية المسماة (انسان العيون فى سيرة الامين المأمون) لعلى بن برهان الدين . ثم توالت الرسائل فى العصر الحديث كالسيرة النبوية والآثار المحمدية لاحمد زينى دحلان وتحفة العالم فى أخبار سيد ولد آدم لعبد القادر الدنا، وتاريخ النبى لاحمد حسنى الحسينى اللواساتى النجفى ونور اليقين فى سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضرى والنبى محمد لمحمد حسن الازهرى ، وخاتم النبيين لمحمد خالد، وخلاصة السيرة المحمدية لرشيد رضا ، والرسول العربى لعزت العطار ، وحياة محمد لهيكل ومحمد لتوفيق الحكيم ، ومحمد الثائر الأعظم لفتحى رضوان ، ومن وحى السيرة لجمال الدين الرمادى ، ونفيسة النبى العربى للبيت الرياشى ، ومحمد المثل الكامل لمحمد جاد المولى ، وشمائل الرسول لانور الجندى ، ومعا على الطريق محمد والمسيح لخالد محمد خالد ، وعبقرية محمد للعقاد ، والسياسة الاسلامية فى عهد النبوة لعبد المتعال الصعيدى ، وقيام الدولة فى حياة محمد لمحمد جمال الدين سرور ، وفقه السيرة لمحمد الغزالى ، وسيرة الرسول

لمحمد عزة دروزة ، ومحمد القائد لعبد الفتاح ابراهيم ، ومحمد وعصره لعمر ابو النصر ، والنبى محمد لمحمد حسن الازهرى ، وسيد العرب لحسن عبد الله باسلامه ، والتعريف بالنبى لمحمد على الببلاوى ، والانوار فى مولد النبى محمد لابو الحسن بن عبد الله البكرى، وبطل الابطال لعبد الرحمن عزام ، وخلاصة السيرة لعطيه بن محمد البشاوى ، وسيد العرب محمد ليوسف كمال حتاتة ، ومورد الصفا فى سيرة المصطفى لاحمد الحملاوى ، والرسول استاذ الحياة لمحمد عبد الله السمان والرسول العربى لعزت العطار ، ولباب الخيار لمصطفى الفلاثينى ، ومحمد المحارب لمحمد فرج والعبقرية العسكرية له ، وذخيرة اللبيب فى سيرة الحبيب لعبد الباسط فاخورى ، ونتائج الافهام لمحمود حمدى الفلكى وشذرة من السيرة المحمدية لجمال الدين القاسمى ، ومحمد لعبد المنعم مصطفى القبانى ، والسيرة النبوية لعبد المجيد اللبان ، وتاريخ النبى احمد لحسين الحسينى النجفى ، وجواهر البحار ليوسف النبهانى ، ومحمد رسول الله لمولاى محمد على الى عشرات من المؤلفات والدراسات والابحاث .

*

واذا كانت هذه هى أبرز الكتب المتداولة والتى صدرت فى مختلف أنحاء العالم العربى فان هناك أضعافها من مؤلفات تناولت سيرة النبى داخل اطارها ، وهى الكتب التى تناولت الاسلام أو الاديان أو تاريخ الاسلام أو حياة آل النبى ونسائه وصحابته ، فاذا أضفنا الى هذا كله ذلك المحصول الضخم من المقالات المنشورة فى الصحف الاسلامية فى العالم العربى والاسلامى والتى صدرت منذ نشأة الصحافة العربية وخاصة فى فترة خمسين عاما لوجدنا ان عددا ضخما من الكتاب قد شارك فيها ومن هذه المجلات الرسالة والثقافة ومنبر الاسلام والاسلام والتمدن الاسلامى (سورية) والوعى (الباكستان) ودعوة الحق (المغرب) والمعرفة والشهاب والبصائر (الجزائر) ومن هؤلاء الكتاب :

محمد احمد الغمراوى ، مصطفى كامل ابراهيم ، قدرى طوقان ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، عبد الوهاب عزام ، محمود شلتوت ، محمود البشبيشى والزيات ومحمود غنيم ، ودرينى خشبه ، ومسعود عالم الندوى ، ويحيى الدرديرى ، ومحمد الخضر حسين ، ومحب الدين الخطيب واحمد تيمور ، وعلى احمد باكثير ، والدكتور على مظهر ، والبشير الابراهيمى، واحمد العظمة، وعلى الطنطاوى، وعبد الله كنون ، وعبد المنعم خلاف ، وفريد وجدى ، وسعيد العريان . ولسنا نعرض هنا للاعداد الخاصة التى كانت تصدرها بعض المجلات عن الهجرة ، فان اغلب مواد هذه مما تتصل بسيرة النبى نفسه .

*

فاذا ذهبنا نستقصى سيرة النبى فى مجال « الشعر » وجدنا مجالا ضخما ، فما تزال المدائح النبوية تشغل قطاعا حيا من الادب العربى القديم والحديث ، وللدكتور زكى مبارك رسالة كاملة عن « المدائح النبوية » ، أما فى الادب العربى الحديث فان أولى القصائد التقليدية تذكر للشعراء الدرويش والساعاتى وعبد الله فكرى والسيد على ابوالنصر ورفاعه الطهطاوى وعائشة التيمورية .

وفى الشعر الحديث نذكر قصيدة اسماعيل صبرى عام ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٦ ، ثم نهج البردة للبارودى المتوفى عام ١٩٠٤ . والتى عارض بها بردة البوصيرى :

يا رائد البرق يمم دارة العلم
واحد الغمام الى حى بذى سلم

ثم توالت قصائد شوقى وحافظ وعبد المطلب واحمد الكاشف .

ولشوقى قبل مدائحه النبوية « ارجوزة العرب الكبرى » والتى تقع فى ١٥٣ بيتا ، ثم مدائحه النبوية الاربع : نهج البردة، وذكرى المولد ، وسلوا قلبى ، والهمزية . وقد انشأ قصيدته نهج البردة عام ١٩١٠ واستهلها بقوله :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الاشهر الحرم

ومما يذكر ان مصطفى كامل هو أول من احيا فكرة الاحتفال بالهجرة باقامة المهرجانات فاقام أول مهرجان له عام ١٩٠٨ بدار التمثيل العربى (غرة محرم ١٣٢٦) وقد القى فيها كثير من الشعراء قصائد فى مولد الرسول وهجرته وحياته ودعوته، ثم تضاعف الاحتفال فى العام التالى وتوالى على الاعوام حتى أصبح عيدا .

وقد القى حافظ ابراهيم فى موسمه الثانى عام ١٩٢٧ هـ قصيدته المشهورة :

أطل على الاكوان والخلق ينظر
هلال رآه المسلمون وكبروا

وقد كان الشاعر محمد عبدالمطلب من اكثر شعراء عصره اهتماما بالسيرة النبوية ونظم الشعر حول النبى ودعوته وما فى حياته من كفاح وقد تناول كثيرا من صور الفتح والنصر .

واستطرد الشعراء الى كل ما يتصل بالاسلام والصحابة فظهرت قصيدة العمرية لحافظ (عن : عمر بن الخطاب) والبكرية لعبد الحليم المصرى (عن : أبو بكر الصديق) والعلوية لعبد المطلب (عن : على بن ابى طالب)

وفى العصر الحديث نجد قصائد لا حد لها لمحمد عبد الغنى حسن وعلى محمود طه ومحمود غنيم واحمد محرم وعامر بحيرى وعلى الجندى ومحمود حسن اسماعيل ، بل ان لمحمد عبد الغنى حسن ديوانا كاملا عن النبى .

*

ولقد كان لظهور دراسة عن النبى للدكتور محمد حسين هيكل عام١٩٣٢ فى ملحق جريدة السياسة الاسبوعية مترجمة عن الكاتب الفرنسى اميل درمنجم اثر كبير فى مجال تطور الدراسات فى الادب العربى المعاصر .

فقد كان « هيكل » أحد اقطاب المدرسة الحديثة فى الادب ، ومن المدرسة التى تضم طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ، والتى عرفت بمقاومتها للفكر الاسلامى ودعوتها الى التحرر من القيم الدينية والروحية .

لذلك فقد كان هذا الاتجاه منظورا اليه أول الامر فى ضوء أمور ثلاث :

الأولى — ان الاحزاب السياسية ارادت أن تتخذ من الفكرة الاسلامية وسيلة لكسب الانصار اليها .

الثانية — ان ظهور الدعوة الشيوعية فى ذلك الوقت كان عاملا من عوامل الاتجاه الى محاربتها بالفكر الاسلامى وسيرة الرسول .

الثالثة — أن الفكر الغربى لم يقدم لرواده ودعاته ما كانوا يظنون أنه يصلح لترقية الحياة الفكرية والاجتماعية فى مصر فبحثوا عن وسائل مختلفة كالاتجاه الى الفرعونية أو غيرها فلم تحقق هدفهم فآثروا هذا الاتجاه ووجدوا فيه عامل البعث واليقظة والمقاومة .

ذلك هو ما اتصل بهذه الدعوة التى سرعان ما اتسع نطاقها حين كتب الدكتور طه (هامش السيرة) وتوفيق الحكيم أول قصة مسرحية باسم (محمد) ثم مضى اكثر من عشر سنوات حتى بدأ العقاد يكتب (عبقرية محمد) وعبقرياته الأخرى لعمر وخالد وأبى بكر وعلى ، وكان ذلك فى قلب الحرب العالمية الثانية .

وقد حاول « هيكل » أن يصور موقفه من هذا التحول فقال « لقد خيل الى زمنا ثم لا يزال يخيل الى أصحابى ، أن نقل حياة الغرب العقلية والروحية سبيلنا الى النهوض ، وما أزال أشارك أصحابى فى أنا ما نزال فى حاجة الى أن ننقل من حياة الغرب العقلية بل ما نستطيع نقله ، لكنى اصبحت أخالفهم فى امر الحياة الروحية ، وأرى ان ما فى الغرب منها غير صالح لأن ننقله ، فتاريخنا الروحى غير تاريخ الغرب ، وثقافتنا الروحية غير ثقافته . خضع الغرب للتفكير الكنسى على ما أقرته « البابوية » المسيحية منذ عهدها الأول ، وبقى الشرق بريئا من الخضوع لهذا التفكير . مظهرا من الأسباب التى أدت الى اضطراب الغرب الروحى ، كان الخروج على الكنيسة المسيحية فى الغرب اعلانا للثورة على السلطان . اما فى الاسلام فان أقرب الناس الى الله أتقاهم ولا فضل فيه لعربى على عجمى الا بالتقوى . لم

تعرف عصور الازدهار الاسلامى قيدا لحرية الفكر ما كان صاحبه يرى القصد يبتغى برأيه سبيل الحق • كيف نستطيع أن ننقل ثقافة الغرب الروحية لننهض بهذا الشرق ، وبيننا وبين الغرب فى التاريخ وفى الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم • لا مفر اذن من أن نلتمس فى تاريخنا وفى ثقافتنا وفى أعماق قلوبنا وفى اطواء ماضينا هذه الحياة الروحية نحيى بها ما فتر من أذهاننا وخمد من قرائحنا وجمد من قلوبنا •

ولقد خفى على هذا الكلام سنوات كما لا يزال خفيا عن كثير من أصحابى • ولقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتى ثقافه الغرب المعنويه وحياته الروحية لنتخذهما جميعا هدى ونبراسا ، لكننى أدركت بعد لأى أننى أضع البذر فى غير منبته ، فاذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ولا تبعث الحياة فيه • وانقلبت ألتمس فى تاريخنا البعيد فى عهد الفراعين موئلا لوحى هذا العصر ينشىء فيه نشأة جديدة، فاذا الزمن واذا الركود العقلى قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذرا لنهضة جديدة •

ورويت فرأيت أن « تاريخنا الاسلامى » هو وحده البذر الذى ينبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو ولأبناء هذا الجيل فى الشرق نفوس قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتى ثمرها بعد حين •

وان أمة لا يتصل حاضرها بماضيها خليقة أن تضل السبيل ، وان الأمة التى لا ماضى لها لا مستقبل لها • من ثم كانت الهوة ازدادت عمقا بين سواد الامم فى الشرق والدعوة الى اغفال ماضينا والتوجه الى وجه الغرب بكل وجودنا ، وكان النفور من جانب السواد عن الأخذ بحياة الغرب المعنوية مع حرصه على نقل علومه وصناعاته ، والحياة المعنوية هى قيام الوجود الانسانى للأفراد والشعوب ، لذلك لم يكن مفر من العود الى تاريخنا نلتمس فيه مقومات الحياة المعنوية لنخرج من جمودنا المذل ولنتقى الخطر الذى دفعت الفكرة القومية الغرب اليه فأدامت فيه الخصومة بسبب الحياة المادية التى جعلها الغرب الهه » •

وهكذا يبدو أن العودة الى كتابة السيرة والرد على المستشرقين فيما وجهوه الى السيرة من مغالطات وأخطاء يمثل مرحلة جديدة من حياة الرسول ، هذه الحياة الممتدة ، فى التاريخ والفكر والانسانية •

ومهما قيل من أن بعض الكتاب قد كتب ترجمة النبى فى ظل مخاوف الغرب من الشيوعية ابان الحرب العالمية الثانية، كما قيل عن عبقريات العقاد أو ما نفذت به سيرة هيكل من انكارها لبعض المعجزات ، أو عزو العقاد عظمة محمد وعمر وأبو بكر الى تكوينهم الشخصى لا الى اثر الاسلام فى نفوسهم ، فان هذا كله لم يقلل من الاثر الحى لبعث سيرة النبى على نحو جديد •

بل ان كتب المستشرقين المتعصبين عن الرسول فى الغرب قد استطاعت أن تهدى بعض المثقفين الغربيين الى الاسلام والى الاعجاب بشخصية النبى •

•••

بقى جانب هام من سيرة النبى وهى كتابات غير المسلمين من العرب ، هؤلاء الذين أعجبوا بالنبى اعجابا ملأ أنفسهم وهز قلوبهم • ويمكن القول أن شعراء المهجر الجنوبى فى البرازيل قد كانوا أكثر شعراء العربية المعاصرين اعجابا بالنبى وحديثا عنه وفى مقدمتهم الشاعر القروى « رشيد سليم خورى » وتوفيق بربر ونصر سمعان وحسنى غراب •

يقول الشاعر القروى :

عيد البرية فى المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دوى
عيد النبى بن عبد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوى
يا قوم هذا مسيحى بذكركم
لاينهض الشرق الاحبنا الاخوى
فان ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروى

وفى المشرق، وفى لبنان بالذات تبرز صورة الاعجاب والتقدير للنبى العربى بطلا وفخرا للعروبة .

* يقول وصفى قرنفلى :

قد يقولون شاعر نصرانى
يرسل الحب فى كذاب البيان
كذبوا ، والرسول لم يجر يوما
بخلاف الذى أكن - لسانى
أو عار على فتى يعربى
يتغنى بالسيد العدنانى
أو ليس الرسول منقذ هذا الشرق
من ظلمة الهوى والهوان
أفكنا لولاالرسول سوىالعبدان
بئست معيشة العبدان
أو ليس الوفاء أن تخلص المنقذ
حبا ان كنت ذا وجدان
فالتحيات والسلام أبا القاسم
تهدى اليك فى كل آن

* ويقول بولس سلامة :

هات يا أحمد المعظم آيا
سجدت عند سحره البلغاء
أطلعت كوكب الفصاحة أرض
عز فيها النبات والأنداد
هللى يا جزيرة العربفالاسحار
لاحت وانجابت الظلماء
واذكريه على الزمان صباحا
لألأت من سنائه الأرجاء
هز أم القرى وليد يتيم
وأهلت على الربى الأضواء

* ويقول نقولا حنا فى ديوانه (من وحى القرآن) :

محمد خير الخلق من اهل هاشم
نبى كريم الجدود كرام
لقد شرف الله الوجود ببعثه
وتم له فوق الانام مقام
مذ اختاره الرحمن للجهل اسيا
توارث جهالات وزال سقام
أنار عقولا أوغلت فى ضلالها
وأزرى بنور البدر وهو تمام
تقى نقى زاهد متهجد
عزيز أبى ليس فيه ملام
شجاع كريم لا يخيب سائلا
ولا عن غياث المستجير ينام
فضائله حين استبانت لقومه
دعوه أمينا وهو بعد غلام
سجاياه أعيا وصفها كل حاذق
فقصر مداح وضاق كلام
يقولون: ما آياته - ضل سعيهم
وآياته - ليست تعد - عظام
كفى معجز «الفرقان» للناس آية
علا وسما كالنجم ليس يرام
كفى نصره فردا تعاديه أمه
ومن ينصر الرحمن كيف يضام
تدافع عنه العنكبوت بخيطها
ويدفع كيد المشركين حمام

...

* وفى مجال النثر نرى « الياس خليل زخريا » يقول : محمد هو لنصارى العرب كما هو لمسلميهم ، أيها العرب المسلمون ، ليس محمد لكم وحدكم ولكنه لنا ولكم ، هو نبى دينكم وهو شهادة حق مقدسة فى ديننا ودينكم ، ومحمد للقومى منا عربى عظيم من قريش ، مولد ابن عبد الله القرشى مولدا للقوة وتحرر لجهاد ، لاخوة عربية مقدسة هى أنقى اخوة عرفها بشرى فى عين بشرى .

* ويقول « أمين نخلة » : محمد لا تستطيع طائفة من العرب أن تنفرد بالمتباهى به فهو فضلا عن كونه للخلق كلهم حيث يتشبهون بأكرم الآدميين فى حفظ النفس وحفظ الجار وحفظ الله فالاجدر ان يكون للعرب كلهم ، فمحمد اذن للعرب قاطبة فى لغة الكتاب والحديث ونعرة الجنس وشدة الحفيظة على كرام المبادىء ، وتاريخ لفتح الممالك وفتح العقول ، ملألأ كرأد الضحى وأخلاق عليها سلام الله .

لذلك تتماوج أرض العرب اليوم بمجد « واحد العرب » وحبه ، ويتجاوب الأصداء فيه

على رمل البيد ، ونبت الجبال ، وعلى كل شاطىء وخليج ، من مطلق الشمس فى الزرقة المشرقية الى محطتها فى الضحى عند حدود الصحو .

* ويقول « لبيب الرياشى » فى كتابه « نفسية الرسول العربى : محمد بن عبد الله السوبرمان الاول العالمى : » ما ندمت على شىء فى حياتى ندما عصبيا ساحقا مثل ندمى على جهلى نفسية الرسول العربى والامام الأعظم : محمد بن عبد الله .

ان هؤلاء العظماء سرعان مايفقدون هيبتهم اذا ماخالطوا الناس طويلا . أمامحمد فلم يكن فى مخالطته للناس وتبسطه فى معاملتهم الا عاملا على رفع مكانته واعلاء شأنه بهم .

انه ليدهشنى أن يكتب عن نابليون مائتا ألف مجلد وما مر على تاريخ وجوده غير مائة سنة وسنوات وان لا يكتب عن الرسول العربى العالمى غير مئات المجلدات ، انه ليدهشنى أن يكون بين العلماء العالميين والفلاسفة الاجتماعيين من درس الرسول وتفهمه ولامس رفاعته وطهره فى حياته وفى شريعته وفى أعماله ويظل بينهم من يخاصم ويجرح ... »

* ويقول « فارس الخورى » ان محمدا أعظم عظماء العالم ، ولم يجد الدهر بعد بمثله والدين الذى جاء به أو فى الأديان وأكملها . ان محمد أودع شريعته المطهرة أربع آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الشريعة التى دعا الناس اليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم . ان محمداً أعظم عظماء الارض ، سابقهم ولاحقهم ، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وانشأ منهم امة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء بها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها » .

ooo

وبعد فان الحديث عن سيرة النبى فى عيد ميلاد النبى عذب وحلو وهو يطول ما شاء الله له أن يطول ، فاليه فى مولده تحية عاطرة مستمدة من عطر سيرته وضياء أثره وفضله .

حقا ، لقد كان مولده أضخم حدث فى تاريخ العرب والاسلام والانسانية .

شخصية المسلم كما رسمها الرسول الكريم

الدكتور سعد الدين الجيزاوى

فى دبيع الأول من كل عام يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى ميلاد الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . ومن يوم أن بدأ المسلمون الاحتفال بهذه الذكرى المباركة فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، زمن الدولة الفاطمية ، الى يومنا هذا؟ ، وهم يتحدثون ، وسيظلون يتحدثون فى هذه المناسبة المباركة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها : خطابة ، وشعرا ، وكتابة ، يذيعون ما لرسول الانسانية من افضال على الانسانية ، ويرددون ما اتصف به صلوات الله وسلامه عليه من مزايا لا ينفذ الحديث عنها علي مر الايام وكر العصور .

كيف لا ؟

وهو الذى أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وجعل رسالته رحمة للعالمين ، وانزل عليه كتابا مبينا « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الي النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » ؟

وعظمة الرسول الكريم متعددة الجوانب ، يجد فيها دعاة الاصلاح فى كل زمان ومكان غاية ما يطمحون اليه من المثل العليا فى مختلف مناحى الحياة

ومن اهم الأمور التى تحتاج اليها المجتمعات فى بناء أفرادها ، وتنشئة رجالها تنشئة قوية صالحة ... العناية بتوجيه الانسان نحو نفسه ، وتعريفه بقيمته بين سائر الكائنات ، وقدره فى المجتمع ، حتى لايكون مفقود الارادة ، معطل التفكير ، عالة فى تصرفاته على غيره لا يدرى ما يأتى من الأمور وما يدع .

ومحمد صلوات الله وسلامه عليه قد بعث ليتمم مكارم الاخلاق ، ويوجه الانسانية الى ما يصلح شئونها . وفى قمة الأخلاق أن يكون الانسان شجاعا فى الحق ، صريحا ، لا يحسب فى تصرفاته لغير الله والضمير حسابا ، وبهذه الصفات تتفاوت قيم الأفراد ، فيثبت اشخاص ويصبحون فى عداد الخالدين على مدى الأيام والسنين ، ويمحى آخرون ، فلا يعرف التاريخ لهم خبرا ، ولا تخلد لهم ذكرى .

ومن هنا ندرك حرص الرسول الكريم على تربية الشخصية ، والاعتداد بالنفس عند اصحابه الكرام ، حتى اصبح كل واحد منهم أمة فى نفسه ، لا يعرف غير الحق ، ولا يجامل كبيرا ولا صغيرا ، ولا قويا ولا ضعيفا على حساب الحق ... فكانوا رضوان الله عليهم مثلا عليا فى الرجوله ، وفى البطولة ، وفى الصراحة ، واصبحوا خير قدوة لمن يريد أن تكون له ذكرى ، واستحقوا بجدارة وصف الرسول الكريم لهم : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم أهتديتم » .

تعالى معى ايها القارىء الكريم نستعرض بعض ما ورد عن الرسول الأمين فى بناء شخصية المسلم المنشودة ، وكيف كانت هذه الشخصية من أهم العوامل فى اقامة المجتمع الاسلامى الأول ، وبناء أمة قوية استطاعت فى أقل من ربع قرن من الزمان ان تقهر مظاهر الفساد ، والظلم ، والطغيان ، وتقيم صرحا خالدا من العدالة ، والعزة ، وتنتشر راية الاسلام فى ربوع العالمين . ثم نسأل انفسنا : اين نحن من صورة هذه الشخصية ، وأين ينبغى أن يكون منها ؟

والدعامة الأولى التى ارتكزت هذه الصورة عليها هى : تحمل المسئولية الشخصية ، وخلق الوازع الداخلى الذى يجعل محاسبة الانسان نابعة من ذات نفسه فهو يشعر أبدا بالرقابة على تصرفاته ، رآه الناس ، أو كان بعيدا عن أعين الناظرين .

ومن هنا ندرك الحكمة فى أن اول دعوة وجهها الرسول الكريم الى قومه حين دعاهم عند الصفا قد تضمنت هذا التوجيه الأساسى فى خلق شخصية المسلم ، عندما ذكر صلوات الله وسلامه عليه : أن الانسان محاسب على أعماله ، مجزى بما قدمت يداه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وانه ليس بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار ، الا الجنة أو النار .

ولقد توالت آيات القرآن الكريم طوال عهد الرسالة تؤكد هذا المعنى ، وتنبه الانسان الى أنه مسئول شخصيا عن سائر تصرفاته : فلا أبوة ولا بنوة ، ولا اخوة ولا قرابة ، ولا جاه ولا رياسة ... بدافعة عن الانسان ، أو مغنية عنه شيئا ، بل كل امرىء مجزى بما عمل « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون » . وحينئذ يكون « كل امرىء بما كسب رهين » ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى » ... الى أن كانت آخر آية نزلت من كتاب الله الكريم - فى أرجح الأقوال - هى قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون » . مؤكدة معنى المسئولية الشخصية حتى يستقر فى النفوس ، ويمتزج بالأفئدة ، ويصبح المسلم شاعرا عن يقين بأن له كيانا مستقلا ، يحكم على نفسه بنفسه ، ويعرف أخطاءه فلا يتمادى فيها ، بل يسعى الى طريق التوبة ، وتطهير النفس ، ليحس بأنه برىء : برىء أمام ضميره ، أمام قلبه فتطمئن نفسه الى لقاء ربه ، لا يبالى بما يصيبه من غيره ، ما دام هو على الحق المبين .

وظل الرسول الكريم حريصا على غرس « الاستقلالية » فى نفوس أصحابه ، يتجلى ذلك حين ينهاهم عن ان يكون احدهم تابعا فى تصرفاته لرأى غيره : « لايكن احدكم امعة ، يقول : ان احسن الناس احسنت .. » الى آخر الحديث الشريف الذى يوضح معالم الشخصية المستقلة فى تصرفاتها .

ثم قوله عندما أراد بعض القوم ان يتشفعوا لفاطمة المخزومية التى سرقت الحلى حتى لا تقطع يدها : « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ثم ختم ذلك بقوله اعلمى يا فاطمة بنت محمد ، اعلمى يا صفية عمة محمد ان محمدا لن يغنى عنكما من الله شيئا» . ثم ما جاء فى الحديث القدسى : « ... ياعبادى انما هى اعمالكم احصيها عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمدالله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » .

ثم ماذا ؟

من اهم ملامح شخصية المسلم المنشودة : الصراحة .

وهنا نجد الرسول الكريم شديد الحرص ايضا على تربية هذا الخلق القويم ، فان الصراحة هى التى تفرق بين رجل ورجل ، وتميز انسانا على انسان . وفى هذا نجد امثلة كثيرة من اقوال الرسول الأمين مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغى لا مرىء شهد مقاما فيه حق الا تكلم به ، فانه لن يقدم اجله ، ولن يحرمه رزقا هو له » . تأمل أيها المسلم ما تحمل هذه الكلمات الموجزة من معانى القوة ، والدلالة على عظمة النفس ، وشعور المرء بقيمة نفسه : لا يخشى حاكما لسلطانه ، ولا قريبا لصلته ، ولا غنيا لماله ، بل هو الحق ، والحق وحده . ثم ماجاء فى الحديث القدسى : « نفث فى روعى روح القدس : ان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، ففيم الدنية ؟ » واذا فلا ينبغى للمؤمن أن يكتم الحق ما دام فى ضمان من الله تعالى .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الساكت عن الحق شيطان اخرس » . وفى هذا التشبيه تحذير من كتمان الحق ، وتنفير من الجبن ، وترغيب فى الصراحة ، ودعوة الى ان يؤمن الانسان بنفسه ، لأن السكوت عن الحق مصدره الخوف والجبن وضعف الشخصية وخسة النفس .

ثم يوجه الرسول صحابته الكرام الى ان يكونوا صرحاء ، شجعانا فى الحق أمام مختلف طبقات الناس : من علماء الى حكام الى عامة الشعب فيقول :

« الدين النصيحة » ! وعندما يسأل : لمن يارسول الله ؟ يقول :

« لله . ولرسوله . ولأئمة المسلمين . وعامتهم » . والنصيحة فى جانب الله جل علاه تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ونصرة الحق دعى المؤمن الى ذلك او لم يدع كما نرى فى الحسبة التى تجعل من كل مسلم رقيبا على حدود الله فى كل زمان ومكان ...

وكذلك النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تكون باتباع سنته والاقتداء به فى اقواله وافعاله ما استطاع الى ذلك سبيلا .

اما النصيحة لأئمة المسلمين - والمقصود بهم هنا : الحكام - فتكون بالصراحة فى مواجهة الأمور ، فان الحاكم من البشر وليس فى عصمة الأنبياء ، فينبغى على كل مؤمن اذا اقتنع بخطأ فى سياسة الحاكم أن يرشده فى لباقة وكياسة حتى يصل الى هدفه من الاصلاح . لأن الصالح العام ملك للجميع ، ومن هنا ندرك الحكمة فى تشجيع هذا اللون من الصراحة أمام الحاكم ، واعتباره فى القمة وذلك حيث اعتبر الرسول الكريم أن من يقتل بسبب هذا اللون من الصراحة فهو شهيد وذلك فى حديثه الشريف : « من قام فى وجه حاكم ظالم فقتله فله اجر شهيد » .

وأحداث التاريخ مليئة بهذا اللون من الشجاعة وما أصاب أصحابها ثم ما كان لهم من أثر فى هد الظالمين .

ولنتذكر تلك الصراحة الفذة التى واجه بها رجال ثورتنا الأحرار الملك الطاغى بما قد يعيبهم ، ولكنهم صدقوا فى ايمانهم ، وآمنوا بنصر ربهم ، ففتح الله عليهم ووفقهم ، وهزم أمامهم سائر قوى الظلم والطغيان .هذه

الصراحة التى كنا نفقدها فى حكامنا السابقين أمام الطغاة الظالمين .

كذلك ينبغى أن نذكر توجيه الرسول فى ان من حق المؤمن الا يطيع أمر رئيسه اذا كان مخالفا لشرع الله ورسوله . وهذه ناحية هامة فى اظهار شخصية المؤمن الحق ، يقول عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على المرء المؤمن فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » لأن حق الله مقدم على كل حق ، ولنعتبر بما كان فى ماضينا القريب حين كان بعض المرءوسين يخضعون لأوامر ، رؤسائهم دون نظر الى ما فيها من حرام أو حلال ، أو صلاح أو فساد ، ارضاء لملك طاغ ، أو طمعا فى منصب أو مال .. لنعتبر بما حل عل هؤلاء من كراهة الشعب وغضب الله ، ثم ما باءوا به من خسار ، وما زال عنهم من جاه وسلطان .

ثم ماذا ؟

ومن ملامح شخصية المسلم المنشودة : حسن الخلق ، والتواضع ، والألفة .. يقول الرسول الكريم فى ذلك « الا أنبئكم بأحبكم الى ، وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ؟ . » قالوا : بلى يارسول الله . قال . « احاسنكم أخلاقا ، الموطاون أكنافا ، الذين يالفون ويؤلفون ، ، ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف » .

وفى حديث آخر يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ويقول : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ويقول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

الى غير ذلك من الاحاديث العديدة التى ترشد الى ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من حسن الخلق وكرم العشرة وحب التعاون والبعد عن الايذاء ...

وبعد : فهذه فيما اعتقد اهم ملامح الصورة التى ينبغى أن يكون عليها المسلم الحق . ونحن معشر المسلمين مطالبون بان نقتدى بما فى سيرة الرسول الكريم ، فالله تعالى يقول :« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله ، واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » . ويقول الرسول الكريم « عليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . عضوا عليها بالنواجذ »

وينبغى الا نقتصر على معرفتنا للمثل العليا دون ان نطبقها فى حياتنا ، ولئن كنا فى ما ضينا القريب نعيش مع هذه المثل فيما نقرؤه عن البطولات فى الكتب والسير ، فاليوم أمامنا المثل تعيش بيننا ، وتكتسب محبة القلوب ، وتفوز بنصر الله ، وتزداد قوة على قوة يوما بعد يوم .

لا أقولها ملقا ، طمعا ، وانما هى كلمة حق :

فيوم أن بدا رجال منا يترسمون خطى الرسول الكريم، ويقتدون بما فى سيرته من مواقف مجيدة أمام قوى الشر ، وأحسوا بالمسئولية الشخصية فزالت من قلوبهم رهبة الطغاة ، وأيقنوا أن الصراحة فى كل موقف هى مفتاح القوة ، ودليل الثقة بالنفس ... عند ذلك اقدموا غير هيابين ، وفتح الله عليهم ، ومكن لهم ما لم يمكنه لغيرهم من ضعاف العزائم وان كل واحد منا ، بل من العالم أجمع ، لا يسعه الا أن يعترف بالفضل ، ويسجل بالفخار مواقف الرئيس جمال عبد الناصر أمام قوى الشر والطغيان : يوم ازالة الملكية ، ويوم الجلاء ، ويوم تاميم القناة ، ويوم العدوان الثلاثى ويوم اصدار قوانين يوليو ٦١ وأيام المؤامرات الاستعمارية المتوالية انها لمواقف خالدة ، اعزت شعبا ، وبعثت أمة .

انها نفحات مستمدة من سيرة الرسول، وانا لنرجو الله تعالى أن يزيده توفيقا ، وأن يسدد خطاه فى اقتفاء ما فى سيرة الرسول الكريم من كل ما يزيد أحوالنا رشادا فى تشريعنا وفى سائر أمورنا .

فى ذكرى المولد

"تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه"

فضيلة الشيخ حسن وهدان

ان ذكرى ميلاد المصطفى - عليه الصلاة والسلام - تنير القلوب وتحيى النفوس وتبعث فيها الأمل وتحفزها على العمل • فلقد كان ميلاده ايذانا بمشرق الاسلام واخراج العالم الى النور من الظلام • لقد كان فجر الملة الاسلامية والشريعة الالهية التى ختم الله بها الشرائع السابقة • قال تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » •

انقاذ العالم من الضلالة :

أنقذ صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة الالهية العالم من الضلالة وأبان له طريق الاستقامة فكان العلاج الشافى للورى من أمراضه فقد كانت الفوضى شاملة والأهواء مسيطرة والعادات الفاسدة متحكمة • خذوا وأد البنات على القسوة الشائعة فى الجاهلية مثلا قال الله تعالى « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » •

ساءت الحال قبل البعثة فتلمس العقلاء سبل النجاة وجأروا بالشكوى فمن الله عليهم بارسال أفضل أنبيائه وأحبهم اليه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم • قال تعالى « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » وقال جل شأنه « وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض » •

انتشار الاسلام بالحجة والبرهان لا بالسيف :

لقد سعد من استجاب لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآمن به ووقف الى جانبه ينصره ويشد أزره ويصد عنه كيد أعدائه وظل يبلغ رسالة ربه سالكا سبيل الحجة أول أمره حتى كثر أنصاره قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وكان يدعو خفية ثلاث سنين الى أن أمر بالجهر والعلانية وقد حاول المشركون قتله والتخلص منه عدة مرات كما أنزلوا العقاب الشديد بأصحابه فسجنوا البعض وكووا البعض بالنار ليرجعوا عن دينهم ويتركوا صحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأذن الرسول لهم بالهجرة الى الحبشة فرارا من الاضطهاد • وقد حاصر المشركون بنى هاشم

والمطلب ثلاث سنتين فلم يعاملوهم ولم يناكحوهم ومنعوهم الطعام وكتبوا كتابا بذلك فسلط الله الأرضة عليه فأكلته ولم يبق منه الا ذكر الله وأخبر نبيه بذلك فذكره لعمه أبي طالب فخرج وأخبر المشركين بذلك فلما رأو صدقه نكسوا على رؤوسهم ولم يستجيبوا لدعوته استكبارا وعنادا فانتهى الحصار •

ولكن أبا طالب وخديجة قد ماتا واستمرت مناوآت الأعداء وفكروا فى القضاء عليه - صلى الله عليه وسلم - بيد شبان أشداء من جميع القبائل فيعجز بنى هاشم عن حربهم جميعا فيقبلوا الدية وبهذا يكونون قد استراحوا منه ومن دعوته • فأعلم الله رسوله بمكرهم قال تعالى « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » وأمره بالهجرة الى المدينة فهاجر وقد احتفت الهجرة بأخطار ولكن الله سلم وتمت الهجرة بحراسته ورعايته فوجدت الرسالة الاسلامية أنصارا أقوياء ومهاجرين أشداء فأعد - صلى الله عليه وسلم - العدة لحماية رسالة السماء من المشركين السفهاء وحاربهم فى غزوة بدر بعد مضى تسعة عشر شهرا من هجرته الى يثرب • ولا ريب أنه - صلى الله عليه وسلم - قد أرسل فى سن الأربعين ولبث بمكة داعيا الى الله ثلاثة عشر عاما وبالمدينة تسعة عشر شهرا قبل أن يرفع السلاح فى وجوههم فكانت هذه المدة كافية لمن أراد أن يعرف الحق • وقد أذن للرسول وللمؤمنين أول الأمر أن يدافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم قال تعالى « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** » •

ثم أمروا بالجهاد قال تعالى « **يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** » •

وقال تعالى « **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** » الى غير ذلك من آيات وأحاديث الجهاد • فامتشقوا الحسام اعلاء لكلمة الاسلام لا رغبة فى الانتقام أو لددا فى الخصام وقد بشرت آيتا البقرة وآل عمران المستشهدين فى سبيل الله • قال تعالى « **ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** » وقال تعالى « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين** » •

لقد ظهر للعيان أن من دخلوا الاسلام اعتنقوه بمحض اختيارهم مدة أربعة عشر عاما ونصفا تقريبا معتقدين صدق الأدلة والبراهين على وحدة الله وزيف ألوهية الأصنام والأوثان فلن ينفع بعد هذا مع أهل الشرك والعدوان الا السيف والسنان •

كما يقول الشاعر :

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

من هذا يتضح أن الاسلام قد اعتمد على توجيه العقول الى طريق الصواب ورفع ما يحول بينهم وبين الحق من التمويه والحجاب وبيان حياة الطهارة والاستقامة وتعاليم الاسلام التى تحقق العدالة وتحفظ الكرامة وتمحو كل آثار الغواية والضلالة وتنشر لواء الحرية وتقضى على كل أسباب العبودية وتمنح المصلحين قوة يتمكنون بها من عمارة الكون •

قال تعالى : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** » •

وقال تعالى « **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض** » •

فادعاء أعداء الاسلام أنه انتشر بالسيف وبسفك الدماء افك وافتراء ومحاولة لصرف

العقول عن رسالة السماء فما أعظم التوفيق الذى أحرزه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى ثلاث وعشرين سنة . وهى مدة وجيزة بالنسبة للرسالة العظيمة ولكنها الهمة القعساء والعمل المتواصل فى سبيل الغاية النبيلة وتركيز المبادىء الرفيعة والأسس القويمة . قال تعالى « **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم** » .

القدوة الحسنة :

كان الرسول يأمر بالمعروف ويبادر بالامتثال وينهى عن المنكر وينأى بنفسه عما ينافى الكمال فما أعظم أثر الأقوال اذا أيدتها الأعمال . قال الله تعالى « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » .

فمن مثله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الوفاء بالوعد وصدق الحديث وايثار الغير على نفسه والعزوف عن مظاهر الترف والترفع والعطف على المحتاجين ومواساة المسلمين فلا عجب اذا كان أحب اليهم من أنفسهم . قال تعالى « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » وقال تعالى « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » وقال تعالى « **وانك لعلى خلق عظيم** » .

وهنا نرى البون شاسعا بيننا وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فقد استطاعوا أن يشقوا طريقهم بين قوم كافرين أما نحن فقد عجزنا أن نرد المنحرفين من المسلمين ونقنعهم بأن ما يحل بهم من الارزاء انما هو بسبب تقصيرهم فى حق شريعة السماء .

العمل بأحكام الاسلام أعظم حفاوة بميلاده :

فما أجدرنا ونحن نحتفل بذكرى مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن نحييه بالاقبال على شريعة الله والاعتصام بها والسير على هديها ونبث مبادئها فى الأمة لتكون على بينة من أمرها . ولا ريب أن أقرب طريق للوصول الى كل خير أن نكون مؤمنين صادقين قال تعالى « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » وقال تعالى « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » .

مولد النور والهدى

الدكتور محمد مظهر سعيد

شاءت حكمة البارى – جل وعلا – أن يخلق الأرض ، ويزودها بكل صنوف الخير والرزق، لتكون مقاما ومستقرا للانسان ، الذى استخلفه عليها ، يعمل فيها وينتج ، ويكد ويكدح ، ليكسب عيشه حلالا مباركا، وينجب من البنين والبنات ، من يعمرونها ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها • ويكون منهم قوم يعبدون الله ويتقونه حق تقاته ، وان كان الله غنيا عنهم وعن العالمين • وجدير بخليفة الله على الأرض أن يكون على خلق يجعله أهلا لهذه المهمة السامية التى اختاره الله لها •

ولما كانت رسالة الانسان قد بدأت فى السماء ونزلت الى الأرض وستعود للسماء مرة أخرى ، فان الله لم يخلقه من نور ليكون ملاكا معصوما ، ولا من نار ليكون شيطانا عربيدا ، وانما خلقه من طين ، ليكون صالحا للبقاء فى الأرض وفى نفس الوقت أهلا لتقبل رسالة السماء •

والانسان بحكم طبيعة خلقته هذه ، فيه نفس أمارة بالسوء ، همها تحقيق مطالب البدن الضرورية واشباع رغباته وشهواته ، من أى طريق ، دون نظر الى خلق كريم أو مبدأ سليم ، وفيه بصيص من عقل ، يميز به بين الحلال والحرام ، ويهديه الى طريق الخير • فان غلبته نفسه ضل سواء السبيل، وكان من الضالين ، وان حكم عقله كان من الأبرار الصالحين ، والانسان بينهما يخطىء ويصيب ، ولكنه يفيد من التجربة فى كل مرة ، ويدرج مدارج الرقى ، خطوة خطوة فى تقدم بطىء ولكنه وئيد •

وهكذا كانت حياة الانسان على الأرض ، منذ أن وجد ، سلسلة من مراحل التطور ، كل منها تتبع ما قبلها وتمهد الطريق لما بعدها •• والله يرعاه فى كل هذه المراحل، فيرسل رسولا أو نبيا ، يبشره بالخير ان اهتدى ، وينذره بالشر ان ضل ، وتكون رسالة كل رسول متدرجة كذلك ، تضيف شيئا الى

ما سبق ، وتمهد بذورها لما سيأتى ، تمشيا مع ظروف الانسان ومرحلة تطوره ، وهكذا يجىء نوح بوصاياه السبع ، وموسى بوصاياه العشر ، وعيسى برسالة المحبة والسلام • ويشاء الله بعدئذ أن يتم نعمته على الانسان ويرتضى له الاسلام دينا ويأتى محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالدستور الكامل لحياة الانسان فى الدنيا والآخرة ، وبهذا يكون خاتم الرسل والأنبياء •

وتثبت الكتب السماوية أن كل رسول يبشر برسول يأتى من بعده ، يبين علامات ظهوره ، بحيث لا يخطئه الناس • فقد بشر الله زكريا بيحيى ، وبشرت الملائكة مريم البتول بعيسى ـ عليه السلام ـ وبشر عيسى بنبى يأتى من بعده اسمه « أحمد » •

ولكن اليهود والمسيحية معا خلقا طائفة من الكهنوت احتكروا الدين وجعلوا أنفسهم وحدهم قوامين عليه ، وصار لهم سلطان ومغانم ومصالح ذاتية ومادية ، حرصوا عليها كل الحرص ، أغراهم شيطان الجشع ، فحرفوا الكتب وأنكروا العلامات •

أجل •• لقد بشر موسى بالمسيح ولكن اليهود تنكروا له وهو منهم ، وقالوا انه ليس المسيح الذى ينتظرونه ، كما أنكر النصارى محمدا رغم اعتراف بعض كهنتهم ورهبانهم بأنه الرسول المنتظر ، الى جانب اعتراف نجاشى الحبشة وقيصر الروم به ، بعد ما سمعوه عنه من نفس مشركى قريش •

ويروى عن علامات نبوة محمد ، قبل مولده وبعده ، على لسان معاصريه العرب ، من وثنيين ويهود ومسيحيين على السواء ، شىء كثير متواتر ، نختار منه ما يلى :

مر أبوه عبد الله على امرأة من أجمل النساء ، فدعته الى نفسها ، لما رأت نور النبوة فى وجهه فأبى ، ودخل على زوجته آمنة بنت وهب ، فحملت ، ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت •• فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضته على بالأمس ، فقالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس وليس بى اليوم حاجة • وقد كانت هذه المرأة تسمع من أخيها ورقة بن نوفل النصرانى ، أنه كائن فى هذه الأمة نبى ، يخرج من صلب رجل بين عينيه غرة بيضاء كغرة الفرس •

وروت أمه آمنة حين حملت به ، أن نورا خرج منها رأت به قصور بصرى فى أرض الشام • وروى حسان بن ثابت : أنه سمع يهوديا يصرخ بأعلى صوته على حصنه بيثرب: يا معشر يهود ، طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد ••

وكان لحليمة الأسدية ، قبل أن ترضع النبى ، طفل ، لا ينامون الليل من بكائه من الجوع ، فما فى ثديها ما يغنيه أو يغذيه ، فلما وضعت محمدا فى حجرها ترضعه ، أقبل عليه ثدياها بما شاء من لبن فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه فى الرضاعة حتى روى ، ثم ناما • وشربت هى وزوجها حتى انتهيا ريا وشبعا ، وباتا خير ليلة • وكانت أرضها أجدب أرض ، فكانت الغنم حين قدمت به ، تروح شباعا لبنا ، واغنام غيرها فى نفس المرعى جياع لا تأتى بقطرة لبن •

وروى الرسول كما روى أخوه فى الرضاعة ، وهو بعد طفل صغير : أنه كان يرعى البهم حيث بيوتهم، فجاءه رجلان عليهما ثياب بيض ، بطشت من ذهب مملوء ثلجا ، فأخذاه فشقا بطنه ، واستخرجا قلبه فشقاه ، واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، وغسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى أنقياه •• وقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمة لوزنها •

وروت حليمة أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه بعد فطامه ، فنظروا اليه وسألوها عنه ، وقلبوه ، ثم قالوا لها ، لنأخذن هذا الغلام ولنذهبن به الى ملكنا وبلدنا، فأن هذا غلام كائن له شأن • ونحن نعرف أمره • ويروى أن كاهنا من لهب ، رأى محمدا وهو صبى ، فقال ـ والله ليكونن له شأن ، ولما

حمله عمه أبو طالب معـــــه فى رحلة تجارة للشام ، نزلوا بصرى وبها راهب يقـــال له ــ بحيرى ــ فى صومعتـــه ، وكانوا يمرون عليه من قبل فلا يكلمهم ولا يعرض لهـــم ، حتى كان ذلك العام ، فصنع لهم طعاما كثيرا منذ رأى محمدا فى الركب وغمامة تظلله من بين القوم٠ وجعل بحيرى يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء فى جسده ، وجعل يســأل عن أشياء عن حاله ، ومحمد يجيبــه الى ما يسأله ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة على كتفيه ٠ وقال لعمه ــ أرجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود ٠ فوالله لو رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ٠

وكذلك فعل ثلاثة من النصارى أهــل الكتاب ٠ وطرح محمد بعد أن تزوج خديجة فى تجارة لها بالشام ومعه غلامها ميسرة ٠ ونزل فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فاطلـع الراهب الى ميسرة ، وقال : ما نزل تحت هذه الشجرة قــط الا نبى ٠ وقالت خديجة لابن عمها ورقة بن نوفـل النصرانى ما ذكره غلامها ميسرة ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقا يا خديجة كان محمدا لنبى هــذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهـذه الأمة نبى منتظر هذا زمانه ٠

ولم يكن مولد الرسول ــ عليه الصـلاة والسلام ــ وظهوره مجرد حدث تاريخى محلى ، كأى من أنبياء بنى اسرائيل ، وانما كان حدثا عالميا خطيرا ، لا بالنسبة لقـومه وللعرب وحدهم ، أو لذاته ومكانته ، انمـا بالنسبة للعالم أجمع ولكل زمان ومكان ٠ فمحمد هو خاتم الرسل والأنبياء ، والاسـلام هو دين الله ، ورسالته أكمل الرسالات ، وشريعتـه أشمل الشرائع ٠ وقد تناول الاسلام والقرآن وتاريخ محمد عدد كبير من غير أهله بالبحث والدرس والنقد ٠ فمنهم من قبل على دراسته بعقلية موضوعية منطقية مجردة عن الهــوى والتعصب ، فهداه الله الى الايمان فأسلم ، أو على الأقل وقف موقف المقدر المحـايد ، ومنهم من أعماه التعصب ، فاقبل يبحث عن الشبهات فيجسمها دون أن يعرف حقيقتها وحكمتها وينأى عن الحقائق الدامغة ، على أنه مهما يكن من تخبط هؤلاء المتعصبين ٠٠٠ فانا نجد بين حين وآخر فى ثنـايا أقوالهم وكتاباتهم بصيصا من نور الحق يأبى الله الا أن يظهره ، ليكون حجة دامغة للاسلام عليهم ، والفضل ما شهدت به الأعداء كما يقولون ٠

ومن الخير للقائمين بالدعوة للاسـلام أن يدرسوا هذه الأقوال والكتابات ، لأن استشهاد المسلمين بالقرآن والسـنة وأقوال المفسرين وأصحاب السير قد لا يقبله المتعصبين من غير المسلمين حجة عليهم ، ولكن الحجة التى تفلت منهم أنفسهم أقوى وأبلغ ٠ وأذكر على سبيل المثـال ، ما ذكرته موسوعة « تاريخ العالم للمؤرخين » وهى أكبر موسوعة تاريخية اشترك فى تحريرها ألف مؤرخ وعالم عن محمد والاسلام ٠

« يتميز القرن السابع الميلادى بظهور النبى محمد ، الذى قدر له أن يعيد بناء المجتمع العربى على أساس جديد ، ويبث الحيـاة والنشاط فى الجزيرة الخاملة ، وكان هـذا فاتحة عهد التقدم والرقى ، الذى اتخذ مظهرا مدهشا لنشاط جديد واتساع لا حدود له ، وتأكيد للقومية العربية وتوحيدها بصـورة حاسمة ٠ وفقد زالت عبادة الاوثان التى أحلها عرب الجاهلية محل الاله الواحـد ، الله ، وتفجرت العاطفة الدينية الحقة من كل جانب ، وكانت هناك الى جانب الوثنية ديانات عدة ٠٠٠

فعندما طارد الأشوريون والاغريق والرومان اليهود من ديارهم ، نزحـوا الى الجزيرة العربية ، فرحب بهم أبناء اسماعيل ، الذين يعبدون اله ابراهيم ، واعتنق بعضهم اليهودية واستقروا فى أرض الحجاز فى منطقة خيبر ويثرب ، فكانت موطن قبائل قريظة والنضر اليهودية ٠ وكانت الصائبة عباد النجوم ، والماجية عباد النـار منتشرة بين الحميريين وساحل الخليج الفارسى ، وفى عمان بعض البرهميين ٠ واعتنق المسيحية الغسـاسنة وبعض قبائل العراق والجزيرة والبحرين ٠٠ وعرف الانجيل فى اليمن بمساعى نجـاشى

الحبشة وامبراطور بيزنطة .. وحاول أبرهة أن يجعل كنيسة صنعاء كعبة يحج اليها العرب بعد أن يهدم كعبة مكة . ولكن الوثنية كانت مع ذلك هى الديانة السائدة ، ان صح أن نسميها ديانة . وكانت الكعبة حرما مقدسا للوثنيين وعباد النجوم الصابئة وعباد النار واليهود على السواء . وكان ظهور محمد بدينه الجديد انذارا بخطر ماحق يهدد مصالح السدنة والكهنة . فاضطهد وأوذى وعذب وقوطع وطرد من مكة وهاجر الى المدينة . وهناك التف حوله الأنصار والمهاجرون . فقاتل فى سبيل الله وانتصر ، واستقر الاسلام وانتشر كالنار . وصار للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها دولة لم تدانيها دلة أخرى .

أما محمد ذاته ، فمن الصعب رسم صورة لمتعبد غار حراء وواعظ مكة وفاتح جزيرة العرب . ويبدو أن صاحب هذه الثورة الجبارة كان يمتاز بالتقى والتأمل . وحتى بعد أن كفل له زواجه بالتاجرة الغنية العيش الهنى تجنب طريق الطمع والجشع ، وعاش عيشة بريئة بسيطة . وكانت فكرة التوحيد تملأ قلبه وعقله ، بقدر احتقاره وكراهيته لوثنية مكة . وآمن بواجبه كانسان ومواطن فى نشر رسالة الخلاص وانقاذ بلاده من سطوة الخطيئة والخطأ . ويمكن أن ينسب نشاط عقله ، المتجدد بغير انقطاع ، واتجاهه لنفس الغرض الواحد ، الى دعوة الهية ، وحرارة ادراكه الملهم أو خياله الى وحى السماء ، واحساسه الباطن بمرشد غير مدين الى ملاك يرسل من الله . ويمكن الاعتقاد بأن دوافع محمد الاصيلة كانت البر والاحسان الصرف الحق .. وهو كانسان يضيق ذرعا بمن يرفضون دعوته بعناد .. ويحتقرون رسالته ويضطهدونه فى حياته ، ولكنه كان يصفح عمن يسىء اليه بقدر مايكره أعداء الله . وقد قضى فى سياسة حكمه على التعصب الجامح ، واضطر لاستخدام نفس خطايا البشر كأداة لخلاصهم . وكان يمارس الفضائل الذاتية والاجتماعية الضرورية للاحتفاظ بمكانته كنبى بين أتباعه وأصدقائه . والفيلسوف الذى يلحظ ايمان أتباعه به وبخاصة فى رسالته لا يسعه الا أن يؤكد بقوة رسالته الالهية . وبعض النقائص التى تنسب لمحمد ، كقتل اليهود ، لدليل على اخلاصه لهذه الرسالة . ففى بيع الرقيق مثلا ، يشفع له أنه أمر بالجمع بين الأمهات وأولادهن . وكان بذوقه السليم يحتقر مظاهر الملكية والامارة . وكثيرا ماكان يكتفى فى طعامه بكسرة من خبز الشعير ، وقد يقدمها للفقير الجائع وهو فى حاجة اليها .. وكان طعامه العادى البلح والماء وأفضل طعامه اللبن والعسل . أما الخمر فقد حرمها ، وأطايب الطعام تجنبها .. وجو بلاد العرب الحار يدفع الناس بطبعه للاغراق فى شهوتى البطن والفرج ، كما كان يفعل عرب الجاهلية ، فأطفأ محمد نار الدم الملتهب بتحريم الزنا وتحديد الزواج والطلاق .. وهكذا وضع مبادىء تشريع هادىء معقول .

وفى الوقت الذى كان فيه محمد يدعو فيه للتوحيد ، ارتدت مسيحية القرن السابع الميلادى الى ما يشبه الوثنية . فكان المسيحيون يتوجهون فى صلواتهم ودعواتهم الى آثار بعض القديسين وصورهم وتماثيلهم ، التى دنست هياكل الرب .. وهكذا اختفى عرش الاله القادر وراء سحب الشهداء والقديسين والملائكة . وأله بعضهم العذراء مريم . وجاءت ديانة محمد خالية من الشك والغموض . والقرآن شهادة دامغة بوحدانية الله . وقد رفض نبى مكة عبادة الأصنام والناس والنجوم على أساس محبة منطقية ، وهى : ان كل ما يطلع يغيب ، وكل ما يولد يموت ، وكل كائن قابل للفساد والزوال .. أما خالق الكون ، الذى اعترف به فى تحمس منطقى ، عبده وحده ، فهو كائن لا نهائى أبدى ، لا شكل له ولا مكان ، وليس له مثيل أو شبيه ، وهو موجود فى سرائرنا الخفية ، بضرورة وجود ذاته . وهو المصدر الذى ينبثق منه كل كمال عقلى خلقى .

وسلسلة الوحى المتصلة لم تنقطع من آدم الى محمد • وهناك سنة فى الرسل ، أدى كل منهم جزءا من رسالة الدين الحنيف •• الواحد الكامل • وكل منهم خطا بالبشرية خطوة للامام ، وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وكل منهم يعلو درجة على سلفه ومن ينكر أيا منهم يكون كافرا •

وكانت أقوال محمد دروسا فى الصدق ، وأعماله مثلا للفضيلة • والاسلام دين الرحمة والاحسان • فهو يعتبر اغاثة الملهوف واعالة الجائع والفقير واجبا مفروضا، وليس احسانا • ومحمد هو المشرع الوحيد الذى نظم البر وحدد ما يجب على كل مؤمن أن يؤديه لغيره من المحتاجين •

ان صفات محمد تستحق منا التقدير والتصفيق ، ولكن نجاحه يظفر منا بأكبر قسط من الاعجاب • وليس العجب فى انتشار الاسلام ، وانما فى ثباته واستقراره ، والأثر النقى الكامل الذى طبع به مكة والمدينة ، لا يزال يطبع قلوب الملايين من المسلمين ، طوال هذه القرون ولو عاد القديس بطرس أو بولس الآن للفاتيكان لتساءل عن الدين الذى يعتنقه المسيحيون ، ولحاد فى هذه الطقوس العجيبة البعيدة عن تعاليم المسيح ، ولدهش من التأويلات والتفسيرات الغريبة لأقواله وكتاباته ، فى حين أن مساجد الاسلام لا زالت على بساطتها الأولى ، وصورة الله فيها لم تدنس بتماثيل وأصنام ••

وشخصية محمد لم تعبد وتقدس ، بل ظلت دائما مثلا للخلق الكامل • ومهما تقول عنه خصوم الاسلام من يهود ومسيحيين ، فان محمدا استطاع أن ينشر بين المؤمنين روح البر والصداقة الحقة ، وأوصاهم بالفضائل الاجتماعية ، وقضت شريعته على روح الكراهية والظلم ، ووحد بين القبائل المتعادية • وجمعهم تحت لواء واحد ••

هذه نتف من أقوال المؤرخين ، وردت فى ثنايا نقدهم لمحمد والاسلام ، وهى حجة عليهم وعلى غيرهم من اليهود والصليبيين الملحدين المتعصبين • ولعلها تزيد المسلمين ايمانا على ايمانهم ، وتملأ قلوبهم حبا للاسلام ونبيه الرسول الأمين ، وتذكرهم بمولده الكريم •

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين •

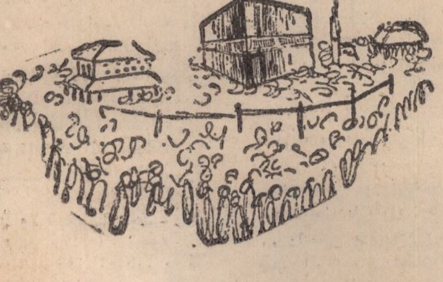

مولد المصطفى

الأستاذ عبد العليم عمر

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسـول الله صلى الله عليه وسلم • وبعد•• فان اجل الذكريات • وأروع الحفلات . وأمتع الأحاديث ، وأحسن النـدوات . ما كان عن يوم ميلاد خير الأنبيـاء ، وسيد السعداء . وصاحب السدرة العصماء . سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله خير خلق الله .. فقد كان مولده بشير الخير ، وسبيل البر ، وباب الرحمة ، ورسول المحبة ، تحدث الوجود عن ميلاده ، وتشرفت الأرض بظهوره ، واستضاء الكون بنوره ، لأنه أعظم مولود ، وسيدالوجود ، وأفضل موجود .. جاء لهداية البشرية ، واحياء الانسـانية واضاءتها من الظلمات الى النور ، وانقاذها من الضلال الى الهدى ، واخراجها من الجهل الى العلم ••

الله به الأعين العمى ، والاذان الصم .والقلوب الغلف، وحرر الله به العبيد ، وأيقظ الضمير ، حتى حطموا قيود الاستبداد . وقاوموا الفساد ، ورفع الله بـه الانسان .. فرفع رأسه ، وعلم قدره ، وأدرك فضله . فعلى حين فترة من الرسل •• وبعد ان ادى المسيح عليه السلام رسالته ، ورفعه الله اليه .. مضت قرون على الانسانية تتخبط فى الظلام ، وتسير فى خضم من الأوهام : ياكل القوى الضعيف . ويتحكم السـادة فى العبيد ، ويستذل الأغنياء طبقة الفقراء المسـتضعفين يسومونهم سوء العذاب ، والنـاس فى تلك العصور

كالبهائم .. لا كرامة لأحد .. ولا شخصية لأحد ، ولا

عزة لأحد .. يسيرون فى حياتهم وفق أهوائهم وتبع ميولهم وشهواتهم .. ظلوا على هذه الحال قرابة ستة قرون .. حتى آذن الله للانسانية أن تخلق خلقا جديدا

..وكتب لها ميلادا سعيدا .. ففى صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل .. تحت ظلال الكعبة المشرفة .. فى شعب بنى هاشم بمكة بلد الله الحرام .. فى أشرف بيت من أنجب فصيلة .. فى أعز قبيلة من خير شعب .. ولد الطـاهر المطهر النبى العربى القرشى الهاشمى الأمى محمد بن عبد الله ... ولد نبى لا كالنبيين . ورسول لا كالمرسلين .. رسول تنقل فى اصلاب عظماء تشرفوا بأبوته ومهدوا لرسالته .. الى أن برز الى عالم الدنيا .. فمثل العظمة بأجلى معانيها فى جميع أطوار حياته كلها .. مثلها فى نشأته طفلا ويافعا وشابا ورجلا ونبيا ورسـولا .. حتى كان القدوة الحسنة والمثل الأعلى . كما قال الله تعـالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .. تقـول السيدة أمه آمنة بنت وهب : لما آخذنى ما يأخذ النساء رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح علي فؤادى فذهب عني الرعب •• ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهم من بنات عبد مناف يحدقن بي .. فلما اشتد بى الأمر اذا بديباج قد مد بين السماء والأرض .. ثم رأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة .. فكشف الله عن بصرى .. فرأيت مشارق الأرض ومغاربها .. رأيت ثلاثة اعلام مضروبات : علما بالمشرق ، وعلمـا بالمغرب ، وعلما على ظهر الكعبة المشرفة .. فأخـذنى المخاض .. فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فاذاهو ساجد لله ••وروى عنها انها قالت : لما وضعت محمدا سمعت مناديا يقول : طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها .. واعطوه خلق آدم ، ومعرفة شيث ، وشجاعة نوح . وخلة ابراهيم ، ولسان اسماعيل ، وشدة موسى ، وصبر أيوب ، وطاعة يونس ، وعصمة يحيى ، وزهد عيسى•• واغمسوه فى أخلاق النبيين .. فأنت يا محمد خلاصة

النور فى القلوب . وخلاصة أخلاق النبيين « وانك لعلى خلق عظيم » .. ولد النبى صلي الله عليه وسلم يتيما .. لم تكتمل عيناه برؤية والده .. وماتت أمه وهـــو رضيع .. فلم ينعم بعطف الأب ، ولا بحنان الأم ... سبحانك يارب العالمين لا رفيع الا من رفعته ، ولا قوى الا من قويته ، ولا مصطفى الا من اصطفيته .. لا يملك الناس لما أردت تغييرا ولا تبديلا .. أردت أن تتفجـــر آيات النبوة حيث اليتم والفقر .. لتعلم الناس أن ما يتكاثرون به من أموال ويتفاخرون به من انساب تافـه زهيد .. وان الفضل كل الفضل لما تهبه من قلب كبير وروح عظيم .. فما أكثر الأغنياء والكبراء وأصــحاب الجاه والسلطان الذين عاشوا لأنفسهم ياكلون ويتمتعون وفى نعيمهم يتقلبون .. ثم ماتوا فما تركوا فى النـــاس أثرا باقيـــا ولا ذكرا خالدا .. طوتهم العصور طيا وأصبحوا نسيا منسيا .. لكن محمدا سيد الخـــلق أجمعين لا يزال باقيا فيها .. شرع من الدين ما يهدى الى الحق والى الطريق المســـتقيم .. لا يزال محمد باقيا فى الدين الذى انتشر فى مشارق الأرض ومغاربها .. حاملا الى كل اطرافها مبادئه السامية ومثلها العليا .. تذعن لها العقول وتتفتح القـــلوب .. ولله الحكمة البالغة فى أن محمدا ولد يتيما .. فقد أراد الله ولا راد لمشيئته . الا يكون للناس فضل عليه . ويكون الفضل كله لله وحده « وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى » من هذا اليتم الذى ألم برسول الله صلي الله عليه وسلم عرف الناس ما لم يعـــرفوه من قبل . وتعلموا ما لم يتعلموه من قبـــل .. عرفوا أن الأدب والكمال والأخلاق لم يتصف بها انسان بتوجيه الأبوين ، ولا بتعليم المعلمين .. ولكنه هبـــة الله يهب فضله لمن يشاء ويحرمه عمن يشاء .. فنشأ صلى الله عليه وسلم بتربية ربه ، وبتأديب ربه ، وبتعليم ربه ، لا فضل لمخلوق عليـــه .. فكان قوله صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وكان قول مؤدبـــه له « وانك لعلى خلق عظيم » وكـــان قوله عليه الصلاة والسلام « علمنى ربى علوما لم يعلمها لمخلوق سواى » وكان قول معلمه له « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » ..فيتيم حالته هـــذه لم يكن يتيما حقا . ولكنه رمز للغير اذا كان يتيما .. الا ييأس من رحمة الله والا يحزن من حرمان الأبوين ، والا يظن أن الرزق بيد الأبوين .. والا يركن الى ميراث الأبوين أو مجدهما أو عزهما .. بل يتعود الانسان أن يركن الى رب الســـموات والارض ، وأن يسترزق رزقه من رب السموات والأرض ، والا يتكل على مخلوق أبدا حتى وان كان أعز الخلق اليه .. بل عليه أن يعمل ويجـــد ويجتهد .. فنحن فى عصر السرعة .. عصر الذرة .. نحن فى مجتمع يسير قدما الى الامام كى يعوض مافاته من السنين والايام .. فالاتكال كله على الله ، والرزق كله بيد الله .. ولا أدب ولا علم ولا كمال ولا عز ولا غنى الا بأمر الله .. هذه كلها أصول تشريعية وضع أسسها يتم النبى صلى الله عليه وسلم للحياة الانســـانية فى الوجود ..

ولد النبى صلى الله عليه وسلم أميا لايعرف القراءة ولا الكتابة .. ولكن علمه الخلاق العليم . فجاء علمه .. معجزة الدنيا بأسرها وحديث العالم بأركانه .. ولله در من أصبح للعلماء اماما، وملأ طباق الارض علما وعرفانا وايمانا وتوحيدا واصلاحا وعدلا وأخاء ومساواة وحرية وأمنا..هذا النبى اليتيم الامى الذى كلأه الله بعنايته ونشأه فى رعايته ، وطهره من آثام الجاهلية ، وعصمه من ضلال الشرك ، وعبادة الأوثان ، وأعده لأكبر رسالة الهية ، وأسمى دعوة الي رفع شأن الانسانية ، وتوطيد أركان المجتمع البشرى على أساس العقل والحكمة والاقناع بالحجة .. فكان صلى الله عليه وسلم جماع الفضـــائل الانسانية كلها ..

كفاك بالعلم فى الأمى معجـــزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتـــم

ما شاء الله كان .. يتيم أمي ينشأ فى فقر وضعف فيتسامى بخلقه وايمانه ، وبرعاية الله له سبحانه .. وينصب نفسه بأمر ربه لهداية العالم ودعوتهم الى الله والى الحق المبين . فيقـــوم بتلك الدعوة الجبارة وحده فى أول الأمر ، معتمدا علي ربه ، وعلى صدق دعوته وتمام ايمانه وكمال يقينه ، وانه على الحق والناس جميعا علي الباطل وان الله مؤيده وناصره .. ولد يتيما أميا فقيرا من جاه الدنيا وعزها .. لم يعلن عن مولده المعلنون .. وان كان قد تقدم ذلك المولد انتظار طويل من الكهان والعرفاء وعلماء التوارة والانجيل .. ولد صلى الله عليه وسلم.. فكان هذا الميلاد ايذانا بأن الانسانية فى ارفع مظاهرها ، والحرية فى أرقي مشاعرها . والانسان الذى كرمه الله على جميع المخلوقات ، وميزه بالعقل والتفكير والمسئولية .. كل أولئك قد ولد بهذا المولد..وتفتحت عنه الاكمام حين نزل من بطن أمه ناظرا ببصره شاخصـــا الى السماء .. ذلك ان الناس كانوا قبل هذا الميـــلاد فوضى .. حياتهم شهوات ، ومعيشتهم حروب وحزازات ومقامهم فى الدنيا مقام لا ضابط له ولا مسيطر عليه .. فهم والحيوان الأعجم سواء .. الا من حفظ الله من قلة .. ظلوا عاكفين على النظر فيما مضى من سير السالفين .. فلما ولد محمد حيا الله هذا الميلاد بنصر قريش على أصحاب الفيل .. وحفظ بيته وحرمه من كيد أصحاب الأضاليل « فأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » .. حيـــا الله هذا الميلاد بأن هز أعلام الشرك .. وقوض أركان الباطل ، ودك حصون الأباطرة . حيا الله هذا الميلاد بأن بارك كل من اشترك فى الفرحة بمولده ، واضفى على كل من ساهم فيه بنصيب بخيره وبره العميم .. حتى ألد أعداء هذا الطفل حين كبر .. عمه أبو لهب .. كان قـــد اعتق جارية بشرته بمولده فجزاه الله على هذا الصنيع : وهو المجرم الكافر الفاجر . بأن يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين فى الساعة التى بشر فيها بمولده واعتق الجارية حين زفت اليه نبأ ولادة ابن أخيه .. وأعد الله هـــذا الوليد اعدادا خاصا .. ليكون مولد الانسانية فى أسمى معانيها مقترنا بمولد هذا اليتيم الامى الفقير .. فملأ قلبه رأفة ورحمة..وحباه برقة وحنان لم يسمع بمثلها الزمان .. وعصمه فى طفولته من كل غلظة فى الطبع . أو قسوة فى القلب .. فكانت حياته قبل أن اصطفاه الله للاضطلاع بأعظم رسالة فى الوجود صورة مصغرة لحياته حين حمل العبء ، ونيطت به المسئولية .. فمحمـــد الطفل اليتيم الأمى الفقير الرقيق الحاشية اللـــين الجانب .. هو نفسه محمد النبى الرسول القـــوى الأمين . الشجاع المحارب .. انسانيته هي هى فى كـــل مراحل حياته .. وعظمة معاملته للناس هى فى طفولته مثلها فى شبابه ، شبيهها فى كهولته ، صنوها فى فتوته وشيخوخته .. انظـــروا اليه يسير فى الطريق فيراه بعض الناس فيتهيبونه فيقول لواحد منهم « هون عليك فأنا ابن امرأة كانت تأكل القديد فى مكة » ثم انظروا الى خادمه انس بن مالك اذ يقول :

خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى عن شىء فعلته لم فعلت هذا قط ولا عن شىء تركته لم تركت هذا قط وكنا نذهب الى السوق فيشترى حاجته فاحاول ان احملها فيقول لى « لا ياانس : صاحب الشىء احـق بحمله »

ثم أنظروا اليه يقول « ان امراة دخلت النار فى هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض » والمتتبع لسيرة سيد الخلق عليه أفضل صلاة وازكى سلام .. يجده فى مختلف أطوار حياته وفى جميع تصرفاته الانسان الفذ والمخلوق الكامل ، فهو فى السلم نسيج وحده فى معاملة الناس ، والترفع بالانسانية عن كل اعتبار جلس ذات يوم فمرت به جنازة يهـودى فى المدينة .. فوقف خشوعا واجلالا للموت .. فقال لـه عمر : لماذا وقفت يارسول الله ؟ ان صاحب الجنـازة يهودى .. فقال له « أليس انسانا ياعمر » وبقرت هند زوج أبى سفيان بطن عمه حمزة فى غزوة احد ورآها فتالم اشد الالم واقسم لئن ظفر بالمشركين ليمثلن بعشرة .. ثم جاء التنزيل الكريم فاستل من نفسه الغضب ، وحل محله الرضا بالقدر .. ثم رأى الباكين على قتلاهم ولم يشهد من يبكي حمزة .. فقال تلك الكلمة التى تحمل بين طياتها معانى الانسانية من شفقة ورحمـة وحب وحنان « ولكن حمزة لابواكى له » ووسد ابنه ابراهيم التراب وهو يقول « ان العين لتدمع وان القلب ليخشع وانا لفراقك ياابراهيم لمحزونون » وصـلي ذات يوم فبينما هو ساجد اذ جاء حفيده الحسن بن على رضى الله عنهما فركب فوق ظهره .. فاطال السجود حتى ظن اصحابه ان الوحى قد جاءه وهو على هذه الهيئـة .. فلما انتهى من الصلاة ساله أصحابه فقال « لا شىء مما تظنون .. ولكن هذا الطفل امتطانى واحببت ألا ازعجه » فكان بارا بسبطيه وباهله وبالناس جميعا . فاذا سمع بكاء الحسن والحسين رضى الله عنهما داخل الدار ، يظهر الألم على وجهه الشريف ويقول للزهراء - رضى الله عنها - « الم تعلمى أن بكاءهما يؤذينى » ومر يوم فرأى الصبيان يلعبون ويمرحون ويلبسون الجديد الا طفلا لم يشاركهم فرحهم ، ولم يتزى بالجديد مثلهم .. فتقدم اليه فى انسانية رفيعة ورقة رحيمة وساله عن حاله .. ولما علم انه يتيم اخذه فكساه وظـل يلاعبه ويداعبه ويضاحكه حتى زال ما بنفسه من ألم .. وكان مما قاله « الا ترضى أن يكون محمد لك أبا .. وخديجة لك اما .. وفاطمة لك اختا .. » .. أى انسانية فى اى عصر من العصور أرفع من تلك الانسانية الرحيمة ؟ .. وأى انسان بلغ من الكمال ما بلغ هذا اليتيم الأمى الفقير ؟ .. لم يوجد .. ولن يوجد هذا اليتيم الامى .. فقد صنعه الله مرة .. ولن يوجد بعـد ذلك حتى يقوم الناس لرب العالمين .. صنعه ليغير به أوضـاع الحياة .. واختاره ليرتفع بالانسانية الى المكان اللائق .. واختاره مصطفي ومرتضى ليضع للحياة قيمة .. وان اهم صفة كان يتصف بها صلى الله عليه وسلم فى صغره وفى كبره - تلك الصفة التي وضع أساسها محمد صلى الله عليه وسلم - هى صفة الثبات على المبدأ .. فـلا يتزعزع ، ولا يتغير ، ولا يتبدل ، ولا يتشكل ، ولا ينافق ولا يتهاون ، ولا يخادع ، ولا ينخدع .. مهما لاقى اشد المصاعب واشد البلاء فى سبيل نشر دعوته التى خلق من اجلها ، ووجد من اجلها ، وبعث من اجلها ، وارسل اليه من اجلها ، وانزل عليه الكتاب من اجلها ، وانزل عليه جبريل من اجلها ، ليكون رحمة للعالمين ، وهاديـا الى الصراط المستقيم ، وموصلا الى رضا رب العالمين ..

اقبل محمد فى ربيع الأول ، وبين فصل الربيع وشهر ربيع تشابه فى كثير .. ففى فصل الربيع : يعتدل الجو ويخضر الزرع . .وتورق الأشجار ، وتفتح الزهـور ، وتنضج الثمار ، وتفرح الطيور .. كذلك ربيع الاسلام الذى أتي به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فقد اقبل ربيع الاسلام فى عام الفيل .. فانار الوجـود ، وأثار الحكمة ، وزرع أصول المحبة ، وفجـع الظلمة ، وصفع الشرك ، وصدع بالأمر .. فجمع النـاس على التوحيد ودعم السلام .. اقبل الربيع فى عام الفيل .. وفى ركابه أمل ، وفى طياته بسمة ، وفى ثناياه نهضة وفى حناياه حيـاة .. أقبل ربيع الاسـلام فى عام الفيـل .. وقـد بدت بشـائر النبـوة وسـطع ضياؤها فى الوجود ، فتجـلى الله عـلى الدنيا بنور جعله حياة كل والد وسعادة كل مولود .. وغرس للعالم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها .. وهو الكلمة الطيبة السارية فى الوجود ، من لبى نداءه فقد لبى نداءها ، ومن تعارفت روحه بروحه فى عالم الأرواح فى عرض الذر الادمى فقد تآلفت روحه بروحه فى الحياة ، واتصف بما اتصف . فالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .. ثم أقبل ربيع النبوة فهبت نسيمه من قبل موسمه ، وظهرت دلائله فى شمائله ، فكان صادقا امينا فى وحدته وفى عشرته ، وكان صابرا حليما فى شدته وفى محنته ، وكان شاكرا كريما فى عسره وفى يسره ، وكان فى طفولته يعقل بعقل الكبار كما كان فى شبابه بعيدا كل البعد عما يفعله الفجار .. فقد هـل على الناس بربيعه مثلا كاملا لكمال الأخلاق ، هل بربيعه على الناس فاخرجهم من ظلمات الجهل الى نور المعـرفة واليقين ، ونقلهـم من ضلالة الوثنية الى هداية رب العالمين ، وأبد لهم من التفرقة جمعا ، ومن العدواة اخوة ومن الضعف قوة ، ومن الجهل معرفة وعلما ، فـكان بذلك رحمة للعالمين . تحقيقا لقول العلي الكريم « ومـا أرسلناك الا رحمة للعالمين » اختاروه قاضيا يحكم بينهم فى رفع الحجر فقضى بينهم بالعدل وأطاعوا ما امر ، كانوا شيوخا وهو صغير وكان حكمه بينهم كبير .. فقـد أعطاه الله الحكمة قبل أن يرسله ، وفتح له من الخيـر كل باب « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومـا يذكر الا اولوا الالباب » وكانت رؤياه وحيا قبـل أن يوحى اليه ، وكان منطقه فصلا قبل ان ينزل عليه .. ولما أقبل ربيع الرسالة جاءه الناموس بالبيان الأعظـم فقال له « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسـان ما لم يعلم » وقد كرر عليه جبريل أمر القراءة ثلاثا ، وكان الرد ما انا بقارىء ، وفى كل مرة يوحي اليه سرا من أسرار الخالق البارى ، وقد أشار الله فى كلامه انه انزله عليه دفعة واحدة ، وجعل ليلة انزاله عليه ليلة مباركة ، قدرها عظيم ، وخيرها عميم ، وفيها يفرق كل امر حكيم .. ثم اقبل ربيع الدعوة ، فأرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . ومبشرا المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، ولم يطع الكافرين والمنافقين فيما عرضوه عليه من وسائل الاغراء ، صابرا متحملا اشد البلاء وانواع الايذاء ، متوكلا كـل التوكل على رب الأرض والسماء .. فنصره الله بنصره العزيز ، وأيده بفتحه المبين .. واليوم وبعد اربع من بعد عشر من القرون .. وقد هل على الناس ربيـع الاسلام من جديد .. اليوم .. وقد هبت الامم العربية من رقدتها ، واتحدت بعد خلف ، واجتمعت بعد فرقة ،

وتكتلت بعد شتات . وتقربت بعد بعد ، ووصلت بعد صد .. فقامت بزحف روحي يستمد قدسيته من الضمائر والقلوب ، وتماسك يستند الى الحق ، ووحدة تدفعها قوة ، ويؤلف عقدها دين قويم..نصر فى مصر.. وبشرى فى دمشق .. وأمل فى الرياض .. وفرح فى بغداد .. وثورة فى عمان . .وانتفاضة فى بيروت .. واستقلال فى الجزائر.. ووثبة فى ليبيا .. وانتصار فى صنعاء.. فلتسجل الدنيا ، وليسطر التاريخ .. الا فلتعلم الرأسمالية والشيوعية والصهيونية ..ان الأمة العربية قد هل ربيع اسلامها من جديد .. وقد نفضت عنها غبار الذل والهوان الى غير رجعة باذن الله ، وان باسها اليوم شديد .. فليهدؤا من ثائرتهم ، وليقلعوا عن خططهم الفاشلة ، وليثوبوا الى رشدهم .. فان الناس فى مصر وفى خارج مصر .. يستعدون لساعة الصفر .. وبعدها ينبثق فجر الاسلام بالأمل والفخر « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » ..

جعل الله مقامه رفيعا وحسنه بديعا ومولده للمؤمنين ربيعا .. فما برح دين الاسلام به مرفوعا ودين الشرك به موضوعا ، طاب أصولا ، وزكا فروعا .. اختاره الله فى الدنيا رسولا ، وجعله فى الآخرة شفيعا وقال له : « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » بشرت بنبوته الأحبار والرهبان ، وأخبرت بظهوره الكهان ، وظهرت له علامات فى الأكوان ، فارتج لولادته ايوان كسرى وتداعي البنيان ، وجفت بحيرة ساوا وغاض منها الماء ، واخمدت لفارس من نوره النيران .. فيا أخوة الاسلام ، ويا عشاق المصطفى عليه الصلاة والسلام .. أنظروا ما أعده الله لهذا النبي الكريم من العطاء الجزيل والتبجيل والتكريم .. فهو الرسول المخصوص بالخلق العظيم . الموصوف بكل وصف كريم . المنزل عليه فى الآيات والذكر الحكيم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »..

روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : سالت باب مدينة العلم سيدنا عليا كرم الله وجهه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يأبا هريرة : ان النبى صل الله عليه وسلم .. رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وقائد الغر المحجلين وسيد جميع الأنبياء والمرسلين ، الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، رءوف بالمؤمنين ، شفيع للمذنبين ، أرسله الله تعالى الى كافة الخلق أجمعين ، كما قال فى كتابه المبين « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فهو صاحب المقام المحمود . والحوض المورود . واللواء المبرور ، والشافع فى اليوم الموعود ، امام علوى ، لسانه عربى ، نوره خمرى ، قلبه نوراني ، روحه رحمانى ، كعبة حجازى ، وهو رسول الثقلين ، ونبى الحرمين ، لا بالطويل العالى ، ولا بالقصير الدانى . أبيض اللون مشرب بالحمرة ، اقنى الأنف ، ادعج العينين ، أزج الحاجبين ، براق الجبين ، كحيل العين ، باسط اليدين عظيم المنكبين ، قامته بين القامتين ، اذا قام مع الناس عمهم فى القيام ، واذا مشى معهم كانه سحاب مطل ، فسيح القدمين ، صاحب قاب قوسين ، نبى الرحمة ، شفيع الامة . عالى الهمة ، طالق البياض ، حميد الذكر ، جليل القدر ، طيب العرق . حسن الخلق ، جميل الخلقة ، جديد الطرف لا حجاب له ، جميل الانام حلو الكلام ، ركن الاسلام ، ماحى البدائع ، مظهر الشرائع واسع الصدر ، قليل الضحك ، كثير البكاء . أمين السماء ، كاتم السر ، خاتم البر ، جزيل العطايا ، لم تبغه نحله ، ولم تزره قله ، وقد أخبر الذئب عن رسالته وأخبر الضبع عن نبوته ، وقام البراق اجلالا بحرمته . قائما بامر الله ، موفيا بوعد الله ، مشمرا فى عبادة الله ، ساتر العورات ، قاطع الشهوات ، قاهر العثرات ، مستسلما لمرضاة الله ، صوام النهار ، قوام الليل ، ناصر البررة ، كاسر الكفرة ، قاتل الخوارج الفجرة ، سهل عند المصاحبة ، عدل المقاسمة ، سباق عند المعاملة ، شجاع عند المقاتلة ، مفلج الثنايا ، كثير التسبيح ، قليل التنعيم ، شجى النديم ، فصيح القول رزين العقل ، عفيف النفس ، مدور الوجه . ناعم الشعر شديد سواده ، متصل الي شحمة اذنه ، له شعرتان فى جسده قائمتان كانهما المسك الأذفر ، ولم يكن على جسده سواهما ، اطيب الناس ريحا واسخاهم كفا ، واذا سلم عليه رجل أو صافحه احد وجد من كفه رائحة الجنة الى ثلاثة أيام ليل نهار ، واذا جلى صحن المسجد كأنه القمر ليلة البدر ، وجعل الله فى وجهه نور النبوة يتلألأ تلألؤ القمر ليلة التمام ، وجعله الله رسولا كريما وسماه قيما ، فى لحيته كثافة ، وبين كتفيه علامة هى خاتم النبوة مكتوب فيه بقلم القدرة الالهية .. لا اله الا الله محمد رسول الله ..

لو أنصفت الانسانية اليوم لاتخذت من يوم مولد النبى عيدا عالميا مشهودا ، يمجدون فيه أعظم ذكرى عرفها التاريخ ، ذكرى محمد الفاتح الخاتم الصادق الأمين . الرءوف بالمؤمنين رحمة بالمساكين « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم» فما آدم وشجرته ، وما الرسل قبله الا كالنجوم يمهدون للقمر ، فاذا طلع نوره بهر واضاء الكون اجمع ..جمع الله فى رسالته الرسالات كلها ، وفى نبوته النبوات كلها ، وفى معجزاته المعجزات كلها ، وفى كتابه الكتب كلها .. « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فالذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » فالبشير والنذير والبرهان والنور هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ماذا يبلغ الناس الناس بعد ثناء الخالق الاكبر عليه ومدحه له فى كتابه الكريم بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » نبى الرحمة ، وبحر الحكمة ، وامام الهدى ، وعين الكمال .. لو سأل سائل عن محمد نبي الاسلام والمسلمين .. لأجيب بانه البحر الزاخر ، والبدر المنير ، والسراج الوهاج . والحق الذى سدده الحق ففتح فى الفضل والفضيلة والدين والدنيا فتحا قريبا .. واذا كانت مبانى الأهرام دليلا على قوة الأقدمين .. فمباني الاسلام دليل على حكمة رب العالمين .. دعا محمد دعوة الدليل الصديق الي خير السبل ، وصبر على الايذاء صبر اولى العزم من الرسل .. جاء محمد فلم يكن ملكا حشد وحشر ونهى .. بل نبيا عبدا .. حشد الى الهدى عبيد الأضاليل ، والي التوحيد عباد التماثيل ، والى الحق ابناء الاباطيل وحشر فى القلوب القاسية رأفة ورحمة . وفى الأخلاق الغليظة رقة وحكمة . وفى الأرواح الخبيثة طهارة وذمة ، وفى الأشباح الفاترة نشاطا وهمة .. نهى عن افشاء الأسرار ومصاحبة الاشرار والنظر الى بيت الجار .. نهى عن أكل الأمانات وسب الأموات وقذف المحصنات .. نهى عن التنفير والتعسير والتغرير والتحقير والتبذير والتقتير .. نهى عن الفحش والفحشاء والكذب والافتراء والجدل والمراء والسمعة والرياء .. نهى عن التباغض والتنازع والتحاسد والتصارع .. نهى عن البذاءة والسب والازدراء والضرب والعيب .. نهى عن الاستماع

والنميمة والنزاع والمكر والخداع .. نهى عن كل ردىء فى العادات والطباع .. أمر ببر الوالدين والعمل للدارين وحفظ اللسان والعين.. أمر بصلة الارحام والانة الكلام واطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام .. أمر بحفظ العهود ومراقبة الرب المعبود .. أمر بالمساواة والعدل والتآخى والبذل والترفق والمهل .. أمر بالصبر عند الصدمة والشكر على النعمة والجد فى الخدمة .. أمر بما فيه سعادة العالمين .. أمر بما فيه صلاح الدنيا والدين .. فهل بعد هذا يقال انه رجل ساحر محتال أو به جنة ؟؟ .. كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم : تعليما فى تهذيب تشريعا فى تاديب تدبيرا فى ترتيب .. ايفاء بالعهد وفاء بالوعد صدقا فى القصد .. معروفا فى بر حفظا فى سر .. ذكرا فى استغفار دعاء فى الاذكار سكينة فى وقار .. ابهة فى جمال نورا فى جلال هيبة فى كمال .. صبرا فى حلم حكمة فى علم حزما فى عزم .. تؤدة فى كلام صياما فى قيام عدلا فى احكام .. بشاشة فى لين اخلاص فى يقين عزيمة فى دين . رأفة بالمؤمنين رحمة بالمساكين .. احسانا فى معاملة لطفا فى مجاملة ابتساما فى مقابلة .. خشوعا فى صلاة خنوعا فى مناجاة قنوعا فى حياة .. بذلا فى سماحة عقلا فى رجاحة قولا فى فصاحة .. سداد رأى فى آراء صدق فى وفاء عفافا فى حياء .. صلى الله عليه وسلم ..

سيدى يارسول الله

يمر العام تباعا . والناس فى مشارق الأرض ومغاربها ياخذون حظوظهم من الخير أو الشر بمقدار توفيق الله لهم أو ابتعادهم عن حماه .. وتتشابه الأيام والليالى حتى يكاد الناس يحسون فيها معنى السأم أو الملل .. فاذا ما اشرقت اضواء شهرك على الناس وعلى الكون تنفست الدنيا الربيع الباكر .. واحست كأن ميلادا روحيا جديدا يطوف بها وينفضها من رقادها ويبعثها من سباتها لتستقبل شهر مولدك بنفحات من ذكراك وبسمات من عطر دعوتك .. انت الذى اصطفاك ربك لحمل الأمانة ونشر الدعوة وتثبيت قواعد ملتك فى هذا الوجود « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .. لقد كانت أيامك ياسيدى يارسول الله بين الناس معدودة محدودة .. وقد يكون ممن سبقك من طال عمره أكثر من عمرك ، وامتدت أيامه أكثر من أيامك .. ولكنك فى ثلاثة وعشرين عاما فقط استطعت ان تهدم وثنية وأن تزيل شركا وان تحطم طواغيت وان تؤسس دولة عمادها الوحدانية ، وشعارها التوحيد ، وهتافها : الله أكبر ، وعقيدتها لا اله الا الله محمد رسول الله .. واذا كان قد جرى عليك يا أحب الخلق الى ربك ما يجرى على الناس كافة من سنة الموت واللحاق بالرفيق الأعلى .. فانك حي موصول الحياة بدعوتك القائمة الباقية ما بقيت السموات والأرض وبسنتك الطاهرة المطهرة التى ستظل مؤيدة منصورة مهما كاد لها الكائدون وتآمر عليها المتآمرون ..

سيدى يارسول الله

لقد قلت وقولك الحق « انا رحمة مهداة » وما أنت بالسبب الضعيف .. وما احوجنا وأمواج الباطل تتقاذفنا وتكاد تجرفنا .. الى قبس من نورك وشعاع من هديك ونفحة من نفحات خيرك وبركتك .. فيا سيد الانسانية ويا رسول البشرية ، ويا قائما بالحق وداعيا باذن ربه الى الصدق .. انا لنذكرك فى شهر مولدك فنذكر كيف جاهدت فى سبيل ربك حتي جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .. وانا لنعاهد الله أن نقتدى بك ونترسم خطاك وننهج نهجك القويم .. وانا لنسأل الله ربك بجلال وجهه وعظيم سلطانه وجليل تكريمه لك .. أن يأخذ بالنواصى الى سواء السبيل ، وأن يصد الشاردين عن متاهات الطريق ، وأن يعصم قلوب المناضلين فى سبيل دعوتك بالثبات والأمان ، وأن يجمع المسلمين على كلمة الهدى والتقوى .. انه أفضل مسئول وأكرم مأمول ..

ربنا اننا نضرع اليك فى يوم نبيك وحبيبك وصفيك .. أن تبارك مسعانا وتلهمنا رشدنا وتطهر نفوسنا وتوحد صفوفنا وتحسن ختامنا وان تأخذ بأيدينا الى ما تحب وترضى .. ربنا وتقبل دعاءنا .. واسبغ فضلك ونصرك وتأييدك على المجاهد المناضل رئيسنا وقائد نهضتنا وموحد قومنا ومحرر أوطاننا الرئيس جمال عبد الناصر ..

المثل الأعلى للإنسانية

محمد رسول الله

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

من عهد قديم والمسلمون يحتفلون بذكرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذا حسن وجميل لما فيه من الاعتراف بالفضل ، وتقدير الرجال وتربية الأجيال ، وجميل أيضا أن تتكرر هذه الحفاوة كل عام .. وجميل ما نسمعه فى حفلات هذه الذكرى الكريمة من السادة العلماء يحللون للناس شخصية الرسول الله ومانقرأه اللكاتبين فى هذه الذكرى للتعريف بعظمة رسول الله ..

وأجمل من هذا وذاك أن عظمة رسول الله تعالت على الباحث المنقب فلم يستطع لها رقيا وأن شخصية الرسول عظمت على الأديب فلم ينلها أدبه ، وعلى الكاتب فلم يكشف عنها قلمه ، بعد أن طال بحثهم فيها بكرة وعشيا . ولا عجب فلقد بحث الباحثون مقومات هذه الشخصية ، وما تنطوى عليه من العظمة النفسية – والمواهب الروحية ، والاخلاد الى الانسانية الفاضلة ، والرجولة الكاملة ، فتحطمت الأقلام ، وبلغ تحليل الباحثين مداه وما وصلوا الى عمق هذه الشخصية .. فان شخصية الرسول ليست بالشخصية العادية التى يحيط بها نطاق القول ، ولكنها الشخصية الفذة التى تحمل الناس فى كل زمن وفى كل جيل ، وفى كل طبقة وبيئة على الالتفاف حولها والحفاوة بها ، تجديد ذكراها بوسائل شتى كل بما يناسبه من وسائل الاعلام بمظاهر الفرج والسرور ..

وماكان للناس أن ينسوا محمدا أويتناسوه. فهو مصحح العقيدة والداعى الى الشرعة الحكيمة ، وهو واضع أكمل أساليب العلم ، وأعدل طرق السياسة وأرقى روابط الاجتماع ، وهو منظم كل الأمور التى تهم البشرية وتقوم شئون الانسانية وغير ذلك مما يحملهم على تكرار هذا التقدير والتكريم المتوارث جيلا عن جيل الى أن يرث اللهالارض ومن عليها ..

ولله در الامام البوصيرى اذ يقول :

فهو الذى تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم
منزه عن شريك فى محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ماشئت من شرف
وانسب الى نوره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

الى أن قال :

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غير منفحم
ومبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

ولا عجب فان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى للانسانية ، وهو العلم الفرد فى الأخلاق حقا ، فان شخصية الرسول شخصية هيأتها يد القدر تهيئة تتلاقى مع الحكمة التى هيئت لأجلها ، فقد أودعها الله فضلا ونبلا ومنحها قوة روح وصفاء نفس ، وزعامة شخصية يستطيع معها أن يشع العالم بأسره يقوم الشاذ منه ، يسوس الشارد الى حيث مقتضيات السعادة ومواجب العمران والاجتماع ٠٠ وهذا هو محل فخره - صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ٠

والحق أن صفحة حياة الرسول فى كل أطوارها كانت صفحة حافلة بعظائم الأمور والمثل العليا من الأخلاق ، فكان غلاما يترفع عن مألوف الغلمان ، وكان فتى له تفكير الساسة المحنكين ، وكان شابا فيه جلال الكبار وهيبة الشيوخ رغم أن طور الطفولة وطور الشباب داعيان من دواعى النزق والطيش ٠٠ وعاملان قويان يحملان المرء الى مواطن الضعة والمجون ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان فى هذه الأطوار مثال الاباء والشرف ، وعنوان الفضل والكرامة ٠٠ أخو الصدق والأمانة ، كان عالما برمته ٠٠ كان أمة فى شمائله ، جمع من الفضائل ما تفرق فى غيره ، واحتوى من الكمالات ما ندر فى سواه ٠٠ كل هذا كان قبل أن يكون محمد نبيا ٠٠ كل هذا ومحمد - كما تعلمون - كان أميا ٠٠ وهكذا كانت حياة محمد فى أهله وبيئته وهكذا كانت حياة محمد فى شعبه الذى كان مفعما بالقلاقل والفتن والاضطرابات الأخلاقية والعقدية الحق فيه للقوة والحكم لصاحب السلطان والغلبة ولا دين ولا قانون ، وماكان الله وهو الرءوف الرحيم ليذر العالم على هذه الفوضى الجامحة يتخبط فى بيداء الجهالة ، ويتضمخ بدماء الحروب ، لذا أرسل اليه محمدا الذى اصطفاه بهديه الى الحق والى طريق مستقيم وما من شك فى أن هذا الرسول سيواجه فى دعوته هذه مشاكل ضخمة ويخوض معارك عنيفة ٠ فماذا يكون سلاحه فى هذه المعارك يا ترى ؟

اعتاد الناس أن يكون السيف سلاحا لهم فيما يخوضون من معارك وما يقومون به من مناوشات ، ولكن معركة الرسول هذه ليست احدى هذه المعارك التى يفصل فيها السيف فانها معركة لاقناع القلوب واخضاع النفوس وليس للسيف سلطان على القلوب ولا سيطرة على النفوس لأنها ليست فى متناوله ، ولا يستطيع أن ينتزع منها شيئا ، وانما سلطانه على الأجسام فحسب ٠ واذن ماذا يكون سلاح الرسول فى هذه المعركة ؟ واضح أن هذه المعركة معركة اقناع واقتناع ، واعتناق عقائد غير العقائد وتغيير شامل فى الأخلاق والمبادىء ٠٠ وهذا ميدان العلم والخلق ٠٠ ميدان قوة الحجة ووضوح البرهان لا السيف فهذا ليس مجاله ٠٠

وواضح أيضا أن سلاح الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى شهره أمام دعوته هو العلم والخلق ، وهو سلاح جميع الرسل السابقين الذين اجتباهم الله من خلقه ، واصطنعهم على عينه ، وجعلهم أمناء على وحيه « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، يؤيد

هذا قول الله عز وجل « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » ، « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وما قص علينا التاريخ أن رسولا من هؤلاء الرسل قاتل بالسيف ليلجئ الناس الى الايمان بالله ، بل نعلم أن الله أطلق حرية العقيدة « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ومن أراد أن يعتنق الاسلام دينا له عن رضاء وطواعية فليفعل ، ومن أبى فلا عليه الا أن يعطى الجزية عن يد وهو صاغر ذليل .

وما كان قتال الرسول فى حروبه وغزواته الا ردا لعدوان أو دفعا لطغيان . قال تعالى : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** » ، « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** »، « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** » .

والكلام فى هذا الموضوع كثير لا يتسع له هذا المقال . والواقع كذلك يقرر أن الرسول انما نشر الدعوة وفتح مغاليق القلوب لها بخلقه وعلمه لا بسيفه . فقد كان الرسول مضرب الامثال فى الخلق حتى كان أحدوثة أهل زمانه صدقا ووفاء وأمانة واخلاصا .. حتى أعداؤه ، ويكفى أن شهد له العليم الحكيم بقوله « **وانك لعلى خلق عظيم** » ، حقا فقد كان له من خلقه ما يذيب الجامد ويلين الصعب وله من علمه ما يبدد سحب الجهل ومن حزمه وحنكته ما يواسى به جروح التنافر والتدابر ، وله من التأثير ما يستطيع به انتزاع عقيدة تعاونت على تكوينها فى العالم تعاليم الأبوة والأمومة وعوامل المجتمع ودروس البيئة .

جاء الرسول - صلى الله عليه سلم - وقد وهبه الله ما وهب ، جاء الى العالم بعقيدة تلقتها الفطر بالقبول بعد أن أزيح عنها الستار المظلم الذى ضربه عليها عامل البيئة والمجتمع كما جاء بمبادئ وتعاليم ارتاحت لها نفوسهم واطمأنت لها قلوبهم فخلعوا بها ما ورثوا من عقائد ضالة وأخلاق خبيثة .. ونحلوا بما عرض عليهم من عقيدة موحدة ، وخلق كريم فكان ما جاء به الرسول سلاحا ذا حدين اجتث من نفوسهم عوامل الشر وبذر فى قلوبهم بذور البر والخير ، فهذه عقيدة التوحيد والوحدة ، عقيدة الخلاص من براثن الشرك والوثنية، وهذه مبادئ اجتماعية بناءة استبدلوا بها ما كانوا عليه من تقاليد جائرة هادمة ، فهذا مبدأ الاخاء ألف به بينهم وقضى على الاثرة والأنانية ، وشل نظام الطبقية الشائعة آنذاك وأشعر المؤمن أن حوله أناسا يحسون احساسه ويشعرون شعوره وكأنه فى أهله وعشيرته « انما المؤمنون اخوة » ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وهذا مبدأ المساواة والوحدة :

« **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » ، « **كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى** » .

مبدأ أذاب الفوارق جنسية أو شخصية ، كما قضى على التفاخر بالأنساب والأحساب ، « **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** » « **من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه** » .

وهذا مبدأ التعاون ، مبدأ الاشتراكية : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » ، « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه** » .

ثم دعا بعد ذلك الى ما يصون هذه المبادئ من الانحلال والتدهور حيث دعا المؤمنين الى أن لا يسخر أحد منهم من الآخر مهما كان مركزه فى المجتمع فقال :

« يأيها الذين آمنوا لا يسخر من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » الاية الى قوله : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » وقال « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ثم دعا الى العفو عن المسيء والصفح عن المذنب « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن » الآية الى قوله « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ، الى غير ذلك من المبادىء التى طهرت نفوسا دنستها الوثنية وألفت بين قلوب فرقتها العصبية وهذبت عقولا قطعت فى بيداء الجهالة شوطا وانتشلت مجتمعا قضى فى أحضان التنطع والنذالة أمدا ـ على هذه المبادىء أسس الاسلام دولته التى عزت بها جزيرة العرب ، بل عزت بها الدنيا بأجمعها ، والمدهش الذى لا ينازع فى وقوعه منازع أن أتباع محمد تلقوا هذه المبادىء بطمأنينة ورضا واعتنقوها باختيار وطواعية وما أشهر محمد فى هذا السبيل سيفا وما توخى فى دعوته اليها قسوة ولا استعمل عنفا ولكنها حقية هذه المبادىء وحقيقتها التى كشف عنها علمه وخلقه وحسن معاملته تلك المعاملة التى كانت تحمل الجفاة من العرب وغلاظ الأكباد من غيرهم على الدخول فى الاسلام برغبة لا رهبة معها ولا الجاء . واليكم شيئا من أخلاقه وطرفا من معاملاته لعل المرجفين يثوبون الى رشدهم ولعل محترفى الترهات والشائعات يرجعون الى صوابهم ويؤمنون بأن محمدا المثل الأعلى للانسانية وأن أخلاق محمد ومعاملاته وحقيقة دعوته تحمل طلاب الحق المنصفين على استجابته والانضواء تحت رايته مختارين لا بقوة ولا بشدة .

روى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما نزل عليه قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك « أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » .

لذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوسع الناس حلما وأعظمهم عفوا .. لا يزيد مع كثرة الايذاء الا صبرا ، وعلى اسراف الجاهل الا حلما ..

قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ « ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله » .. جاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجذب ثوبه عن منكبيه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل .. فانتهره عمر وشدد له فى القول ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبتسم .. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى .. ثم قال : لقد بقى من أجله ثلاث وأمر عمر بأن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه ، فكان ذلك سبب اسلامه .. وكان هذا الرجل يقول ما بقى من علامات النبوة شىء الا وقد عرفتها فى محمد الا اثنتين لم أخبرهما : ـ يسبق حلمه جهله، ولاتزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته فيهما فوجدته كما وصف ، وكان قد حدث فى نفوس الأنصار شىء من الامتعاض لتصرف تصرفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم وردت غنائم حنين وقد خفيت حكمة هذا التصرف ولم يسألوا عنها ، وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ يقسم هذه الغنائم وهو يعلم أن النفوس طلعة الى المال بطبعها وأن البذل مفتاح من مفاتيح القلوب ، وفى القوم من هو حديث عهد بالاسلام فأجزل العطاء لنفر من أشراف قريش وسادات العرب يتألف بها قلوبهم الى الاسلام اذ كانوا قريبى عهد بالجاهلية وكان يستعين على تأليف قلوبهم بالعطاء ، ولم يعط الأنصار شيئا من هذه الغنائم فجعلوا يتهامسون القول فيما بينهم حتى كثرت منهم القالة ، اذ قال قائلهم « لقى والله رسول الله قومه يعنى

أعطاهم ونسينا ، وقال آخر « اذا كانت شديدة ندعى لها ويعطى الغنيمة غيرنا » .. فلما كثر اللغط دخل سعد بن عبادة على رسول الله - صلى لله عليه وسلم - فقال : يارسول الله أن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت فقسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار منها شىء .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « فأين أنت من ذلك يا سعد » قال .. يا رسول الله ما أنا الا من قومى ..

حدث جديد فى صفوف المسلمين ومشكلة لها آثارها ان لم تعالج - فانظر أيها القارىء الكريم بماذا عالجها رسول الله .. عالجها بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لم يبق لها فى نفوس الأنصار عين ولا أثر .. إذ قال رسول الله لسعد بن عبادة : أجمع لى قومك فى هذه الحظيرة يا سعد ، فجمعهم سعد فأتاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

« يا معشر الأنصار مقالة بلغتنى عنكم .. وموجدة وجدتموها على فى أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف بين قلوبكم - قالوا بلى والله ورسوله أمن وأفضل » ثم قال « ألا تجيبونى يا معشر الأنصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله ، لله ولرسوله المن والفضل .. قال صلى الله عليه وسلم : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تالفت بها قوما ليسلموا وتركتكم لاسلامكم ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم ، فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار .. فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا » .

هذا غيض من فيض من أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعاملاته ، وهذه آثارها فى النفوس وفى الصفوف ، ويقينى أنه لو تنبه لهذا كله المسلمون الآن وتلقوه كما تلقاه أسلافهم وتذوقوه كما تذوقه أباؤهم لعضوا عليه بالنواجذ وحموه من نزعات الأهواء وكوارث المفاسد ، واتخذوها لحياتهم دستورا ولسلوكهم قانونا واعتصموا بها ليعصموا ذلك المجد من التدهور ويصونوا دولة الاسلام من التفرق ، ولكن يبدو أن **المسلمين الآن استمرءوا الدنيا واطمأنوا لما فيها من مفاتن وغرتهم الحياة ومايكتنفها من زينة وتفاخر ، فأهملوا لذلك مواريثهم .. وغيروا من أجلها سلوكهم ، ووضعوا لحياتهم دستورا غير الدستور ولمعاملاتهم قانونا غير القانون حتى كان الحال فى صفوف المسلمين فى بقاع الأرض تذهب معه النفس حسرات وليس له الا الله - عز وجل - يدرك المسلمين بفضله ورحمته ويوجههم الى ماصلح به أوائلهم يوفقهم الى ما فيه خير الدين والدنيا وصلاح العباد والبلاد .. انه تعالى ولى التوفيق والهادى لأقوم طريق .**

مولد الهدى

الأستاذ
محمد سيد جاد الحق

أطل على الوجود فجر ربيع الأول بعد ما أطلق عقاله من دورة الفلك فاطلع شمس الهداية الانسانية التى نسخت ظل الشرك من ثنايا الوجود ومحت دلائل القسوة من صحف الحياة فولد فيه سيد الكائنات الذى فجر الله بمولده ينبوعا أجراه فى تاريخ البشرية نهرا يفيض بالخير ويتدفق بالسعادة واختاره من اكرم أرومة وأطيب منبت فكان كما قال القائل :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل

واذا كان من بين الشهور مطلع سعد فليكن شهر ربيع الاول حيث طلع فيه فجر الدعوة الاسلامية وابتدأ مولد الوحى وأشرقت شمس الهجرة النبوية بالنصر المبين وفيه انتقل النبى الى الرفيق الأعلى بعد ماادى الرسالة للبشرية كافة « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

الحقيقة المحمدية : وتنقل نوره من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية حتى استقر فى جبين عبد الله فكان درة مصونة وجوهرة مكنونة تضن بها النفوس وتعتز بنفاستها ولا غرابة فى ذلك فهو من قوم كلهم سادة قادة اجتمع فضلهم فى عبدالمطلب كما يجتمع سر النواة فىالنخلة وسر الجنين فى الانسان ليس منهم الا نابه دون له التاريخ ما يحفظ الذكر الحسن والأحدوثة الطيبة فجاء زهرة يانعة طيبة الجنى تفتحت اكمامها فى بستان الكمال البشرى والجمال الانسانى والجلال النبوى .

ولد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى واد غير ذى زرع كما يولد فى الارض النبع الابدى او يولد فى السماء الكوكب الدرى ولد فقيرا لم يحفل الناس بمولده ولكن الله خط فى ذلك اليوم على رمال الجزيرة العربية عنوان اكبر فضل فىتاريخ البشرية فتحت بذلك حقائق الانسانية التى عملت عملها فى التاريخ وكان مشرق نوره فى دار عقيل بن أبى طالب عند الصفا واستقبلته الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف عند ولادته وحضنته ام أيمن وصحبت مولده آياتاهتزت لها جوانب الوجود فتصدع ايوان كسرى لأجله وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نيران فارس وقد جاء عليها حين من الدهر لم تطفأ جذوتها فكان هذا وآخران من ارهاصات النبوة التى تعد الأذهان لقبول ما بعدها من أمر عظيم وشأن خطير وكانت ولادته فى فجر الاثنين لثمان خلون من ربيع كما حققه محمود باشا الفلكى فى رسالته فى المولد النبوى أو فى ليلة اثنتى عشرة كما يقول جمهور اهل السير ونزل مسرورا مختونا أنيقا ونزل على كفيه وركبتيه ساجدا رافعا رأسه الى السماء شاخصاببصره اليها قابضا أصابع يده باسطا سبابته كالمتضرع المبتهل وفى ذلك يقول البوصيرى :

رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ
ـع الى كل سؤدد ايماء

رامقا طرفه السماء ومرمى
عين من شأنه العلو العلاء

عظمة البيت النبوى : وفيه يحدثنا جده عبد المطلب ويفيض فى الحديث فيقول : كنت فى سفر فمررت براهب من اهل الكتاب فسألنى الراهب ممن الرجل فقلت من قريش قال من أيهم قلت من بنى هاشم قال أتأذن لى ان أنظر لبعض جسدك قلت نعم ما لم يكن

عورة ففتش فى منخرى ثم قال ان فيــك ما يدل على الملك والنبوة وانا نجد ذلك فى بنى زهرة فعمد عبـــد المطلب الى بنى زهرة ومعه ابنه عبـــد الله وقد بلغ الثمان عشرة من عمره فخطب اليهم لنفسه ولابنــه وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وعقد له عليها وبنى بها فحملت به صلى الله عليه وسلم ولم تشك ثقلا لحمله وأتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها ورأت فى منامها كأن خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشـــام وتوفى أبوه وأمه حامل به وكان قادما مـــع قومه فى تجارتهم من الشام فمرض بالمدينة وأقام عنـد أخواله بنى عدى بن النجار فلما قدم أصحابه مكة سألهم عنه عبد المطلب فقالوا خلفناه مريضا عند اخواله فبعث اليه أحد اخـــوته فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها وكان السر فى يتمه من صغره أن تتـــولاه عناية الله حتى لا يكون لاحد عليه منة وليعلـم النـاس ان العز لم يكن قاصرا على الاباء ورعايتهم وانما هى عناية الله التـى تولته جنينا فيافعا فشابا فكهلا فشـيخا وليس مــن اليسير على المرء أن يلم بسيرته الزكية الخصـــبة الوفيرة فى هذه العجالة وانما قدمنا منها غيضا مــن فيض وعرضنا زهرة من روض لان فضائله لا تفى بها العبارة ولا تحدها الاشارة ..

دستوره المنبثق من هدى الله . أملى فى حجة الوداع حقوق الانسان ونادى بالعدالة والمساواة والاخوة فزلزل عروش الظالميـن وهتك حجب المفترين وحمل المسلمون دستوره ففتحوا البلاد ومصروا الامصار واهاب بالرفق بالارقاء وسواهم بالسادة وسمى السيد مولى والعبـد مولى ودعا الى الحـرية والى التحرير وجعله من أعظم القربات .

واول ما يقتحم من العقبات وتوسل اليه بشتى الوسائل وجعله كفايه كثير من الجنايات بل قســم نصيبا من الصدقات لفك الرقاب وعتق العبيد وجعل للمساكين فى مال الاغنياء حقا معلوما ونصيبا مقسوما ودعا الى المساواة ووضع لها شتى الوسائل ومحا الاجنـــاس والالوان وأسبغ على أصحابه جميعا لونا واحدا من الحق الوضاء وقرب أصحابه من غير العرب ليؤذن الناس جميعا انها اخوة الاسلام لا عصبية الاقوام ودبى اجيالا فانبثقت من روحانيته روحانية الحسن البصرى والجنيد والشبلى والسرى السقطى وابن عربى وابن الفارض .

وانبثق من علمه علم الصحابة والتابعين وعلم أبى حنيفة والشافعى والاشعرى والغزالى وابن رشــد والفارابى والرازى وانبثقت من فتوته فتوة الامام علـى وخالد بن الوليد وصقر قريش عبـد الرحمن الداخل وموسى بن نصير فاتح المغرب وقتيبة بن مسلم فاتح المشرق والمهلب ابن ابى صفرة وصلاح الدين الايوبى .

شهادة الاجانب له !

وهذه كاتبه ايطالية نشرت مقـالا قديما فى جريدة الناقد السوريه وفيها تقول : بلاد محرقه ومفازات وعرة بعيدة عن مناهل الحضاره الانسانيه بعدها عن الشمس وبين شعب بدوى متنابذ يجهل كل شىء انبجس نبع صافى المياه عذبها ثم يلبث أن اضحى ساقيه ثم نهرا سار بسرعة فائقة وتحول الى جداول فياضة عديدة جابت البــلاد من أقصاها الى أقصاها وجعلت مصـــير كل من ذاق حلاوتها وعذوبتها من الشعوب الاتحاد وتناسى الضغائن والالتفاف حول زعيم واحد وليس هذا سوى الاســلام

ولم تكن الا فترة قصيرة حتى أضحت تعاليم الرسول سيولا اجتاحت ممالك الحضارة القديمة غير آبهــة بالحواجز والعثرات وجعلت من تلك الشعوب المتفــرقة المتنابذة شعبا متحدا واحدا لا يفرقه شىء تلك حادثة غريبة لم يرو لها التاريخ مثيلا قبل اليوم ولم يكـن ليخطر على بال أحد أن يصبح الاســلام دين ملايين من الرجال الاشداء .

بعد أن كان دين بضعة رجال متحمسين وان الانسان ليتساءل بدهشــة غريبة عن تلك القوى الخفيــة التى ساعدت المسلمين على الفوز على شعوب تفوقهم حضارة واختبارا وغنى واستعدادا حربيا ، والغريب ان الاسلام الذى لم يكن قبل الهجرة المحمدية سوى دعوة دينيــة حارة لم يعتم أن أضحى بعدها قوة سياســية هائلة وقد شاء الله أن لا ينقضى عامان على هجرة الرسول وصحابته حتى ارتدى الدين الاسلامى حلة قشيبة لا تزال تبعث بأنوارها الى ارجاء العالم وتلفت الانظار الى الانقــلاب الاجتماعى والسياسى الذى قامت به الدعوة الاسلاميــة وقد كان لهذا الانقلاب اثره الاكبر فاستولى المسلمون فى السنة الثامنة من الهجرة على مكة واجتازت مضـــارب جيوشهم حدود فلسطين وكان المسلمون عازمين على القيام بحملة كبرى عندما خف صوت النبى فى السنة الحادية عشرة من الهجرة ذلك الصوت الذى طالما هز أوتار القلوب وجعـل الصـــوت تلك الاوتار رنة عذبة بين الشعوب البعيـــدة .

هذا كلام الكاتبة الايطالية نقلنـــاه بحروفه . والآن نقول ـ ان الانقلاب الذى حدث فى البشرية لم يكن وليد مصادفة وانما كان بقوة من الله أمد بها نبيه فصـــنع المعجزات فى البشرية .

ونحن فى مولدك يا رسول الله نقـول كما قدت زمام الانســـانية فخلصتها من براثن الاستعباد ســيقود المسلمون بما نفخت فيهم من روحك طلائع الاحرار لتخليص بيت المقدس وأرض المعاد من أيدى اليهود ورد اللاجئين الى ديارهم آمنين ترفرف عليهم راية الايمان والحرية والسلام باذن الله .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

حول ذكرى ميلاد

رسول الانسانية

الاستاذ احمد مسلم مصطفى

فى شهر ربيع الاول من كل عام يجدر بالمسلمين فى شتى بقاع الارض ان يحتفلوا ويفخروا بذكرى مولد رسول الانسانية صاحب اعظم النبوات وآخر الرسالات واكرم الصفات محمد بن عبد الله الذى بعثه الله ليخلص الانسانية من آلامها ، ويرفع عنها اصرها ، ويحطم الاغلال التى كانت عليها ، وما من شك فى ذلك فان الحياة قبل بعثته لم تكن رتيبة ندية ، يتمتع الناس فيها بالهدوء ، وينشدون فيها الاستقرار والطمانينة ، ويشعرون بكرامتهم وعزتهم ، بل كانت لا نظم فيها ولا قوانين ترعى حقوق الانسان وتحميها من غبن الطامعين ، وعبث العابثين ، او تمنع عنه كيد الكائدين والمعتدين ، وكان كل ما فى هذه الحياة الاعتزاز بالقوة والتفاخر بها ، وتلك طبيعة النفس البشرية التى لا رادع لها ، فما دام المرء قويا لا زاجر يزجره عن غيه لا يبالى بشىء من حقوق الغير وحرمانه •

وفى هـذا الجو المضطرب كان لابد وان تخضع مقاييس الخير والشر ، ومفاهيم الفضائل والرذائل لرغبات الناس وشهواتهم ، ومعاييرا لصالح العالم تسير وفق ماتتجه اليه ميولهم واهواؤهم ، وقد كان العالم مع هـذا التخبط فى الضلال ، والتبسط فى المنكر ، والاضطراب فى الباطل يسوقه من الشرق الفرس على ماهم فيه من انحلال وفساد ، ويقوده الى الغرب الروم على ماهم عليه من اباحية وفسوق :

كبهيمة عمياء قاد زمامها
أعمى على عوج الطريق الاعوج

ولكن الله الرءوف الرحيم بعباده ابى ان يدوم هـذا الحال ويترك خلقه يضطرب فى امواج من الفوضى ، يسوم اقوياؤهم ضعفاءهم سوء العذاب ، فاصطفى لهم الرحمة المهداة ، ليكون مولده ايذانا بانتهاء عهد الظلم والعبودية ، وبشيرا ببدء تاريخ العدل والقضاء على الوثنية ، وهتف من جانب الغيب ليلة ميلاده هاتف يقول : ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد ، انما العبادة لله ، القيادة للرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع •

ونشا ذلك المولود يتيما فى مكة المكرمة ، ودرج فى دروبها واوديتها وشعابها ، ليتدرب على اساليب اهلها ، ترعرع فى تلك المدينة وعناية الله ترعاه ، ورحمته تغمره فى كل طور وفى كل مرحلة ، فتمرس على رعى الغنم تمهيدا لرعاية امة باسرها ، وسعى لبعض قومه ،

واتجر بمال زوجه وعصمه الله من ارجاس الوثنية ، وأوزار الجاهلية لامر يريده ، فلم يشهد اللهو ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشرب الخمر ، ولم ياكل الربا ، أدبه ربه فأحسن تاديبه ، وعلمه فأحسن تربيته وتعليمه ، حتى صار هذا اليتيم راعيا للعالم أجمع ، وسيدا للجزيرة العربية ، وفاتحا للارض ، بل ومعلما للانسانية ، ومنقذا لها من وهدة الشرك والضلال .

ولم تكن رسالة ذلك الرسول الكريم ، والمعلم العظيم الذى اختاره الله لرسالته فى سن الاربعين قاصرة على تصحيح العقيدة ، وعبادة اله واحد دون اقتلاع اسباب الفوضى ، والقضاء على الفساد الذى استشرى فى كل مكان ، ودون اعلان حقوق الانسان وتكريم الانسانية والسمو بها ، ودون اقامة نظام شامل للحياة يقوم على العدالة والمساواة والانصاف ، بل كانت رسالته للناس عامة بعثه الله ليتمم مكارم الاخلاق ، ويكون رحمة للعالمين .

تلك هى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الشاملة الكاملة التى انفتح لها باب من السماء على غار حراء تنزلت فيه الملائكة والروح باذن ربهم على اهل الارض وانبعثت فيه الشفاعة الاولى من وحى المولى جل وعلا على قلب محمد الصادق الامين ، فنزل بالهدى والخير وحمل على الشرك بالتوحيد واحتمل فى سبيل الدعوة الى الله اذى ائمة الكفر من قريش ما احتمل ، ولا عجب فان ما لاقاه من اذى الكفار والمشركين وعنتهم واستهزائهم به واصحابه وتفننهم فى الخلاص منه بلغ حدا يعجز الوصف عن بيانه ، فلقد تحايلوا على صده عن دعوته بشتى الحيل ، ولم يتركوا بابا الا ولجوه ، فمنهم من لجأ الى التهديد والقتل كأبى جهل عمرو بن هشام الذى قال ذات يوم يامعشر قريش « ان محمدا قد اتى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم ، وتسفيه احلامكم، وسب آبائكم . انى أعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر لا اطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته رضخت به راسه . فاسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، ولما جاء الغد وهم بتنفيذ ما عزم عليه وقريش فى انديتهم ينتظرون ماهو فاعل ، واحتمل المغرور الحجر ليلقى به على رسول الله وهو ساجد فى صلاته واقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما ممتقعا لونه من الفزع ورمى الحجر من يده وفر منزعجا . فاقبل عليه الرجال وقالوا له مالك يا ابا الحكم فقال : لما هممت ان افعل ما قلت لكم عليه بالامس عرض لى فحل من الابل والله ما رايت مثله قط هم بى ان ياكلنى .

فلما ذكر ذلك للرسول قال ذاك جبريل ولو دنا لاخذه . وكان كثيرا مايهدد الرسول ويمنعه من الصلاة لكن الرسول لم يابه لتهديده ووعيده ونزل فى ذلك قول الله تعالى « كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع نادية ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

ومنهم من كان يلقى روث وفرث الماشية عليه كعقبة بن أبى معيط الذى قال له ابو جهل « الا رجل يقوم الى فرث جزور فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام والقى ذلك عليه ولم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم وظل عليه الصلاة والسلام ساجدا حتى جاءت فاطمة بنته فاخذت القذر ورمته . ولما قام عليه السلام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال « اللهم عليك بالملأ من قريش وسمى أقواما ، قال ابن مسعود رضى الله عنه فرأيتهم قتلوا يوم بدر ، وكان عقبة جارا للرسول ، صنع ذات مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام « والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد ، فبلغ ذلك ابى ابن خلف الجمحى وكان صديقا له فقال ماشىء بلغنى عنك . قال لا شىء ، دخل منزلى رجل شريف فأبى ان يأكل طعامى حتى اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له .

قال ابى « وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه ، وتبزق فى وجهه ، وتلطم عينه ، فلما راى عقبه رسول الله فعل به ذلك فانزل الله فيه فى سورة الفرقان « ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا »

ومنهم من راى ان يغريه بالمال والجاه والسلطان كعتبة بن ربيعة الذى قال لقريش .. وكان سيدا مطاعا فى قومه - الا أقوم لمحمد فأكمله واعرض عليه امورا عله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا . فقالوا : يا ابا الوليد قم فكلمه فذهب اليه وهو يصلى فى المسجد وقال له يا ابن اخى « انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبا ونسبا وانك قد اتيت قومك بعمل عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت احلامهم وعيبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، وانى جئت اعرض عليك أمورا علك تقبل بعضها فقال له الرسول قل يا ابا الوليد انى منصت لك . فقال يا ابن اخى « ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا . وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى ياتيك رؤيا من الجن لا تستطيع ان ترده عن نفسك . طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال عليه الصلاة والسلام ، فقد فرغت يا ابا الوليد ؟ قال نعم : قال فاسمع منى . فقرا عليه الصلاة والسلام اول سورة فصلت « بسم الله الرحمن الرحيم « حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون . قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين » .. الى قوله تعالى « اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالو لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون ، فامسك عتبة بفيه وناشده ان يكف عن ذلك .

فلما رجع الى قومه قال لهم . والله لقد سمعت قولا ماسمعت مثله قط .. والله ماهو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر . يا معشر قريش : اطيعونى فاجعلوها لى . خلوا بين الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ . فقالوا لقد سحرك محمد . فقال لهم : هذا رايى ، فقالوا نعرض عليه أن يشاركنا فى عبادتنا ونشاركه فى عبادته فنزل قول الاله تعالى

« قل يايها الكافرون لا اعبد ماتعبدون ، ولا انتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون مااعبد ، لكم دينكم ولى دين » •

وهكذا اخذ الرسول الكريم يسير فى دعوته لا يابه بتهديد ولا وعيد . بل ازداد اصرارا وتمسكا بعقيدته واخذ يربى المسلمين على آداب الاسلام وتعاليمه ، ويعظ المشركين عن الشر بالحكمة والموعظة الحسنة والقوة ، فيجادل المفكرين بمنطق القرآن الكريم ، ويجاهد المكابرين بمنطق السيف ، وظل كذلك يعانى عنتا ما بعده من عنت ، ويلاقى قسوة لا مثيل لها من قسوة فى سبيل نشر الدعوة الى الله حتى جاء نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربه ، واطمأن على مصير دعوته وشعبه ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز •

نعم اخى ايها القارىء الكريم • تمكن الرسول العظيم من نشر دعوة الاسلام ومبادئه السمحة ، وتعاليمه الحكيمة ، التى وجد الناس فيها بغيتهم فىالعدالة التى افتقدوها ، وحقوقهم التى تمنوا ان ينالوها ، واستطاع ان ينشر دعوته بمثل السرعة التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدنيا ، وان يستجيب لدعوته امم وطوائف ماكان العقل يتصور ان تقوم الالفة بينها ابدا • ورفرفت راية الاسلام فى اقل من قرن من الزمان على الاماكن التى رفرفت عليها ، وانهار ملك كسرى ، وتحطمت دولة الروم وتم للاسلام نصره وعزه ، لا عن طريق السيف ، ولا عن طريق الاستعمار كما يزعم اعداء الاسلام والمنكرين لمحمد ودعوته ، وانما تم عن طريق الحجة القاطعة ، والبرهان الواضح، والاقناع المنطقى السليم ، وحتى ذلك اليوم الذى وصلت فيه بعض الدول الى معرفة الذرة وغزو الفضاء ، ونحن نجد تعاليم الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، تدمغ وجوه اولئك الذين جحدوا بنعمة الاسلام ، وكفروا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ، تدمغ وجوههم بالخزى والذلة والعار ، وتحقق للانسانية المجد والتقدم والخير والعزة والسلام ، الامر الذى جعل الفيلسوف « برتراند راسل » يقول مستمدا قوله من تعاليم الرسالة المحمدية « لابد لكى نصل الى تعاون عالمى من وجود نظام مستمر ثابت ، ولا بد من ايجاد نظم ديمقراطية واشتراكية تكافح الفقر والجهل المرض ، وتنمى فى نفوس الاجيال الجديدة نوعا من الولاء العالمى وتوفق بينه وبين ولائنا للجماعات القومية ، ولابد قبل ذلك من ان نقضى على اسباب العدوان » وتلك هى النظم التى كان يسلكها الرسول مع المسلمين من قبل من اخوة صادقة وحب متبادل ، ومن العبث ان تكلف القلم ان يوضح لك ايها القارىء ان هذه الاخوة كانت ارقى بكثير من الاخوة العصبية ، بل فكل ذلك للاحساس الاسلامى فانه افصح منطقا من القلم • وعلى الاجمال فتلك قلوب الف الله بينها حتى صارت شيئا واحدا فى اجسام متفرقة ، نرجو من الله ان يوفق مسلمى عصرنا الى هذا الاخاء حتى يسود كما ساد المتحدون السابقون •

واذا كانت قلوبنا تمتلىءغبطة وابتهاجا فى هذه الايام بذكرى ميلاد رسول الانسانية فانها تفيض ايضا بالحب والاعجاب لما اظهره صلوات الله وسلامه عليه من آيات العظمة النفسية فى اول عهده وفى جميع اطوار حياته • اذ انه كان مؤمنا بيقينه ، مدفوعا بأسمى فكرة يستطيع الانسان ان يبشر بها وبالحق الذى اوحى اليه به شجاع لا يعرف الخور ولا الخوف • ولا الوجل ولا الخجل امام اقوى صرح للخرافات والمعتقدات الباطلة • لم يستسلم ابدا للتهديد والوعيد والاستهزاء الذى لقيه من المعارضين لدعوته • والاقربين له من اهله وعشيرته كما سبق أن راينا • بل هدد وسخر من اعدائه واستهزأ بهم ، وتحداهم فى صميم عقائدهم ، ووقف كالطود الاشم • رابط الجاش هادىء البال • لا يبالى بما كانوا يفعلون • وقال قولته المأثورة لعمه ابى طالب حينما دعاه الى التخلى عنه ان تمادى فى استهزائه لمعارضيه « والله يا عم • لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ، مافعلت حتى يظهره الله او اهلك دونه ، وظل على عزمه ويقينه وقوة عقيدته يوجه كل قوته لهدم الوثنية ، وعبادة الاصنام والشرك بالله الواحد الاحد •

ذلك ماكان من عهد محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة ، فلما اشتد ايذاء الكفار له واذن الله له بالهجرة الى المدينة كان قد خلص من مهمة ارساء القواعد الاساسية للدعوة الاسلامية ، وصار الرجل السياسى الذى يواجه المشكلات بقلب ثابت ، وتفكير متزن حكيم ، وكانت هجرته اكبر عامل فى انتشار الاسلام وعلو كلمته ، وتوطيد دعائمه ، واستطاع ان يحقق الغاية المرجوة من تلك الهجرة ـ فى كياسة عظيمة وحذق كبير ـ بين أقوام لا تربطه بهم قرابة ولا جوار • ذلك لان ظروف الحوادث ومقتضيات الاحوال نقلته من نبى الى مشرع الى حاكم من أولى العزم وارباب القوة فى العقل السليم والجسم السليم •

لقد رفع مئات من الناس الذين يتقلبون فى حمأة الرذيلة • ويعتقدون فى الخزعبلات ، ويسفون الى احط درجات الوثنية ، الى قمم الفضيلة ، وحطم قيود العادات التى كانت تكبلهم ، واطلق اسارهم ، ورفعهم من عالمهم المنحط الى عالم رفيع • ونفث فيهم حياة جديدة ، وعلمهم الحق والفضيلة واسداء المعروف ، ونفخ فيهم روح الكرامة الانسانية ، وتقدير المسئولية ، وجعلهم يستمسكون بهذه القواعد الفاضلة ولا يفرطون فيها مهما لاقوا فى سبيلها حتى صار اتباعه سادة العالم وقادتهم علموهم العلم والمدنية ، واخذوا بيدهم الى جادة الحق والصواب ، حتى أن المستشرق الفرنسى « دينيه حيشو » اعترف بذلك وقال فى فضل الاسلام على الغرب « ان الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الاسلامية ، ذلك لان الحقائق التى تلقى اليهم مشوهة حظها من الصحة قليل «فالمؤرخون يبالغون كل المبالغة فى الحط من شأن الثقافة الاسلامية مثال ذلك ماهو شائع معروف من انأسبانيا ظلت تحت الحكم الاسلامى عدة قرون بينما لا يذكر التاريخ الغربى قط أن صقلية والجزء الجنوبى لفرنسا كانا تحت حكم الاسلام » •

ومهما يكن من امر أعداء الاسلام وخصومه والمنكرين لرسالة محمد بن عبد الله فاننا لانكون مبالغين ابدا حينما نقول ان الانسانية كلها مدينة له برفع شانها ، وتقدمها ، ورقيها لانه فتح الآفاق امامها ، ووجها للعلم والكشف • والاستزادة من الخير ، فله منا فى ذكرى ميلاده العطرة افضل الصلوات وازكى التسليمات ، وجعل الله ذكراه باقية خالدة فى الارض والسماء ، ونفعنا بهديه ورزقنا شفاعته يوم اللقاء •

حول الاحتفالات بالمولد النبوى الكريم

الأستاذ حسن الشيخة

لى فى كل عام وقفة بهذه « المجلة الكبرى » اكتب فيها جديدا عن المولد النبوى الكريم ، وآفاق هذه الذكرى الحولية ، الحبيبة الى القلوب آفاق واسعة الارجاء ممتدة الاقطار ، تتسع لكل جديد كل عام .

مصر هى التى هديت الى الاحتفال بالمولد النبوى ، بما ابتدعته الدولة الفاطمية - فيما ابتدعت - من الاحتفال بالكثير من موالد آل البيت . وفى مقدمتها المولد النبوى ، على صاحبه صلوات الله .

وقد أخذ عن هذه الدولة ، كثير من الامم الاسلامية ، الاقتداء فى الاحتفال بهذا المولد ، فى افريقية وفى آسيا . الى ان صار الاحتفال به عاما شاملا ، ومن غير المسلمين أولى بالاحتفال بمولده من نبيهم الذى جاءهم بالهدى ، ودين الحق ؟

اما الجديد الذى عثرت عليه هذا العام فيعرف من قصته الآتية ، اسوقها كما شاهدتها :

فى عام ١٣٥٦ هـ كان صاحب الفضيلة الشيخ الاكبر مصطفى عبد الرازق هو شيخ الجامع الازهر . وقد رأت هذه المشيخة فى العام المذكور ان تحتفل بالمولد احتفالا مستقلا عما عداها ، وقد كنت ممن دعوا الى مشاهدة هذا الاحتفال .

بدأ الاحتفال كما يبدأ عادة فى اى مكان - بتلاوة بعض آيات الذكر الحكيم ، واذ بنا نرى على غير انتظار ان يقف الشيخ الاكبر كأنه يستعد لالقاء القصة المولدية على مسامعنا ، ولكنها لم تكن القصة ، ولا شىء يمت اليها ، انها خطبة فيها تصحيح لكثير من المبالغات التى وضعها القصاصون ، ومدونوا السير ، من ارهاصات ، وأحداث سياسية وارضية - وقعت يوم مولده الشريف ، والخطبة كلها من اولها الى آخرها هى تحقيق دقيق ، مما عرف به الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كل شأن بحثه ، وكل شىء تناوله بالدرس .

وهنا اشير الى قليل مما وضعه القصاصون ، مثل ان الله أحيا ابويه ليؤمنوا به ، ثم اماتهما ثانيا .

ومنها انه لما حملت به امه امر الله رضوان ان يفتح باب الجنان ، ونادى مناد من السماء ان النور المكنون الذى يخلق منه النبى الهادى يستقر فى هذه الليلة فى بطن امه الذى يتم فيه خلقه .

ومنها انهم قالوا ان كل دابة لقريش نطقت ، وقالت نحمل برســول الله ، وان وحــوش المشرق فرت الى وحوش المغرب بالبشارات .

اما نص الخطبة القيمة التى القاها الشيخ الاكبر فهاهى ، مع بعض تصرف بالحذف ، ويدل على فحوى المحذوف مابقيته من الفقرات له ، ونشر هذه الخطبة يصور لنا كان الشيخ الاكبر مصطفى عبد الرازق معنا الآن ، وليس هذا بالشىء القليل فى المشاركة فى الاحتفال :

« بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن فى سنة العرب ان يحتفلوا بتاريخ ميلاد احد منهم ، ولم تجر بذلك سنة المسلمين فيما سلف ، ويظهر ان عادة الاحتفال بمولد النبى عليه السلام من العادات المحدثة ، اللهم الا ان اهل مكة ـ فيما رواه بعض المؤرخين ـ كانوا يتبركون بزيارة الموضع الذى ولد فيه عليه السلام .. وما هى بالبدعة السيئة ان يجعل الناس يوما من ايام العام خاصا بتذكار محمد رسول الله ، اكبر ابناء آدم بركة على الانسانيــة ، وابقاهم فى صحائف التاريخ أثرا .

لم تشعر الامة العربية بذلك اليوم العظيم الـذى وضعت فيه حملها الايم الفقيرة : آمنة بنت وهب ، ارملة عبد الله بن عبد المطلب ، حتى لقد خفى على العرب عام ميلاد النبى ، وخفى عليهم موضع الدار التى جاء لآمنة فيها المخاض ، واختلفوا فى ذلك اختــلافا كبيرا » .

وقد تبين من هذا ان ما ذكره بعض ارباب السير من ان ارهاصات وحوادث سماوية وارضية وقعت فى يوم مولده الشريف ـ فيه من الغلو ما لا يقوم عند التحميص ولا يحققه التاريخ .

وليست ســيرة النبى العظيم محمد بن عبد الله بحاجة الى نافلة من خيال المؤرخين .

ان محمدا العظيم فى طفولته بين ذل اليتم والفقر ، وعظيم فى كهولته بين جلال الاسلام ، ومجد العرب ، وهل حفظ التاريخ مجدا اكبر من مجد النبى العربى ، صاحب الدين الخالد ، والهدى الراشد .

كان محمد فى صدر حياته يشعر بما عليه قومه من سخافة عقائدهم ، واستيلاء الاوهام عليهم ، وتفرق كلمتهم . وتفانيهم بتسافك الدماء بينهم ، واشرافهم على الهلاك باستعباد الغرباء لهم ، وتحكم الاجانب فى كثير من بلادهم ، وكان يلتمس السبيل لتقويم عقائدهم ، وجمع كلمتهم واصلاح شانهم ، واصلاح العالم بهم ، فيحار فى ذلك فكره « الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ؟» وللخلاص من هذه الحيرة كان يطلب الخلوة بغار حراء ، ويلتمس هداية ربه ، فى جوانب قليلة ، وهو ممتلىء النفس هما وطموحــا وقلقا ، حتى ملكت عليه هذه الخواطر كل مشاعره ، فهو يشهدها ، وهو يشهدها مناما ، ولما بلغ ســن الاربعين جاءه الوحى من اللــه ، وبعث رسولا نبيا ، فادى بمكة رسـالته ، يتحمل من قريش كل اذى فى سبيل الله ، واقام بمكة صابرا على الفتنة ، جاهدا فى الدعوة الى ربه ، يوافى الموسم ، يتبع الحجاج ، حتى انه ليسال عن القبائل ومنازلها..وايدعوهم آن يمنعوه .. فيردونه ويؤذونه خوفا من قريش ، ويقولون : قومك اعلم بك !. ولم يكن شىء من ذلك ليضعف من عزم محمد عليه السلام فى بيان ما عليه الناس من شر ، وارشادهم الى طريق الخير ...

ثم لقى عند وفد يثرب من الاوس والخزرج معينا على نصرته ، فاعطوه موثقا ... وخرج اليهم محمد مهاجرا فى سبيل اللـه ، تاركا وطنه وماله واهله ليؤدى حرا امانة الله .. يروى ان محمدا حين خرج من مكة نظر الى البيت وقال : والله انك لاحب ارض الله الى ، وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت ..

هذه هى الحادثة الكبرى فى تاريخ انتشار الاسلام ، التى جعلت بعد ذلك بداية التاريخ الاسلامى .

تالفت فى يثرب التى سميت منذ الهجرة « المدينة » جماعة اسلامية تربطها وحدة العقيدة ، على اختــلاف المناسب والديار ، وسوى الدين بين افرادها ، فهــم اخوة فى الله ، يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ، وامرهم شورى بينهم ، وما محمد الا رجــل منهم اختاره الله لوحيه ورسالته .

قامت الجماعة حية ناهضة بما بث فيها الايمان من قوة .. عاش محمد فى المدينة عشر سنين وغزا فيهــا بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، اما بعوثه وسراياه فكانت ثمانيا وثلاثين ، والذى يعرب عن سر الجهــاد فى الاسلام ، ووجهة هذه الغزوات والسرايا هو ماجاء فى القرآن مثل :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولاتعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ... « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين .. »

لم تكن حروب محمد طمعا فى مال ، فان المجاهدين الاولين من المسلمين كانوا يؤثرون الموت فى سبيل الله ، لينالوا الشهادة والحياة الباقية . ولا تحسبن الـذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احيــاء عند ربهم يرزقون » ..

ولم تكن حروب محمد للاكراه فى الدين ، فان القرآن ينادى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » كانت غاية محمــد فى حروبه الا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، وكان اذا امر على جيش او على سرية اوصاه بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا !!

وقد بذل محمد فى عشر سنين من الجهد العقلى والبدنى ما لا تقوم به طاقة البشر ، وهو يومئذ من عمره بين الخمسين والستين .

ومضى محمد الى ربه بعد ان ابلغ الرسالة ، ورسخت دعائم دعوته ، وترك فى الناس دينا خــالدا ، هو دين الاسلام .

وقد جمع الرسول عليه الصلاة والتسليم صــفوة دعوته .. فى حديث رواه مسلم قال : قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا ، لا اسال عنه احدا بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم ..

والاخلاص هو اساس الدعوة المحمدية .. ويدل على هذا الدين « الاسلام » الماخوذ من السلامة ، وخلاص القلب ، وفى القرآن الكريم « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » .

الإسلام ومصالح الناس

الأستاذ محمد زكريا البرديسي

اذا نظرنا الى الأحكام التى تضمنتها النصوص الشرعية نجد أن الشارع يهدف فيها الى تحقيق المصالح للناس ودفع المفاسد عنهم فلا يطلب منهم الا ما غلبت فيه منفعتهم ولا يامرهم بالكف الا عما غلبت فيه مضرتهم فجلب المصالح ودرء المفاسد أمر ملموس فى التشريعات الالهية •

وهذا يرشدنا الى أن التشريعات يجب ان تكون وفق مصالح الناس ويجب أن تتنزه عن اهوائهم ورغباتهم قال تعالى « **وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم** » •

والمصالح من حيث هى اما مصالح معتبرة واما مصالح ملغاة واما مصالح مرسلة •

١ - **فالمصالح المعتبرة** وهى التى قام الدليل الشرعى على اعتبارها تتنوع الى الأنواع الآتية :

(أ) **المصالح الضرورية** وهى التى يتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية وتنحصر فى المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال •

فالمحافظة على الدين مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعى دل على اعتبارها فقد أوجب الله على المكلفين القادرين محاربة الأعداء محافظة منه على دينه الحنيف ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى قال تعالى « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** »

فالوقوف ضد اسرائيل التى تكيد للعرب أجمعين والتى تريد اطفاء نور الله بأفواهها أمر ضرورى يحتمه الاسلام ويدعو اليه فى غير هوادة محافظة على دين الله الحنيف وارجاعا للحق الى نصابه •

فها هو ذا الاسلام ينادى بانقاذ فلسطين ويرفع الصوت عاليا بارجاع بنيها الى حظيرتها

وما هى ذى القومية العربية يدوى صوتها فى الفضاء ويشق جوف السماء معلنة وجوب

أخذ الأهبة لهؤلاء اليهود المفترين والتربص بهم حتى يولوا عن الوطن العربى هاربين فقد اعتدوا والدمار للمعتدين وافتروا والهلاك للمفترين فمهما شد من أزرهم المستعمرون لا بد منهزمون ومهما كثر عددهم وعتادهم لا بد وأن يفروا من ميدان الوغى واللعنة تلحقهم أنى اتجهوا فالعرب مع الحق والحق يعلو ولا يعلى عليه هم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ».

وكما أن القضاء على اسرائيل من الضروريات التى تخضع للمحافظة على الدين كذلك المحافظة على النفس من المصالح التى قام الدليل الشرعى على اعتبارها فقد أوجب الله القصاص من القاتل لولى المقتول محافظة على النفس والابقاء عليها قال تعالى « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم** » .

ولا اعتبار لما يقال أن ايجاب الجهاد حكم ضرورى وحفظ النفس حكم ضرورى وهذان حكمان ضروريان فلا مرجح لأحدهما على الآخر .

وذلك لأن عدم الجهاد فى سبيل الله يترتب عليه ضرر عام وعدم المحافظة على النفس يترتب عليه ضرر خاص والضرر الخاص يرتكب لدفع الأعلى فلا بأس أن تضيع النفس وتذهب هباء منثورا فى سبيل اعلاء كلمة الله فحفظ الدين أهم من حفظ النفس .

والمحافظة على العقل مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعى دل على اعتبارها فقد حرم الله الخمر التى تذهب بالعقول ليكف الناس عنها ويظلوا عاقلين قال تعالى « **يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » .

والمحافظة على النسل مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعى دل على اعتبارها فقد طلب الله من المكلفين أن يتناكحوا ليتناسلوا . قال صلى الله عليه وسلم « **تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة** » .

فالشرع يطلب منا الاكثار من النسل فتحديده من غير ضرورة تدعو اليه مخالفة صارخة لهذا الطلب ، ولا يدخل تحت هذه الضرورة توهم العجز عن الانفاق فالله تعالى يقول « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها** » ويقول أيضا « **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا** » .

والمحافظة على المال مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعى دل على اعتبارها فقد أوجب الله قطع يد السارق محافظة على المال . قال تعالى « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » .

(ب) **المصالح الحاجية** وهى التى يحتاج اليها الناس فى رفع الحرج عنهم بحيث اذا فقدت لا يختل نظام الحياة ولكن يفوت رفع الحرج فرفع الحرج مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعى دل على اعتبارها فقد أباح الله الكثير من العبادات والمعاملات محافظة عليها . فقد أباح الله الفطر فى رمضان للمريض والمسافر دفعا للمشقة ورفعا للحرج قال تعالى « **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » . وكما أباح الله الفطر فى رمضان للمريض والمسافر أباح السلم الذى هو بيع أجل موصوف فى الذمة بثمن عاجل حتى لا يقع الناس فى الضيق والحرج قال ـ صلى الله عليه وسلم « **من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم** » .

(ج) **المصالح التحسينية** وهى التى لم يقصد بها المحافظة على الحياة الدنيوية ولارفع الحرج وانما يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات والاستهداف الى الكمال الأخلاقى

فالأخذ بذلك مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعى دل على اعتبارها فقد حث النبى **- صلى الله عليه وسلم - على لبس الجديد فى أيام الأعياد .**

٢ - **المصالح الملغاة** وهى التى قام الدليل الشرعى على الغائها كزيادة التعبد فهذا وصف له شاهد من الشرع بالالغاء وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - « **لا رهبانية فى الاسلام** » ومن ذلك انتحار المريض الميئوس من شفائه أو انتحار من ضاقت به سبل المعيشة فهذا وصف قام على الغائه وعدم اعتباره قال تعالى « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** »

ومن ذلك تملك المرأة الطلاق فهذا وصف قام الدليل الشرعى على الغائه قال - صلى الله عليه وسلم - « **الطلاق لمن أخذ بالساق** » .

٣ - **والمصالح المرسلة** هى التى لم يقم دليل من الشرع على اعتبارها أو الغائها وسميت هذه المصالح مرسلة لأنها مطلقة عن دليل اعتبارها أو الغائها ومن العلماء من يسمى هذه المصالح بالاستصلاح .

والأمثلة على هذا النوع من المصالح كثيرة منها جمع القرآن فى مجموعة واحدة فقد مات فى حروب الردة كثير من الصحابة الحافظون للقرآن الواعون لأحكامه فخاف المسلمون حينئذ على ضياع القرآن فقاموا على أثر ذلك بجمع ما تفرق منه فى مجموعة واحدة .

فهذا الجمع الذى حدث لا شاهد له من الشرع لا بالاعتبار ولا بالالغاء فهو يخضع حينئذ للمصلحة المرسلة .

ومن ذلك ما فعله عثمان - رضى الله عنه من توريث المرأة التى طلقها زوجها بأنها فى مرض موته دون طلب منها فرارا من ارثها .

ومن هذا الوادى أيضا ما روى عن **الحنفية من الحجر على المغنى الماجن والطبيب الجاهل والمكارى المفلس .**

وما روى عن المالكية من حبس المتهم وتعزيره للتوصل الى اقراره .

وما فعله الصحابة من تضمين الصناع فاذا هلك عند الصانع ثوب ولم يقم البينة على أنه تلف بغير سبب منه يقضى على الصانع بالضمان عملا بالمصلحة . فالناس محتاجون الى التعامل مع الصناع وهم يغيبون الأمتعة عن أعين أصحابها وليس من شأنهم الاحتياط فى حفظها فمن المصلحة تضمينهم لئلا تضيع أموال الناس وفى هذا يقول على - كرم الله وجهه - « **لا يصلح الناس الا ذاك** » .

ومما يخضع تحت العمل بالمصلحة المرسلة فرض ولى الأمر ضريبة على الأغنياء اذا اقتضت مصلحة الدولة ذلك ولا تؤثر هذه الضريبة على الزكاة فالغنى يدفع ما وجب عليه من الزكاة وما فرضه الحاكم من الضرائب .

وكذلك ينطوى تحت هذه المصلحة المرسلة تسجيل العقود أيا كان نوعها فهذا لا شاهد له من الشرع بالاعتبار ولا شاهد له بالالغاء . فهذا التسجيل يخضع لهذا المبدأ الشرعى وينطوى تحت رايته فهو أمر يقره الاسلام ولا يتنافى مع مبادئه .

وانى أرى أن العمل بمبدأ المصلحة المرسلة أمر لابد منه ولامحيص عنه فالوقائع متجددة والبيئات متغيرة والمصالح غير متناهية فقد تطرأ للأمة اللاحقة طوارىء لم تطرأ للأمة السابقة وقد تستوجب البيئة مصالح ماكانت تستوجبها من قبل وقد يؤدى تغير أخلاق الناس الى أن يصبح مفسدة ما كان فى السابق مصلحة فلو لم نفتح الباب على مصراعيه فى الأخذ بالمصلحة المرسلة لضاقت الشريعة الاسلامية عن مصالح العباد وقصرت عن حاجتهم ووقفت جامدة لا تساير مختلف الأزمنة والأمكنة والبيئات والأحوال مع أنها خاتمة الشرائع وينبغى أن تكون مرنة تصلح أن تساير كل زمان ومكان وحال .

فالحق أحق أن يتبع والذى ينبغى اتباعه مراعاة مصالح الناس فى الوقائع التى لم ينزل الوحى بالحكم فيها والا وقفت الشريعة مكتوفة

الأيدى أمام ما يجد من الحوادث التى لا يمكن استنباط حكمها من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس وحينئذ توصم الشريعة بالجمود وعدم مسايرة الأزمان والبيئات وهذا ينافى ما اقتضته الحكمة الالهية من أنها خاتمة الشرائع وأنها صالحة التطبيق فى كل عصر ومكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولا يفوتنى أن أنبه الأذهان الى أن المصلحة المرسلة لا يسوغ لنا العمل بها فى مجال العبادات والعقوبات أو لا محل للمصلحة فيهما لأن المصلحة مبنية على ما يدرك العقل نفعه أو ضرره وكل من العبادات والعقوبات غير معقول المعنى .

ونظرا لأن الذين يعتبرون المصلحة المرسلة مصدرا من مصادر التشريع الاسلامى خافوا أن يستغلها الناس . وخافوا أن يتسلط الهوى عليهم فيها وضعوا للعمل بالمصلحة شروطا اذا توافرت كان العمل بها عملا شرعيا يقره الدين الحنيف ويؤيده العقل السديد فلا بد من أن يتحقق من بناء التشريع على المصلحة المرسلة جلب مصلحة أو دره مفسدة أما توهم جلب النفع أو دفع الضرر فهذا ما لا يصح أن يبنى تشريع الحكم عليه .

ولا بد وأن تكون المصلحة التى يشرع الحكم من أجلها كلية لا جزئية فلا بد وأن تشمل أكبر عدد من الناس تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضرر ، فلا يصح ان يشرع حكم بناء على مصلحة خاصة بفرد من الأفراد .

وفوق ذلك فلاعتبار التشريع روعيت فيه المصلحة ولكنه معارض للنص أو الاجماع فافتاء غنى من الأغنياء أفطر فى رمضان بأنه لا كفارة فى افطاره الا صوم شهرين متتابعين مراعاة للمصلحة لأن المقصود من الكفارة الزجر ولا يرتدع الا بالصوم أما الاعتاق فأمره هين وسهل عليه .

هذه الفتوى تعارض حكماثبت بالنص الصريح وهو أن من أفطر فى رمضان فكفارته كفارة الظهارة . قال صلى الله عليه وسلم « **من أفطر فى رمضان فعليه ما على المظاهر** » وكفارة الظهار . قال صلى الله عليه وسلم ((**من أفطر** تعالى » **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** » .

فالفتوى بصيام شهرين متتابعين للغنى الذى أفطر عامدا فى رمضان لأنه لا ينزجر الابالصيام فتوى لا تصح لأن المصلحة التى انبنت عليها لها شاهد من الشرع بالالغاء وهو الحديث السابق الذى نص على أن كفارة من أفطر فى رمضان هى كفارة الظهار وكفارة الظهار تجب على الترتيب الموجود فى الآية الكريمة السابقة فلا لجوء الى الصيام الا عند العجز عن الاعتاق .

حول مشكلة تضخم السكان فى العالم

خطر زيادة السكان فى الشرق الأقصى وعلاج المشكلة كما ينبئ عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

الأستاذ عبد العزيز العلى

أذاعت الدوائر المسئولة فى الولايات المتحدة أخيرا أن عدد سكان العالم من البشر سيتضاعف فى سنة ٢٠٣٥ الى أربعة أضعاف السكان الحاليين ، أى بما يزيد على اثنى عشر ألف مليون نسمة .

والشرق الأقصى هو أكثر مناطق العالم اكتظاظا بالسكان ، وبموجب ذلك سيكون عدد سكان الصين وحدها بعد مرور سبعين عاما مماثلا لعدد سكان العالم فى الوقت الحاضر .

لهذا نرى أن مشكلة تزايد السكان على هذه الصورة المروعة تشغل بال ساسة العالم ومفكريه يناقشون المشكلة من جميع جوانبها ويحاولون وضع الحلول المناسبة لها - فتارة يقترحون الحد من ازدياد السكان بتحديد النسل أو منعه ، وتارة يدرسون زيادة الامكانيات الموجودة فى العالم لكفاية الزيادة المنتظرة للسكان أو العمل على خلق وايجاد امكانيات جديدة تستوعب أكبر عدد من السكان فى العالم على مختلف أجناسه أو باشعال نار الحروب الطاحنة للبشر .

وقد نبه النبى الكريم - صلى الله عليه وسلم - قبل ألف وأربعمائة سنة الى هذا الخطر المتزايد وهو النبى الذى أنزل عليه القرآن العظيم ، كتاب رب العالمين ، الذى فيه خيرا ماقبلنا وحكم ما بيننا ونبأ مابعدنا وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فيقول المصطفى - صلوات الله عليه - منبئا عن الحل الذى سيضطر اليه سكان الشرق الأقصى عندما تضيق بهم رقعة الأرض التى يعيشون عليها ومحذرا قومه ومتبعية فى الوقت نفسه من خطر الموجات البشرية التى ستقذفها اليابسة فى الشرق الأقصى الى رحاب البحار طلبا للسكن والطعام والشراب والتنفس وتفتيشا عن كل رقعة فيها متسع لمزيد من السكان فيقول - صلى الله عليه وسلم - :

« **ويل للعرب من شر قد اقترب يعاهدونكم بنو الأصفر فيغدرون ، فياتونكم على ثمانين آية على كل آية اثنا عشر ألفا** » .

وقد يحتار الانسان فى شكل واسطة النقل التى تستطيع أن تحمل هذه الاعداد الضخمة اثنا عشر ألفا من البشر ، ورغم التقدم العلمى الكبير لا توجد واسطة نقل الى الآن تحمل مثل هذا العدد الكبير على ما أعتقد ومن معانى الآية « فى اللغة » هى العجيبة وقد تكرر ذكر الآية فى القرآن العظيم عند ذكر سفينة نوح منها قوله - سبحانه - : « **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون** » .

والذى يظهر لى من سياق الحديث معان أوجزها فيما يأتى :

١ – ان سكان الشرق الأقصى عندما يتزايدون سيضطرون الى صنع جزر عائمة لتسير فى البحار الكبيرة التى تشكل ٧٨ ٪ من الكرة الأرضية فيها قسم للسكن وقسم للزراعة يستعينون بحيوانات البحر ونباتاته فى طعامهم وتبخير مائه لشرابهم واستعمال فضائه لتنفسهم ، وقد تعيش هذه القوافل من الجزر البشرية على غزو البلاد الغنية لاسيما التى فيها مجال للزراعة والسكن وعلى القرصنة فى البحار •

٢ – تحريم الأسلحة النووية لأن استعمالها من جميع مالكيها فى وقت واحد يعنى هلاك غالبية البشر رجالا ونساء ويشل البقية الباقية منهم ، كما انه لا بد وأن يتقرر بين الدول المالكة للاسلحة الأخرى أعراف عالمية لتحديد صنع بعضها وتحريم بعضها الآخر •

يؤيدنا فى هذا أقوال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى زيادة عدد النساء فى آخر الزمان حيث ان القنابل الذرية لو استعملت لا تفرق بين الرجال والنساء ، كما يخبرنا القرآن العظيم ان القضاء على الأرض لا يكون بفعل الانسان ، وأن الأرض ستأخذ زخرفها وزينتها قبل القضاء عليها الذى سيكون بأمر الله وحده لقوله جل سبحانه : **« حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس »** •

٣ – بحكم الأعراف الدولية وتحديد الأسلحة الحربية ، ستنتصر الأعداد الكبيرة من الجنس الأصفر على الاعداد الأقل منها من الجنس الابيض ، ولعل ما نراه الآن من مناوشات حربية فى الشرق الأقصى لخير شاهد على ذلك – وها هى الصين الشعبية بدأت فى نشاطها السياسى الواسع فى افريقيا والمناطق الأخرى لتتخذ منها مجالا لتمددها السياسى والبشرى •

٤ – ان العرب بعد أن يقفوا على الداء الدفين فى الداخل يحاولون تنقية صفوفهم من الباطنيات والفلسفات الدخيلة على العرب وعقيدتهم المثلى ، ولعل المرحلة الثانية بعد تنقية الصفوف هى محاولة القضاء على أعدائهم وفى مقدمتهم اليهودية لعالمية التى هى أساس البلاء فى وجود أعدائهم وأعداء عقيدتهم سواء فى الداخل أو الخارج فيتحقق لهم بذلك النصر المبين ولا سيما اذا صدقوا الله فيحق عليه سبحانه صدقهم « **صدقوا الله فصدقهم** » **« وكان حقا علينا نصر المؤمنين »** •

وانى أعتقد أنه سيحدث قبل ذلك تحاكك بين دول أوربا المتعصبة لبعض الدول المجاورة لفلسطين من جانب ، ومن الامريكان واليهود من جانب آخر ، وتقوم حرب فعلية بين الجانبين • ونظرا لأن الغرب عائلة واحدة فقد يتفقون على تضييق رقعة حدود اسرائيل – يؤيدنا فى ذلك بضع آيات كريمة من كتاب الله فى مستهل سورة الاسراء المباركة، كما أنى أعتقد أن موقف ألمانيا فى النهاية سيكون بجانب الشرق وأن انجلترا ستبقى فى البداية فى موقف الوسط ثم تميل فى النهاية نحو الشرق ، ومما لا شك فيه أن انجلترا سوف لا تتخلى عن الاردن لا سيما بالنسبة للأسلحة والامكانيات التى تتفوق بها اسرائيل عليها •

ولعل موقف ألمانيا السابق واللاحق من اليهود هو بتأثير أمريكا وعلى حسابها لاسيما وان اليهودية العالمية المسيطرة على السياسة الامريكية لاتامن لتدخل الالمان فى الشرق الاوسط قبل الاعتراف باسرائيل فكأن الاعتراف أيضا هو نتيجة التأثير الامريكى ليس الا •

وقد أدرك سيادة الرئيس العربى الكبير الموقف على حقيقته فى خطابه التاريخى فى عيد العمال • وكذلك فى خطابه الواقعى الصريح المقدر لاوضاعنا الداخلية وما يحيط بقضيتنا من اخطار خارجية وذلك فى المؤتمر القومى الفلسطينى •

وفق الله سيادته وسدد خطاه وأخوته العاملين فى جميع البلاد العربية خاصة والبلاد الاسلامية عامة – انه سميع الدعاء محقق الرجاء وصلى الله على سيدنا محمد الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى •

الاسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم » .

قد أثرنا الكلام عن الشيعة والتشيع فى الاسلام قبل الاعتزال والمعتزلة والاشعرية وقبل التصوف أيضا لأن التشيع فى الواقع أول فتنة نجمت فى الاسلام وكان مدارها اختلاف الاراء والاهواء التى فشا عنها اختلاف الجماعة وانقسام الامة الاسلامية وتعدد مذاهبها فالشيعة وفى مقابلهم الخوارج . وفى مقابلهم العثمانية أنصار الأمويين كل أولئك كانوا مظاهر عامة لدسائس خفية اشترك فيها فلاسفة الفرس وفلاسفة اليهود المتمسلمين . وامتدت هذه الفتن منذ القرن الاول الهجرى الى عدة قرون حتى ان علماء الكلام المعتزلة ما قاموا فى الملة الاسلامية الا ليناضلوا تلك الفتن ويقارعوا الحجة بالحجة ويستمدونها من نفس الفلسفات والعلوم التى كانت نظرياتها أصولا لتلك الفتن .

والشيعة هم الحزب الذى التف حول على رضى الله عنه وساعده على نيل الخلافة وقد أيده ضد معاوية والخوارج الى النهاية . ثم التف حول بنيه من بعد قتله ومعنى الشيعة : الصحب والاتباع . وهم فى العرف الشرعى اتباع على وبنيه ويقال لهم شيعة أهل البيت - على ان غالب أهل البيت سنية أشعرية . وبذور هذا الحزب الشيعى كانت موجودة فى الامة بعد موت الرسول مباشرة وحين كان الخلاف على الخلافة ولبثوا يرقبون الحوادث والفرص حتى ولى الخلافة الامام على رضى الله عنه كان ظهورهم الكامل حين انشق الخوارج على على بعد حادثة التحكيم المشهورة . ولم يقبلوا التحكيم قائلين « ان الحكم الا لله » . واختاروا لزعامتهم عبدالله الراسبى . واستقر أمرهم على مغادرة الكوفة واعلان الثورة وكتبوا الى أنصارهم فى البصرة يستحثونهم على اللحاق بهم فقاتلهم على فى النهروان وشردهم بمختلف الانحاء سنة ٣٨ وسموا بالخوارج لخروجهم على على فى التحكيم .

وقد نشأ الخلاف أصلا على مسألة الامامة والخلافة . وبما أن السلطة الدينية والزمانية كانتا ممتزجتين فى الاسلام كانتا عنصر الامامة أيضا . وكان للمذهب الخارجى ناحيته السياسية والدينية وما زال الخوارج بعلى حتى قتل بيد ابن ملجم الرافضى فى يوم ١٧ من رمضان سنة ٤٠ . فنشط بعد ذلك الشيعة متشيعين لعلى وابنائه وحجتهم قتل علي زاعمين انه بيد الخوارج أو بايعاذ من العثمانيين وانتشروا بتعاليمهم يبثونها خفية وجهرا . وكان فى وجودهم وثورتهم فرصة للتالب على الاسلام وأهله سانحة لسائر اعداء الاسلام من فرس ويهود . وغيرهم من أهل النحل المناوئه للاسلام . وظل الشيعة فى تشيعهم وبقائهم الى جانب ابناء على فى مناوءة بنى امية ويتشيعون لاهل البيت على تعاقب الايام .

وكان كل ذلك من الضربات العظمى لتعاليم الاسلام ومن مذهبهم أن الامامة ليست من المصالح العامة التى تفوض الى نظر الامة ويفوض اختيار القائم بالامر فيها اليكم بل هى ركن من اركان الدين لا يجب اغفاله . بل يجب تعيين الامام بوصية ممن كان قبله . على ان يكون الامام معصوما

من الكبائر والصغائر . وقالوا ان عليا هو الذى عينه النبى للخلافة من بعده بالوصية .

والشيعة عدة فرق أهمها الامامية وهم الذين ياخذون على ابىبكر وعمر ان اخفيا وصية النبى عن الامة « على زعمهم » ولم يقدما عليا ويبايعاه طبقا للوصية وسمى الفريق منهم الامامية لاشتراطهم معرفة الامام وتعيينه .

ثم الزيدية وهم لا ياخذون على أبى بكر وعمر شيئا ولا يطعنون فى صدقهما مع الاحتفاظ بأن عليا أفضل ، وهم يجوزون امامه المفضول مع وجود الافضل وهم اتباع زيد بن على بن الحسن .

وقد اختلف الشيعة فيما بينهم فى مساق الخلافة بعد علي ، فمنهم من ساقها فى ولد فاطمة بنت النبى وزوج على ، بالنص على الامام واحد بعد واحد ، وهم الامامية.

ومنهم من ساقها بعد على الى بنيه الحسن والحسين خاصة ، ثم أخيه محمد بن الحنفية ، وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه ، فساقوا الامامة من بعد محمد ابن الحنفية الى ابى هاشم ابنه ، ثم افترقوا فساقها بعضهم الى ابنه على ، وزعم بعضهم أن أبا هاشم أوصى بالامامة الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وأوصى بها الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام ، وأوصى ابراهيم الى أخيه الملقب بالسفاح وهو أول خلفاء بنى العباس .

واما الزيدية فساقوا الامامة باعتبارانها تقوم باختيار الأمة لا بالنص على واحد معين ، الى على بن أبى طالب فابنه الحسن فأخيه الحسين فابنه على زين العابدين فابنه زيد وهو امام المذهب الزيدى عند الشيعة ، وأوصى بالامامة الى محمد بن عبدالله من ولد الحسن وهو المعروف بالنفس الزكية وتلقب بالمهدى ، وقال الزيدية ان الامام بعده هو أخوه ادريس الذى فر الى بلاد المغرب الاقصى واختط مدينة فاس وأسس دولة الادارسة .

وأما الامامية فقالوا بامامة على ثم ابنه الحسن بالوصية ثم أخيه الحسين فابنه زين العابدين فابنه محمد الباقر فابنه جعفر الصادق فقط كما تقدم .

وقالت الاثنى عشرية بامامة ابنه موسى الكاظم فابنه على الرضا فابنه جعفر بن محمد فابنه محمد الحسن العسكرى فابنه محمد المهدى وهو الثانى عشر من هؤلاء الائمة ولذا سميت الفرقة بالاثنى عشرية ، وتقول بأن خاتمهم محمد المهدى ولم يمت وانما اختفى وسيظل مختفيا الى آخر الزمان حتى يخرج ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما ويسمونه بالمهدى المنتظر !!

وأما الاسماعيلية الذين قالوا بامامة اسماعيل الامام ساقوا الامامة بعده الى ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبد الله المهدى الذى فر الى افريقيا وملك القيروان وأسس دولة العبيديين وأسس بنوه دولة الفاطميين فى مصر ويسمون أيضا بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام المستور أى المختفى وبالعلوم المستورة أيضا .

والاسماعيلية من أكبر وأقوى فروع الشيعة ومنهم تفرعت فروع كثيرة ، ثم لما تولى العباسيون ودان لهمالملك انقلبوا على ابناء عمومتهم من الفاطميين واعملوا فيهم اضطهادا وتعذيبا وتشريدا ، فاضطر الشيعة الى التستر واستعمال معاول الهدم واستغاثوا بالفرس لأن فارس مهد الشيعة الاول ، واتخذ الفرس بدورهم التشيع وسيلة الى هدم الاسلام نفسه وافساد عقائده بدافع الشعوبيةوكان اول من أشهر معول الهدم عبدالله بن ميمون القداح ، وهو ابن فقيه ملحد من جنوب فارس ، وهو ميمون بن صالح امام جماعة الملاحدة فاخذوا يزيفون الاحاديث وينشرون فى العامة مبادىء الهدم والاباحة ويظهرون فى الوقت نفسه التشيع لأهل البيت ويتخذونه سترا لمقاصدهم السيئة فيفرقون دعاتهم خفية فى الجهات والاطراف مستعملين السيماء والكيمياء والشعوذة ، وصاروا يدعون كل طائفة بما يناسب عقليتهاويظهرون للعامةفىثوب الورع والزهد، ثم نبغ عبدالله بن ميمون بن ديصان وقد نشأ منذ أيامه الاولى فى جو من الالحاد والاباحة متفقها فى العلوم الفلسفية وبالاخص المادية وفى أكثر الديانات وكان شديد الالحاد ثم ادعى اعتناق مبادىء الشيعة الاسماعيلية وزعم أنه وقف على أسرارها وعرف تعاليم الامام المعصوم فذاعت دعوته فى جنوب فارس حوالى سنة ٢٦٠ هـ وفى أواخر القرن التاسع الميلادى .

ولم يبحث ابن ميمون عن أنصاره الحقيقيين بين الشيعة الحرة ولكن اتخذهم من الثانوية المجوس ومن الوثنيين وطلاب الفلسفة اليونانية ، وعلمهم أن يبطنوا الحقائق ويظهروا للعامة ضروبا من الشعوذة والاباحة المغلفة فى ثوب الدين أو التفلسف أو التصوف ، ثم قام بعد ذلك رجل اسمه ذكراوية الملقب بقرمط وكان يزعم أن الصلاة المفروضة على الناس خمسين صلاة فى اليوم والليلة وكان يأخذ من كل واحد من اتباعه دينارا للامام المختفى وجعل منهم اثنى عشر نقيبا سماهم الحواريين وأطلق على أنصاره القرامطة نسبة الى قرمط ، وأذاعوا بينهم تعليما يدعون انه صادر عن الامام المختفى أدلى به لفرج بن عثمان داعية المهدى يقول فيه « من الهراء ما لا يتصوره عقل عاقل » واليك ذلك التعليم الخرافى فيما يأتى يقول :

ان الفرج بن عثمان داعية المسيح هو عيسى وهو المهدى وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل ، وانه قد رأى المسيح فى المنام فقال له : انك الداعية وانك الناقة وأنت الحجة وانك الراية وأنت زكريا وانك روح القدس والقبلة الى بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شىء والصورة والحمد لله بكلماته وتعالى اسمه المتخذ لاوليائه أعوانا وأوقاتا ، قل ان الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب وباطنها أوليائى الذين عرفوا سبيلى .

وهكذا ومن مثل هذا الرمز السخيف والتفكير الرمزى الكليل ، وما كانوا فى باطنهم وحقيقتهم الا اباحيينلايؤمنون بالله ولا يتخذون دينا .

وسرعان ما تحول القرامطة الىعصابة هائلة منالسفاحين والاشقياء المغتصبين وفى سنة ٣٥٨ هـ افتتح جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى خليفة العبيدين مصر وأسس مدينة القاهرة ثم قدم المعز الى مصر بعد ذلك ونقل قاعدته الى القاهرة ، ولما هدأت ثورة الفتك وثبتت دعائم الملك استانف الفاطميون الدعوة الاسماعيليةوتعاليمها الفلسفية وانشأوا لذلك دار الحكمة كمدرسة عامة تفتح أبوابها لكل طالب . وكانت تعاليمها الدينية والفلسفية مشتقة من التعاليم الاسماعيلية تعاليم ابن ميمون السرية. وينقسم أهل ذلك العهد الى قسمين العالم والجاهل ويعتبر الدعاة من تلاميذ القسم الاول ، وقسموا التعليم الى درجات ، فالدرجة الثالثة فيها مثلا يقولون : ان الأحكام الصحيحة هى التى يقول بها الائمة الاسماعيليون لانهم تلقوها عن الله وهم سبعة آخرهم محمد بن اسماعيل .

وفى الدرجة الرابعة مثلايقولون : ان الأنبياء الذينتقدموا على وشيعته سبعة هم : آدم ونوح وابراهيم وموسى والمسيح ومحمد النبى العربى ثم محمد بن اسماعيل الامام .

وفى الخامسة يكشفون عن بعض نواياهم من الشيوع والاباحة قائلين : ان هذا من شريعة الباطن التى تؤيد

شريعة العقل ، ويدللون على اقوالهم بنظريات ارسطو وافلاطون وفيثاغورث وامثالهم من الفلاسفة ، ثم يلقن الطلاب تعاليم الثانوية الفارسية اجتهادا منهم فى هدم « التوحيد » وهى فكرة الاسلام الجوهرية بتعاليم الثانوية القائلة بألوهية النور وألوهية الظلام ، وهكذا اقام نظام التعليم السرى الشيعى لا لهدم الدولة العباسية فقط ولكن لهدم المعتقدات الدينية الاسلامية أيضا .

بيد أن الذى نظم تعاليم الاسماعيلية الجديدة فى طورها الجديد هو الحسن ابن على المعروف بالصباح وهو فارس خراسان ، وقد تعلم الفلسفة عن أبى نصر الفارابى مع زميله الشاعر الفيلسوف عمر الخيام ونظام الملك وزير السلطان ملك شاه ، ثم انقطع لدرس الكيمياء والفلك والسحر الذى كان رائجا فى عصره ، ويقول الصباح بوجوب الدعوة التى لها امام معلم ، ويقول ان الناس فرقتان : الأولى قالت بوجوب الاستعانة فى معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه .

والفرقة الثانية تقول باخذ العلم عن كل واحد وان الحق مع الفرقة الاولى فراسهم ويجب أن يكون راس المحققين فبالاحتياج للمعلم عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير ذلك الاحتياج كما عرفنا بالجواز طريق الوجوب ومقادير الواجب والجائز .

ويقول ان التوحيد والنبوة معا حتى يكون توحيدا، وان النبوة هى النبوة والامامة معا حتى تكون نبوة ، وقد كان الحسن الصباح متمكنا من الفلسفتين الغنوسية والمادية ومتشبعا بتعاليم ابن ميمون ثم فضل أن يستتر بالدعوة الشيعية ، وهو مؤسس طائفة الفدائيين واتخذ له جمعية سرية يغلب على الظن انها جمعية اخوان الصفا وخلاق الوفا ، وكانوا يجتمعون للمباحثة فى الفلسفة على اختلاف فروعها فيدرسون فلسفة اليونان واراء الفرس وحكمة الهنود وأقوال فلاسفة الاسلام ، وكونوا من ذلك مذهبا خاصا بهم .

وكانوا يعتمدون على اراء أرسطو فى الطبيعيات وفيثاغورث فى الرياضيات وفى مباحث ما وراء الطبيعة « الافلاطونية الحديثة » ووضعوا تعاليمهم المذكورة فى اثنين وخمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا ، ثم حملها بعد ذلك من الشرق الى الغرب الكرمانى القرطبى وانتشرت هناك ثم ترجمت الى عدة لغات ، ومما جاء فيها « أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطيرها الا بالفلسفة لانها تجمع بين الفكرة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية » وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية يحصل الكمال العقلى .

هذا وان أغلب الأسماء ، أسماء جماعة اخوان الصفا والواضعين لرسائلهم الفلسفية كلهم شيعة ، ويظهر ذلك من أسمائهم الآتية ابو سليمان محمد بن معشر النسبى وابو الحسن بن على الزنجى ، وابو احمد المهرجانى ويزيد بن رفاعة وكذلك نجد فيها من تعاليم الباطنية مواضيع كثيرة وقد عثر المغول عند فتحهم قلعة الموت « معقل الحسن الصباح » على كثير من نسخ رسائل اخوان الصفا .

أضواء على المرأة العربية في ملامحها الأصلية !

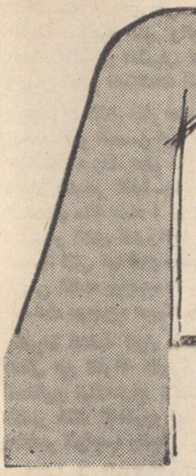

بقلم الدكتورة
عاطفة
الرحماني

عندما نتحدث عن الملامح الاصلية لدى المراة العربية يتبادر الى الذهن تلك الصفات الفذة التى تتميز بها المراة الريفية عن غيرها ، وذلك الدور الكبير الذى تؤديه فى النهوض باسرتها وبيئتها .

فمركز المراة فى الريف لا يجاريه اى فرد اخر ، وهى المسئولة الاولى عن رعاية الاسرة وتدبير شئونها واذا اتيح لنا ان نعيش يوما واحدا فى حياتها لراينا صورة للعمل الضخم الذى تقوم به بمفردها فهى - تستيقظ مع الخيوط الاولى للفجر ، فتحلب الضرع وتضرم الفرن او « التنور » تلقمه الرقاقات العديدة ثم تستردها من بين ميزانه بيدها اللتين اخى اللهب فى اللون بينهما وبين الارغفة الخارجة لتوها من الفرن ، ثم تروح لتعد طعام الصباح للاسرة وبعد ان يمضى كل فى طريقه تقوم بتنظيف المسكن والحظيرة وعمليات التسويق واعداد طعام الغداء الذى كثيرا ما تحمله على راسها طاوية به المسافات البعيدة الى زوجهـا حيث يرعى الماشية هناك او يقوم بعمليات الزرع بعيدا .. ثم تعود ادراجها من جديد لتدير الرحى او تباشر بعض الصـناعات الريفية وتتمم ما تبقى لها من اعمال اليـوم وهكذا فالمراة الريفية عماد الاسرة دون منازع ومنوط بها سعادة الاسرة او شقاؤها ، وهى تؤدى ذلك كله بطيب قلب دون تبرم او كلل ، فهى صلبة العود ، رحبة الوجدان ، تتجلى فيها اروع الصفات العربية العريقة من مروءة وشهامة وتضحية وحب للخير فهى بحق « اخت الرجال » كما ينعتونها فى بعض المناطق من ريفنا العربى ، ولكم تمتد خدماتها الى خارج اسرتها ممن تربطها بهم وشائج القربى والجوار والمعرفة فنراها تؤدى مهمتها اديهم علي ادق ما تنشده المثل الانسانية الرفيعة يقودها ايمـان عميق يضفى عليها هالة مضيئة من القناعة المرضية والطمانينة العامرة .

ان هذه الروح الكبيرة لدى المراة العربية ، فى الريف كانت لا تزال سرا قويا فى تذليـل الكثير من الصعاب ولا سيما فى اوقات الشدة من حوادث المشـاجرات العنيفة بين القبائل وفى حالات المرض ، فكثيرا ما كانت ترقى المريض فما يبرح أن يبل من علته وما كان السر فى ذلك الا فيما تدفقه من حنـان ورعاية تسمو بالروح المعنوية لدى مريضها فيتغلب على الاعياء وهذا ما نرى اثره اليوم فيما يحققه الطب النفسى فى علاجاته الباهرة

وما زالت المراة فى الريف ابنة الطبيعة البارة تاخـذ عنها الـدروس وتسكبها فى بيئتها بكل ما اوتيت من امانة واخلاص . ومن هنا يتبين لنا مدى اهمية التمسك بالمحافظة على هذه الملامح الأصيلة فى شخصية المـراة الريفية لكى تبقى وتتفاعل مع كل زمان ومكان ..

ولكن اذا كانت الطبيعة والفطرة السليمة ، همـا اللتان تقودان المراة الريفية فى حياتها فماذا تفعل أمام التقدم العلمي الذى يسرى اليوم فى جميع تشـعبات الحياة . افنقول للمراة الريفية استمرى فى طريقتـك القديمة الموروثة سواء فى العلاج أو فى الوسائل الاخرى التى تتطلبها الحياة واعتمدى على ما وهبتك الطبيعة من خصال وقوة احتمال ..

ان اكبر طاقة انسانية لديها تذوب أمام سحابة جهل ازاء ما ينفثه جرثوم واحد يهدد حياة طفلها ويجعلهـا اثرا بعد عيـن اذا لم تلجا الى الاساليب العلمية فى مكافحة الداء والتصرف الواعى بنقله الى اقرب مركـز بعد ثوان .. هكذا تؤدى القدرة الانسانية دورها الى حد مرسوم ثم تقف مكتوفة اليدين أمام مقتضـيات البحث والعلم وحبذا لو تضافرت المميزات الانسانية لدى المراة الريفية مع الوعي والثقافة اللازمة لها

وحبذا لو تمسكت المراة الحضرية بصفاتها الاصيلة التى نلمحها لدى المراة الريفية ، من اخلاص وصفاء ، مع الاستفادة من ينابيع الثقافة والعلوم فى أى ميدان تخوضه ، اذا لكان لنا معين لا ينضب للقضاء على الالام وتحقيق سعادة الانسان ..

وسنتناول فيما بعد أهم النقاط فى النهوض بالمراة العربية فى الريف .

حلقات الدروس

عودة الدراسة الى الجامع الأزهر

الأستاذ عبد الرحيم فودة

عادت الدراسات القديمة الى الجامع الأزهر الشريف ، وأصبح هذا المسجد العتيق كما كان مثابة لطلاب العلم على اختلاف ألوانهم ومواطنهم ، وبذلك اطمأنت النفوس التى كان يساورها القلق والأرق على مصير هذه القلعة المنيعة التى قامت أكثر من ألف عام على حراسة علوم اللغة والدين ، وعادت اليها مكانتها التى كانت تتمتع بها فى قلوب المسلمين ، فقد كانت كعبتهم الثقافية ومنبرهم العام وجامعتهم الجامعة ، بل كانت بعد أن أقبل عليها العلماء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الاسلامى كما يصفها شوقى بقوله :

يا معهدا أفنى القرون جداره
وطوى الليالى ركنه والأعصرا

ومشى على يبس المشارق نوره
وأضاء أبيض لجها والأحمرا

وأتى الزمان عليه يحمى سنة
ويذود عن نسك ويمنع مشعرا

ان الذى جعل العتيق مثابة
جعل الكنانى المبارك كوثرا

العلم فيه مناهلا ومجانيا
يأتى له النزاع يبغون القرى

وإذا كانت مكانته عند المسلمين بهذه المثابة فانه فى مصر بمثابة القلب من كيانها العربى والاسلامى ، لأنها منذ دانت بالاسلام ، ولان لسان أبنائها بلغة القرآن ، وحملت لواء العروبة والدين القيم لتكافح به الغزو التترى والاستعمار الأوربى ، كانت ترى فى الأزهر منبر ثورتها . وحصن مقاومتها . ومقر قيادتها . وقيادة العرب والمسلمين معها ، وقد صور الرئيس جمال عبد الناصر هذا الواقع التاريخي حين قال فى الميثاق « ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت كما يقول بعض المؤرخين، فان الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر وجدت الأزهر يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه الى الحياة فى مصر كلها .

لهذا كان غريبا على شعور كل مصرى وضمير كل مسلم وعربى أن تعطل الدراسة فى هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، والذى اقترن تاريخه وجهاده بتاريخ مصر العربى والاسلامى ، وقد كتبت فى جريدة الشعب حين صدر قرار تعطيله كلمة فى هذا المعنى تحت عنوان « مدارس آيات » أشرت فيها بما كان لهذا المكان من أثر بالغ فى حياة مصر والعالم الاسلامى ، وختمتها بهذا البيت الحزين :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومهبط وحى مقفر العرصات

ثم عدت الى الكتابة فى هذا الموضوع حين كتبت عدة مقالات فى لواء الاسلام بعنوان « مصير الأزهر » ، وأنا أعلم علم اليقين – عن طريق احساسى وقلبى وثقتى فى السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله وسدد على طريق الحق خطاه – أن صيحتى ستجد صداها وأن هذا المسجد الجامع الذى تحطمت على أعتابه كل الحملات والمحاولات التى بذلت لصرف أنظار المسلمين عنه ستعود اليه مكانته فى مصر والعالم العربى والاسلامى كما كانت . وأعظم مما كانت .

وقد كان ما رجوت أن يكون .

وعادت الدراسة الى الجامع الأزهر فى أيام انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية ووقف الأستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر يقول فى حفل افتتاح هذه الدراسة :

« أحمد الله اليكم أيها الزملاء ، وأيها الأبناء» انه ليسعدنى أن أعلن أن من طلائع اليمن بين يدى انتخاب الرئيس جمال عبدالناصر رئيسا لجمهوريتنا العزيزة أن يؤذن بعودة الدراسة العربية الاسلامية فى الجامع الأزهر الشريف. بعد أن كان هذا الجامع قد أقفر من حلق الدرس زمنا كان أثقل على صدور المسلمين من الليل الطويل على صدر الخائف المكروب .

ولقد قلت من قبل أن الجامع الأزهر هو أبو جامعة الأزهر ، والجامعة بغير الجامع جامعة يتيمة ، فأما اليوم وقد أذن لأبيها أن يحيا من جديد . فانها بلا ريب تجد ريح السعادة من كل مكان ، وانى لباسط الى الله – جل شأنه – أكف الضراعة أن يكلأ الرئيس المفضال برعايته ، وأن يذلل له الطريق الى ما يبتغى لأمته من مجد ورفعة » .

وهكذا اكتمل بناء الاصلاح ، وصار الجامع القديم العريق يعمل مع الجامعة الحديثة المتطورة ، ويمدها بما يسندها ويدفع بها الى الحياة الجديدة التى ننشدها ونبنيها ، وأصبحت « حلقات الدروس » فى الجامع الأزهر تموج بالدراسات العميقة فى القرآن وعلومه . وأقبل الطلاب على هذه الدراسات اقبالا لم يكن يخطر على بال فقد تقدم للانتساب فى السنة الأولى من القسم العالى نحو ثلاثة آلاف طالب كما تقدم كثير من الموظفين ووكلاء النيابة وبعض المستشارين والقادة العسكريين يرغبون فى تخصيص أوقات لدراستهم ، مما يذكرنا بالرواق العباسى الذى كان يجتمع فيه المثقفون على اختلاف ألوان ثقافتهم ليتلقوا دروس الامام محمد عبده ، فى التفسير وعلوم اللغة .

وهناك ناحية هامة يجب ألا نغفلها أو نهملها فى الحديث عن عودة الدراسة فى الأزهـر ، وهى ربط شـعور العرب والمسلمين بهـذه الجامعة العريقة وبهذه الأمة التى تبوأت بين العرب والمسلمين مكانة الامامة والزعامة ، فقد حاول المرجفون من أعوان الاستعمار أن يوهموا المسلمين بأن الأزهر قد انتهى أمره بقـانون التطوير الجديد ، وأنهم لا حاجة لهم بارسال أبنائهم اليه ، وقد أشارت المذكرة الايضاحية للقرار الذى أنشىء بهذا القسم الى هذا الأمر وذكرت الدوافع لانشائه ، ولهذا نعرضـهـا بتمامها أمام الأنظار • ليرى القراء أن هذا العمل كان حتما لصيانة التراث الاسلامى • وصيانة اسم الأزهر • وصيانة اسم مصر بلد الأزهر •

دلت التجارب على أن الحاجة ماسـة الى انشاء دراسة عامة للعلوم الاسلامية والعربية على نسق ما كان يدرس فى الجامع الأزهر منذ نشأته وهى دراسة تهدف الى تزويد طـلاب العلم بجميع ألوان الثقافة الاسلاميه والعربية ذلك بأن هنالك من الدول الاسلاميه من يريد لمبعوثيه فى الجمهورية العربية المتحدة ، ان يتزودوا بكافة أنواع هذه الدراسات الاسلاميه والعربية ، دون أن يتخصصوا فى نوع بعينه ويكون الحاق المبعوث باحدى الكليات الاسلامية المتخصصة فى فرع بعينه من هذه الدراسات غير محقق للغرض الذى من أجله ترسـل بعض الدول الاسلامية مبعوثيها •

ففى هذا البعض من الدول ، يعمل الرجل الواحد قاضيا يحكم بما أنزل الله وفقيها يشير بأحكام الله ، وواعظا ومرشدا هاديا ، ومثل هذا الرجل لا يستطيع أن يقوم بمهامه المتعددة الدقيقة دون أن يكون ملما بأصـول الدين والشريعة الاسلامية وعلوم البلاغة جملة واحدة •

فاذا أضفنا الى ذلك أن الدراسة فى هـذا القسم سوف تتخذ مقرا لها الجامع الأزهر ، ومساجد الله لا توصد دون احد ، كان من المنطق أن يفيد من هذه الدراسة قوم آخرون غير الطلاب المقيدين بهذا القسم فهناك طائفة من الناس تقطعت بهم سبل العلم فى أواسط مراحلها وتتطلع نفوسـهم الى استكمال هذا النقص الذى يشعرون به عن طريق التزود بأكبر قسط من العلوم الدينية ، هؤلاء القوم لا يجدون فى أنظمة الكليات الاسلامية ما يشفى عندهم هذا النهم العلمى ، ولكنهم واجدوه فى القسم الجديد الذى يبيح الاسـتماع الى المحاضرات التى تلقى فى الجامع الأزهر ، دون قيود تصرفهم عن التحصيل والدرس •

وقد كان هذا اللون من الدراسة موجودا فى الجامع الأزهر منذ نشأته ، واعادته الى مقره القديم أمر محبب الى النفوس التى تبغى أن تصل الحاضر الزاهر بالماضى المجيد •

وان المكانة العظمى التى بلغها الجامع الأزهر فى العالمين الشرقى والغربى باعتبـاره أقدم جامعة فى العـالم وأعظم جامعة اسلامية ، ليتنافى مع اقصاء الدراسات الاسلامية عن هذا المسجد الذى أعطى لهذا البلد مكانته العلميـة وحفظ علوم الدين واللغة من الضياع وقتا يزيد على ألف سنة ، وان المستشرقين وعلماء العالم العربى حين يحضرون لزيارة جامعة الأزهر لا يتصورون هذه الجامعة الا قائمة فى الجامع الأزهر وحول أساطينه ، فاذا ما جاءوا وجدوه خاليا من هذه الدراسات التى ذاع صيتها فى التاريخ ولا يزال •

لذلك تتقدم الجامعة بمشروع هذا القرار رجاء التفضل باصداره •

القاهرة فى ٢٤ شوال ١٣٨٤
الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٦٥

(أحمد حسن الباقورى)
مدير الجامعة

اوافق
ارجو الله أن يثيب كل من أسـهم واشار وعمل ونفذ هذا المشروع الجليل •
مهندس أحمد عبده الشرباصى
نائب رئيس الوزراء
لشئون الأزهر

الدراسة العلمية في حلقات الأزهر

فضيلة الشيخ عبد الله المراغي

من العلامات القوية والأمارات الظاهرة لرقى الأمم وحضاراتها استمساكها الصالح من التقاليد والعادات الدينية والدنيوية لأن ماضى الأمم وسالفها أساس متين وقواعد ثابتة لبناء حاضرها المكين واصلاحها المرجى فمن الحاضر وازدهاره وتفتحه يشرق المستقبل البهيج وتتفتح أزهاره ويطيب جناه ويحلو مذاق ثماره ٠

ومن التقاليد العلمية الصالحة الدراسة فى الحلقات والمساجد ٠ ولقد كان نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أول معلم فى الاسلام فكان يجلس فى مسجده ويلتف حوله أصحابه فى دائرة يتوسطها ببيانه الفصيح وقوله البليغ وكلماته الحكيمة ويتلقى عنه صحابته تعاليم الدين فيبلغون رسالته وينشرون الأحكام فى جميع الأرجاء ٠ فيؤدى بذلك وظيفة المثقف الدينى ويفقه أصحابه ويعلمهم الكتاب والحكمة والسنة الراشدة فقد كان - عليه السلام - ملاذهم عند الحاجة لمعرفة الأحكام ووزن التصرفات التى تصدر عنهم والوقوف على مدى الخطأ والصواب فيها ٠

وقد توارث المسلمون جيلا بعد جيل هذه العادة الكريمة فاتخذوا المساجد معاهد تثقيف دينى ودنيوى فى جميع الأمصار الاسلامية فكان المسجد منارا يهتدى بضوئه أهل كل مصر يفتحه المسلمون فكان بمصر مسجدها العتيق مسجد عمرو بن العاص مصدر الثقافة الاسلامية فى جميع أرجائها كما كان بالشام والعراق وبلاد المغرب وغيرها من البلاد الاسلامية مساجد تقوم بهذا الدور القيادى الثقافى الخطير ٠ وبواسطة المسجد توارث المسلمون تراثهم الاسلامى الذى عالج مشاكل المجتمع وهذب سلوكه وقوم أخلاقه وثبت أركانه وجعله المثل الأعلى بين المجتمعات المتحضرة الراقية واقتبس هذه الحضارة من المسلمين كثير من دول أوربا التى كانت ترزح تحت نير الجهل والتأخر وما تاريخ الثقافة الاسلامية ببلاد الاندلس والمغرب

وانتفاع الغربيين بها عنا ببعيد ولقد اعترف العلماء المنصفون منهم بهذا الفضل لاهله وقاموا بتدوينه في تاريخهم الصحيح وسجلوه بأحرف من نور فكانت فخرا ومجدا خالدا لعلماء المسلمين يعتزون به في مشارق الارض ومغاربها .

وفي منتصف القرن الرابع الهجري انشأ الفاطميون الأزهر واستهدفوا من وراء انشائه أغراضا دينية وأخرى سياسية مبتغين من وراء ذلك الهيمنة والسلطان على جميع الشعوب الاسلامية فكان الأزهر المحراب الرابع بعد محراب مسجد مكة والمدينة وبيت المقدس يقدسه ويجله المسلمون عامة .

فالأزهر جامعة من أقدم وأعرق الجامعات العلمية في العالم كله فتاريخه الخالد ومحافظته على التراث الاسلامي العظيم ومساهمته الجبارة في الحياة الاجتماعية والدينية في مصر وغيرها من البلاد الاسلامية جعلته موضع الاجلال والاكبار في نفوس المسلمين جميعا فقد صار الأزهر منذ نشأته يتأثر بالحياة الاجتماعية تأثرا قويا ويتفاعل معها تفاعلا جبارا ويؤثر فيها تأثيرا ملحوظا يراه ويحسه ويلمسه جميع المواطنين فهو ينير الأذهان بالمعرفة والثقافة ويهدي العقول وينظم المجتمع ويعده اعدادا قويا فهو الحارس الأمين على حقوق الشعب والمشعل الذي يضيء ولا يخبو مهما جار عليه الطغاة والمستعمرون وهو ملاذ تهوى اليه أفئدة المسلمين من كل مكان فيبصرهم سواء السبيل وهو دائما يتدثر بسربال المجد الخالد ويتشح بوشاح الجلال والهيبة والوقار فهو ميزان الحياة الهادئة المستقرة العادلة لا يتدنس بدنس الأغراض والشهوات والنزوات ولا يمكن لأحد أن يستغله لتنفيذ رغبة من الرغبات الخسيسة مهما اشتد سلطانه وعظمت قوته .

ولقد مهد للازهر هذه المكانة ما قام به مسجد عمرو من مجهود علمي ديني قام به بعض الصحابة الذين وفدوا الى مصر عند فتحها وبعض مشاهير التابعين واتباع التابعين فنشأت منهم طبقة من المجتهدين كالليث بن سعد المتوفى عام خمس وسبعين ومائة هجرية كما هاجر اليها الامام الشافعي وبعض تلاميذه فنمت بهم الحركة العلمية في الفسطاط وكثرت الحلقات الدراسية في مسجد عمرو بن العاص .

ولقد قصد هذا المسجد كثير من العلماء والائمة المجتهدون ممن أفادوا العالم الاسلامي وأدوا له خدمة صادقة في جميع الميادين العلمية الموجودة حينذاك ففي الناحية التشريعية واللغوية وجميع العلوم الشرعية وجد متخصصون يبحثون ويتعمقون في البحث والاستقصاء يرجع اليهم في جميع مشاكل العلوم والفنون والفتوى والتشريع .

ولقد ظلت مصر خاضعة للحكم الاسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ثم لدولة بني أمية وبني العباس الى أن وصلت الى العهد المملوكي ثم العثماني الى أن استقلت استقلالا تاما في عهد ثورتنا المباركة التي لا تدخر وسعا في افساح المجال لكل نوع من أنواع النبوغ سواء أكان ذلك النبوغ في الزراعة أو الصناعة أو غير ذلك مما تتطلبه الحياة المتحضرة الراقية فقد ساهمت بقسط وافر في جميع الميادين العلمية والسياسية والاجتماعية بل وصل بها الطموح الى المساهمة الفعالة في اتخاذ العدة لغزو الفضاء وهي تطمح الى الظهور في الميدان الدولي مرفوعة الرأس محفوظة الكرامة يحسب لها كل حساب ولا يبرم أمر من أمورها في غيبتها أو على غير رضاها وارادتها ولا يصدق على تاريخها الحاضر ما صدق على تاريخها الغابر حين كان يبت في أمورها على غير علم منها وفي غيبتها وحين كان يصدق عليها قول الشاعر العربي :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستشارون وهم حضور

ومن الصفحات المشرقة في تاريخ الأزهر أن علماءه قد لعبوا دورا هاما في التاريخ القومي فقد كانوا يقفون وقفات صادقة لله وللوطن وكانوا يزأرون زئير الأسود عند اعتداء بعض الحكام على حقوق الشعب المشروعة فكانوا يعملون على اقامة العدل وارجاع حقوق الشعب

اليه وجعله مصدر السلطات جميعها كما نادت بذلك وعملت عليه ثورتنا المباركة ٠

ولقد قام بالثورة الامام أحمد الدردير احد علماء الأزهر فى يوم من أيام ربيع الأول عام ألف ومائتين هجرية حين نهب أحد الأمراء منزل أحد الأهالى بالحسينية فهبت ثورة الأهالى العارمة الجياشة واتفقوا على الالتجاء الى شخصية قوية من العلماء فذهبوا الى الامام وأخبروه بما حدث فغضب الامام غضبا شديدا لاستهتار الأمراء وتعسفهم فى تصرفاتهم مع الشعب فنادى فى الجماهير غير هياب ولا وجل بالثورة ضد الأمراء ولم تهدأ ثائرته حتى اعتذر له الحاكم عن هذه الجريمة الشنعاء وعمل على ارجاع الحق الى نصابه وانصاف المظلوم وردع الظالم وتلاه بعد ذلك الامام الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر فى مناصرة المظلومين من الأهالى وردع الظالمين من الحكام فقام بمثل هذا الدور بل وباعظم منه وأثبت للحاكمين أن حقوق الشعب لا يمكن العدوان عليها والتنكيل بها وهكذا ظل علماء الأزهر يؤدون واجباتهم فى المساهمة الفعالة فى الحياة المصرية دينية كانت أو اجتماعية أو سياسية ٠

ولن ينسى المصريون ٠ ولن ينسى العالم موقف قائد العروبة **جمال عبد الناصر** فوق منبر الأزهر وقت العدوان الثلاثى الغاشم ونداءه للشعب المصرى بصوته الهدار قائلا : سنقاتل ٠ سنقاتل ٠ سنقاتل ٠ حتى النصر فما كان من الشعب الشجاع الا أن أجاب قائده ولبى نداءه قائلا : نحن معك دائما وطوع ارادتك ونحن على قلب رجل واحد لا فرقة بيننا ٠

فالأزهر فى ماضيه وحاضره قوة جبارة لا تصدها الحواجز ولا تعوقها العوائق مهما أحكم تدبيرها الماكرون والمستعمرون فهو يصدق عليه القول بأن مصر الدينية الروحية العلمية وأن الثقافة الاسلامية فى جميع أنحاء العالم الاسلامى هبة منه ٠ كما صدق قول المؤرخ اليونانى القديم « **هيرودوت** » بأن مصر هبة النيل ٠ فالنيل مصدر الحياة المادية فيها والأزهر مصدر الحياة الدينية والروحية والعلمية فلا يمكن الاستغناء عن أحدهما ولا تستقيم حياة اذا ما جردت من الغذاء المادى والروحى فهما ركنا الحياة القوية السليمة ٠

والأزهر منذ وجوده ظل يقوم بدوره على أكمل وجه فهو النهر العلمى المتدفق الذى يغذى كل ناحية علمية تتطلبها المصلحة العامة للدولة، وفى العهد الحديث تطلبت المصلحة العامة ايجاد مدرسين مثقفين على أسلوب خاص يتناسب مع التدريس فى المدارس فأنشأت الدولة مدرسة دار العلوم وأخذت لها من طلاب الأزهر من توسمت فيهم الصلاحية واعدتهم الاعداد الذى يؤهلهم للقيام بالمهمة على أكمل وجه فى المدارس العامة وكما قامت الدولة بهذا الأعداد للمدرس قامت باعداد القاضى الشرعى لمحاكمها الشرعية فأنشأت مدرسة القضاء الشرعى وأخذت لها من طلاب الأزهر كما أخذت لسابقتها ٠

فالأزهر لم يتخل يوما عن واجبه ولم يقصر علماؤه لحظة فى تأدية واجبهم فى كل ناحية علمية من نواحى الحياة العامة ٠ وقد فتح الأزهر ذراعيه لاستقبال العلوم الحديثة ودرست فيه تدريسا يساير روح العصر ويقدم للأمة المثقفين ثقافة دينية وثقافة مدنية معا ٠

ولقد عرف المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فضل الأزهر فتوافدت عليه طوائف الطلاب لينهلوا من حلقاته العلمية العلوم والمعارف الدينية وغيرها وليعلموا قومهم اذا رجعوا اليهم وان من أعظم الرجال فى بعض البلاد الاسلامية من ارتشفوا علومهم فى جنبات الأزهر وفى أروقته التى كانت منزلا كريما لهم حين اقامتهم بمصر ٠

وما مدينة البعوث الاسلامية التى أنشأتها ثورتنا المباركة الا الطود الشامخ والحصن الحصين الذى يجمع الطلاب الوافدين على الأزهر من جميع البلاد الاسلامية وحكومتنا الرشيدة تكرم هؤلاء الطلاب وتوفر لهم المستوى المعيشى الكريم الذى يهيىء لهم الجو الصالح للدراسة العلمية السليمة المنتجة ٠

والدراسة فى الأزهر تسير على نمط خاص فالطلاب يجلسون على البسط فى حلقات

متجاورة تختص كل حلقة منها بأستاذ يدرس فنا من الفنون او علما من العلوم ولا تتأثر حلقة منها بحلقة أخرى مهمـا قربت الفرجة بين الحلقات وهذه ميزة تميزت بها حلقـات التدريس فى الأزهر حتى وصلت الى درجة من استقلال كل حلقة عن غيرها استقلالا لا تصل اليه الحواجز المادية مهما بولغ فيها وكأن كل حلقة قد اختصت بأستاذها وترى أنهـا منفردة فى هذا المسجد وليست بجوارها حلقات أخرى .

ومما لا مرية فيه أن للعقيدة فى نفس صاحبها تأثيرا عظيما يجعلها ترتفع فوق مستواها العادى فالجالس فى حلقة علمية فى مسجد يعتقد أنه فى بيت من بيوت الله وأنه يتقرب اليه فى بيته فهو أهل للاحسان اليه والعطف عليه وأهل للفتوح ونزول الرحمات فتبعثه هذه العقيدة على مضاعفة الجهد ومداومة الدراسة والتحصيل الحرص على التزود بالعلم كما تبعثه على السلوك القويم والظهور بمظهر الكمال والاحترام خصوصا اذا كانت هذه الحلقة فى الأزهر صاحب التاريخ التليد والمجد الخالد فاذا ضم الى ذلك علمه بمن تخرجوا من العلماء الكبار الذين درسوا فى هذا المكان المبارك .

كل هذه البواعث وغيرها تجعل للأزهر مكانة سامية يحرص على بقائها أولو الأمر والساهرون على المصلحة العامة للدولة فى مصر وغيرها .

ولقد صدرت عدة قوانين لاصلاح الدراسة بالأزهر ومسايرته لتطور المجتمع واعداد طلابه للاشتراك فى الحياة العملية .

ومن الغريب أن بعض الناس يرمون الأزهر بالجمود وعدم السير فى ركب التقدم والرقى ولا شك أن هذا القول مخالف لواقع الأزهر اذ أنه منذ وجوده الى الآن لم يتخلف يوما عن المشاركة الفعالة فى جميع نواحى الحياة .

وآخر قانون صدر لاعادة تنظيم الأزهر وتطويره القانون الصادر فى سنة احدى وستين وتسعمائة وألف وأنشأت بمقتضاه الجامعة الأزهرية بكلياتها المختلفة التى تعد للعالم الاسلامى ولمصر علماء مستنيرين فى أمور الدين والدنيـا ومزودين بجميع أنواع المعارف والثقافات التى يحتاج اليها عالمنا الحاضر .

ولم يتعرض هذا القانون للجامع الأزهر والدراسة فيه وذلك مما أحدث فجوة بين ماضى الأزهر وحاضره فبعث ذلك ثورتنا المباركة على الاحتفاظ بالجامع الأزهر القديم وكيفية الدراسة فيه حتى يتصل الحـاضر بالماضى اتصالا وثيقا وبذلك أحسنت صنعا وردت الى الجامع الأزهر جلاله وعظمتـه التى عرفهـا المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .

والله يجزى المصلحين ويوفقهم الى ما فيه خير الأمة ورشادها وكرامتها وعزتها .

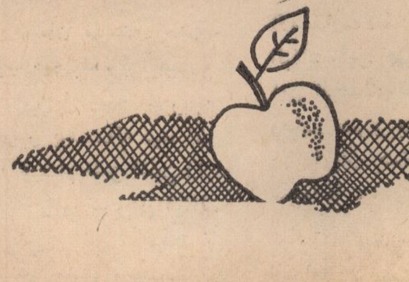

حلقات الدروس في الأزهر

للدكتور محمد كامل الفقي

لما كان أول ما ينشأ فى مدينة اسلامية انما هو الجامع الذى يجتمع فيه المسلمون لصلاتهم ، ومن فوق منبره يدعون الى شتى شئونهم ، ويودعونه خزائن كتبهم ، ويقيمون فيه شعائر دينهم ، انشأ جوهر الصقلى الأزهر فى طليعة ما انشأ ، كى يكون مجتلى للمظهر الدينى الذى حرص المعز على اشراقه ، وليتخذوا من هذا الجامع سياجا للشيعة التى يعملون على دعمها ..

كان البدء فى انشاء الجامع الأزهر يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة ، وكتب فيه بدائرة القبة التى فى الرواق الأول وهى على يمنة المحراب بعد البسملة : ـ « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين ، على يد عبده الكاتب الصقلى وذلك فى سنة احدى وستين وثلاثمائة » ..

وقد عرفت مصر قبل الجامع الأزهر ثلاث مساجد جوامع كانت مركزا للحياة الاسلامية هى المسجد الجامع أو جامع عمرو (وقد عرف جامع عمرو بعدة أسماء منها الجامع العتيق ، وجامع مصر ، ومسجد أهل الراية) ثم جامع العسكر ، ثم جامع ابن طولون .

وبمعنى آخر كانت كل قاعدة من هذه القواعد الاسلامية المتعاقبة تزود عند قيامها بمسجدها الجامع أو مسجدها الرسمى الخاص .

وهذه الظاهرة فى الخطط الاسلامية كانت من وحى السياسة الموضوعة لانشاء الامصار الاسلامية فيما يفتحه المسلمون من البلاد ، بل هى سياسة تمتد الى عهد عمر ابن الخطاب ذاته ، وقد كتب بها الى ولاته ومنهم عمرو بن العاص فاتح مصر وأول ولاتها بأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا للجماعة ..

وقد اتبعت هذه السياسة فى خطط القواعد الاسلامية الأولى كالبصرة والكوفة والفسطاط ومدن الشام ..

وكان لهذا المسجد مع ذلك صبغته الرسمية فهو مركز للصلاة الجامعة ، وكان يلى امامته فى الصلوات الخمس أمير مصر ذاته وفى كثير من الأحيان كان الأمير يجمع بين الصلاة والخراج ، واذا تعذر على الأمير اقامة الصلاة بنفسه استخلف فيها صاحب الشرطة .

كذلك كان المسجد الجامع مقر للدعوات والخطب والمجالس الرسمية ، وبه يعقد ديوان الخراج ، كما كان مركز القضاء الأعلى ، وتتلى فيه الأوامر والمنشورات والسجلات ، واستمر كذلك عصورا متوالية

ثم غدا المسجد الجامع بعض الزمن مقرا للحلقات العلمية والأدبية ، وأصبح من سماته هذه الصفة المدرسية .

كانت حلقات المسجد الجامع الى جانب الحلقات الخاصة اشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة ، وقد لبثت ساحاته ردحا من الزمان ندوة فكرية أدبية جامعة ، ومن هذه الحلقات كانت تشع انوار الآداب والفكر فى مصر الاسلامية ، بل هناك ما يدل على أن المسجد الجامع كان يقوم بمهمته الجامعية فى دراسة الفقه بطريقة منتظمة ، وقد استمر المسجد الجامع قائما برسالته العلمية حتى قيل ان حلقاته العلمية بلغت منتصف القرن الثالث زهاء خمسين ..

وانشئت بالأزهر فى أوائل القرن الثالث عدة زوايا يدرس بها الفقه على مختلف المذاهب ولكل زاوية أستاذ يجرى عليه الرزق ، وكان منها الزاوية الشهيرة التى تنسب للامام الشافعى وقد استمرت هذه الزاوية كما استمر غيرها عصورا متعاقبة .

وأول درس قام بالأزهر كان فى صفر سنة ٣٦٥ هـ فى أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى اذ جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان القيروانى بالجامع الأزهر وقرأ مختصر ابيه فى فقه الشيعة وهو المسمى بكتاب (الاقتصار) فى جمع حاشد من العلماء والكبراء واثبتت أسماء الحاضرين ، كان ذلك هو الحلقة الأولى للقراءة والدرس فى الجامع الأزهر بعد أن مضى على انشائه زهاء ثلاثة اعوام ونصف ، وكانت بداية ضئيلة لحركة دراسية متواضعة بيد أنها كانت بداية جامعية فى معنى من المعانى ..

ثم توالت بعد ذلك حلقات بنى النعمان بالأزهر وكانوا من علماء المغرب الفضلاء الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية وجعلتهم دعامتها الروحية ، وكانت حلقات اولئك المغاربة العلماء فى الأزهر حلقات دعاية دينية سياسية يعمرها فى أكثر الأحيان العلية والخاصة ..

وفى مطالع عهد العزيز بالله جلس يعقوب ابن كلس وزير المعز لدين الله الفاطمى والعزيز من بعده فى الجامع الأزهر فى رمضان سنة ٣٦٩ هـ وقرأ على الناس كتابا الفه فى الفقه الشيعى على المذهب الاسماعيلى ، ضمنه ما سمعه فى ذلك من المعز لدين الله وولده العزيز والكتاب معروف بالرسالة الوزيرية نسبة الى مؤلفها الوزير ، وكان يجلس ليقراه بنفسه على المستمعين خاصتهم وعامتهم ، ويسعى لدرسه جلة الفقهاء والعلماء والأدباء والقضاة وأكابر القصر والدولة وافتى الناس يومئذ بما فيه .

وابن كلس هو أول من فكر فى رسم الخطة الجامعية للأزهر ففى سنة ٣٧٨ هـ استأذن الخليفة العزيز بالله أن يعين بالأزهر فريقا من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ، يعقدون مجالسهم به عصر كل جمعة وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ، ورئيسهم والمشرف على حلقتهم الفقهية أبو يعقوب ، وكان جل حديثهم فى الفقه وما يتصل به ..

وقد رتب العزيز لهم مالا واعد لهم دارا يسكنونها بجوار الأزهر ، كما رتب لهم أيضا رزقا خاصا من ماله حقا لهم وتشجيعا ، وابن كلس كان نصيرا للعلم والأدب . يعقد المجالس العلمية والندوات الأدبية حيثما حل

وقد الف كتابا فى الفقه وآخر فى القراءات والف فى الصحة ، ووضع مختصرا فى فقه الشيعة والف كتابا فى آداب الرسول صلى الله عليه وسلم ..

بدأ التعليم فى الأزهر على الوضع القديم الذى كان متبعا فى مصر والعواصم الاسلامية ونعنى به نظام الحلقات ومجالس الدروس الخاصة ، وقد اشتهر هذا النظام بمصر فى القرن الثانى من الهجرة .

كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمد خاصة داخل الأزهر ، مقصورة عليهم ، يجلس الشيخ فى ظلال هذه العمد ، ويلتف الطلاب حوله حلقا ، والشيخ الذى يسند اليه الدرس حجة ملم بشتى العلوم يحدث فى نواح من العلم مختلفة ويستطرد الى فنون متنوعة ، وكلما سنحت له الفرصة صال وجال فى كل تتداعى اليه المعانى ..

كانت الطريقة المتبعة فى تلقين الدروس هى الطريقة الاملائية ولبثت الحال على ذلك حتى كثر التدوين والتأليف فشرعوا فى دراسة الكتب وتفهم أغراضها . وقد بالغوا فى ذلك مبالغة نجم عنها وضع شروح للمتون وحواشى للشروح ، وتقريرات للحواشى ..

وأكثر الطلاب المجدين يطالعون الدروس قبل أن يغدوا الى حلقاتها ، وكثيرا ما كان النجباء منهم يتولون التدريس لزملائهم أو المتاخرين عنهم بقليل ..

ولم تكن الدراسة فى موضوعات محددة ، وفى ظل مناهج معروفة ، بل كانت دراسة كتب لمدة دراسية غير محددة ، وجل الاعتماد يقوم على المدرس لا على المنهج أو طريقة البحث ، فاساس التعلم هو (الشيخ أو الكتاب) ..

ولم يكن على الطلاب رقابة فى غيابهم أو حضورهم ، وفى جدهم أو تقصيرهم ، فليس أمامهم امتحان يميز الخبيث من الطيب ، ولكن يلتمس الطالب من شيخه (اجازة) تتضمن الشهادة له بالمهارة فى العلوم والأهلية للتدريس والافتاء ، على انهم كانوا مقبلين على العلم ، متهومين لا يشبعون ، يجدون فى التوفر على الدرس والبحث لذة ومتاعا واقبالهم أشد مما نجده عند المعاصرين بالقانون والعقوبة .

ولم يكن الشيخ لينسى أن يوصى تلميذه فى (أجازته) بالتقوى والتثبت مما يصدره من الأحكام ولما استحدثت الشهادة الرسمية لم تكن تخلو من الدعاء لحاملها أن ينفع الله به الدين والمسلمين .

وهذه الحرية التى تتسم بها طريقة الأزهر — من قبل — فى التعليم والبحث ، وخاصة فيما سلف من الزمان تساوق معظم النظم الجامعية التى لا تضيق على الطلاب فى دراستهم ، والتى تقوم على الحرية الفردية فتعدهم لحياة الرجال التى تنتظرهم ، فوق أنها ترهف الأذهان . وتشحذ الهمم ، وتطبع العقول على التفطن لما دق من فهم او خفى من غرض ، هذا الى أن اجالة الفكر وتقليب الرأى تساعد على قوة الحجة ، والرصانة فى الجدل ، والصبر على الحوار ومحاجة الخصم ، والثبات للبحث المتشعب ، وطلب الفهم العميق ، وهذه الطريقة التى تأثل مجدها فى الأزهر العظيم هى التى صنعت الرجال والأبطال ، وقد أشاد سعد زغلول بها وبفضلها فى خطبته التى القاها بالأزهر بعد عودته من أوربا سنة ١٩٢١ م فقد قال (جئت اليوم لأؤدى فى هذا المكان الشريف فريضة صلاة الجمعة . واقدم واجب الاحترام لمكان نشأت فيه وكان له فضل كبير فى النهضة الحاضرة ، تلقنت فيه مبادىء الاستقلال لأن طريقته فى التعليم تربى ملكة الاستقلال فى النفوس ، فالتلميذ يختار شيخه . والأستاذ يتاهل للتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل نابغ فيه ومتأهل له ، يوجه اليه كل منهم الأسئلة التى يراها ، فان أجاب الأستاذ وخرج التلميذ ناجحا من هذا الامتحان كان أهلا لأن يجلس مجلس التدريس . وهذه الطريقة فى الاستقلال التى تسمى الآن خللا فى النظام جعلتنى أتحول من مالكى الى شافعى ، فقد وجدت علماء الشافعية فى ذلك الوقت أكفأ من غيرهم ..

ومما ألف أتباعه فى القاء الدرس أن يستهل المدرس بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يفرغ الدرس بأن يقرأ بنفسه أو يستقرأ أحد النابهين من طلابه . وتراه متمكنا من مادته ، ومترسلا فى أدائه ، فصيحا فى عبارته ، مطربا فى نغمته ..

كان الطلاب يدخلون الحلقات التى لها صيت وشهرة ، واذا لم يجد الطلاب فى شيخهم كفاية انفضوا من حوله ، واذا أنسوا به ظلوا على ورده حتى يجيزهم .

وقد بدأ التحول عن سمات الأزهر القديم وخصائصه العريقة بما توالى بعد ذلك من نظم وقوانين وأول قانون صدر فى هذا الصدد كان فى عهد « اسماعيل » سنة ١٢٨٨ هـ وكان شيخ الأزهر الشيخ « محمد المهدى العباسى » ، وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية ووضح مواد الامتحان فيها . وقسم درجات الناجحين ثم صدر قانون فى ٢٠ من المحرم سنة ١٣١٤ هـ فى عهد الشيخ « حسونة النواوى » وقد أضاف مواد دراسية جديدة ، وتعاقبت بعد ذلك النظم والقوانين لبواعث شتى وعلى وجوه مختلفة حتى صدر فى عهد المغفور له « الشيخ محمد مصطفى المراغى » (سنة ١٩٢٩ – ١٩٣٥) قانون أنشىء بمقتضاه ثلاث كليات كانت نواة للجامعة العملاق التى تشهد اليوم نهضتها ونرجو التوفيق لخطاها وخطتها ..

وحين وسدت ادارة الجامعة الى الشاب النابه الاستاذ « أحمد حسن الباقورى » . واتسع ظل الجامعة وكثر عدد الكليات وعدتها ، نبعت فكرة مؤمنة متبصرة تدعو الى قيام مجد الأزهر العريق بجانب مجد الجامعة الوليد ، بعد أن هيئت لها أسباب العمل والنهوض ، وذلك بانشاء القسم العالى للدراسات العربية والاسلامية بالجامع الأزهر يكون تابعا لكلية الشريعة .

وقد جاء فى المذكرة التفسيرية للقرار الوزارى الذى صدر فى ٢٦ من شوال سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٦٥ م أنه دلت التجارب على أن الحاجة ماسة الى انشاء دراسات عامة للعلوم العربية والاسلامية على نسق ما كان يدرس فى الجامع الأزهر منذ انشائه . وهى دراسة تهدف الى تزويد طلاب العلم بجميع ألوان الثقافة الاسلامية والعربية . ذلك بأن هناك من الدول الاسلامية من يريد لمبعوثيه فى الجمهورية العربية المتحدة أن يتزودوا بكافة أنواع هذه الدراسات دون أن يتخصصوا فى نوع بعينه ويكون الحاق المبعوث باحدى الكليات الاسلامية المتخصصة فى فرع بعينه من هذه الدراسات غير محقق للفرض الذى من أجله ترسل هذه الدول مبعوثيها ..

وقد كتب السيد نائب رئيس الوزراء لشئون الأزهر والأوقاف المهندس « أحمد عبده الشرباصى » أوافق وأرجو أن يثبت الله كل من أسهم وأشار وعمل ونفذ هذا المشروع الجليل .

وما ان تم هذا المشروع الميمون حتى اهرع اليه الطلاب من الجمهورية العربية ومن سائر الاقطار الاسلامية الذين كانوا يدرسون فى الكليات الأزهرية . ومن الطلاب من ترك السنة الأولى أو الثانية من الكليات ليتزود فى هذا الأزهر (المبعوث) بالثقافة المتبحرة الحرة . وبعض الموظفين طلب أن يمكن من الدراسة حتى لا تتعارض مع عمله فى الوظيفة . وقد كفل القانون لخريجى الأزهر الحر شهادة جامعية مساوية للشهادات التى تمنحها الكليات ، ومن حقهم الالتحاق مع أقرانهم فى الكليات فى الدراسات العليا بالكليات ..

وقد توافد على القسم الجديد فحول من الشيوخ المحالين الى التقاعد يتولون التدريس به فمنهم سكرتير الأزهر السابق وعمداء الكليات فى الجامعة الأزهرية بلغوا سن الاحالة ومنهم كل من كان عضوا فى جماعة كبار العلماء ..

وتدخل الجامع الأزهر الآن فتشهد حلقات دراسية عامرة بالبحث والتنقيب . ويطالعك منها الصور التى وعاها التاريخ منذ أكثر من الف عام ..

كتب الله لدينه العزة ، ولعلماء الدين عملا يصل حاضر الأزهر بماضيه ...

القومية العربية

فى شعر شوقى

الدكتور أحمد الحوفى

ما كاد القرن التاسع عشر يتنفس صباحه حتى جعلت حماسة العرب الى الوحدة تتأجج، واخذت عقول مفكريهم ترسم الخطط وتدبر، وشرع أدباؤهم يدعون الى الوحدة ، ويبشرون بها ، ويتلهفون على تحقيقها ، بعد أن انفصمت عرى الخلافة العثمانية ، وسارع العرب الى مجاهدة المحتلين ، ليتحرروا من ارهاق الاحتلال البغيض .

وكلما مرت السنون ازدادت الأمة العربيه شعورا بحاجتها الى تجمع مرهوب ، ووحدة قوية وفية تجمع شتاتها ، وتقف فى مهب الأعاصير العاتية كالطود الراسخ الأشم ، تتحطم قوى الاستعمار دون سفحه فترتد حسيرة مغلولة ، ويبقى الطود وطيد الأساس، ثابت البناء ، ساخرا من أوهام الأعداء .

ولقد طالما جلجل شعراء العصر الحديث بالقومية العربية من الخليج الى المحيط ، حاملين على الاستعمار الذى خرب العمران ، وقوض البنيان ، وقعد بالعرب عن مجاراة الزمن ، ونفث فى قواهم سموم الضعف والانقسام ، وكاد ينسيهم ماضيهم المجيد ، وعزتهم الموروثة .

وحسبى أن أعرض بعض ما لشوقى من جهود فى هذا المجال :

- ١ -

وحدة اللغة

١ - أثرها فى الوحدة :

نبه شوقى الى أن اللغة أقوى رابطة فى روابط القومية ، وأعظم سبب فى جمع شمل الأمة ، لأنها تتفاهم بها ، وتقرأ تراثها المشترك ، وتعبر عن مشاعرها ، ولأنها سجل أدبها وأفكارها .

ولهذا أيأس الترك من محاولاتهم التعفية على القومية العربية وتذويب العروبة فى التركية ، لأن اختلاف اللغة فجوة واسعة تفصل ما بين القوميتين فصلا لا سبيل الى التئامه، ونصح لهم أن يتعلموا اللغة العربية ويصطنعوها لغة ثانية لهم ليتقربوا الى العرب

بوسيلة أخرى مع قربى الدين . قال فى سنة ١٩٠١ :

شمل اللغات لدى الأقوام ملتئم
والضاد فينا بشمل غير ملتئم
فقربوا بيننا فيها وبينكم
فانها أوثق الأسباب والذمم

ولم يكن شوقى خياليا فى دعوته الترك الى أن يستعربوا ، أو الى أن يتعلموا اللغة العربية ليتدانوا الى العرب ، لأنهم كانوا فى عهدهم الأول يتعلمون اللغة العربية ويتكلمون بها، ويضعون مؤلفات فيها، مثل الفيروزابادى وأبى السعود وملا خسروا والجامى وحاجى خليفه وابن كمال باشا .

وكان بعض ملوكهم يدرسون العربية وآدابها كما يدرسون التركية وآدابها . ومنهم من كان يروى الشعر العربى وينظمه كالسلطان احمد الأول .

ولم تضعف عناية علماء الترك باللغة العربية الا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه عبد المجيد الأول اذ أحيوا اللغة التركية وسهلوا قواعدها ، وسموها اللغة العثمانية .

ولما ضرب الأسطول الفرنسى دمشق بمدافعه سنة ١٩٢٦ واسى شوقى سورية مواساة الأخ الوفى الملتاع وبصر السوريين بدسائس المستعمر ومكره ، وأنار لهم طريق الجهاد بنصائحه ، ومهد لهذه النصائح بالبواعث التى دفعته الى النصح الخالص ، ليحسنوا الاصغاء ويحسنوا الاستجابة وكانت وحدة اللغة من هذه البواعث التى تربط قلوبهم بقلبه :

نصحت ونحن مختلفون دارا
ولكن كلنا فى الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

وفى قصيدته التى شكر بها لمكرميه بدمشق سنة ١٩٢٥ توجيه الى العمل الجاد الدائب المثمر ، وحض على الحفاوة بالعلوم والآداب وحث على التآخى والاتحاد ، ثم تعزيز لهذا النصح بأنه صدى لحبه اياهم واخلاصه لهم، لأنهم اخوته جمعته بهم عدة وشائج منها اللغة :

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة
والنصح خالصه دين وايمان
ونحن فى الشرق والصحى بنو رحم
ونحن فى الشرق والفصحى بنو رحم

٢ - دفاعه عن اللغة :

حينما نجحت المؤامرات الاستعمارية متوخية قطع الوشيجة الوثقى التى تربط العرب على اختلاف ديارهم، وهى اللغة العربية الفصحى بايثار اللهجات المحلية عليهما وباتهام الفصحى بالجمود والعجز عن مسايرة الحضارة الحديثة ، هب الشعراء يذودون عن الفصحى ما يراد بها من كيد، ويبصرون العرب بما يبيت لهم من شر ، ودعوا قومهم الى الاستمساك بوحدة لغتهم، والاعتزاز بماضيها والفخار بما خلفته من تراث عظيم خالد وفندوا دعاوى الأعداء وأبطلوها .

من هؤلاء الشعراء شوقى ، فقد دافع عن الفصحى بأنها ليست كالعامية فى أن قدرتها منوطة بالتعبير السهل عن الشئون العادية فى البيت والسوق ، مع عجزها عن التعبير العلمى والأدبى ، بل ان الفصحى وحدها هى القديرة على الافتنان الأدبى وعلى جلاء التعبير العلمى ، وهو بهذا يرد على الذين اتهموها باطلا بالجمود والتخلف وزعموا أن العامية أكثر قدرة ومرونة .

ثم عزز حجته بأن الفصحى لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وهما المصدران الأولان للتشريع الاسلامى ، وهما ذروة البلاغة العربية ، وارتباط الفصحى بهما يحيطها بهالة من العظمة والقداسة ؟ فكيف يتهاون العرب فى حمايتها من العدوان؟ ولماذا لا ينهضون بها الى الأوج الذى تستعيد فيه حيويتها وقدرتها على مسايرة العلم والحضارة ؟

واضاف الى هذا أنها لغة ثرية مرنة صالحة للتعبير عن حاجات كل عصر اذا ما لقيت من

أبنائها حدبا عليها ، ورعاية لها واعتزازا بها .

ثم طالب الشاكين فى هذه الحقيقة أن ينهضوا بأنفسهم ، وأن يرتقوا فى سماء العمران ، فانهم سيجدونها تصاحبهم فى صعودهم ولا تتخلف عنهم ، ومثل لهذا بأن يجعلوا عمرانهم روضة يانعة ليجدوا الفصحى تجرى جداول عذبة فى هذه الروضة فتسقيها وتحييها ونهاهم عن ترقيعها بكلمات دخيلة مسروقة من لغات شتى ، لأن الترقيع لا يجدى ولا يغنى ، ، بل يشوه ويزرى . ولم يفته أن يدلل على ثرائها بماضيها العريق فى بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس وفارس وغيرها ، اذ زكت أصولها بسقت فروعها ونهضت بمقتضيات العصر فى جميع المرافق ، ولم تقصر فى شىء مما أراد أهلوها ، فمحت غيرها من اللغات ، واستقرت واستقلت محافظة على خصائصها وكيانها .

قال شوقى :

ان للفصحى زماما ويدا
تجنب السهل وتقتاد الصعابا
لغة الذكر لسان المجتبى
كيف تعيا بالمنادين جوابا ؟
كل عصر دارها ان صادفت
منزلا رحبا واهلا وجنابا
أتت بالعمران روضا يانعا
وادعها تجر ينابيع عذابا
لا تجئها بالمتاع المقتنى
سرقا من كل قوم ونهابا
سل بها اندلسا هل قصرت
دون مضمار العلا حين أهابا
غرست فى كل ترب أعجم
فزكت أصلا كما طابت نصابا
ومشت مشيتها لم ترتكب
غير رجليها ولم تحجل غرابا

وردد هذه الفكرة فى قوله يناجى الاسكندرية :

فخذى كأمس من الثقافة زينة
وتجملى بشبابك النجباء
وتقلدى لغة الكتاب فانها
حجر البناء وعدة الانشاء
بنت الحضارة مرتين ومهدت
للملك فى بغداد والفيحاء
وسمت بقرطبة ومصر فنالتا
بين الممالك ذروة العلياء

وفى قوله :

ان الذى ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره فى الضاد

وفى قوله مشيدا بالقرآن الكريم والحديث الشريف :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم
يكاد فى لفظة منه مشرقة
يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة
حديثك الشهد عند الذائق الفهم
حليت من عطل جيد البيان به
فى كل منتثر فى حسن منتظم
بكل قول كريم أنت قائله
يحيى القلوب ويحيى ميت الهمم

روح الاسلام

محمد عطية الابراشي

ان من يدرس الدين الاسلامى يجد أن روحه روح حرية وروح اخاء وروح مساواة فهي روح نادى بهـا الدين الاسلامى منذ ١٣٨٣ سنة وبهذا يمكننا أن نقول ان الدين الاسلامى سبق المدنية الحاضرة فى المبادىء الانسانية التى تفخر بها الامم المتحضرة اليوم .

وسنبرهن على أن الدين الاسلامي دين الحرية ودين الاخاء والمساواة .

١ - الاسلام دين الحرية :

ان الدين الاسلامى ضد الرق والعبودية ضـد الاسترقاق والاستبعاد ولم يفتح البلاد التى فتحها الا لنشر الدين والمبادىء الاسلامية . وفى كثير من الآيات القرآنية آيات ضد الرق وكلها تحث على تحرير العبيد والارقاء مع أن الاسترقاق قد عرف من قديم الزمان عند الرومان واليونان واليهود . وكان الانسان يباع ويشترى كأى سلعة من السلع ، وكان يعـامل معاملة تابى منها الانسانية . فكان هناك سادة وعبيد ، فقضى الاسلام على هذا ، وقال الرسول : « لافضل لعربى على عجمي الا بالتقوى » فالدين الاسـلامى قضى على الاسترقاق ، ولم يفرق بين الأبيض والأسـود ، ولم يفرق بين جنس وآخر ولون وآخر .

ولقـد قضى الدين الاسلامى على الرق والعبـودية وكان الرسول الكريم يرغب المسلمين فى تحرير من لديهم من العبيـد . وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه أكثر من مرة بأن العتق وتحرير العبيد وجعلهم احرارا من أجل العبادات وأكثرها قبولا عند الله ، وقد استوصى النبى صلى الله عليه وسلم خيـرا بالارقاء ، فيحرم على السيد أن يطالب عبده بما لا يستطيع من عمل ، أو أن يناديه باحتقار وازدراء .

فالدين الاسلامى دين حرية لا دين رق وعبودية .

٢ - الاسلام دين الاخاء :

والدين الاسلامى دين الاخاء ، فالمسلم اخو المسلم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » و « المسلم من سلم المسلم من لسانه ويده » . « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم » ، فروح الاسلام يدعو الى الاخاء ، يدعو الى أن يفكر المسـلم فى اخيه المسلم ، ويحب له ما يحب لنفســه ويكره له ما يكره لنفسه ، بحيث يضع نفسه موضع غيره دائما ، ويعامله المعاملة التى يحب أن يعامل بها . يقول الرسول الكريم فى خطبة الوداع :

« أيها الناس ، انما المؤمنون اخوة . ولا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفسه . فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعدى - كتاب الله - أيها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لادم وادم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم . ليس لعربى فضل

على عجمي الا بالتقوى ، وان من يفكر في هذا الحديث يجد ان روح الاسلام روح اخوة ، فالمؤمنون في الاسلام اخوة في الدين ، يشعرون شعورا واحدا ، ويفكر كل منهم في غيره ، يفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ، ويشاركه شعوره ، ولا يحل لأحد منهم مالاخيه ، بل يحرم عليه ان يتعرض له ، أو يتعدى عليه ، الا اذا أعطاه بنفس راضية ، فان الاعتداء يؤدى الى الشقاق ، ويؤدى الى الظلم والعداء . وقد ترك الرسول كتاب الله وسنته ، وهما خير دليل نسترشد بهما ، ونهتدى بهديهما ، وفيه نداء بالديمقراطية ، فرب الجميع واحد ، وأبو الجميع واحد ، وكلهم من آدم ، فالجميع اخوة ، متساوون في الحقوق ، واكرمهم عند الله اكثرهم تمسكا بالدين ، وأكثرهم صلاحا وتقوى ، ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، والصلاح ، وأداء ما امر الله به واجتذاب ما نهى عنه ، وفي الصلاة يقف المسلمون في المسجد من غير تفرقة بين ابيض او اسود او غنى أو فقير ، أو رفيع أو وضيع ، ويقفون في بيت الله الحرام في أثناء الحج كما يقف الاخوة ، من غير تفرقة بين عربى أو أعجمى ، وابيض او زنجى ، لا تفضيل بين امير وصغير ، ولا تفاوت بين أوروبى أو آسيوى أو افريقي .

٢ - ان روح الاسلام روح المساواة ، روح العدالة ، فهو يعامل الجميع معاملة واحدة ، وينظر الى الجميع نظرة واحدة ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فهذا عمر ابن الخطاب يشكو اليه رجل مصرى سوء معاملة ابن عمرو بن العاص له ، وضربه اياه ، وقوله له أنا ابن الأكرمين ، فيدعوه عمر بن الخطاب ، ويدعو عمرو بن العاص ، ويامر المصرى أن يضرب ابن الأكرمين كما ضربه ويامر بضرب عمرو بن العاص اذا كان قدضربه ، فيمتنع المصرى لأن ابن العاص لم يضربه ، ثم ينظر عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ويقول له : متىاستعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

فالدين الاسلامى دين حرية واخاء ومساواة ، دين مدنية وحضارة ، دين انسانية وعدالة ، دين أخلاق وعزة نفس ، وقد وحد الاسلام بين الأمم الاسلامية جميعها ، مهما اختلفت البلاد ، واختلفت البقاع ، واختلفت الأجناس ، لم يفرق بين مسلم ومسلم ، لم يفرق بين جنسية واخرى ، لم يفرق بين امة واخرى ، مهما اختلفت اللغات وتعددت الألسن ، فقد جمعهم الاسلام وألفى الفروق بينهم ، وجعلهم اخوانا ، قال جل شانه : «انما المؤمنون اخوة» وقال الرسول الكريم « ليس منا من دعا الى عصبية » فالدين الاسلامى لا يدعو الى العصبية والطائفية ، ولكنه يدعو الىالأخوة العامة بين المسلمين ، وتجاهل الفوارق بينهم قال تعالى : «ان هذه امتكم امة واحدة » وقال : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فالأمة الاسلامية أمة واحدة مهما اختلفت شعوبها ، واختلفت بلادها .

فالدين الاسلامى يدعو الي الوحدة والتعاون ، وعدم التفرقة سواء أكان في الشرق أو الغرب ، ويجمع المسلمين في جامعة واحدة هى الجامعة الاسلامية ، سواء أكانوا في الهند أم في السند ، في أفريقية أو آسية أو اوروبة ، سواء اكانوا في الصين ام في السودان . فالدين الاسلامى دين لا تعصب فيه ، دين حرية واخاء ومساواة دين عدالة وديمقراطية . قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » ، فالمؤمنون واليهود والنصارى والصائبون اذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا عملا صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالدين الاسلامى دين تسامح ، دين سهولة ويسر لا تعصب ولا تعقيد فيه ، دين بساطة وسهولة لهذا الروح الذى نراه في الدين الاسلامى نرى أن الدين الاسلامى قد انتشر بمبادئه في افريقية وأوربا وآسيا ، انتشر بمبادئه لا بقوة السيف ، انتشر بمبادئه السامية وآرائه الحديثة التى تتفق مع العقل والمنطق ، وكل زمان ومكان . وتتفق مع الحضارة والمدنية ، انتشر بمبادئه التى تلائم الطباع ، وتلائم النفوس ، وتتفق مع الانسانية ، وقد ابطل واد النبات ، وعبادة الاصنام ، وحرم أكل لحوم الانسان ، ونشر بين المسلمين العزة والايثار والكرم والاحسان والصدقة على الفقراء والمساكين ، والعفو عند المقدرة .

وبهذه المبادىء الاسلامية انتشر الاسلام واعتنق كثيرون الاسلام ، فقد قضى على الفروق بين الطوائف والأجناس ، ونشر الحرية والاخاء والمساواة بين المسلمين ولو تمسك المسلمون بدينهم لحافظوا على حقوقهم ، وفي استطاعتهم ان يعودوا الي مجدهم العظيم اذا رجعوا الى الأخلاق الاسلامية ،وتمسكوا بالروح الاسلامى .

وفى الوقت الذى نرى فيهالاختلاف فيمعاملة الانسان الأصفر والملون والأسود في البلاد المتحضرة المتمدنة في افريقية واوربه وامريكا نجد الدين الاسلامى ينظر الى المسلمين نظرة واحدة ، من غير تفرقة بين ابيض واصفر وأسود ، من غير تفرقة بين عظيم وحقير ، وكبيروصغير فلا عجب اذا اعتنق الناس الدين الاسلامى زرافات ووحدانا في جميع بقاع العالم ومن السهل ان يستعيد المسلمون عظمتهم اذا تمسكوا بدينهم وعملوا بتعاليمه ، اذا تمسكو بروح الحرية والأخاء والمساواة .

فالروح الاسلامى روحنبل وعظمة . روح كلها انسانية، روح تبشر بالخير ، ونرجو أن ياتى اليوم الذى يستعيد فيه المسلمون عظمتهم ومجدهم ، ويعيدون مجدهم الاسلامى ، ومبادئهم الاسلامية بين المسلمين جميعا . فليس العيب عيب الاسلام ، ولكن العيب عيب المسلمين الذين تركوا دينهم ، وتركوا مبادئه ، واصبحوا مسلمين باسمائهم ، بعيدين عن الاسلام باعمالهم .

« افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » فلو تدبر المسلمون القرآن الكريم وسنة رسوله ومبادىء الاسلام لكان فينا اليوم عدد كبير من امثال ابن رشد والفارابى والغزالى وابن سينا والرازى وابن البيطار والقرطبى وكان فينا كثيرون من العلماء والأدباء ، والمخترعين والفلاسفة والأبطال كما كان في صدر الاسلام، ولو عرف الانسان نفسه ما فخر سيد على عبده ، لو عرف نفسه لأحب اخاه محبته لنفسه . قال أبو العلاء المعرى :

لو يعرف الانسان مقداره
لم يفخر المولي على عبده
لولا سجاياه واخلاقه
لكان كالمعدوم في وجده

فالأمم الديمقراطية التى تفخر بالحرية والاخاء والمساواة قد سبقها الاسلام في المطالبة بالحرية والاخاء والمساواة والتمسك بها .

مقارنة الأديان

اليهودية

(٤)

الدكتور أحمد شلبي

مقدمة :

فى أحاديثنا السابقة تكلمنا عن منطقة فلسطين ووصفنا سكانها وتحدثنا عن الكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين وسكان آمون ومؤاب وأدوم ، وهذه تمثل الدائرة الضيقة التى أحاطت بالعبرانيين ، كما تحدثنا عن مصر وآشور وبابل التى تمثل الدائرة الواسعة حولهم ، ثم عرجنا على العبرانيين فوصفنا تحركاتهم وتتبعناهم من أورالكلدانيين حتى دخل بهم ابراهيم أرض الكنعانيين ، ثم غادرها الى مصر ، وقفل بعد حين عائدا الى فلسطين ، وجاء يعقوب بعد أبيه اسحق ، ثم جاء يوسف ، وسرنا مع قصة يوسف حتى رأيناه مديرا لخزائن الطعام بمصر ، ثم رأيناه يستدعى أهله ليلحقوا به فيلحقون ، وشهدنا تكاثر بنى اسرائيل بمصر ، وخيانتهم للحكم الوطنى بعد طرد الهكسوس ، وتآمرهم ضد سلامة الدولة ، وقيامهم بعدة ثورات فى عهد رمسيس الثانى ، وذكرنا أسباب هذه الثورات ، ثم تحدثنا عن نشأة موسى ودعوته وخروجه من مصر ، وانحراف بنى اسرائيل عنه وعبادتهم عجل السامرى ، ثم وفاته هو وهارون دون أن يدخلا فلسطين ببنى اسرائيل ، وانتقال القيادة الى يوشع الذى استطاع بظروف مختلفة أن يقتحم فلسطين على أهلها ، وتحدثنا بعد ذلك عن اسرائيل فى فلسطين ، فانتهينا من الكلام عن عهد القضاة ، وعهد الملوك ، وعهد الانقسام وزوال ملك بنى اسرائيل من فلسطين نهائيا ، وعودتها لحوزة العرب والاسلام ، ونواصل اليوم كلامنا عن اليهود فى عصر التشرد بعد ان فقدوا فلسطين .

عصر التشرد وأثره :

عقب سقوط دولة اسرائيل تحت أقدام الآشوريين تفرق سكانها اليهود ولم تقم لهم قائمة بعدها ، ولم يعد لهم فى التاريخ ذكر ، أما اليهود الذين سيقوا الى بابل عقب سقوط مملكة يهوذا فهم الذين عاد بعضهم الى بيت المقدس فى عهد قورش ، ومن اعقابهم اليهود الذين عاصروا الاحداث عقب ذلك ، وقد قلنا من قبل ان هؤلاء اليهود خضعوا لمصر وبابل والفرس واليونان والبطالسة والرومان ، وكانوا يعادون الجميع وينتهزون الفرص للثورة على سادتهم ، ومن أجل ذلك انزل بهم هؤلاء السادة الوانا من التدمير والتعذيب ، وكانت أحداث سنة ١٣٥ م التى وصفناها فى المقال السابق نهاية حياة اليهود بفلسطين فقد أدركوا الا مقام لهم بهذه البلاد ، فساحوا فى الأرض ، وأقاموا هنا وهناك ، وبدأ بذلك عصر تشرد طويل ، نزلوا خلاله أوربا ومصر وشمال افريقية واليمن وغيرها من الدول ، وقد كان هذا العصر بالغ الأثر فى سلوك اليهود وتصرفاتهم :

كانوا يريدون فلسطين وطنا لهم ، ولكنهم الآن فقدوا الوطن .

كانوا أمة متجمعة ، فاصبحوا أشتاتا هنا وهناك .

كان لهم هيكل يتعبدون به ويقدمون بمذبحه القرابين ، ولكن الدمار نزل بالهيكل والمذبح .

كانوا يرون انفسهم شعب الله المختار ، ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم شعبا مضيعا مكروها ، كسير الجناح .

وعاشوا بين الأمم تلاحقهم العزلة التى تكلمنا عنها من قبل ، والتى كانت من ابرز خصائصهم ، اصبحوا ضيوفا ولكنهم كانوا ضيوفا ثقلاء ، وما بالك بضيف يرى نفسه ارقى عنصرا من المضيف ، وبغريب يفضل نفسه على صاحب الدار ؟

ونقطة مهمة اخرى برزت فى عصر التشرد ، تلك انهم — وقد فقدوا وطنهم حقدوا على كل من له وطن ، وكرهوا الأوطان والمواطنين

ولست أدرى هل نستطيع ونحن فى بحث علمى ان نلجأ الى الأدب ليشرح لنا هذه النقطة ، هناك قصيدة رقيقة للمرحوم احمد شوقى يصف فيها عصفورتين هزيلتين وقفتا على غصن جاف بالجزيرة العربية ، فمر عليهما نسيم عليل وافد من اليمن ، فتوقف النسيم وتحدث للعصفورتين ، فوصف لهما الزرع والحب والماء واغراهما بأن يركباه ليأخذهما الى الرياض هناك ، ولكن العصفورتين ثارتا على النسيم ووصفتاه بانه لكثرة تنقله لايعرف حلاوة الأوطان ، وانه يغريهما بالتمرد على الوطن ليكونا مثله بدون وطن . واختتم شوقى مقطوعته بقوله على لسان العصفورتين :

يا ريح ، انت ابن السـ
بيل ما عرفت ما السكن

هب جنة الخلد اليمن
لا شىء يعدل الوطن

وهكذا كان اليهود أعداء لكل الاوطان ولكل من لهم أوطان ، وكانما كان لسان حالهم يهتف : لماذا فقدنا — دون الناس — وطننا ؟. لماذا نشرد والناس مستقرون ؟ وترتب على ذلك انهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به ؟ ولاحقتهم من جديد عزلتهم التى سبق أن تكلمنا عنها ، والتى كانت أبرز صفاتهم ، فاذا بهم يعيشون فى أحياء خاصة بهم ، وكان حى اليهود قذرا مظلما غير صحى يعرف فى روما باسم الفيتو نسبة الى اليهود ، وكانوا كذلك يعيشون فى كل بلد ، فكانت لهم فى القاهرة حارة وفى الاسكندرية حارة تحمل اسمهم .

وكان مجتمع اليهود كما قلنا مصدر الخيانات والمؤامرات ضد كل بلد نزلوا فيه ، وقد صور كثير من الكتاب انزالية اليهود وانتهازيتهم ، وخيانتهم للاوطان التى نزلوا بها ، سواء فى ذلك ابان تاريخهم القديم ، او ما حدث لهم بعد سقوط دولتيهم ، أو فى التاريخ الحديث ، يقول الدكتور عبد المعز نصر :

لم يكن فرعون يعد بنى اسرائيل جزءا من قومه ، لأنهم عاشوا فى عزلة عن الشعب ، ولانهم جاءوا الى مصر لا ليقيموا ويندمجوا ، بل ليخرجوا منها بعد أن تتجمع لهم فى مصر قوة المال والعدد ، وهذا ما رسمه لهم « يهوه » ربهم اذ قال مخاطبا اسرائيل : « أنا انزل معك الى مصر وأنا أصعدك أيضا » وقد استشعر فرعون الريبة من ناحية بنى اسرائيل وتوجس انضمامهم الى الأعداء ان دخلت مصر فى حرب، فعيونهم متجهة الى الخارج لا الى الداخل ، ومن الغريب ان ما توقعه فرعون فى مصر القديمة كان الحقيقة الواقعة التى جربها الالمان مع اليهود فى الحرب العظمى الأولى خلال القرن العشرين، وذلك حين تآمرت الصهيونية مع الحلفاء على اثارة اليهود فى المانيا ضد الوطن الذى آواهم ، فالقى الحلفاء من الجو على مدنها وثيقة بلفور ، ايذانا لهم بأن يقوموا برسالتهم التاريخية وهى رسالة الغدر الوطنى .

وقد عدد هتلر خيانات اليهود لالمانيا، فذكر انها تشمل استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح ، وافساد التعليم ، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات التجارية، والسيطرة على دور النشر ، والتدخل فى سياسة الدولة لغير مصلحة الدولة، وفى القمة

من خياناتهم التجسس ضد المانيا وهو ما احترفه عدد كبير منهم .

ومثل اليهود هذا الدورأيضا فى روسيا أوضح تمثيل ، فقد كان فى روسيا فى القرن التاسع عشر أكثر من نصف يهود العالم ، ولكنهم عاشوا طفيليات قذرة وخونة ومردة على القوانين ، فالفقراء منهم فتحوا الحانات وتاجروا فى الخمور ، والأغنياء عملوا فى الربا الفاحش ، والتجار اصطنعوا الحيل لتكسد تجارة الأمميين ، والعمال عملوا بأرخص الاجور حتى يوقعوا العمال الآخرين فى الشطط واتفق اليهود جميعا على الهرب من التجنيد بوسائل متعددة ، وصلت الى تشويه الجسم وقطع بعض الأعضاء ، وهكذا اثبت اليهود فى البلاد التى سكنوها انهم فى السراء لهم أوفى نصيب ، أما فى الالتزامات والمكاره فدأبهم الفرار والهرب .

وهكذا كان اليهود فى كل بلد عاشوا فيه فى الشرق والغرب ، ويصور « باركس » صورة اليهود لدى المسيحيين بقوله : لقد كان معتقدا أن اليهودى يطلب دم المسيحى لأغراض الطقوس الدينية ، وانه يسرق اطفال المسيحيين ويقتلهم لهذه الحاجات ، وكان معتقدا انه يسمم الآبار وينشر الأمراض ، وانتشرت الاشاعات دائما من بلد الى بلد بأن اليهود فى حلف مع العرب المسلمين والتتر وجميع أعداء المسيحية .

ولقد كان اليهودى فى ذاكرة عامة اوربا يمثل أكثر من مجرد البلاء الاقتصادى ، فقد كان يمثل العدو الخبيث الخطر الذى يسعى أبد الدهر ليحطم كلا من بدن العدو المسيحى وروحه .

ماذا كانت نتيجة هذه الخيانات ؟

كانت النتيجة أن أنزل بهم العالم ضربات قاصمة ، وعقوبات صارمة ولكن ذلك ضاعف حقدهم ، فارتفعت اصواتهم بالشكوى مما سموه ظلما واضطهادا ، ولم يكن ذلك فى الواقع الا نتيجة لانحرافهم وخياناتهم .

وتكررت هذه الدورة فى كل مكان عاش به اليهود ، حقد ومؤامرات وخيانات من اليهود ، فانتقام منهم وعدوان عليهم ، فصراخ وشكوى وأنين ، وقد نجح صراخ اليهود فى أن ابرز للعالم ما نزل بهم من ضيم ، وربما استطاعوا أن يصوروا انفسهم فى صورة المظلوم المعتدى عليه ، وأن يستدروا بذلك عطف الناس الذين خدعهم الأنين دون أن يعرفوا أسبابه ويتدارسوا دوافع هذا الذى يسمى عدوانا .

ونجح اليهود فى أن يصوروا للعالم أن انصافهم يكمن فى تجمعهم فى وطن قومى ، يكونون هم سادته ورعيته ، ووجد كثير من الناس فى هذا الحل وسيلة للتخلص من اليهود وشرورهم ، فأيدوهم فيه حتى ينزاحوا عن بلادهم ، فكان ذلك من اسباب ما لاقوه من تأييد فى اغتصابهم فلسطين فى العصر الحديث .

ونعود لنضع فى الميزان ما نزل باليهود من عسف واضطهاد ، فنقرر أنه نزل بالعرب أضعاف أضعاف هذا العدوان ، أنزله بهم ظلما الصليبيون والمغول والعثمانيون والفرنسيون والانجليز والطليان ، ولكن العرب لم يعرفوا الصراخ ، ولم يتخذوه وسيلة لاستدرار العطف ، فبدا اليهود للناس منكوبين يستحقون العون ، وتنوسى ما نزل بالعرب من نكبات وبلايا .

وفى المقال القادم سنتحدث عن الظروف التى هيأت لليهود أن يعودوا الى فلسطين ..

« للبحث بقية »

المسلمون وأثرهم في تقدم البشرية حقائق لا تنقصها البراهين

الأستاذ اسماعيل كشميري

كلما تعمق الانسان فى دراسة النصوص الاسلامية والعربية التى ظهرت فيها مساهمة المسلمين فى ازدهار الثقافةونشرها والعمل علىتقدمالبشرية ازددنا علما بما اداه المسلمون فى ميدان العلم والمعرفة .

واذا كنا نسوق الامثلة على ذلك فانا لا نسوقها على سبيل الحصر بل على سبيل المثال .

ونحن عندما نتكلم عن «العلوم الاسلامية» او «العلوم العربية » أو « علم الطب الاسلامى العربى » مثلا فانا نعنى بذلك هذا الجزء من العلوم الذى تضمنته الكتب العربية والاسلامية والذى يرجع فى معظمه الى اصل اغريقى . واهمية ذلك لاوروبا تتركز فى الحقيقة القائمة من انه فى خلال الفترة الطويلة التى فصلت علوم الاغريق عن عصر النهضة بقيت هذه العلوم تمثل التقاليد الطبية من الحكمة القديمة ، كما ظلت وقتا طويلا الينبوع الاساسى الذى نهلت منه أوروبا الافكار العلمية والفلسفية التى كانت تعتنقها . وقد جرت ترجمة الكتب اليونانية الى العربية تحت رعاية الخلفاء العباسيين الاوائل ببغداد خاصة فى القرنين الثامن والتاسع . وبعد مرور عدة قرون ترجمت الكتب العربية والاسلامية الى اللاتينية . ومن يومئذ اصبحت الاساس الذى تقوم عليه العلوم الاوروبية .

على اننا نعرف الكثير عن الترجمات اللاتينية للعلوم التى نقلت من العربية والتى قام بها يهود اسبانيا من القرن العاشر فصاعدا ولا عن الاهمية الحقيقية التى نجمت عن نمو الثقافة الاوروبية . وهذه المسائل لا يزال البحث جاريا فيها حتى اليوم . والواقع انا بدأنا فى ادراك مدىماكانت تدين به اوربا فى العصور الوسطى للعلوم الاسلامية ، وعلى هذا يمكن ان يقال ان كل ما عرفته اوروبا فى ذلك الوقت من علوم الكيمياء والفلك والحساب والطب مرده الى العلوم اليونانية كما أظهرها ونشرها العلماء والمثقفون المسلمون . وكان اليونانيون يتمتعون بموهبة كبيرة فى وضع النظريات والافكار الممعنة فى التامل والتفكير . ويبدو أن المسلمين لم يهتموا ابدا بالخطوط الرئيسية للنجاح ولكنهم ـ مع هذا ـ كانوا يهتمون بالتفاصيل وبالحقائق التجريبية. فابن سينا والرازى مثلا كان لهما مقام ملحوظ فى الدوائر الطبية فى ذلك الوقت كما كان « قانون ابن سينا » أول كتاب يطبع بالعربية فى تلك القارة .

وانها لحقيقة ان نذكر ان جامعة باريس كانت تدرس فيها فلسفة ابن رشد وتعليقاته على فلسفة أرسطاليس والى أفكار المسلمين وكتاباتهم عن الفلسفة اليونانية التى ترجمت الى اللاتينية يعود الفضل الى ظهور « البرتوس ماجنوس » الى « توماس اكينا » .وفىضوء هذه الحقائق يتضح صدق ما قاله الفيلسوف محمد اقبال من ان العلوم الاوروبية الحديثة ماكانت لتظهر وتنتشر ما لم تكن قد قامت على أساس العلوم التى تناولها وعالجها المسلمون .

وفى عصر النهضة تم اتصال شعوب اوروبا بالعالم الكلاسيكى مباشرة ، فكانت اللاتينية واليونانية تدرسان باهتمام كبير ، وراح المثقفون الانسانيون يعالجون التوراة العبرية منهم (برانتسيس) بالبندقية والكردينال (اكزمنيس) باسبانيا ، وقد اصدرا كتابين لهما عام

١٥١٧ وأهدياهما للبابا ليو العاشر . ولم يستطع اهل أوروبا الى عدد من السنين الحصول على أى علم من العلوم العربية او الاسلامية وذلك نتيجة لعدم وجود المتادين العرب فى ذلك الوقت ولقيام مشكلتين عظيمتين وقفتا فى هذا السبيل .

اما اولى هاتين المشكلتين فكانت خاصة بعدم استطاعة الحصول على الكتب العربية والاسلامية باوربا . فالمخطوطات العربية لم تظهر فى المكتبات الاوربية الا فى أوائل القرن السابع عشر حين عاد (جوليوس) الاستاذ بجامعة ليدن من زيارته للشرق عام ١٦٢٩ الى هولندا ، وكان قد وضع معجما عربيا ، ومعه مجموعة من ٢٥٠ مخطوطا عربيا . وبعد ٤٠ سنة من ذلك التاريخ اهدى (ورنر) - تلميذ جوليوس وأحد الدبلوماسيين الهولنديين الذين عملوا فى الشرق - أهدى مكتبة ليدن نحو الف مخطوط عربى . ومن يومئذ اصبحت ليدن كعبة يحج اليها كل طلاب العلوم العربية والاسلامية . وكذلك حصلت اكسفورد على مجموعة قيمة من هذه المخطوطات على يد (بوكوك) وغيره من البريطانيين الذين كانوا يعملون فى بعثات التبشير فى الشرق . وتتابع حصول المراكز العلمية بأوروبا على الكتب العربية والاسلامية ، فحصلت الاسكوريال ومكتبة الفاتيكان وغيرهما من المكتبات الاوروبية - خاصة بايطاليا - على عدد كبير منها . وطبعت اكسفورد معجما للمخطوطات العربية عام ١٧٧٨ بمساعدة (يورى) المجرى . على أن معظم المخطوطات العربية التى نجدها اليوم باوروبا لم تحصل عليها القارة الا بعد ابتداء القرن الثامن عشر .

اما المشكلة الثانية فتتعلق بالمتعلمين انفسهم . فمنذ مئات السنين لم يكن بين المثقفين الاوربيين من يعرف العربية . وقد وجد رجال الدين الذين كانوا يعرفون اللغة العبرية بوصفها احدى اللغات الاصلية التى نزلت بها التوراة ارتباطا لغويا بين العبرية والعربية . ولما بدأوا فى استعمال العربية لتساعدهم على تفهم العبرية رأوا أن العربية ما هى الا لهجة من لهجات العبرية . ومن هنا يتضح أن تفهم العربية حق فهمها كان متعذرا . وكان المسلمون ينظرون الى رجال الدين هؤلاء نظرتهم الى مجرد مبشرين .

والحق ان تقدير أوروبا للغة العربية لم يظهر الا بظهور العالم الفرنسى الكبير (سلفستر دى ساسى) . وكانت فرنسا أكثر من غيرها من البلاد قبولا للافكار المتنورة التى حررت الفكر وجعلت الدراسات العربية منفصلة عن الدراسات الدينية . وفى عام ١٧٩٥ عين دى ساسى استاذا للغة العربية بجامعة باريس ونشر كتابا فى نحوها وصرفها كما نشر طبعة خاصة من مقامات الحريرى وغيرها. والى دى ساسى يرجع الفضل فى نمو الدراسات العربية والاسلامية فى الغرب. وقد ساعده فى ذلك كونه مدرسا ومثقفا فى اللغة العربية وعضوا ثم سكرتيرا دائما للاكاديمية الفرنسية .

وقد ظهر أثر دى ساسى اكثر ما ظهر فى طلبته الذين وفدوا اليه لا من فرنسا وحدها بل من بلاد أخرى كاسبانيا ودول الشمال والمانيا وانجلترا . وكان من انبغ وأخطر تلاميذه (فليشر) الذى ادخل اللغة العربية الى جامعة ليبزج بالمانيا التى اصبحت بدورها - بعد موت دى ساسى - أهم مركز للدراسات العربية والاسلامية لعدة سنين .

وهنا ظهرت عدة كتب نشرها بالعربية تلاميذ دى ساسى وفليشر وغيرهم من الأوروبيين . وكانت هذه الكتب على غاية من الدقة والاعتناء ، وقد ظهرت جميعها فى وقت ظهرت فيه كذلك عدة كتب عربية فى كل من مصر وتركيا والهند خاصة فى حيدر اباد التى نشرت (دائرة معارف) تحت رعاية (النظام) الذى شجع كثيرا على نشر الثقافة الاسلامية .

وقد انتشرت هذه الكتب انتشارا واسعا الامر الذى دل بصدق على الاثر الطيب الذى تركه المسلمون فى العلم والثقافة . وقد كتب (كارل بروكلمان) عامى ١٨٩٨ و ١٩٠٢ مجلدين من (تاريخ الادب العربى) حاول أن يعدد فيهما الكتب العربية المعروفة وان يدل الدارسين عن الامكنة المحفوظة بها والامكنة التى طبعت فيها . وبعد اربعين سنة نشر بروكلمان ملحقا لكتابه ذاك جاء فى أكثر من ٣٣٠٠ صفحة . وكان لاستنبول فيما بعد ذلك فضل اخر فى نشر مثل هذه الكتب . فبعد قيام الثورة التركية عام ١٩٠٨ فتحت المكتبات التركية ابوابها على مصاريعها وقدمت للعالم النفائس التى كان يحتفظ بها السلاطين وأفراد الطبقة الحاكمة . وكانت الحاجة وقتذاك تدعو الى الاستعانة بخبراء لوضع قوائم صحيحة لهذه الكتب . وفعلا افتتحت الجمعية الشرقية الالمانية فرعا خاصا لها باستانبول وظل (هملت ريتر) - مندوبها - يضطلع بهذا العمل مدة ٢٥ سنة . ولايستطيع احد ان ينكر قيمة الجهود التى بذلها هذا العالم فى هذا الميدان .

وواصل (تيودور نولدكه) عمل فلتشر بليبزج وبقى طيلة أربعين سنة محور الدراسات الشرقية بجامعة ستراسبورج . وكان نولدكه قد نشر فى ايامه الاولى - سنة ١٨٦٠ - « تاريخ القرآن » الذى حصل به على احدى الجوائز من الأكاديمية الفرنسية . ومن بعده جاء تلاميذه الثلاثة شوالى وبرجستراسر وبرتزل فنشروا عام ١٩٠٩ و١٩١٩ و١٩٣٨ طبعات أخرى من هذا التاريخ بقيت عمدة البحث فى دراسة القرآن .

وكان نولدكه عالما كبيرا يتفهم مسائل القرآن على حقيقتها . وكان تلاميذه ومعاصروه واصدقاؤه - وعلى رأسهم جولدتشهير وولهاوزن وسنوك هورجرنج - الرجال الاكفاء الذين أقاموا صرح الدراسات الاسلامية باوروبا . والى هؤلاء يرجع الفضل فى ادراك اوربا لمدى مساهمة المسلمين فى تقدم العلوم والثقافة ثم تقدم البشرية جمعاء .

وكان أول كتاب لجولدتشهير - ونشره عام ١٨٨٤ - يعالج الاسس التى قامت عليها الشريعة الاسلامية . وعقب ذلك نشر هذا العالم مجلدين عن الاحاديث النبوية اشتمل اولهما على تاريخ الجاهلية وكيف انهزم الجاهليون أمام الدين الاسلامى الجديد ثم كيف اعتنق الشرق الادنى الاسلام. وكان من نتيجة نشر جولدتشهير لكتبه هذه أن اصبحت مرجع البحث فى (الاسلاميات).

وكان جاليوس ولهاوزن مؤرخا عبقريا استطاع بابحاثه العميقة أن يجرى تعديلا فى تاريخ (الوصايا القديمة). ومن كتبه المشهورة كتاب تناول فيه عصر الخلافة الأموية بدمشق .

وفى عام ١٨٨٠ كتب سنوك هورجرونج كتابه المعروف عن « احتفالات مكة » وبعد اربع سنوات من نشر الكتاب ذهب المؤلف رحلة الى البلاد العربية وضمن دراساته عنها كتابا أسماه (مكة) . وكان سنوك هذا رجلا من رجال السلك السياسى وثقة فى الامور والمشكلات التى كانت تسود البلاد الاسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار.

وفي عام ١٩٠٦ تولى التدريس بجامعة ليدن . وفي عام ١٩١٤ - ١٥ القى بامريكا عدة محاضرات قيمة عن (أصل الاسلام) و (التطور الديني) و (التطور السياسي في الاسلام) و (الاسلام والفكر الحديث) . والى هذا العالم يعود الفضل في ظهور مؤلفين هامين كبيرين هما (دائرة المعارف الاسلامية) التي أصدرها بمساعدته عدد كبير من العلماء و (معجم أساس الحديث الاسلامي) الذي نشره تلميذه (ونزينك) ثم تلاميذ هذا الاخير من بعده .

ومما لا جدال فيه ان هؤلاء العلماء الاربعة هم رواد البحث في الشئون الاسلامية باوروبا . على اننا لا نستطيع أن نغمط الكتاب الآخرين حقهم في هذه الميادين - وكانوا قد ظهروا في دول اوربية مختلفة - نذكر منهم براون ونيكلسون وتوماس آرنولد ومرجليوث بانجلترا ، ولوت ورينيه باسيه بفرنسا ، وبرنولد وايجناتس كراتشكووسكي بروسيا ، وتادوج كوالسكي ببولندا ، ونللينو وجويدي بايطاليا ، وميجل آسين بلاسيوز باسبانيا ، وبيكر وجورج يعقوب وهورويتز وجوتلهف برجستراسر بالمانيا ، وونزنك بهولندا .

والواقع انه مهما يقال عن الحروب الصليبية التي بدأت بين الغرب والشرق أو بين المسيحية والاسلام عام ١٠٩٦ وانتهت عام ١٢٩١ حين أجلي الصليبيون عن آخر معقل لهم في سوريا ، ومهما كانت الاسباب الظاهرة والخفية لهذه الحروب فانها أفسحت المجال - الى حد كبير - لاحتكاك واسع متشعب الأطراف بين الشرق والغرب .

ولكن هناك احتكاك يبدو لاول وهلة ذا فروق حاسمة بين أوروبا والعالم الاسلامي في الأندلس وصقلية وبين الصلة التي قامت بينهما أثناء الحرب الصليبية . فالعرب في الاندلس وصقلية كانوا فاتحين ، دخلوا البلاد وسادوها وكان سهلا عليهم أن يفرضوا عليها مدنيتهم وعاداتهم وصناعاتهم . بينما الامر على عكس ذلك فيما يتعلق بالحروب الصليبية اذ ان الاوربيين هم الذين كانوا الفاتحين هذه المرة . وهذا الفارق - في الحقيقة - لم يغير شيئا من الواقع وهو ان الحضارة الاسلامية كانت في كل تلك الحالات قوية متألقة في حين لم يكن باوروبا يومذاك اى شيء يمكن أن يسمى حضارة . وكان طبيعيا أن تفيد اوربا من المسلمين وتقلدهم .

وتأثير المسلمين على الغرب بسبب الحروب الصليبية يمكن أن يقسم الى قسمين : أولهما التأثير في الاوربيين المقيمين بالشرق ، وثانيهما التأثير على سكان اوروبا نفسها .

فالاوربيون الذين كانوا يحاربون في سوريا أصبحوا لا يكادون يفترقون عن السكان المسلمين في شيء . وكان الفرسان الصليبيون هناك يلبسون (الكوفية) وقاء من الشمس والمطر كأي عربي ، كما كانوا يأكلون على الطريقة العربية ويعيشون عيشة أهل البلاد . واضطر الصليبيون الى ان يحاربوا المسلمين باسلحتهم ذاتها فاخذوا عنهم النار الافريقية والمنجنيق واستخدام الحمام الزاجل والقسي العربية ودروع الزرد للفارس وحاربوا بالسيوف الخفيفة الرقيقة ، وبنوا حصونا مثل حصون المسلمين ما زالت قائمة حتى اليوم في سوريا ولبنان وكان لها أسوار مزدوجة - مثل حصن الاكراد - أخذوا هندستها عن العرب وزينوا ابوابها ونوافذها بالنقوش والمرصعات العربية كما يظهر ذلك في الحصنين الموجودين بطرابلس بلبنان .

ولم يدم ملك الصليبيين بالشرق أكثر من قرنين . وفي عام ١١٨٧ هزمهم صلاح الدين الايوبي في حطين بفلسطين في معركة حاسمة كسرت شوكتهم ، وتوالت هزائمهم حتى جاء السلطان الظاهر بيبرس وابنه خليل فأخرجاهم من كل معاقلهم وأخليا البلاد منهم ، وكان ذلك عام ١٢٩١

وهناك ظاهرة فريدة لاحتكاك الغرب بالشرق أثناء الحروب الصليبية وهي ان كثيرا من الاوربيين كانوا يذهبون الى الاراضي المقدسة للقتال لمدة معينة وفاء لنذر او تحقيقا لعهد ثم يعودون بعدها لبلادهم اذا ما قدر لهم أن يعودوا . وكان معنى هذا أن دفعات متكررة كانت تعود الى أوروبا ومعها ذكرياتها عن الشرق تحاول أن تاخذ منها أكبر قسط مستطاع .

وقد ظهر هذا الأثر في اللغة ففي جميع لغات أوروبا كلمات كثيرة من اصل عربي .

وكذلك فقد نقل الصليبيون من الشرق زراعة كثير من الفواكه والبقول والخضروات مثل الخروب والذرة الصفراء والبصل العسقلاني والمشمش والبرقوق والزعفران .
ولم تشتهر مدينة البندقية بايطاليا بصناعة البلور الا أثناء الحروب الصليبية ، وقد نقلتها عن سوريا . وكذلك صناعة الحلي والذهب والسجاد والأقمشة التي أخذتها من دمشق .

وكذلك فقد نشطت التجارة بين الشرقين الادنى والاقصى واوربا ونشأت تيارا تجارية واسعة بين الصين واقاصي أوروبا ، فاصبح السجاد مثلا يمر بسوريا الى البندقية ومنها الى المانيا وغيرها من دول الشمال . وفي أكثر اللوحات التي رسمت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر نرى امثلة للسجاد الشرقي في البيوت وعلى الموائد والمقاعد . وفي رحلتي ابن جبير وابن بطوطة تفاصيل مثيرة لمراكب العرب والفرنجة التي كانت تتنقل بين الموانيء الاسلامية والأوروبية .

وقد اضطر الاوربيون الى ضرب النقود للتعامل مع سكان الشرق العربي نقلوا شكلها من النقود العربية . وظلت هذه النقود مستعملة في اوروبا وجنوب فرنسا حتى أواخر القرن الثالث عشر ، وكانت تحمل كتابة عربية وآيات قرآنية مع التاريخ الهجري .

وكان ما اقتبسه الاوربيون في ميدان الحرب من الحضارة الاسلامية مزدوجا منه ما يشمل البناء ومنه ما يشمل اللباس وغيره . ففي البناء رأيناهم يقلدون الهندسة الاسلامية حتى أن الملك ريتشارد - قلب - بنى قصره المشهور في نورماندي بفرنسا على الطراز العربي . أما في الالبسة فقد ظل الفرسان الاوبيون يلبسون دروع الزرد وقمصان القطن تحتها - كما كان يفعل العرب - وعنهم نقلوا لعبة (البولو) - وهي لعبة الكرة والصولجان - والمبارزة . وليس هذا فحسب ، بل أن الفرسان الاوربيين قلدوا الفرسان المسلمين في وضع شعار لهم فاصبح لكل فارس شعار كالاسد والنمر والبرج .

ولعل ابرز ما اقتبسه الغرب عن العرب الارقام الحسابية العربية التي حلت محل الأرقام الرومانية المعقدة . كما أن الغرب افاد من الحساب والهندسة والجبر والفلك والجغرافيا التي أخذوها عن علماء المسلمين .

أضواء على انتشار الإسلام في الصين

الدكتور حسن محمود

لم تكن علاقة بلاد العرب بالصين لاحقة على مبعث النبى وظهور الاسلام بل كانت هذه العلاقة قديمة فقد كانت الصلات التجارية بين بلاد العرب والصين قد توطدت منذ زمن طويل فكانت حاصلات الشرق تمر اغلبها ببلاد العرب •

ونمت هذه التجارة فى القرن السادس على الخصوص عن طريق جزيرة سيلان • وفى مستهل القرن السابع الميلادى كانت التجارة بين الصين وفارس وبلاد العرب لاتزال واسعة الانتشار ، وكانت مدينة سيراف الواقعة على الخليج العربى هى السوق الرئيسية للتجار الوافدين من الصين •

ثم ظهر الاسلام وبدات اصداء ذلك الدين تصل الى اقصى الشرق خصوصا فى عهد دولة تانج الصينية التى وليت امر الصين منذ عام ٦١٨ وظلت تحكم البلاد حتى عام ٩٠٧

ويبدو ان الاسلام دخل الصين مع التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحرى الذى اشرنا اليه كما يشير المؤرخ المسلم ليو شياى لين الى ان احد الصحابة رحل الى الصين بدعوة من الامبراطور وان رفات ذلك الرجل لا تزال دفينة فى مسجد مدينة كانتون • وقد نسج المسلمون فى الصين حوله القصص والاساطير • وأحست الاسرة الحاكمة فى الصين بوجود الدولة العربية وترامى الى سمعها اخبار انتصارات العرب فى عهد عمر وعثمان واحست بالوزن العظيم الذى ظفر به العرب فى سياسة الشرق الاوسط • فقد اشارت الحوليات الصينية الى ان الاسرة الحاكمة فى الصين بعثت سفيرا الى المدينة المنورة فى عهد عثمان وقيل ان الخلفة عثمان ارسل احد القواد العرب ليرافق السفير الصينى فى عودته عام ٦٥١ ميلادية ، واكرم امبراطور الصين اول سفير مسلم يدخل ارضه •

على كل حال ورثت الدولة العربية من الساسانيين اهتماماتهم القديمة بوسط آسيا وبالصين على وجه الخصوص • ونمت العلاقات العربية الصينية ففى عهد الوليد بن عبد الملك عبر قتيبة بن مسلم نهر سيحون واخضع بخارى وسمرقند ومضى قدما فى فتوحه حتى وصل الى الحدود الشرقية لامبراطورية الصين وارسل قتيبة عام ٧١٣ رسلا الى الامبراطور •

ولم تكف الدولة الاموية عن توطيد العلاقات العربية الصينية فقد اوفد الخليفة هشام بن عبد الملك رسولا الى الامبراطور هوان تسنج عام ٧٢٦

وزادت هذه العلاقات توطدا فى آخر عهد هذا الامبراطور حين نازعه مغتصب عرشه فأرسل الى الخليفة العباسى المنصور يطلب ارسال قوة من الجيش العربى لنجدته وقد استطاع بمساعدتهم ان يسترد عاصمة بلاده سنيفو من ايدى الثوار • وقد برز فى هذه الحرب قائد مسلم ينحدر من اصل مغولى تذكر حوليات الصين ان اسمه كوشو هاذ فقد وقف الى جوار الامبراطور حتى النصر وقد خلد ذكر هذا الزعيم المسلم على نقش بالمسجد الجامع بمدينة سوان تاريخه عام ٧٤٢ • وفى نهاية هذه الحرب لم تعد هذه القوات العربية الى بلادها بل تزوج الجنود ثم استقروا فى بلاد الصين • وتذكر الحوليات الصينية أيضا انه قد خصصت لهم الاراضى ومنحوا مساكن فى مدن مختلفة • وكان هذا اول استقرار لجماعات مسلمة على نطاق واسع بأرض الصين •

وقد كثرت اعداد المسلمين فى الصين من بعد هذا وعلى الاخص فى المدن الكبيرة وبدأت هذه الجاليات تقوم بنشاط تبشيرى عظيم • ويذكر المؤرخ الصينى لهذه الفترة ان العقيدة الجديدة الوافدة اخذت تنتشر بين الناس وقد كتب احد الجغرافيين العرب حول سنة ٨٥١ ميلادية يصف هذه الجاليات العربية والمساجد التى سمح لهؤلاء التجار ببنائها لاقامة شعائرهم الدينية •

ولم يتوقف نمو الاسلام فى الصين فى عهد اسرة سونج التى حكمت شمال الصين وجنوبها من عام ٩٦٠ حتى عام ١٢٨٠ وقد برز فى عهدهم كثيرون من زعماء المسلمين الصينيين • ومن ابرزهم مى - يوان - تانج وكان من ابرع القواد واقدر المصورين وعين رساما لقصر الامبراطور ولا زال نقش جامع سوان يحمل كلمات كتبها بخط يده جاء فيها :

« ان شريعة الاسلام تنفذ الى الارض والسماء » • كما برز زعيم اخر يدعى بهاء الدين تولى حكم مدينة يانجشو ولا نعرف عن حياته الكثير غير انه توفى عام ١٢٧٥ م • ولا زال قبره يحج اليه المسلمون فى بلاد الصين •

ثم قدر لفتوح المغول ان تزيد هذا التيار الاسلامى انتشارا فقد تمخضت عن هجرة واسعة النطاق هاجر فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم من عرب وفرس واتراك وجاء بعضهم الى الصين تجارا وصناعا وجنودا او اسرى حرب • واستقر عدد كبير منهم فى البلاد بصفة دائمة واصبحوا جالية كبيرة مزدهرة فقدت خصائص جنسها الاول بالزواج من نساء الصين • وقد تقلد كثيرون من هؤلاء المسلمين مناصب رفيعة فقد تولى احدهم سنة ١٣١١ بيت مال الدولة وكان له حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين • ومن هؤلاء ايضا عمر شمس الدين الملقب بالسيد الاجل وكان من اهل بخارى وعهد اليه قوبيلاى خان ادارة بيت المال • وقد لعبت ذرية السيد الاجل دورا هاما فى توطيد دعائم الاسلام فى الصين وحصل احد احفاده من الامبراطور الصينى عام ١٣٣٥ على الاعتراف بان الاسلام هو دين الحق الخالص • واذن الامبراطور لشخص اخر من سلالة السيد الاجل بان يبنى المساجد فى عاصمة الدولة • وقد تزايد المسلمون فى معظم ولايات الصين وقد لاحظ ماركو بولو الذى تمتع بعطف قوبيلاى خان وعاش فى الصين مدة ليست بالقصيرة وجود مسلمين فى جهات شتى من اقليم يونان •

ويذكر مؤرخ اخر معاصر لماركوبولو انه فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى كان جميع سكان مدينة تاليفو حاضرة اقليم يونان من المسلمين

ويتحدث ابن بطوطة الذى زار عدة مدن ساحلية فى الصين فى منتصف القرن الرابع عشر عن الترحيب الحار الذى لقيه من اخوانه فى الدين واشار الى ماكان للمسلمين من امتيازات فى الصين فقال « ولابد فى كل بلد من بلاد الصين من شيخ للاسلام تكون امور المسلمين كلها راجعة اليه وقاض يقضى بينهم وذكر ان كل مدينة من مدن الصين كان فيها حى للمسلمين يسكنونه ويتخذون فيه المساجد وان الحكومة كانت تعنى بمراقبة التجار المسلمين وضمان اموالهم التى يدخلون البلاد بها وكان اولوا الامر فى الصين حريصين على الا يخسر المسلمون اموالهم • ويبدو من كلام هذا الرحالة ان المسافرين المسلمين القادمين الى الصين كانوا يلقون من بنى دينهم من تلك البلاد اعظم الترحيب والاكرام من ذلك ان ابن بطوطة حين وصل الى مدينة قنجنفو خرج اليه القاضى وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الاعلام والطبول والابواق واهل الطرب واتوه بالخيل فركب ومشوا بين يديه ولم يركب معه غير القاضى والشيخ • وكان المسلمون يقيمون له الولائم ويقدمون الهدايا ويصحبونه الى رحلات فى القوارب ومعهم اهل الغناء والموسيقى يغنون بالصينية والعربية والفارسية ••

ومن اعلام المسلمين الذين لقيهم ابن بطوطة فى بلاد الصين اسرة مصرية الاصل نزل بدارها فى مدينة « خنسا » • قال الرحالة « ونزلنا منها بدار اولاد عثمان بن عفان المصرى وكان احد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة اليه ، واورث عقبه بها الجاه والحرمة وهم على ماكان عليه ابوهم من الايثار على الفقراء والاعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها اوقاف كثيرة •

وبنى عثمان المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية اوقافا عظيمة • وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير • وكانت اقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يحتفلون فى اطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى اقطار المدينة •• »

وبعد زوال دولة المغول فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى لم تزد اعداد المسلمين المهاجرين وفرضت عليهم العزلة وانقطعت الصلة بينهم وبين اخوانهم خارج الصين واخذوا فى معظم اقاليم الصين يتحولون الى الاندماج فى الشعب وحصلوا فى عهد دولة منج ١٣٦٨ - ١٦٤٤ على كثير من الامتيازات وتدل كثرة المساجد التى بنيت على انتعاشهم خلال حكم هذه الاسرة رغم قضائهم على الكنيسة المسيحية التى انتعشت فى عهد الاباطرة المغول • محى من الصين كل مايمت بصلة الى اسرة المغول •

وقد نمى ملوك هذه الدولة صلاتهم الودية بامراء المسلمين المحيطين بحدود الصين الغربية كما اكثروا من تبادل السفراء مع الامراء التيموريين •

ويبدو من اقوال مؤرخى القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر ان اعداد المسلمين قد زادت وزاد استقرارهم وكان فى مدينة كنجنفو نحوا من ثلاثين الف اسرة من المسلمين لا يدفعون الضرائب ويظفرون بعطف الامبراطور ويوهبون الارض وينعمون بالحرية المطلقة فى اقامة شعائر الدين وترك امر التحول الى الاسلام حرا وكان فى العاصمة نفسها اربعة مساجد كبيرة ومايقرب من تسعين مسجدا غيرها فى الولايات الاخرى وقد بنيت كلها على نفقة الامبراطور •

الخلاصة انه فى اخر السابع عشر كان الاسلام فى بلاد الصين قد استقرت قواعده ورسخت قدمه •

المقومات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العربي كما نظمها دستور مارس ١٩٦٤

الدكتور محمود حلمي

تضمن دستور الجمهورية العربية المتحدة الصادر فى مارس سنة ١٩٦٤ هذه المقومات فى بابه الثانى (المواد ٦ – ٢٣) . وينتقد البعض اسراف الدستور فى سرد المقومات الاساسية للمجتمع والحقوق والواجبات العامة وتفصيلها – فهذه النصوص تتضمن فى نظر أصحاب هذا الرأى مبادىء اجتماعية هامة ، ترسم الخطوط العريضة لسياسة اشتراكية سليمة ، ولكنها مبادىء عامة وغير محدودة وغير قابلة للتحديد فى شكل نصوص ومواد دستورية ، وكان الافضل فى رأيهم وضعها فى مقدمة الدستور وتنظيمها واخراجها الى حيز التنفيذ بواسطة قوانين عادية تصدر من السلطة التشريعية .

ولكنا نرى أن هذه النصوص تقوى ايمان المواطنين بحقهم فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية طبقا لمبادىء معينة مدونة تهدف الى رفع مستواهم حتى يصلوا الى المستوى اللائق بكرامة الانسان – كما أن النص عليها فى صلب الدستور يلقى على الهيئات المسيرة لامور الدولة ، رؤساء السلطة التنفيذية وأعضاء السلطة التشريعية ، واجبا دستوريا يسألون عنه سياسيا .

ويمكن تقسيم المقومات الاساسية فى المجتمع العربى كما وردت فى دستور سنة ١٩٦٤ الى نوعين – مقومات اجتماعية ، مقومات اقتصادية .

أولا – المقومات الاجتماعية

١ – التضامن الاجتماعى أساس المجتمع :

تنص المادة ٦ من الدستور على أن التضامن الاجتماعى أساس المجتمع المصرى ، وكان دستور سنة ١٩٥٦ يتضمن نفس النص ، كما كان متضمنا لبعض تطبيقات هذا المبدأ كنص المادة ٢٣ منه التى كانت تقضى بأن ((المصريين متضامنون فى تحمل الاعباء الناتجة عن الكوارث والمحن العامة)) والمادة ٣٤ التى كانت تنص على ((أن تكفل الدولة ، وفقا للقانون ، تعويض المصابين بأضرار الحرب)) ، والمادة ٣٥ التى كانت تنص على أن ((تكفل الدولة ، وفقا للقانون ، تعويض المصابين بسبب تادية واجباتهم العسكرية)) .

وقد أصدرت الجمهورية العربية المتحدة من القوانين ما يكفل الضمان الاجتماعى للمواطنين وتعويض المصابين بأضرار الحرب أو العمليات العسكرية . وتضمنت هذه القوانين حالات الضمان الاجتماعى ومقداره وكيفية صرفه . ولم يجد المشرع الدستورى بعد ذلك مبررا لوضع هذه التطبيقات فى الدستور ، وعلى الاخص أنها لم تكن واردة على سبيل الحصر .

على أن دستور سنة ١٩٦٤ قد تضمن بعض الاسس الاجتماعية العامة بالاضافة الى النص العام الذى يقضى بأن التضامن الاجتماعى أساس المجتمع – فقد نصت المادة ٢٠ من هذا الدستور على أن تكفل الدولة خدمات التأمين الاجتماعى ، وللمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشيخوخة ، وفى حالة المرض أو العجز عن العمل أو البطالة .

٢ – الاسرة :

وعنى الدستور بالنص على أن الاسرة أساس المجتمع وأبرز مقوماتها الاساسية ، فقرر فى المادة السابعة : ((الاسرة أساس المجتمع ، وقوامها الدين والاخلاق والوطنية)) . واعمالا لهذا الاساس نصت المادة ١٩ من الدستور على أن ((تكفل الدولة وفقا للقانون دعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة)) .

وكان دستور سنة ١٩٥٦ يتفق فى المادة ٢٠ منه على أن تحمى الدولة النشء من الاستغلال وتقيه الاهمال الادبى والجسمانى والروحى . وقد اغفل هذا النص فى دستورنا الجديد ، وليس معنى هذا أن حماية النشء من الاستغلال ووقايته من الاهمال الادبى والجسمانى والروحى لم تعد من واجبات الدولة ، بل يعنى أن المشرع الدستورى رأى أن يترك تنظيم حماية الطفولة للتشريع العادى بعد أن نص عليها كمبدأ عام فى المادة ١٩ .

٣ – العمل والعمال :

اقر دستور سنة ١٩٦٤ ما قرره الميثاق من أن الوحدة الوطنية يصنعها تحالف قوى الشعب الممثلة للشعب العامل . كذلك نصت المادة ٢١ على أن العمل فى الجمهورية العربية المتحدة حق وواجب وشرف ، لكل مواطن قادر ، والوظائف العامة تكليف للقائمين بها . ويستهدف موظفوا الدولة فى ادائهم أعمال وظائفهم خدمة الشعب .

وهكذا قضى الدستور على الفكرة السائدة من احتقار العمل والعمال – فنص على أنه حق وواجب وشرف ، كما قضى على الفكرة التى كانت سائدة عند بعض الموظفين من أنهم سادة الشعب ورجال السلطة والحكم ، فقرر أن الوظائف العامة تكليف للقائمين بها .

٤ – تقريب الفوارق الاجتماعية بين الناس :

نص الدستور الجديد على تقريب الفوارق الاقتصادية بين افراد المجتمع ، مما سنوضحه بعد قليل ، وعمل أيضا على تقريب الفوارق الاجتماعية . ومن أهم وسائله فى تقريب الفوارق الاجتماعية بين الافراد ان قرر ان التعليم فى مدارس الدولة وجامعاتها بالمجان – وهكذا جعل للقوانين الصادرة بهذا الشان قبل ذلك طبيعة دستورية لا يجوز المساس بها .

ومن مظاهر الفوارق الاجتماعية بين الناس ما كان يجرى عليه العمل فى ظل دستور سنة ١٩٢٣ من منح الافراد رتبا تلحق باسمهم ، وكان من نتيجة ذلك ان يظهر الفارق الطبقى بين الناس مقترنا باسمهم . وقد عملت الثورة منذ قيامها على الغاء هذه الرتب المدنية ، وقررت لقبا موحدا لجميع المصريين هو لقب « السيد » حتى يتساوى الناس جميعا ، وحظر الدستور انشاء الرتب المدنية (المادة ٢٢) .

ثانيا – المقومات الاقتصادية

لعل أبرز ما تميز به الدساتير المصرية بعد ثورة يولية سنة ١٩٥٢ ما تضمن من مبادىء اقتصادية لم يكن دستور سنة ١٩٢٣ يعترف بها . والواقع أن المبادىء الاشتراكية قد ظهرت فى دساتير الدول المختلفة بصور متباينة منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى . ولم يكن تخلف مصر عن هذا الاتجاه الاشتراكى بسبب عدم حاجة البلاد اليه ، فان الفقر وسوء التوازن واتساع الفوارق الاقتصادية كان جسيما . ولكن كان التخلف ناتجا عن تحالف الاستعمار والاقطاع على ابقاء الاوضاع المناسبة لمصلحة الاقطاع والتى تساند الاستعمار .

وما ان تخلصت البلاد من الاستعمار وقضت على الاقطاع ، الا واتجهت بسرعة وبقوة الى الاشتراكية والى اعادة توزيع الثروة والعمل على تقريب الفوارق بين الطبقات والافراد . وقد وضع الميثاق الوطنى الاسس والقواعد للتنظيم السياسى ، ووضع الدستور الجديد القواعد والاحكام المنظمة للمبادىء الجديدة فقد قررت المادة التاسعة من الدستور أن الاساس الاقتصادى للدولة هو النظام الاشتراكى ، الذى يحظر أى شكل من أشكال الاستغلال ، بما يضمن بناء المجتمع الاشتراكى بدعامتيه من الكفاية والعدل .

ولم يتجه دستورنا الى الاشتراكية الماركسية التى تحرم الملكية الخاصة تحريما مطلقا ، بل هو يحترم الملكية الخاصة ويقرها ويشجعها بشرط عدم الاستغلال

فالملكية فى الجمهورية العربية المتحدة تكون على الاشكال الآتية :

ا) ملكية الدولة :

اى ملكية الشعب ، وذلك بخلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الاساسية فى خطة التنمية .

فالملكية العامة فى الجمهورية العربية المتحدة هى ملكية الشعب ، وليست ملكية الحكومة – ذلك ان الملكية العامة قد تكون مجرد تملك الدولة للمشروع أو نقل الملكية الخاصة الى الدولة ، دون تغيير يذكر فى طريقة الادارة أو فى أهدافها ، كما قد تكون ملكية الشعب للمشروع ليتولى ادارته ليحقق أغراض التنمية الاقتصادية وسد الحاجات العامة للشعب . وقد أخذ دستورنا الجديد بالمعنى الاخير للملكية العامة .

وفرض الدستور على المواطنين حماية ودعم ملكية الشعب ، فقرر فى المادة ١٣ أن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعات المختلفة ، مسيطرة عليها كلها .

ب) ملكية تعاونية :

« أى ملكية كل المشتركين فى الجمعية التعاونية » ومن المؤكد (كما يقول تقرير الميثاق) أن الاسلوب التعاونى يتمشى مع روح اشتراكيتنا ، لأنه يهذب من النشاط الخاص ويحافظ عليه . فالتعاون يقوم على الاحتفاظ بالملكية الخاصة كما يسعى فى الوقت نفسه الى تحقيق عدالة التوزيع وديمقراطية الادارة . وقد نص الدستور فى مادته الـ ١٨ : « أن تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها » .

جـ) ملكية خاصة :

« قطاع خاص يشترك فى التنمية ، فى اطار الخطة الشاملة لها ، من غير استغلال » . على أن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعات الثلاثة مسيطرة عليها كلها .

فالملكية الخاصة مصونة ، ولا تنزع الا للمنفعة العامة ، ومقابل تعويض عادل ، وفقا للقانون .

على أن هذا لا يعنى أن الملكية حقا مطلقا ، بل أن دستورنا الجديد قد اقر المبدأ الذى يقضى باعتبار الملكية الخاصة وظيفة اجتماعية تعمل للخير والنفع العام . فيقول فى المادة ١٦ « الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية »

ومن واجبات القطاع الخاص فى ظل النظام الاشتراكى العربى :

١ – ان يشترك فى التنمية ولا يعمل من اجل اثراء اصحابه او استغلالهم لغيرهم ، وانما يستخدم مع القطاع العام فى خدمة الاقتصاد القومى ، ولا يجوز أن يتعارض فى طرق استخدامه مع الخير العام (المادة ١١٤ من الدستور) .

٢ ـ ويجب أن يعمل القطاع الخاص فى اطار الخطة الشاملة للتنمية ـ ذلك ان المادة العاشرة من الدستور قررت أن يكون توجيه الاقتصاد القومى باكمله وفقا لخطة التنمية التى تضعها الدولة .

فالتخطيط الاشتراكى الكفء هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية والمادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكى يحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية .

والتخطيط ضمان لحسن استغلال الثروات الموجودة والكامنة والمحتملة ، كما أنه ضمان لتوزيع الخدمات الاساسية باستمرار ، ورفع مستوى ما يقدم منها بالفعل ، ومد هذه الخدمات الى المناطق التى افترسها الاهمال والعجز نتيجة لطول الحرمان الذى فرضته أنانية الطبقات المتحكمة المستعلية على الشعب المناضل .

والتخطيط من هنا كله ينبغى أن يكون عملية خلق علمى منظم يجيب على جميع التحديات التى تواجه مجتمعنا ، فهو ليس مجرد حساب الممكن ، لكنه عملية تحقيق الامل .

٣ ـ وعلى القطاع الخاص ان يعمل ـ هو والقطاع العام والقطاع التعاونى ـ تحت رقابة الشعب وسيطرته وقد نصت المادة ١٢ من الدستور على أن « يسيطر الشعب على كل أدوات الانتاج ، وعلى توجيه فائضها ، وفقا لخطة التنمية التى تضعها الدولة ، لزيادة الثروة والنهوض المستمر بمستوى المعيشة » .

٤ ـ وضع الميثاق الوطنى حدودا تقريبية بين مجالى القطاع العام والخاص ، وهذه الحدود يمكن اجمالها فيما يأتى :

اولا ـ فى مجال الانتاج عموما :
يجب أن تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج ، كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة فى نطاق الملكية العامة للشعب .

ثانيا ـ فى مجال الصناعة :
يجب أن تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب ، واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال ، فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله .

يجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار ، واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجه لصالح الشعب .

ثالثا ـ فى مجال التجارة :

يجب أن تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب ، وفى هذا المجال ، فان تجارة الاستيراد يجب أن تكون كلها فى اطار القطاع العام ، وان كان من واجب رأس المال الخاص أن يشارك فى تجارة الصادرات . وفى هذا المجال ، فان القطاع العام لا بد أن يكون له الغالبية فى تجارة هذه الصادرات ، منعا لاحتمالات التلاعب . واذا جاز تحديد نسب فى هذا النطاق فان القطاع العام لا بد أن يتحمل عبء ثلاثة أرباع الصادرات مشجعا للقطاع الخاص على تحمل مسئولية الجزء الباقى منها .

يجب أن يكون للقطاع العام دور فى التجارة الداخلية ولا بد للقطاع العام (حتى سنة ١٩٧٠) خلال المدة المتبقية من الخطة الاولى للتنمية الشاملة من اجل مضاعفة الدخل فى عشر سنوات ـ أن يتحمل مسئولية ربع التجارة الداخلية على الاقل منعا للاحتكار ، ليفسح مجالا واسعا فى ميدان التجارة الداخلية للنشاط الخاص والتعاونى ، على أن يكون مفهوما بالطبع أن التجارة الداخلية خدمة وتوزيع ، مقابل ربح معقول لا يصل الى حد الاستغلال تحت أى ظرف من الظروف .

رابعا ـ فى مجال المال :

يجب أن تكون المصارف فى اطار الملكية العامة ، فان المال وظيفة وطنية ، لا تترك للمضاربة أو المغامرة ، كذلك فان شركات التامين لا بد أن تكون فى نفس اطار الملكية العامة ، صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية ، وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها .

خامسا ـ فى المجال العقارى :

يجب أن تكون هناك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة ، ملكية مستغلة ، أو تفتح الباب للاستغلال ، وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة اصحابها .

وفى مجال ملكية الارض الزراعية ، فان قوانين الاصلاح الزراعى قد انتهت الى وضع حد أعلى لملكية الفرد لا يتجاوز مائة فدان ، على أن روح القانون تفرض أن يكون هذا الحد شاملا للاسرة كلها ، أى للاب والام وأولادهما القصر ، حتى لا تتجمع ملكيات فى نطاق الحد الاعلى تسمح بنوع من الاقطاع .

وقد اتجهت ثورتنا منذ قامت الى القضاء على الاقطاع بوضع حد أعلى للملكية الزراعية . غير أنها ، حين فعلت ذلك ، لم تلجأ الى تاميم الارض وتركيزها فى يد الدولة وانما لجأت الى توزيعها على الذين حرموا ملكيتها من الفلاحين . واتبعت الدولة السياسة نفسها بالنسبة للاراضى الزراعية الجديدة التى يضيفها الاستصلاح الزراعى .

واتخذت اشتراكيتنا هذا الاسلوب لاسباب اهمها :

ان الارض قد لعبت فى حياة الفلاح المصرى دورا هاما فانه قد ظل خلال العصور الطويلة يعانى حنينا قويا الى تملك الارض ، وأن التاريخ الطويل للعمل الزراعى فى أرض مصر قد أكد قدرة الفلاح على العمل المنتج اذا ما توافرت له الظروف الملائمة . والمؤكد أن هذا الحل يحقق زيادة الانتاج ، فضلا عما يحققه من العدل بتوفير الفرصة للمواطنين فى الحصول على نصيب عادل من الثروة القومية .

وتاييدا لذلك نص دستورنا فى المادة ١٧ منه أن « يعين القانون الحد الاقصى للملكية الزراعية ، ويحدد وسائل حماية الملكية الزراعية الصغيرة » فهو حين يقضى بضرورة تحديد الملكية الزراعية ، يقرر فى نفس الوقت ضرورة حماية الملكية الزراعية الصغيرة .

إعجاز القرآن البياني

ابن خلدون والإعجاز

الدكتور حفني شرف

انتقلت بفكرة الاعجاز البيانى فى القرآن الى القرن التاسع الهجرى ، وفيه صادفنى ثلاثة من العلماء الفضلاء فى مادتهم وشخصيتهم ، والذين لم يغفلوا الحديث عن اعجاز القرآن ، وهم وان لم يؤلفوا كتبا خاصة فى الاعجاز الا أنه ورد فى ثنايا كتبهم ما يكشف عن رأيهم فى الاعجاز ، وسأتكلم عن كل واحد منهم مستخرجا فكرته من مؤلفاته .

واول هؤلاء . ابو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون التونسى اليمنى الحضرمى ـ ودائما كان يحرص ابن خلدون على تسجيل نسبه الى اليمنى الحضرمى (مقدمة ١ : ٣٣) ـ الاشبيلى المالكى ، وليس لدينا من الادلة القاطعة ما يثبت أن أسرة ابن خلدون عربية الاصل وان حرص أهل المغرب على الانتساب للعرب .

كان ابن خلدون مؤرخا مشهورا وعالما جليلا ذاع صيته فى ارجاء المعمورة وقد ولد فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ بتونس ، وبها نشأ ، وفى حجر والده تربى ، وعلى يديه حفظ القرآن وعلى أستاذه عبد الله محمد بن نزال الانصارى قرأ كتبا كثيرة وتعلم العربية ، وحفظ كثيرا من شعر العرب ويقول هو عن نفسه : « ولم أزل منذ نشأت مكبا على تحصيل العلم ، حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته ، الى أن كان الطاعون الجارف سنة ٧٤٩ هـ ، وذهب بكثير من الاعيان والصدور ، وجميع المشيخة ، وهلك فيه أبواى رحمهما الله (تاريخه ٧ : ٣٩٨) » .

ولما نضج ووضحت شخصيته ، وانتشر أمره عمل فى خدمة أمير تونس ولكن لم يطل به البقاء فى خدمته فرحل الى « بجاية » وفيها تقابل مع سلطانها وانس فيه العلم والشخصية فقلده اعمال دولته ، ولكن لم يدم الامر طويلا اذ هاجم « بجاية » صاحب « قسطنطينة » واستولى عليها ، ثم رحل الى تلمسان ، واستقر به الحال فيها أربع سنوات شرح فيها البردة شرحا بديعا ، ولخص كثيرا من الكتب ، وألف فى الحساب وفى أصول الفقه ، وشرع فى كتابة تاريخه المشهور « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوى السلطان الاكبر » ثم رحل الى القاهرة سنة ٧٨٤ هـ وأقام بها مدة عينه فيها السلطان برقوق ـ حاكمها ـ قاضى قضاة المالكية ، ولكنه لم يمكث فى هذا المنصب طويلا بسبب تعصب الامراء ضده ، ولكنه انتفع كثيرا من اقامته فى مصر اذ عاصره علماء أجلاء وأدباء عظماء أمثال محمد بن الجزيرى ، ومحمد بن الشحنة ، وابن مكانس وبدر الدين البشتكى ، وابن حجر العسقلانى ، وابوبكر الزركشى ، والقلقشندى صاحب « صبح الاعشى » وغيرهم ، ثم عزل عن القضاء وسافر الى الشام مع الملك الناصر ، وعند استيلاء تيمورلنك على دمشق أسر مع من أسر ، ولكنه استطاع ان يستولى على لب تيمور حتى اتخذه سميرا له ، وفى أثناء جلوسه معه حدثه عن قصة تاريخه الكبير الذى تحدث فيه عن الوقائع بأسرها ، وطلب منه أن يأذن له بالذهاب الى مصر لاحضاره قبل ان يظفر به برقوق ، فأذن له ، وسافر الى القاهرة ولكن الاجل لم يمهله

اذ وافاه فجاة فى سنة ٨٠٨ هـ ودفن بمقابر الصوفية خارج قرافة باب النصر .

ولاهتمام الناس بتاريخ ابن خلدون قسم الى عدة كتب فكان منه ما هو فى أخبار دولة بنى الاغلب بافريقيا وصقلية الى حين استيلاء الفرنج عليها ، وتاريخ الدولة الاسلامية ، والمقدمة وهى الجزء الاول من كتاب العبر ، وذهب باسم المقدمة حتى صار علما عليها وقد طبعت عدة طبعات منها الطبعة التى اعتمدنا عليها وهى طبعة لجنة البيان العربى بتحقيق الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى وهذه المقدمة هى التى تهمنا لانها هى التى تتصل بموضوع البحث اذ عقد فيها بابا لعلم البيان ١ ١٢٦٣ وقال عنه : « انه حادث فى الملة بعد علم العربية واللغة ، وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق بالالفاظ وما تفيده ، ويقصد بها الدلالة عليه من المعانى ، ثم بين ما يشتمل عليه هذا العلم ، وجعله ثلاثة اصناف :

الصنف الاول : يبحث فيه عن الهيئات والاحوال التى تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ، ويسمى علم البلاغة ، وان اشتهر حديثا بعلم المعانى :

الصنف الثانى : يبحث فيه عن لازم اللفظ وملزومه وهى الاستعارة والكناية ، ويسمى علم البيان .

الصنف الثالث : وهو ما يبحث فيه عن تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق ، اما بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه بين الفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه أو تورية عن المعنى بايهام معنى أخفى لاشتراك اللفظ بينهما .

واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين « عـلم البيان » (انظر هامش ١٦٧٠ ص ١٢٢٩ من الجزء الرابع من المقدمة) وهو اسم الصنف الثانى عند الاقدمين ، ثم تكلم عن بعض رجال هذا الفن امثال : جعفر بن يحيى ، والجاحظ ، قدامة ، السكاكى ، فى حين انه اغفل من قبل السكاكى علماء اجلاء فى هذا الفن أمثال عبد القاهر الجرجانى ، وابن سنان الخفاجى وابى هلال العسكرى .. ثم جعل العناية بهذا الفن لاهل المشرق دون اهل المغرب معللا لذلك بان عمران الشرق أوفر من عمران المغرب ، أو أن الأعاجم وهم أغلب أهل المشرق كانوا اكثر عناية بهذا الفن من العرب فى العصور المتأخرة ، ونسب لأهل المغرب اهتمامهم بالبديع لولعهم بتزيين الالفـاظ ولسهولة ماخذ البديع .

ثم تكلم عن ثمرة علم البيان وقصرها على فهم اعجاز القرآن قائلا : (٤ : ١٢٦٦) واعلم أن ثمرة هذا الفن انما هى فى فهم الاعجاز من القرآن ، لأن اعجازه فى وفاء الدلالة منـــه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهى أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ فى انتقائها ، وجودة رصفها وتركيبها ، وهذا هو الاعجاز ـ فى نظره ـ الذى تقصر الافهام عن ادراكه ، وانما يدرك بعض الشىء منه من كان له ذوق راق وحس مرهف ، بمخالطة اللسان العربى ، وحصول ملكته ، فيدرك اعجازه على قدر ذوقه ، فلهـذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما فى ذلك لأنهم فرسان الكلام ، وجهابذته ، والذوق عندهم موجود باوفر ما يكون وأصحه ، وأحوج ما يكون الى هـذا الفن المفسرون ، وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه ، حتى ظهر جار الله الزمخشرى ، ووضع كتابه « الكشاف » فى التفسير الذى تتبع فيه آى القرآن باحكام هذا الفن بما يبدى البعض من اعجازه ، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن .وجوه البلاغة ولهذا يتحاماه كثير من اهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة ، فمن احكم عقائد السنة وشارك فى هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه او يعلم أنه بدعة فيعرض عنها ، ولا تضر معتقده ، فانه يتعين النظر فى هذا الكتاب للظفر بشىء من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادى من يشاء الى سواء السبيل (٤ : ١٢٦٦) .

والذى لاحظته على ابن خلدون بعد عرض هذا النص الذى اورده فى مقدمته عن اعجاز القرآن انه يرى أن اعجاز القرآن قائمة على بلاغته ـ ولذلك حث على الاطلاع على التفاسير التى تنهج النهج البلاغى كالكشاف ـ وبلاغته تكون وتتضح فى انتقاء الالفاظ وجودة الرصف وحسن التركيب ، وبذلك تكون بلاغة القرآن قائمة على نظمه والنظم فى سبك الالفاظ وصياغتها .

كما الاحظ عليه أن ادراك هذه البلاغة موقوف على الذوق ورقيه ، وذلك متوقف على العربية ومخالطـة اللسان العربى والحياة بين العرب والتلقى منهم والأخذ عنهم حتى تحصل الملكة القادرة ، وترتب على هذا الرأى اعتقاده بان نمو الذوق وبيان اللسان وبلاغة الكلام متوقفة كلها على البيئة فمن كان من العرب أو خالطهم فهو بليغ ، ولذلك حكم بان العرب ايام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذين كانوا يعيشون فى البيئة العربية افصح لسانا وأعظم بيانا واعلى مقاما ممن أتوا بعدهم . وانا لاأسلمله بهذامطلقا ـ حقا انفىعصر النبى صلوات الله وسلامه عليه وبيئته اناسا عاشوا فى ظل القرآن اثناء نزوله ووقت تفسيره على يد الخلفاء والتابعين ، ولكن مع هذا البيئة لم تعدم مغلق الفهم البعيد عن حسن البيان ، عريا عن الفصاحة وتلك قضية أثارها كثير من العلماء قبل ابن خلدون ، فبعضهم يرى أن الفضل للقدماء شعراء كانوا أو علماء لا يستشهد الا بشعرهم ولا يؤخذ الا برأيهم ويسار على منهجهم لانهم لم يخالطوا لسانا غير اللسان العربى أو أنهم عاصروا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو الطبقة الاولى من المسلمين ، ولذلك خلصت عقيـدتهم وصفت لغتهم وهنـاك طائفة اخرى عارضت ذلك الرأى ومنهم ضياء الدين ابن الأثير الذى اعتبره أوضح من قال كلاما فى هذه القضية (٢٤ من كتاب الاستدراك له) حيث يقول : وقد كانت العرب الذين انشأوا قول الشعر وابتدأوه ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة طبعا من غير تعلم يجيدون فى القليـــل من أشعارهم ، هذا امرؤ القيس والنابغة الذبيانى والأعشى قد قيل انهم أشعر العرب ، ومع هذا فان الردىء من اشعارهم كثير ، وليتهم خرجوا خفافا ، ومما أعجب منه فى هذا الموضع انى وجدت الائمة من علمـاء العربية يفتون مع تقدم الزمن فى تفضيل الشعراء ويتركون النظر فى فضيلة أشعارهم .

وهم فى هذا بين أمرين : اما أنهم لم يحققو معرفة علم البيان من الفصاحة والبلاغة ولا نقبوا عن أسرارهمــا اللفظية والمعنوية ، واما أنهم رأوا أن الفضيلة فى الزمن دونها كل فضيلة ، وفسروا قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « نحن الآخرون السابقون » اى نحن الآخرون زمانا السابقون فضلا ، وهـذا الحكم يقع فى كل من تأخر زمانه وتقدم فضله ، وكذلك اقول فى الشعراء ـ وكل من كان ذا صلة بالعربية وعلومهـا ـ فان من المتـأخرين من فاق الاولين ، والذى أدانى اليه نظر الاجتهاد دون التقليد أن جرير والفرزدق والاخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية ، وبينهم وبين أولئك فرق بعيد ، ثم يفضل أبا تمام والبحترى والمتنبى على الثلاثة

السابقين ثم يفضل أبا تمام على البحترى والمتنبى ، وهو فى هذا يؤمن بسنة التطور ولا شك أن من تأخر زمانه اتسعت حضارته ، ورقى احساسه واطلع على مالم يطلع عليه المتقدمون زمانا فيجتهد ويغير ويشتق ويفرع وسنة التطور تدعوه الى عدم الوقوف والجمود لدى الموروث .

وقد تخيل ان هذا الكلام لايجد قبولا من الناس فقال ...... وكأنى بسامع قولى هذا وقد ربا غيظا ، ودارت عيناه ، وليس ذلك الا محض تقليد أو جهل بمعرفة أسرار الالفاظ والمعانى ، ثم قال : « كيف تشبه المتنبى بامرىء القيس أو بمن كان فى طبقته فاقول فى جوابه : « لا شك أن امرأ القيس أو من كان فى طبقته لم يكن لاحدهم رأسان أو لسانان او لم يكن أربعة أيد أو أربعة أرجل ، ان كان النظر انما هو فى تقدم الزمان فلا شك ان اولئك افضل ، وان كان النظر انما هو فى الالفاظ والمعانى فلو عاش امرؤ القيس ، ثم مات ، ثم عاش لما أداه فكره الى تدقيق النظر فى هذا المعنى الذى أورده المتنبى فى الرثاء :

قد كان كل حجاب دون رؤيتهـــا
فمـا قنعت لها يا أرض بالحجب
ولا رأيت عيـون الانس تدركهـا
فهل حسـدت عليها أعين الشهب

وغير ذلك من الشواهد التى قارن فيها بين قول المتنبى ورأس شعراء الجاهلية .

ولم أطل فى شرح ذلك الا لأرد على ابن خلدون ومن نهج نهجه من قبل ومن بعد ممن يقصرون الفضل فى البلاغة والفصاحة فى الكلام ، والذوق وسلامته فى الشعر ، ورقة الاحساس وعذوبته على المتقدمين دون غيرهم جاعلين أهم مقياس لديهم فى ذلك هو تقدم الزمن ، وكان ردى عليه بعالم فذ وناقد حر ومتقدم عليه فى الزمن .

ولعلى بهذا أكون قد كشفت عن رأى ابن خلدون فى اعجاز القرآن البيانى الذى يراه فى بلاغة القرآن ، ومدار ادراك هذا اعجاز على الذوق القائم على مخالطة اللسان العربى وحصول ملكته .

المراكشى واعجاز القرآن :

تركت ابن خلدون وتقدمت قليلا بالفكرة فالتقيت بأبى عبد الله محمد بن أبى زيد بن عبد الرحمن المراكشى المعروف بالضرير المولود فى سنة ٧٣٩ هـ بمراكش ، والمتوفى سنة ٨٠٧ هـ فألفيته فقيها وحافظا ، ونحويا وبيانيا وشاعرا ، وفتشت فى آثاره العلمية لأرى ماهى ؟ وما صلتها بفكرة اعجاز القرآن البيانى فوجدته ألف كتبا كثيرة ـ لا بأس بها ـ منها كتاب له أثر كبير فى التاريخ بل يثبت فيه نظرية هامة فى نظره وهى الشرف الذى يصيب الانسان من جهة الأم ، ووسمه « اسماع الصم فى اثبات الشرف من جهة الأم » ابتدأ فى املائه ضحى يوم الجمعة السادس من شهر ذى القعدة سنة ٨٠١ هـ ، وأوله : « الحمد لله الذى جعل لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل الكمال » رتبه على مقدمة وستة أبواب ، فى الاستدلال على الشرف من جهة الأم بالقرآن والسنة النبوية والاجماع والنظر العقلى ، وذكر أدلة المخالفين ، والاستدراك عليها ، ثم ذكر مسائل من حقوق الشرفاء على الناس وحقوق الناس عليهم ، ومنه نسخة مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٩٨ مجاميع تاريخ (١١ أعلام المؤلفين لكحالة) .

وله كتاب آخر سماه « ترجيز المصباح فى اختصار المفتاح » للسكاكى ، ويغلب على ظنى أنه منظوم فى المصطلحات البلاغية التى تضمنها كتاب المفتاح .

وله كتاب آخر أسماه « ضوء المصباح على ترجيز المفتاح فى المعانى والبيان ، ولعله شرح لترجيز المفتاح ، وآثاره وان كانت متصلة بالفكرة الا أن الاتصال غير مباشر لأن أكثرها فى البلاغة وهى وسيلة للوصول الى اعجاز القرآن ، والذى يهمنا منها أن المراكشى من علماء البلاغة المتأخرين الذين ينهجون فى دراستهم منهج السكاكى فى الدراسة البلاغيـة ، أى المنهج المنطقى الكلامى الذى يعتمد على تقـديم المقدمات واستنتاج النتائج والتلخيصات وفرض القواعد على الشواهد ، ومما لا شك فيه ان المراكشى كغيره من علماء البلاغة الذين درسوها ليصلوا من وراء تلك الدراسة الى الكشف عن اعجاز القرآن ، ويتضح لنا ذلك من النص الذى نقله السيوطى عن شرح المصباح (الاتقان ٢ : ١٣٨) والذى يقول فيه : « الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان ، وهو كما اختاره جماعة فى تعريف ما يحترز به عن الخطأ فى تادية المعنى وعن تعقيـده ، ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال « انظر معنى كلمة بيـان فى كتابنا الصور البيانية » .

وما قاله المراكشى فيما يعرف به الاعجاز والجهة التى يتوصل بها اليه هى علم البيان والبديع والمعانى ـ وهو بذلك يخالف الباقلانى كما سبق أن قلت ـ فى عرف المتأخرين من علماء البلاغة لأن جهـة الاعجاز ليست مفردات ألفاظه ، والا لكانت قبل نزوله معجزة ، ولامجرد تاليفها والا لكان كل تاليف معجزا ، ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب معجزا ، ولا مجرد اسلوبه ، والا لكان الابتداء بأسـلوب الشعر معجزا ـ والأسلوب الطريق ـ والا لكان هذيان مسيلمة معجزا ، ولان الاعجاز يوجد دونه أى الأسلوب فى نحو قوله تعالى : « فلمـا استيأسوا منه خلصوا نجيا » وقوله : « فاصدع بمـا تؤمر » .

ومما تقدم يتضح لنا رأى المراكشى اذ يرى أن الاعجاز البيانى للقرآن بمجموع ما تقدم أى بمفرداته وتاليفها وأسلوبه ومعانيه ، كما أننا نستشف من كلامه أن هناك دليلين على اعجازه :

١ ـ دليل اجمالى : وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى .

٢ ـ دليل تفصيلى : مقـدمته التفكير فى خواص تركيبه .

ونتيجة العلم بذلك الاعتقاد بأنه تنزيل من المحيط بكل شىء علما .

وبامعان النظر فى رأى المراكشى يوقفنا على انه يتفق مع اليمنى العلوى فى أن اعجاز القرآن ببيانه ، الا انه يقيد المقصود بعلم البيان أكثر من اليمنى فهو يخرج فصاحة الالفاظ من حيز الاعجاز وهو فى ذلك يتفق مع عبد القاهر الجرجانى الذى يرى اللفظة المفردة لا قيمة لها ما لم تدخل فى تركيب ، كما أن البيان فى نظر المراكشى التادية والوضوح ومراعاة مقتضى الحال وتحسين الكلام ، وان أشار الى الصرفه الا أنه نفاها وخالف الأصبهانى الذى جمع بينها وبين البلاغة فى اعجاز القرآن .

« للبحث بقية »

أبو بكر الصديق وتمكينه للدولة الإسلامية

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

وقف أبو بكر الصديق رضى الله عنه من المرتدين موقفا حازما ، وكانت له عزيمة فى ذلك لا تعرف الكلل ، لأنه اعتبر نفسه مسئولا عن حماية الدعوة ، التى جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسئولا عن حماية الدولة الاسلامية ، التى استظلت بلواء الاسلام ، واستنارت بنوره المشرق أيام حياة رسول الله ، وتجلت فى المعارك التى نشبت بين المسلمين والمرتدين قوة ارادة أبى بكر ، وحسن ادارته للمعارك ، بل ان حزمه القوى وشجاعته النادرة فى اتخاذ قراره بقتال المرتدين ، رفع من الروح المعنوية للمسلمين ، لقد قال عمر : ان العرب لما ارتدت ومنعت شاتها وبعيرها أجمع رأينا كلنا أصحاب محمد أن قلنا لأبى بكر : ان رسول الله كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم ، وقد انقطع ذلك فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب ، فخالفهم كلهم أبو بكر وأعلن هذه الحرب على المرتدين ، ولما أرسل أمراءه للقتال أوصاهم بأن يقتصدوا بالمسلمين ويرفقوا بهم فى السير والمنزل ، ويتفقدوهم ويستوصوا بهم فى حسن الصحبة ولين القول ، وأمر قواده الا يقاتلوا أحدا ولا يقتلوه حتى يدعوه الى الله فمن استجاب لهم وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعين عليه ، ومن أبى يقاتل على ذلك ، ولا يبقون على أحد منهم قدروا عليه ، ويسبوا النساء والذرارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام .

وقد كتب الله النصر لجند المسلمين ، وكتب الهزيمة للمرتدين ، ومكن الله لدينه فى الجزيرة العربية ، وارتفعت كلمة الاسلام عالية ، ينضوى تحت لوائها جماعة آمنت بالله ربا ، وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا .. « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وان الله لقوى عزيز » .

وبعد أن انتهى أبو بكر من حروب الردة وجه قائده العظيم خالد بن الوليد ليغزو بلاد الفرس وأمره أن يبدأ بثغر الهند وهو الأبلة ، وانتدب عياض بن غنم ليغزو الفرس من الشمال ويبدأ بالمصيخ وهو شمال العراق . وقد وصل لخالد كتاب التعيين وهو باليمامة ، فكتب لصاحب الثغر وهو هرمز كتاب انذار يقول له فيه : أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ولما بلغ الكتاب هرمز بعث به الى كسرى ملك الفرس ليعلمه بهذا التهديد القوى من المسلمين الذين يسكنون هذه الجزيرة العربية ، حيث ظهر فيهم ذلك الدين الجديد ، وجمع هرمز جموعه وتوجه الى الكواظم وهى من جادة اليمامة ، فبلغه أن الجنود العربية قد اتخذت طريقها الى الحفير فأسرع يبادرهم اليه ، وهناك عبأ جيشه ، وقد تزاحف الجيشان وكان كل من خالد وهرمز فى مقدمة جيشهما ، فتبارزا ، واستوحى خالد بن الوليد هواتف اسلامه ، واستوحى العزة الاسلامية التى تأبى الهوان ، وتصر على حياة العزة والكرامة ، وأقبل يبارز هرمز ، وضربه ضربة قوية فخر صريعا ، وفر العجم يجرون أذيال الهزيمة .. ثم أمر خالد جنده بالرحيل وسار حتى بلغ قريبا من موضع البصرة ــ والبصرة لم تبن اذ ذاك ــ ثم اتجه بجنده لملاقاة جند قد أمد بهم كسرى هرمز والتقى جيش خالد بجيش العجم ، ودارت الدائرة على الوثنيين وقتل من الفرس عدد جسيم قدره الطبرى بثلاثين ألفا . واستمرت المعارك بين جيش خالد وجيش الفرس حتى حاصر أهل الحيرة وهم متحصنون بقصورهم ، ولما رأوا أن لا طاقة لهم بحرب خالد مالوا الى الصلح ، وأهدوا له الهدايا فاعتدها من الجزية بأمر أبى بكر ، وكتب لهم خالد كتابا هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا بنى عدى وعمرو بن عبد المسيح واياس ابن قبيصة وحيرى بن أطال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضى بذلك أهل الحيرة وأقروهم به ، عاهدهم على ١٩٠ ألف درهم تقبل فى كل سنة ، جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسيهم الا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها ، وعلى المنعة وان لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم وان غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة ..

ومما يذكر أن رجلا من الاعراب اسمه شويل كان أسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم ، فسمعه ذات مرة يبشر المسلمين بأن ستفتح عليهم قصور الحيرة فسأله أن يعطى من سبيهم « كرامة بنت عبد المسيح » ، فقال له عليه السلام : هى لك ، فلما رأى خالد صلحهم جعل من شروط الصلح أن يسلموا اليه كرامة فأعظم أهلها ذلك لخطرها ، فقالت لهم كرامة : دعوه فانه رجل أحمق ، رآنى فى شبيبتى فظن أن الشباب يدوم ، فأسلمونى له فانى سأفتدى منه ، فلما وصلت الى الرجل قالت له : ما أربك من عجوز كما ترى ، ثم فدت نفسها منه بألف درهم ، ولما رأى دهاقين البلاد ما تم لخالد من النصر أتوه فصالحوه ، وكتب فى مقامه بالحيرة كتابين أحدهما الى ملك فارس ، والآخر الى مرزابة الفرس ، وصورة الكتاب الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من خالد بن الوليد الى ملوك فارس ، أما بعد ، فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم لكان شرا لكم ، فادخلوا فى أمرنا ندعكم فى أرضكم ، ونجوزكم الى غيركم ، والا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ..

وصورة الثانى . بسم الله الرحمن الرحيم : من خالد بن الوليد الى مرزابة فارس ، أما بعد فاسلموا تسلموا ، والا فاعتقدوا فى الذمة وادوا الجزية ، والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر ... وكان أهل فارس فى ذلك الوقت فى ارتباك داخلى بشأن من يتولى الملك فيهم ، فلما جاءتهم كتب خالد أرادوا أن ينهوا أمر اختلافهم ، فاختاروا رجلا يولونه الملك وليس من بيته الى أن يجدوا من آل كسرى من يولونه ، واستمرت المعارك بين خالد وجنده ، وبين جيوش العجم فى مواقع متعددة ، والنصر فيها معقود للمسلمين الى أن أرسل أبو بكر كتابا الى خالد وهو فى الحج يدعوه فيه الى أن يتجه الى الشام منصرفة من حجه الى الحيرة ، وهـذا هو الكتاب الذى أرسله اليه أبو بكر :

« سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا وأشجوا ، واياك أن تعود لمثل ما فعلت » ـ وهو ذهابه الى الحج من الحيرة بدون أن يخبر ابا بكر بذلك ـ فانه لم يشج الجموع بعون الله شجيك ولن ينزع الشجى من الناس نزعك ، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، واياك أن تدل بعمل فان الله له المن وهو ولى الجزاء »

وعمل أبو بكر الصديق كذلك على تدعيم الدولة الاسلامية من جهة الشمال ، فهيأ الجيوش لافتتاح بلاد الشام ، وقد اختار أربعة من كبار القواد المسلمين وهم عمرو بن العاص ، ويزيد بن ابى سفيان . وابوعبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وتخير لكل منهم جنده ، وأمر كل واحد أن يسير بجنده من طريق سماها له ، وعين لكل منهم الولاية التى يتولاها بعد الفتح ، وسارت هذه الجيوش من الطريق التى عينها لهم يتبع بعضها بعضا ، ووصل الأمر الى هرقل وكان نازلا بحمص ، فاعد خطة لمقاتلة المسلمين وهم متفرقون فى أربعة جيوش ، فيسهل عليه التغلب على كل جيش من هذه الجيوش الأربعة ، ولما علم بذلك القواد تكاتبوا وسألوا عمرو بن العاص الرأى ، فراسلهم أن الرأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا اذا اجتمع لن يغلب من قلة واذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا فى عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا ، وهذا يدل على أصالة الرأى وبعد النظر ، فمعلوم أن التجمع قوة ، وأن التفرق ضعف ، والأمة الاسلامية فى أطوارها التاريخية المختلفة لم تؤت من ايمانها فايمانها قوى بحمد الله ، ولم تؤت من قلة سلاحها فسلاحها موفور ، ولم تؤت من ضيق ذات يدها ، فطالما عاشت وهى موسع لها فى الارزاق ، الا انها أوتيت من تفرقها ، وهذا التفرق الذى يشبه السوس وهو ينخر فى الأجساد الصلبة فيفتتها ويجعلها هباء ..

واستحسن القواد رأى عمرو بن العاص واتعدوا اليرموك ليجتمعوا به ، وكتبوا الى أبى بكر بمثل ماكاتبوا به عمرو ، فجاءهم كتابه بمثل رأى عمرو وأمرهم أن يجتمعوا باليرموك متساندين وأن يصل كل رجل بأصحابه ، بلغ ذلك هرقل فكتب الى قواده أن اجتمعوا ، فاجتمعوا ونزلوا بالروم منزلا واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب ، وقد استنجد المسلمون بأبى بكر فكتب الى خالد ـ وكان بالعراق ـ ليلحق بهم ، وأمره أن يخلف على العراق المثنى بن حارثة بمن استخلص من جند العراق وهم نحو عشرة آلاف ، وصادف وصول خالد مع جيشه ، وصول امدادات عظيمة من الروم .

جاء خالد فوجد المسلمين يقاتلون وكل امير يحرك جنوده مستقلا عن غيره ، فجمع الأمراء وخطب فيهم قائلا : ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا اليوم له مابعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وانتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغى ، وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبته ، قالوا : فهات فما الرأى قال . ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى أننا سنتياسر ، ولو علم الذى كان ويكون لكان قد جمعكم ، ان الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم ، وانفع للمشركين من امدادهم ، ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لاينقصه منه ان دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ، هلموا فان هؤلاء قد تهيئوا وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا ، والاخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعونى اليكم اليوم ، فأمروه ، فعبى خالد الجيش تعبية فنية حربية ، وقال رجل لخالد ، ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فقال خالد ، ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، ودارت المعركة جيش المسلمين يقاتل من أجل العقيدة والمبادىء والمثل العليا ولترتفع راية الحق ، وجيش هرقل يقاتل من أجل الشيطان وكيده .. ودارت الدائرة على جيش الشرك ، ولما بلغ هرقل انهزام جيشه هـذه الهزيمة المنكرة وهو دون حمص ارتحل عنهـا وهو يقول : سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده .

وفى أثناء هذه الموقعة جاء بريد المدينة وفيه خبر وفاة أبى بكر وخلافة عمر بن الخطاب ، وعزل خالد عن امارة الجيش وتولية أبا عبيدة قائدا عاما مكانه ، وكانت مدة خلافة أبى بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقد ترك الدنيا ودولة الاسلام عزيزة الجانب ، قوية البنيان ، يعمل لها أعداء الدين الف حساب ، ويخشون بأسها ، ويرهبون قوتها ـ ان هذه المدرسة التى تربى فيها أبو بكر هى مدرسة محمد أبى عبدالله الذى اخرج من البادية المقفرة اروع فنون الحضارة ، وجعل من كهوف المعوزين انبعاثا لتقدم حضارى لم يشهد التاريخ له مثيلا ، وجعل من عباد الحجر روادا للبشر ، هذه المدرسة المحمدية منهاجها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، واذا أراد المسلمون الآن أن يكتب لهم النصر على أعدائهم فى كل بقعة من بقاع العالم الاسلامى فليجلسوا فى مدرسة محمد بن عبد الله ، وليتخلقوا باخلاق القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ليملؤا قلوبهم ثقة بنصر الله ، والله ينصر الصادقين المجاهدين ، « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » . وصدق الله العظيم وعده حيث قال « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

علامات مضيئة على الطريق

« لقد كان شرفا لى ان احمل العلم . لكنني امامكم أؤكد بأن الشرف الاكبر لى يكون يوم اسلم العلم الى طلائع جيلنا الجديد ‥ ان امامنا الان عدة مهام ، هى وحدها مبرر البقاء فى تحمل المسئولية »

« من خطاب الرئيس جمال عبدالناصر فى مجلس الامة بعد ترشيحه بالاجماع رئيسا للجمهورية فى ٢٠ يناير سنة ١٩٦٥ »

التقى قائد الثورة وزعيمها بممثلي الشعب أعضاء مجلس الامة فى ٢٠ يناير من مطلع هذا العام ، بعد ترشيحه بالاجماع رئيسا للجمهورية للسنوات الست المقبلة ، وحدد خمسة أهداف كمخطط عمل جديد يلتزم به ويسير عليه ، ليحقق لامته وابناء شعبه تقدما جديدا نحو مستقبل رغد سعيد ، ملخصا فى هذه الاهداف التى هى بمثابة علامات مضيئة على طريق المستقبل ـ السياسة التى يلتزم الزعيم القائد بها نفسه لتحقيقها وتنفيذها فى فتره الرئاسة الجديدة التى أصر « الشعب القائد » على أن يضع فيها زعيمه وقائد ثورته .

وكان لقاء ابن الشعب وزعيمه وقائده بممثلى الشعب امتدادا طبيعيا للقاءاته المتعددة المباشرة مع ابناء شعبه الذين تعودوا من القائد الزعيم ان يشرح لهم فيها تفاصيل العمل السياسي والاجتماعى الذى يباشره نيابة عنهم وباسمهم فى الداخل والخارج ، ويقدم لهم فى كل لقاء كشف حساب عن المنجزات التى تمت وعن المشروعات والخطط موضع التنفيذ او التى ستنفذ فى المستقبل .
كما ان هذا اللقاء كان امتدادا للقاء صانع السلام بممثلى الشعب فى ٢٦ مارس ١٩٦٤ ـ فى جلسة افتتاح مجلس الامة ـ التى قدم لهم فيها منجزات الثورة منذ قيامها فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى لحظة انعقاد المجلس فى ذلك التاريخ ، وشرح لهم فى ذلك اللقاء كيف تم تحقيق مبادىء الثورة الستة التى اختطتها الثورة لنفسها اساسا للعمل السياسى والاجتماعى فى الداخل والخارج .

وقد ناقشنا فى مقالات سابقة تفاصيل هذه المبادىء وكيفية تحقيقها وتنفيذها ، واليوم نلقى بعض الاضواء على الاهداف الخمسة التى وضعها الرئيس عبد الناصر كمخطط عمل جديد للسنوات الست القادمة لنستطيع تفهم طبيعة هذه المرحلة الجديدة فى حياتنا ونسير على الطريق الجديد بوعى وفهم عميقين ، وبايمان واصرار وعزم .

الهدف الاول هو تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ، وقد حدد الزعيم القائد هذا الهدف بانه « المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب عيوننا فى المرحلة القادمة » . ان تمهيد الطريق لهذا الجيل الجديد للوصول الى مواقع القيادة هو الضمان الوحيد لاستمرار الثورة بكل المكاسب التى حققتها فى شتى الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية .. وهو ايضا ضرورة حتمية لضمان استمرار النضال الذى تفرضه متطلبات القيادة ، وليتسنى مواصلة حمل الامانة والتقدم بها الى الامام ..

كما ان اعداد طلائع هذا الجيل الجديد وانضاجه تحت نيران المعارك السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية يعتبر بمثابة ضمان كاف لكى يستطيع حمل العلم والتقدم - بخطى راسخة - الى مواقع قيادة النضال فى ثبات وعزم واصرار ، وبذلك « يصل الى مكانه الطبيعى والشرعى اكثر وعيا واكثر صلابة واكثر طموحا من جيل سبق » .

والهدف الثانى هو مواصلة تنفيذ الخطة الى مرحلة زراعة ارض السد العالى وبناء الصناعات الثقيلة لتكون أساسا ماديا واساسا من الخبرة يدفع الطموح الى خطة اخرى متصلة لمضاعفة الدخل القومى باستمرار .. مرة على الاقل كل عشر سنوات ..

وكان تحديد هذا الهدف على هذه الصورة ، اننا بعد ان انجزنا الجزء الاول من الخطة الاولى لمضاعفة الدخل القومى - وذلك بتنفيذ برنامج السنوات الخمس الاول - نكون قد بدانا المرحلة الثانية من خطة مضاعفة الدخل ، وهى بداية تنفيذ برامج السنوات الخمس التالية - مرحلة الصناعات الثقيلة - فبرامج الصناعة التى تحققت فى السنوات الخمس الاول لابد لنا ان ندعمها بقفزة كبيرة الى الامام ، لنضمن لها الاستمرار والتقدم والتطور ، وذلك بانشاء الصناعات الثقيلة : وهى هدف الخطة القادمة التى بدات هذا العام .

يقول الزعيم القائد موضحا : « ان الصناعة الحقيقية هى الصناعة التى تستطيع ان تبنى الالات للمصانع الجديدة .. وتلك هى الصناعة الثقيلة » .

فلكى نؤكد الصناعة والتصنيع الذى بداناه فى بلادنا من خلال تنفيذ برامج الخطة الخمسية الاولى ، ولكى نضمن التطور والتقدم لهذه الرغبات الجديدة يجب علينا ان نضمن بقاءها ومسايرتها لوسائل التقدم العلمى الحديث ولن يتاتى ذلك لنا الا بانجاز برامج الخطة الخمسية التالية - التى بداناها فعلا - وهى اتمام بناء الصناعات الثقيلة ، لمد هذه المصانع وتلك الصناعات - التى حققناها واقعا على ارضنا - بالمعدات والوسائل الكفيلة باستمرارها وبقائها .. وبذلك نكون قد اكدنا التحول الصناعى العظيم فى بلادنا .. نحو الصناعة والتصنيع .

اما الهدف الثالث فهو يرمى الى تاكيد قيم المجتمع الجديد ، مجتمع الاشتراكية والكفاية والعدل ، واستقرار هذه القيم ورسوخها فى النفوس ، نضمن مواصلة السير قدما الى الامام دون ادنى انحراف ، ويحدد الزعيم القائد هذا الهدف بقوله : « ان نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من ان تستقر فى الارض وترسخ ، وتصل بجذورها الى اعماق حياتنا .. حتى يستطيع ما نزرعه الان ان يصمد للرياح بغير انحراف او اعوجاج » .

فالثورة التى ارست مبادىء هذا المجتمع الجديد وقيمه ، هى ثورة الشعب وارادته ، وفيها تتركز مصالحه ولذلك يجب حمايتها ، لان ذلك يعنى حماية الشعب . ويضمن سلامة الثورة ويؤكد سلامة الممارسة الديموقراطية للعمل الثورى « ان العمل الثورى ليس له أن يخشى الخطأ ، ان الخطأ والصواب معا جناحا التجربة ، وانما الذى يخشاه العمل الثورى هو الانحراف »

لذلك يجب ان نؤمن هذا العمل ، ونسهر على حمايته ويتحقق وذلك بان يكون كل منا رقيبا على نفسه وعلى عمله فى حدود قيم مجتمعنا الاشتراكى الجديد واهدافه .

ثم ننتقل الى الهدف الرابع الذى يتلخص فى « تحقيق الحرية والوحدة على الارض العربية » ، وسبيل ذلك هو حشد المزيد من الجهد من اجل تحقيق الوحدة العربية بمضمونها التقدمى وكذلك تحقيق سيادة الامة العربية السياسية والاقتصادية على كل شبر فى الارض العربية ، واليقظة التامة والعمل ضد مؤامرات الاستعمار فى منطقتنا العربية وضد صنيعته اسرائيل .

ويتفق هذا الهدف مع دستورنا ومع تاريخ الامة العربية اذ اننا جزء لا يتجزأ من الامة العربية .. نشترك فى التاريخ واللغة والنضال والمصير والامال .. وان كان الجزء الاكبر من المسئولية فى هذه المرحلة لم يزل يقع على عاتقنا .

واخيرا ، ان الوحدة ليست نداء يردد أصداء الماضى ، وانما الوحدة العربية أصلا واساسا هى نداء بالمجتمع .. وانطلاق الى بناء المستقبل وتوفير رخائه .

ثم نصل الى آخر هذه الاهداف ، وهو مواصلة العمل من أجل نصرة حركات التحرير الوطنية فى كل القارات لدعم السلام العالمى ، وذلك لان الامة العربية - التى نحن جزء منها - لا تعيش فى عزلة عن العالم ، بل تتاثر به كما يؤثر فيها .. وأبسط الامثلة على ذلك ان « مصر بالذات قد تعرضت لغارات العدوان الثلاثى من قواعد تبعد عنها آلاف الاميال » .

وفى العصر الحديث عادت الامة العربية لتحتل مكانها الطليعى فى العالم ، حاملة لواء رسالة السلام ايمانا منها « باستحالة الحرب العالمية بسبب الخطر النووى » .

واخيرا كما يقول الزعيم القائد : « اذا كان الشعب المصرى فى هذه المرحلة يحمل النصيب الاوفى من هذه المسئولية العربية العالمية ، اصالة عن نفسه وتعبيرا عن أمة ، فليس ذلك فى واقع الامر مجرد تطوع وتبرع من اجل المبادىء وحدها .. وانما هو - الى جانب ذلك - ضرورة أمن فى عالم ضاعت فيه المسافات واختفى اثرها » .

حول آراء المستشرقين عن العلاقة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني

دكتور صوفي حسن أبو طالب

ذهب بعض المستشرقين الى القول بأن بعض الافكار القانونية الرومانية تسربت الى الفقه الاسلامى عن طريق مؤلفات السريان النصارى . ومما لا شك فيه أن السريان قاموا بدور كبير فى حركة النقل والترجمة التى بدأت فى العصر الأموى وازدهرت فى العصر العباسى . فبعد انتشار المسيحية واشتداد الجدل بين الفرق المسيحية استعان كتابهم بكتب المنطق والفلسفة الاغريقية لتدعيم آرائهم وحججهم مما أدى الى ترجمة كثير من كنوز الفكر الاغريقى الى اللغة السريانية ، لغة جميع الكتاب النصارى حينذاك . وقد عاشت الآداب السريانية منذ القرن الثالث الميلادى حتى القرن الرابع عشر وان كانت أهميتها تضاءلت أمام غلبة اللغة العربية بعد انتشار الاسلام . ومعظم الذين قاموا بالترجمة كانوا من الرهبان . ولم يكتف المترجمون بالنقل الى اللغة السريانية بل أسهموا بنصيب كبير فى حركة الترجمة الى اللغة العربية . فترجموا كتب المنطق والفلسفة والكيمياء والطب ... الخ . ولكن التاريخ لم يذكر لنا أنهم قاموا بترجمة كتب فى القانون الا فى عصر متأخر بعد نضوج الفقه الاسلامى ولم يؤلفوا كتبا قانونية الا بعد القرن الثالث عشر الميلادى وكانوا فيما ألفوه متأثرين بالفقه الاسلامى وليس بالقانون الرومانى .

وقد ذهب بعض المستشرقين (منهم المستشرق الايطالى كاروزى) الى أن السريان قاموا بترجمة كتاب مشهور يعرف بأسم الكتاب السورى الرومانى الى اللغة السريانية

منذ أواخر القرن الخامس الميلادى أو بداية القرن السادس . وافترضوا أن الفقهاء المسلمين اطلعوا على هذه الترجمة السريانية وانهم يعرفون هذه اللغة . ولكن الأبحاث الأخيرة التى قام بها اثنان من مشاهير المستشرقين هما الأستاذ « فيجمود والأستاذ فاللينو » دلت على عدم صحة هذا الاستنتاج . فقد انتجت أولهما أن الفقهاء المسلمين كانوا يجهلون اللغات الأجنبية ومن بينها اللغة السريانية . وأثبتت ثانيتها أن الترجمة السريانية للكتاب السورى الرومانى لم تحدث الا فى أواخر القرن الثامن الميلادى فضلا عن أن هذا الكتاب لم يخرج عن كونه كتابا مدرسيا احتوى على القانون الرومانى القديم وحده وأن الترجمة افتقرت على جزء يسير منه ومن المعروف أن لبنات الفقه الاسلامى وضعت فى عهد الصحابة والتابعين واكتمل بناؤه على أيدى المدارس الفقهية الأربع المشهورة . ومن المعروف أيضا أن أبا حنيفة توفى عام ٧٦٧م وأن تلميذه أبا يوسف ولد بين عامى ٧٣١ و ٧٣٢ وتوفى عام ٧٩٨ وأن تلميذه محمدا قد ولد بين عامى ٧٤٩ و ٧٥٠ وتوفى عام ٨٠٤ ميلادية . ومعنى ذلك ان الترجمة السريانية للكتاب السورى الرومانى ـ بافتراض معرفة الفقهاء المسلمين للغة السريانية ـ قد حدثت بعد نضوج فقه المدرسة الحنفية ـ مدرسة الراى ـ ولم يقتصر الأمر على مدرسة الحنفية ذلك أن مذهب الأوزاعى ومدرسة الامام مالك قد اكتملا قبل الترجمة المذكورة . اذ ان الأوزاعى قد ولد عام ٧٠٧ وتوفى عام ٧٧٤ ميلادية والامام مالك قد ولد عام ٧١٥ وتوفى عام ٧٩٥م .

وترتب على هذه الابحاث التى قام بها الأستاذ الايطالى نالينو أن أصبح الرأى القائل بتأثر الفقهاء المسلمين عن طريقة الترجمة السريانية للكتاب السورى الرومانى رأيا مهجورا من جانب المستشرقين أنفسهم .

أما الترجمة العربية لهذا الكتاب فقد حدثت عام ١١٠٠م ونسبه مترجموه الى الاباطرة المسيحيين قسطنطين ونيودوز وليون .. ولذلك كانت هذه الترجمة عديمة الأثر فى الفقه الاسلامى الذى نضج واكتمل قبل ذلك بما يزيد عن قرنين من الزمان .

هل يمكن القول بأن الفقه الاسلامى تأثر بمؤلفات رجال الدين النصارى وأن هذه المؤلفات تأثرت بالقانون الرومانى ؟

لم يستشعر النصارى والذميون ـ بصفة عامة ـ الحاجة الى مؤلفات قانونية لحكم العلاقات بينهم . ولم يبدأوا فى تأليف كتب قانونية خاصة بهم الا منذ القرن الثالث عشر . ولعل هذا التأليف يرجع الى أثر الحروب الصليبية وتكوين الامارات المسيحية فى الشام وتغذية النزعة الانعزالية بين المسيحيين فى الشرق من جانب دول أوربا المسيحية .

فقبل الحروب الصليبية كانت الشريعة الاسلامية هى الطبقة فى البلاد الخاضعة للسيادة الاسلامية وهى المسماة دار الاسلام . أما البلاد الخارجة عن نطاق السيادة الاسلامية وتسمى دار الحرب ، فكانت لاتطبق فيها النظم الاسلامية . والمبدأ السائد فى الفقه الاسلامى هو مبدأ اقليمية القانون فى دار الاسلام . ومعنى ذلك أن كل السكان سواء كانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين (وهم رعايا الدول فى دار الحرب الذين يفدون الى البلاد الاسلامية) يخضعون للشريعة الاسلامية فى معاملاتهم ويختص القاضى المسلم بالفصل فى خصومتهم . ويرد على هذا المبدأ عدة استثناءات أهمها : ١ ـ يخضع الذميون فيما يتعلق بالزواج لشريعتهم . فان تخاصموا ورفعوا أمرهم الى القاضى المسلم التزم بتطبيق أحكام شريعتهم ٢ ـ اباحة التعامل فى الخمر والخنزير بين الذميين ٣ ـ يجوز للمتنازعين من الذميين ـ باتفاقهم الاختصام الى اشخاص من دينهم فان لم يتفقوا على الاحتكام الى شخص ثالث عاد الاختصاص الى القاضى المسلم . وهذا الاحتكام ليس من باب الاعتراف للذمى بولاية القضاء بل من قبيل التحكيم ، وهو حق معترف به للمسلم وغير المسلم . وفى حالة احتكام الذميين الى غير القاضى المسلم فان الحكم يحكم بينهم طبقا للقواعد الواردة فى

الانجيل وما تقرره المجامع الكهنوتية فيما يتعلق بنظام الأسرة ، وفيما عدا ذلك جرى العمل على تطبيق مبادىء العدالة فى بعض الحالات وقواعد الشريعة فى معظم الحالات سواء فى ذلك المعاملات المالية أم الارث ..الخ».

ولو تتبعنا النشاط الفقهى للكنائس المسيحية لما عثرنا على نشاط يذكر قبل القرن الثالث عشر ولوجدنا أن مؤلفاتهم كانت بعيدة عن التأثر بالقانون الرومانى ومطبوعة بطابع الفقه الاسلامى . ومن المعروف ان اهم الفرق المسيحية فى الشرق كانت الفرق الأربع الاتية : الملكانية ، اليعاقبة ، المارونية والنسطورية ».

الكنيسة الملكانية : كانت السريانية هى لغتها ثم حلت العربية محلها . وانحصر النشاط القانونى لهذه الكنيسة فى ترجمة بعض الكتب وتأليف البعض الآخر ».

فقد ترجمت الكتاب السورى الرومانى الى اللغة العربية عام ١١٠٠م . ونقلت من الاغريقية الى العربية كتاب « الوجيز » فى القوانين للامبراطور بازيل (حكم فى المدة ما بين ٨٧٠ ـ ٨٧٨م) فى القرن الثالث عشر . والمؤلف الوحيد الذى خلفته هذه المدرسة عبارة عن كتاب فى الارث باللغة السريانية فى القرن الثالث عشر ثم ترجم الى اللغة العربية .

الكنيسة اليعقوبية : كان لهذه الكنيسة اتباع فى مصر والنوبة والحبشة وبعض بلدان آسيا . ولم يكن لاتباع هذه الكنيسة فى مصر أثر يذكر فى الناحية القانونية فضلا عن هجرهم للسريانية واستعمالهم للعربية وانحصر اثرهم فى كتاب عن الارث الفه البطريق جبريل فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى ولكن اقباط مصر لم يرضوا بنظام الارث الذى اقترحه واستمروا يطبقون الشريعة الاسلامية . والكتاب الثانى من وضع ابن العسال وقد تعرض فيه لسائر فروع القانون وكتبه باللغة العربية فى منتصف القرن الثالث عشر . **وقد اعتمد واضعه على فقه المدرسة المالكية والكتاب السورى الرومانى والقواعد التى وضعتها المجامع الكنسية . ولكن هذا الكتاب لم يكن له ادنى أثر من الناحية العملية اذ استمر أقباط مصر يطبقون الشريعة الاسلامية .**

أما اتباع هذه الكنيسة فى آسيا فقد أسفر نشاطهم القانونى عن مؤلف وحيد كتب باللغة السريانية فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى من وضع راهب يدعى ابن العبرى ، (توفى عام ١٢٨٦) . وقد تعرض هذا الكتاب لسائر فروع القانون ويعتبره المؤرخون من الكتب الرئيسية فى القانون السريانى ولكن أجزاء هذا الكتاب ـ فيما عدا الجزء الخاص بالمواريث ـ عبارة عن ترجمة مختصرة لكتاب الفقيه الشافعى المعروف الامام الغزالى ».

الكنيسة المارونية : تأسست هذه الكنيسة فى سوريا وانتشر اتباعها فيها وكانوا يستعملون اللغة السريانية فى بادىء الأمر ثم حلت العربية محلها . ولم تخلف لنا هذه الكنيسة أى نشاط قانونى يستحق الذكر سوى مؤلف باللغة العربية اسمه « كتاب الناموس » فى القرن الثالث عشر الميلادى ». وقد اعتمد مؤلفه على الفقه الاسلامى .

الكنيسة النسطورية : تأسست هذه الكنيسة فى القرن الخامس الميلادى فى العراق حيث انتشر اتباعها فيها وفى بلاد الفرس ».

وكانت تستعمل لغتين: اللغة الفهلوية واللغة السريانية . ومن المعروف أن العراق كان بعيداً عن دائرة نفوذ القانون الرومانى اذ كان يخضع لحكم الفرس .

وأول مؤلف قانونى ظهر لهذه الكنيسة يرجع تاريخه الى منتصف القرن السادس الميلادى . وكان عبارة عن كتيب صغير عن موانع الزواج باللغة السريانية . وبعد ذلك بحوالى قرن من الزمان ظهر مؤلف ثان باللغة الفهلوية عن نظام الارث ». وفى أواخر القرن السابع الميلادى ظهر كتيب صغير عن نظام الزواج والمواريث . وهو عبارة عن تجميع للقرارات التى أصدرها المؤلف باعتباره بطريقا (وكان يدعى حنيشع) فى قضايا الزواج والارث ». وأهم كتاب لهذه الكنيسة ظهر فى

الفترة ما بين عامى ٧٧٥ و ٧٩٠م وقد كتب باللغة الفهلوية ثم ترجم الى اللغة السريانية.
وهو يمتاز بدقته العملية وتعرضه لسائر فروع القانون ». وقد أشار مؤلفه الى عدم وجود قانون موحد بالنسبة لنصارى الشرق وعدم وجود تقاليد قانونية معروفة بينهم والكتب السابقة على هذا الكتاب – كما سبق القول – لم تتعرض الا لمسائل جزئية تتعلق بالزواج والارث ، وهذان النظامان – كما هو معروف – يختلفان تماما عن نظيرهما فى القانون الرومانى . ولذلك لسنا فى حاجة الى القول بأنهما تأثرا بالقانون الرومانى عن طريق مؤلفات هذه الكنيسة مع افتراض علم رجالها بقواعد القانون الرومانى . أما الكتاب الأخير الذى وضع بين عامى ٧٧٥ و ٧٩٠ فهو من تأليف يوشع بخت ، وقد تأثر مؤلفه بالقانون الفارسي ومؤلفات الفقهاء المسلمين ، اذ كان فقه مدرسة ابى حنيفة والأوزاعى قد اكتمل ونضج فى ذلك الوقت ».

واهم كتاب وضع بعد ذلك هو كتاب فقه النصرانية ، وهو – مثل غيره من الكتب التى ظهرت – قد تأثر بالفقه الاسلامى .

نخلص مما تقدم الى أن الفرق النصرانية المختلفة لم يكن لهـا أدنى تأثير فى الفقه الاسلامى . ذلك ان المؤلفات القانونية المترجمة او التى وضعت فى ظل الكنائس الشرقية المختلفة ظهرت فى تاريخ لا حق لنضوج الفقه الاسلامى لدرجة أن مؤلفيها قد تأثروا به . أما المؤلفات القانونية التى ظهرت فى تاريخ سابق على الاسلام فهى لا تتجاوز مؤلفين صغيرين لم يتعرضا الا لموانع الزواج والارث. وهذان المؤلفان كتبا باللغة الفهلوية على يد رجال الكنيسة النسطورية التى نشأت بعيدا عن نفوذ القانون الرومانى فضلا عن جهل الفقهاء المسلمين بهذه اللغة . ويظهر بجلاء عدم تأثر الفقهاء المسلمين بفقه الكنيسة النسطورية من الاختلاف البين بين نظامى الارث والزواج فى كلا القانونين .

الإسلام والتقاليد الافريقية
تعدد الزوجات

الدكتور محمود سلام زناتي

تعدد الزوجات من أكثر النظم شيوعا فى افريقية . فلا نكاد نجد شعبا من شعوبها تحرم تقاليده اتخاذ الرجل زوجات متعددات . بل ان التقاليد الافريقية لا تضع حدا أقصى لعدد النساء اللاتى يجوز للرجل الجمع بينهن . وهناك من الاخبار مايفيد أن كثيرا من الملوك وشيوخ القبائل كان الواحد منهم يحوز المئات بل الآلاف من النساء . الا أن هذه الاخبار تنطوى على شىء غير قليل من المبالغة فضلا عن أنها تتضمن خلطا بين النساء اللاتى يشغلن مركز الزوجات بالمعنى الدقيق وأولئك اللاتى لسن أكثر من اماء أو خادمات . وأيا كان الامر بالنسبة للملوك وشيوخ القبائل ، فان الفرد العادى نادرا ما يجمع بين أكثر من زوجتين !وثلاث فهناك اعتبارات متعددة ، لا مجال لتفصيلها هنا ، من شانها أن تجعل تعدد الزوجات أمرا غير هين .

ويلجأ الافريقيون الى تعدد الزوجات لعديد من الأسباب . فهناك الرغبة فى الحصول على ذرية وهى لديهم رغبة ملحة تفرضها ضرورات اجتماعية واقتصادية ودينية وهناك الاعتقاد الشائع فى خطورة معاشرة الزوجة أثناء الحمل وفى فترة الرضاع وهو الامر الذى أدى الى تحريم التقاليد اتصال الزوج بزوجته فى هذه الأوقات أى لفترة تتراوح بين سنتين وثلاث سنين وهناك التقليد الذى يتطلب من القريب أن يخلف قريبه الميت على أرملته .

ويؤدى تعدد الزوجات فى المجتمع القبلى الافريقى وظيفة على جانب كبير من الأهمية فهو من ناحية يستتبع امتصاص العدد الفائض من الأناث ومن ثم يقضى على أحد الأسباب الرئيسية لانحلال الأخلاق وفسادها . وهو من ناحية أخرى يتيح لكل فتاة فرصة الزواج وانجاب ذرية وتكوين أسرة ، ولذلك فان المجتمع القبلى لايكاد يعرف العوانس من الفتيات .

وقد تعرض تعدد الزوجات فى جهات كثيرة من القارة الافريقية لهجوم شديد من جانب المبشرين المسيحيين . فقد ناصبته البعثات التبشيرية المسيحية العداء منذ أن وطئت أقدامها أرض القارة وحاولت القضاء عليه بكل وسيلة . فالمبشرون يرون فى تعدد الزوجات نظاما يهدر كرامة المرأة ويحط من قدر الانسانية لاعتقادهم ان الرجل لايلجأ اليه الا بدافع الرغبة الجنسية ولذلك نظروا اليه باعتباره تقليدا آثما يطلق العنان لشهوات الرجل ويتملق فيه أحط غرائزه . والمبشرون والمسيحيون فى حملتهم على تعدد الزوجات ويصدرون عن فكرة مقتضاها أن التقاليد والعادات الأوربية هى وحدها التى تتفق ومبادىء الأخلاق وهى وحدها بالتالى الجديرة بالبقاء ، وأن ما يغايرها من تقاليد وعادات الشعوب الأخرى انما هى تقاليد همجية وعادات وحشية لاتتفق والمدنية ومن ثم يجب القضاء عليها . ورغبة فى تحقيق هدفها تتطلب الكنائس المسيحية من الافريقى متعدد الزوجات الراغب فى اعتناق المسيحية الاحتفاظ بزوجة واحدة والتخلى عن الزوجات الأخريات . كما تقتضى من الافريقى الذى اعتنق المسيحية وليست له سوى زوجة واحدة التخلى عن كل أمل فى اتخاذ زوجة ثانية والا عوقب بالطرد من عضوية الكنيسة .

ولقد لقيت البعثات التبشيرية المسيحية فى محاربتها تعدد الزوجات ومحاولتها فرض وحدة الزوجة مقاومة شديدة من جانب الافريقيين رجالا ونساءا على حد سواء . ومن المؤكد أن محاربة المبشرين تعدد الزوجات هو أحد العوائق الهامة فى سبيل انتشار المسيحية فى افريقية رغم ما يبذل من أجل ذلك من جهود جبارة وما ينفق من أموال ضخمة . وقد يعتنق الافريقى المسيحية ويظل مع ذلك مؤمنا بتعدد الزوجات معتقدا فى قرارة نفسه أنه لايتعارض مع مبادئها . بل ان

معارضة الكنائس الاوربية لتعدد الزوجات كانت من الأسباب التى دفعت الافريقيين فى جهات متفرقة من القارة الى الانفصال عن الكنائس الأوربية ، وتكوين كنائس مستقلة تسمح تعاليمها بممارسة تعدد الزوجات والمبشرون فى حملتهم على تعدد الزوجات وفى سعيهم الى القضاء عليه لايبالون بما يؤدى اليه ذلك من مفاسد وأضرار فردية وجماعية . فاصرار المبشرين على ضرورة تخلى الافريقى ، الراغب فى عضوية الكنيسة ، عن كل زوجاته ماعدا واحدة يستتبع هدم أسر كانت سعيدة هانئة ويشرد نساء كانت تحيا حياة هادئة مطمئنةويضيع اطفالا كانت تحوطهم رعاية آبائهم وأمهاتهم . كما أن محاربة تعدد الزوجات تفضى الى انتشار التحلل الجنسى وفساد الأخلاق .

هذه الصورة لموقف الافريقيين من محاربة تعدد الزوجات والمفاسد والشرور التى يستتبعها نشاط البعثات التبشيرية المسيحية بخصوصه صورة رسمتها ،يدى مؤلفين غربيين مسيحيين ، منهم من مارس التبشير زمنا على أرض القارة . وفى اعتقادنا أنه من الخير لنا نحن المسلمين أن نستعرض هذه الكتابات وأمثالها وأن نتدارسها ونستخلص منها ما تحويه من عبرة .

يتحدث هتشنسون (فى مقال له منشور فى مجلة AFYICA عام ١٩٥٧) عن موقف بانتو جنوب افريقية من محاربة تعدد الزوجات فيقول « ان تبنى رجال البانتو لنظام وحدة الزوجة كان تضحية بالغة فى حالة عدم وجود أولاد من الزوجة الأولى . ففى ظل التقاليد كانت تعلق أهمية كبيرة على استمرار الأسرة . والرجل من البانتو الذى يعتنق المسيحية وتكون زوجته - يجد نفسه تحت ضغط شديد من جانب التقاليد من أجل البحث عن زوجة أخرى لاستمرار أسرته . وفى مثل هذه الظروف كان معتنقوا المسيحية حتى المخلصون منهم على استعداد لمخالفة تعليمات الكنيسة الى حد اتخاذ زوجة أخرى . ويصرون على ذلك حتى ولو كان الجزاء عليه الطرد من الكنيسة ومن مركز التبشير .

ثم يوضح هتشنسون المفاسد التى كانت تترتب على هذا الوضع فيقول « وتنقلب المشكلة بالنسبة لنساء البانتو اللاتى اعتنقن المسيحية بينما لم يعتنقها أزواجهن فقد يرفض الزوج تسريح زوجته المسيحية أو التصرف فى زوجاته الأخريات بحيث تستطيع العيش معه دون مخالفة تعليمات الكنيسة . وفى حالات غير نادرة كانت الزوجة التى اعتنقت المسيحية تهجر زوجها وتأخذ معها أولادها نظرا لانه لم يكن يرحب بها دائما فى بيت أبيها كانت النساء تتجه الى المبشرين طلبا للمساعدة أو تنساق الى المدن . ومن سخرية القدر انهن كن يعشن فى حالة زنا أو يصبحن عاهرات . »

ويتحدث هاريس عن نتائج محاربة البعثات التبشيرية المسيحية لتعدد الزوجات فى الكونجو وغرب افريقية ، فيقول ان الكنيسة تواجهها فى تعدد الزوجات مشكلة تستعصى فى الوقت الحاضر على الحل فالتقليد جزء لا يتجزأ من الحياة الافريقية ، بحيث ان اعتناق المسيحية يستتبع بالنسبة لمعتنقها نهاية فجائية لعاداته ، تتجاوز آثارها الفرد نفسه . فاحدى الصعوبات تتعلق بالزوجات المنبوذات . ففى احدى الارساليات فى جنوب نيجيريا اذا اعتنق رجل الديانة المسيحية طلب اليه أن يدعو زوجاته معا ويشرح لهن وضعه ثم يختار واحدة ويتخلى عن الاخريات ، ويستمر فى الانفاق عليهن . ويعلق على ذلك بقوله ان هذا الوضع ينطوى على ظلم وتترتب عليه فى كثير من الحالات نتائج مؤسفة فالنساء اللاتى تبذن على هذا النحو ينظرن الى أنفسهن باعتبارهن منبوذات ، حيث فقدن عطف أزواجهن ، وهن لذلك موضع هوان . وقد قيل لى انه كثيرا ما تصبح تلك النسوة عشيقات بصورة ليست مؤقتة أو دائمة لرجال آخرين ، لا يتوانون عن اهانتهن بأنهن منبوذات من المجتمع . ولاشك أن النسوة اللاتى نبذن على هذا النحو يجدن فى حالات استثنائية أزواجا بين الأعضاء الغراب فى المجتمع التابع للكنيسة لكن حتى هؤلاء وأباؤهم بصورة خاصة ليسوا ميالين دائما الى قبول امراة نبذت بواسطةرجل اخر ، زوجة لابنهم . ويضيف هاريس الى ما تقدم أن هناك مايدل على أن الموقف الذى تتخذه الكنائس المسيحية ككل بالنسبة لهذا الوجه من وجوه نشاطها يفضى الى شيوع الرذيلة بين أعضاء الكنيسة . ويعلق على موقف الكنائس الافريقية التى تسمح لأعضائها بممارسة تعدد الزوجات قائلا « هل نستطيع انتقادهم ؟ اذا فعلنا وجب أن نكون على حذر لانهم سيقولون لنا ان الحياة فى ظل تعدد الزوجات المباح أشرف من الحياة المزيفة التى يحياها معتنقوا المسيحية لاسيما بالنسبة للمسائل الجنسية ، مضغة فى الافواه على ساحل افريقية الغربى . وأخشى أن يكون فى هذا الرد قدر كبير للغاية من الحقيقة »

كذلك يبين وسترمان فى كتاب له بعنوان « الافريقى اليوم وغدا » الآثار السيئة التى تنتج عن محاربة البعثات التبشيرية لتعدد الزوجات فيقول انه اذا كانت الكنائس تريد الاحتفاظ بمستوياتها الاخلاقية فهى لن تسمح بتعدد الزوجات . لكن يجب عليها أن تدرك أنها فى سعيها الى القضاء عليه ، تهاجم وتدمر جانبا أساسيا من المجتمع ، ولذا عليها أن تتجنب فى حرص المتاعب التى لاداعى لها . فاذا تطلب المبشر من الزوج الذى يريد الانضمام الى الكنيسة طرد كل زوجاته فيما عدا واحدة ، فهو يضطره الى فصم زيجات شرعية دون مبرر كاف معترف به فى ظل القيم السائدة فى المجتمع . وهو الى جانب ذلك يهدم وحدة أسرته . والنساء المطلقات يعدن الى أسرهن وقد يجدن زوجا أو أزواجا آخرين . لكن ماذا عن الأولاد ؟ أيا كان مصيرهم فهم لن يربوا بواسطة أبيهم وأمهم معا ويضيف الى ذلك قوله ان ادخال نظام وحدة الزوجة يخلق مشكلة اجتماعية فى صورة المرأة التى تظل دون زواج . فبفضل نظام تعدد الزوجات كانت كل امراة تجد زوجا ، وهى حالة لابد أن تتقيد اذا أصبح نظام وحدة الزوجة عاما .. والمجتمع الافريقى لامكان فيه للمرأة غير المتزوجة . فالمرأة المطلقة أو الأرمل كانت تتزوج من جديد فى أسرع وقت . وقد كانت هناك حالات فردية لنساء رفضن الزواج من الرجال الذين اختيروا لهن وكان هؤء يهوين بسهولة الى الدعارة ويخشى أن يصبح ذلك أكثر شيوعا فى ظل الظروف الحديثة .

ويشارك هؤلاء فى الرأى باحث انثربولوجى اخر هو ادوين سميث حيث يقول فى كتابه « المقعد الذهبى » : لعل غالبية المبشرين تنظر الى تعدد الزوجات بوصفه مسألة خارجة عن نطاق المناقشة . وقد يفزعهم الاقتراح بان تسمح الكنائس على نحو ما بهذا التقليد ومع ذلك فان اقتراح اعادة النظر فى هذا الموقف ينبغى الا يطرح جانبا دون ترو . فوحدة الزوجة هى شكل الزواج الوحيد الذى يتفق والاخلاق المسيحية ، الا أن هناك أشياء أسوأ من تعدد الزوجات فالدعارة أسوأ منه . والخدان السرى الذى تمارسه اعداد ضخمة من معتنقى المسيحية الافريقيين أسوأ من تعدد الزوجات . فهو يلحق بالنساء ضررا أعظم . واقتضاء تخلى الرجل »

قبل دخوله في عضوية الكنيسة ، عن كل زوجاته ماعدا واحدة معناه ان يحرم من مزايا عضوية الكنيسة كثيرمن من الرجال الذين يرغبون فى اعتناق المسيحية والذين لا يمكنهم مع ذلك اقناع أنفسهم بطرد نساء تزوجوهن بطريقة شريفة وهن أمهات أولادهم . وهو ايضا باعث مباشر على أن تعيش النساء المنبوذات حياة مترخصة . ففى ظل الظروف الراهنة ليس هناك مكان فى القبيلة للنساء غير المتزوجات ومعظمهن يضطر الى الحياة فى الرذيلة » .

وأخيرا يحدثنا مابيرا فى كتاب له بعنوان « الحياة الزوجية فى قبيلة افريقية » عن أثر محاربة البعثات التبشيرية لتعدد الزوجات لدى احدى قبائل التسواتا فى جنوب افريقية فيقول أن عددا من الاعضاء المحترمين فى الكنيسة يتخذون عشيقات فى الخفاء على غير علم من المبشرين ويبررون مسلكهم قائلين : هناك هاته النسوة الممتلئات شبابا والصالحات لانجاب أولاد ، لكن قوانين البيض لاتسمح لنا باتخاذ أكثر من زوجة واحدة . فلماذا تذهب خصوبتهن هباء فى الوقت الذى يمكن فيه استخدامهن لزيادة أفراد القبيلة ؟

ذلك اذن هو موقف البعثات التبشيرية المسيحية من تعدد الزوجات وتلك هى المفاسد التى تنجم عنه . أما الاسلام فان له موقفا آخر ، موقف أكثر رفقا بحياة الناس وأكثر تقديرا لظروف الشعوب . فالاسلام يبيح تعدد الزوجات ويضع له حدا أقصى هو أربع زوجات . وقد رأينا أن عدد الزوجات لدى الأفراد العاديين يتراوح فى الغالب بين زوجتين وثلاث فالاسلام باباحته تعدد الزوجات يجنب الاسرة الافريقية المتعددة الزوجات التفكك ويقى نساءها وأطفالها شر التشرد والضياع . والاسلام باباحته تعدد الزوجات يمكن زوج المرأة العاقر من الاحتفاظ بها واتخاذ زوجة أخرى تنجب له الذرية المنشودة . والاسلام باباحته تعدد الزوجات يمكن الافريقى من الزواج من ارملة قريبة وبالتالى يمكنه من الوفاء بواجب تفرضه عليه التقاليد رعاية لمصلحة الارمل وأولادها . والاسلام باباحته تعدد الزوجات يمكن كل امرأة من الزواج وتكوين أسرة ويتيح الفرصة لامتصاص العدد الفائض من الاناث ومن ثم يجنب المجتمع الافريقى الانحلال والفساد .

وقد أدرك كثير من دعاة المسيحية أن الاسلام باباحته تعدد الزوجات أكثر استجابة لظروف الافريقيين وأكثر تمشيا مع مقتضيات حياتهم من تعاليم البعثات التبشيرية التى تصر على وحدة الزوجة . كما أدركوا أن اباحة الاسلام تعدد الزوجات عامل هام فى سرعة انتشاره وأن اصرار البعثات التبشيرية المسيحية على وحدة الزوجة يقف عقبة فى طريق انتشار المسيحية . ولذلك نجدهم يطالبون المبشرين بالسماح لمعتنقى المسيحية من الافريقيين بممارسة تعدد الزوجات .

فها هو أحد رجال المسيحية فى غرب افريقية « ساباراوليامز » يعلن انه من المحتم على الكنيسة المسيحية أن تجد حلا آخر لهذه المشكلة « تعدد الزوجات » غير الحل القائم الان اذا أريد لها أن تحتفظ بقبضتها على القبائل الافريقية الاستوائية وأن تزيد منها .

وهاهو هاريس يقرر أن أى تغيير فى موقف الكنائس المسيحية سيكفل انضمام الالاف الى كل مركز تبشيرى وأن الموقف البطولى الذى وقفته الكنائس حتى الان من تعدد الزوجات يتخلى للاسلام عن عامل قوى فى نشر دعوته .

كذلك يعتقد موريل أن أحد الاسباب الاساسية فى انتشار الاسلام مقارنا بفشل المسيحية هو أن الاسلام يقر بأن الاحوال التى تحكمها قوانين طبيعية معينة تختلف تبعا لاعتبارات المناخ وطبائع الاجناس ، بينما ترفض المسيحية الاعتراف بذلك . وهو يقصد بذلك اباحة الاسلام تعدد الزوجات ورفض المسيحية السماح به .

وأخيرا يقرر تونكين بصدد بيان أثر الاسلام فى حياة الشعوب الافريقية ، أنه أيا كانت الاراء حول المزايا النسبية لوحدة الزوجة وتعدد الزوجات فما من شك فى أن بعض الاحوال الاجتماعية يمكن خدمتها عن طريق النظام الثانى على نحو أفضل منه عن طريق الاول .

ولقد هوجم الاسلام كثيرا بسبب اباحته تعدد الزوجات وكان الهجوم أعنف ما يكون من جانب رجال الدين المسيحيين الغربيين . وتشاء المقادير اليوم أن نشهد مسيحيين غربيين ، بعضهم من رجال الدين ، يطالبون بعثاتهم التبشرية بالسماح للافريقيين بتعدد الزوجات تمكينا للمسيحية من الانتشار وصونا للاسر من التفكك وحماية للمجتمع من الفساد . ولعل فى هذا مايحمل ذلك الفريق من المسلمين الذى نحا نحو الغربيين على اعادة فهم تعدد الزوجات فى الاسلام ولعل فيه ما يمكنه من ادراك الحكمة فى اباحة الاسلام مثل هذا النظام .

حل الأزمات في الإسلام

الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

- ٣ -

تعرضنا في الحديث السابق عن المواقف التى تعرض لها السياسيون والاجتماعيون وعلماء النفس لحل الأزمات الطارئة في حياة الخاصة والعامة ، وهؤلاء يجدون انفسهم أمام مشاكل وقتية تتجدد من حين لآخر في الحياة فيحلونها بما يناسبها من مواقف فكرية وآراء نظرية ناظرين الى مالها من أثر نفسى شخصى ، أو موقف سياسى معين ، أو حالة اجتماعية بذاتها وفى ذاتها وهى - في الواقع - حلول عملية مبنية على التجارب في طريق السلوك الذى يخلص النفس من آلام الحياة من غير توجه الى القوة الالهية والى السلطة الدينية التى تسيطر على الكون .

والواقع أن العلوم على مافيها من حقيقة تطبيقية لاتصل الى الحقيقة المطلقة ، فالحقيقة فيها نسبية لعلاقتها بالفكرة الانسانية ، والفكرة الانسانية تتغير طوعا حسب الظروف ، وحسب البيئات ، وحسب الثقافات ، وترتقى كلما زادت ثقافتها والمامها بمسائل الحياة ومشاكل الدنيا ، وكلما اعتادت على دراسة الامور والقيام بحلها ، وتنبنى على كثرة الاطلاع ومعرفة الحوادث السابقة في حياة الافراد والجماعات والشعوب والامم لتكون مقياسا عمليا ، ونظرية تطبيقية . ولذلك انقسمت الشعوب الى درجات في الثقافة والتأخر من أثر النمو الفكرى وعدمه . وفى الحقيقة ليست هذه الصفات من قبيل الالزام بيد أنها صفات ثابتة عن الظروف المحيطة بها وبأحوالها طيلة مدة الحياة، وانها على استعداد لقبول تغيير ما الى السمو الفكرى ، والرقى العقلى لأن الاساس هو الدرجة الانسانية ، والادراك الانسانى وشعوره الذى يتساوى فيه كل البشر على اختلاف أجناسه والوانه والسنته .

ولا ريب أن الانسان يجد ما اتته السياسة من مشاكل في الحياة حتى عقب الحروب ، فهناك ازمات اجتماعية تظهر عقب الحروب مثل الازمات الناشئة فى فرنسا والمانيا عقب الحرب العالمية الثانية التى برهنت على أن السياسة هى علم لتخطيط حياة أفضل لشعب ما أو لحكومة ما أو لدولة ما ، وتنبنى على المصلحة الذاتية البحتة التى تسعى جديا لتحطيم العدو بكل وسائل التخريب حتى لايعود له وجود ، ولا تقوم له قائمة ، ولا يستطيع البقاء . ولهذا كانت الحروب الناشئة عبارة عن حروب انتقامية ، تشفى الغليل ، وتفنى الحرث والنسل ، وتأتى على الاخضر واليابس .

ان السياسة تداعب المشكلة بمالها من لباقة ومهارة فى العمل ، والحديث ، وفى الخدعة والمكر والمهادنة ، حتى - كثيرا ما - تؤذى بالحياة العامة لأنها تسعى وراء مصلحة معينة من هذه الناحية لايطمئن المرء الى السياسة لتكون أساسا لاسلوب الحياة اذ الضمير

الحى يؤنبه اذا لم يكن مخلصا في اداء مهمته لخير أمته وشعبه ، وللمصلحة العامة التى يسعى لخيرها واسعادها ، وللقيام باعباء الحياة لها .

والاسلام فى هذه الناحية حريص على المصلحة العامة ، ولا يرى الحياة السعيدة دون أن يتمتع بها الانسان برمته ، فشريعة الزكاة مثلا مشاركة الفقراء فى اموال الاغنياء حتى تاتى السعادة جميع أعضاء المجتمع ، وليكون التعاون وديا فى بناء الحياة المثالية أو المدنية الفاضلة ، ولتكوين الاسرة الاسلامية بل الاسرة الانسانية . ولم تكن الصلاة الا نهى عن الفحشاء والمنكر لايجاد المجتمع السعيد الذى لا يوجد فيه فحشاء ولا منكر ، وهو المجتمع الذى تسعد فيه الحياة لكل مسلم . وقد قال تعالى : « واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا » . ولم تكن الشهادتان الا اجماع القول ايمانا وتصديقا ، والا تبلور اليقين فى التوحيد برب العزة وبرسوله الكريم حتى يكون المسلمون رمزا لوحدة الكلمة والقول والعمل ، يعملون كرجل واحد للنهضة المشتركة ، ولانهاض الاعداء . ولا يكمل ايمان المسلم بل يخرج عن اسلامه اذا خرج عن الاجماع الذى اتحدت فيه الكلمة ، واجتمع فيه الرأى ، وتوحد فيه الموقف . واقرب مثال لذلك قضية فلسطين العربية التى اتحد فيها الرأى الاسلامى لما لهذه القضية من اتصال وثيق بالمقدسات الاسلامية ، ولما لها من سلب لحق أمة آمنت بالله ، فظلمها المستعمر بقوته الغاشمة فلا يجدر لمسلم أن يطعن أخاه بفعله أو قوله سواء في هذه القضية أو فى غيرها لان فى ذلك ايجادا لأزمة داخلية فى صف الوحدة الاسلامية . وقد رمز الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذه الامور بقوله : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم ، وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

فالاسلام جمع الصفوف حول العقيدة ، وحول المبدأ ، وحول المصلحة المشتركة ، وحول القضايا الاسلامية . والاسلام دين ردنيا ينظر الى المسائل القائمة بمنظار المصلحة الاسلامية العامة ، ومن يريدأن يبحث الاسلام فيجب عليه أن يبحثه بالفكرة الاسلامية ، ولا يتخلى عنها والا كان هو فى ناحية والاسلام فى ناحية أخرى . هذا هو السبب فى تشتت كلمة المسلمين لاختلافهم فى كيفية النظر الى الاسلام ، والبحث عنه ، والوقوف لديه .

ولا يمكن أن يقول مسلم مثلا ان اسرائيل صديق المسلمين . لا شك أن هذا القائل لا يفهم الاسلام شكلا موقف الاسلام صريح فى هذا الامر ، ولا سيما وقد اجتمعت كلمة المسلمين فى اعتبار اسرائيل العدو الاول للاسلام وللمسلمين .

لهذا منع بعض العلماء الاجتهاد فى الدين لعامةالناس خيفة أن يدخل فيه ما لايملك سلاح الاجتهاد الكامل من معرفة اللغة والتعمق فيها ، ومن الالمام بالقواعد الاساسية فى المسائل الدينية ، وبالمبادىء الاولية للولوج فى مثل هذا الامر .

وقد لاحظ الرسول صلى الله عليه وسلم وحدة المسلمين قولا وعملا فى المسائل الدينية ، وفى الاتحاد الفكرى والمبدئى ، فالوحدة والاخوة والاجماع فى الرأى والقول من الامور الهامة فى الاسلام ، اذ هى أسس لتقويم الحياة الاسلامية سواء للتآلف الودى بين المسلمين أنفسهم أو لمواجهة الاعداء الذين يناهضون الاسلام وقضاياه .

فالسياسة على الاطلاق لاتحل مشكلة أو أزمة عامة طالما لاتبنى على العقيدة الدينية التى تمسك زمام النفوس عن التوغل فى الشهوات والاهواء والنزعات ، وعن المصالح الشخصية والذاتية ، وعن الانتقام والانانية

ولهذا قسم القرآن باعتبار حالته العقيدية ، ووجوده النفسى الى ثلاثة أقسام ، فقال سبحانه : « الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك : وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .. ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ». ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون . الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

رغم كل هذه الصفات المفرقة للنفوس والتى تبعد الناس بعضهم عن بعض غير أن الاسلام لاحظ الشعور الانسانى واحترم الكيان البشرى : ووضع الانسان في أعلى المراكز اذ قال سبحانه : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

فالاسلام حين كون الشخصية الاسلامية جعلها قوام الحياة ، ووضعها فى اطار من الاخلاق ، واعطاها مهمة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ قال تعالى : « كنتم خير أمة اخرجت للناس ، ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

وقد وضع الاسلام أمورا خلقية لحفظ العلاقات ، ولمنع حدوث أزمات ، ولصون الوقوع فى أزمة من الأزمات اذ حدوثها يؤلم النفس ، ويفرق الكتلة الانسانية ، ويمزق الجماعة الاسلامية .

ان الاسلام لاحظ هذه الامور بعين الرعاية والاعتبار وجعل تلك القواعد أساسا لتنظيم الحياة الاسلامية ، وبدأها بالنصائح ، واعطاء بيانات عما ينبغى على المسلم اتباعه واداؤه والقيام به والسير فى طريقه وعلى هداه باعتباره عضوا فى المجتمع .

ومن القواعد الاساسية أن يفهم المسلمون قوله تعالى: « انما المؤمنون اخوة » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . وقال : « المؤمن أخو المؤمن لايدع نصيحته على كل حال » . وقال : « المسلمون أخوة لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى » وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وقال « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » . وقال قولا اعم من ذلك : « رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس ، واصطناع الخير الى كل بر وفاجر ، وان أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الاخرة ، وان أهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الاخرة » .

والحق أن الازمات تحدث عندما يتغافل الانسان عن اداء واجبه الاخوى والانسانى ، ويظهر بمظهر لا يليق بكرامته الانسانية ، وبشعوره الدينى ، وعندما يغض

النظر عن اللياقة الخلقية وآداب الحديث ، وعندما يتغلب عليه شيطان الهوى ونزعات الشهوة . ولهذا نبه الاسلام عن الوقوع فى هذه الامور ، وحذر المسلم عن اقترافها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره » .

واذا تناولنا هذه القواعد نجدها قواعد أساسية لحياة الافراد ، والجماعات سواء فى تكوين نفسه أو فى تكوين عائلة ، أو فى تكوين أمة ، أو فى تكوين مجتمع انسانى ، فمثلا :

ـ الاسلام يكون شخصية المسلم الفردى باخلاق فاضلة يحببه فى الناس ، ويقرب نفوسهم اليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « مكارم الاخلاق عشرة ، تكون فى الرجل ، ولا تكون فى ابنه ، وتكون فى الابن ، ولاتكون فى الاب ، وتكون فى العبد ، ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله لمن أراد به السعادة : « صدق الحديث ، وصدق البأس ، واعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وحفظ الامانة ، وصلة الرحم ، والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف ، ورأسهن الحياء » وقال صلوات الله عليه : « ما من ذنب اجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الاخرةمن قطيعة الرحم ، والخيانة ، والكذب ، وان اعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم ، حتى أن أهل البيت ليكونون فجرة ، فتنمو اموالهم ، ويكبر عددهم ، اذا تواصلوا » وقال : « ما من ذنب الا وله عند الله توبة الا سوء الخلق ، فانه لا يتوب من ذنب الا رجع الى ما هو شر منه » . وقال : « ليس الجهاد أن يضرب الرجلبسيفه فى سبيل الله ، انما الجهاد من عال والديه ، وعالولده فهو فى جهاد ، ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو فى جهاد .. وقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » . وقال : « من احب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » . وقال : « من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والافلاس » . وقال : «من انظر معسرا أو وضع عنه ، أظله الله يوم لا ظل الا ظله » . وقال : « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه » . وقال : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » . وقال : « من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته ، لقى الله وهو عليه غضبان » . وقال : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » . وقال : « من وقاه الله ما بين لحييه ، وشر ما بين رجليه دخل الجنة » . وقال : « من لايرحم الناس لايرحمه الله » . وقال : « من شفع لأخيه شفاعة فاهدى له هدية فقبلها ، فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا » . وقال : « من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والاخرة » .

٢ ـ الاسلام يكون شخصية الاخوة الاسلامية فقال صلى الله عليه وسلم : « حق المسلم على المسلم ست : « اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فاجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه » . وقال :ماتحاب اثنان فى الله تعالى الا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه » . وقال : « ماتحاب رجلان فى الله الا وضع الله لهما كرسيا فاجلسا عليه حتى يفرغ الله من الحساب » . وقال : « ما من مؤمن يعزى اخاهبمصيبته الا كساه من حلل الكرامة يوم القيامة » . وقال : «من المروءة أن ينصت الاخ لأخيه اذا حدثه ، ومن حسن المحاشاة أن يقف الأخ لأخيه اذا انقطع شسع نعله ». وقال : « من استطاع منكم أن يستر أخاه المؤمن بطرف ثوبه فليفعل » . وقال : « من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة . وقال : « من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » . ومن ذب عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقا على الله أن يقيه من النار ». وقال : من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » . وقال : « من ضار مسلما ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه » . وقال : « من قضى لاخيه المسلم حاجة كان له من الاجر كمن حج واعتمر » . وقال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها ، فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لاخيه من حسناته ، فان لم يكن له حسنات ، أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه » . وقال : « من نصر أخاه بظهر الغيب ، نصره الله فى الدنيا والاخرة » . وقال : «من نظر الى أخيه نظرة ود غفر له » وقال : « من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة »

٣ ـ الاسلام يكون شخصية العائلة والاسرة فقال صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى ، ما أكرم النساء الا كريم ، وما أهانهن الا لئيم » . وقال : « ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء » . وقال : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق » .

٤ ـ الاسلام يكون شخصية الجار فقال صلى الله عليه وسلم : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليومالاخر فليقل خيرا أو ليصمت » . وقال : « الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق ، والزاد قبل الراحلة » . وقال : حق الجار ان مرض عدته ، وان مات شيعته ، وان استقرضك أقرضته ، وان اعور سترته ، وان أصابه خير هنأته ، وان اصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناك فوق بنائه ، فتسد عليه الريح ، ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها » .

٥ ـ الاسلام يكون شخصية المسلم الاجتماعى فيقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » . وقال : « يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » . وقال : « قل للمؤمنين يغضوا منأبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن .. » وقال : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » . وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم » . وقال : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثهأبواه

فلأمه الثلث ، فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، ان الله كان عليما حكيما . ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مماتركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم » . وقال : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم، وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم ، وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما » وقال « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم » . وقال : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » . وقال : « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم اقسط عند الله وأقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن امانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » . وقال : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا ، فادفعوا اليهم أموالهم ، ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيبا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ايما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى وقال « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » وقال : « ومن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث .. وان أربع فخامس أو سادس » . وقال : « من زنى زنى به ولو بحيطان داره » . وقال : « ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك فى موازينك يوم القيامة » .

« ان من اخلاق المؤمن قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وشفقة فى فقه وحلما فى علم ، وقصدا فى غنى ، وتجملا فى فاقه ، وتحرجا فى طمع ، وكسبا فى حلال ، وبرا فى استقامة ، ونشاطا فى هدى ، ونهيا فى شهوة ، ورحمة للمجهود ، وان المؤمن من عباد الله لايحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى من يحب ولا يضيع ما استودع ، ولا يحسد ولا يطعن ولا يلعن ، ويعترف بالحق ، وان لم يشهد عليه ، ولا يتنابز بالالقاب ، فى الصلاة متخشعا ، الى الزكاة مسرعا فى الزلازل وقورا ، فى الرخاء شكورا . قانعا بالذى له ، لا يدعى ما ليس له ، ولا يجمع فى الغيظ ، ولا يغلبه عن معروف يريده ، يخالط الناس كى يعلم ، ويناطقهم كى يفهم ، وان ظلم وبغى عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذى ينتصر له » .

فالاسلام يربى الانسان ليكون انسانا مثاليا أو انسانا كاملا ، وقد استعمل المتصوفة الاسلاميون هذا الاسم للدلالة على اسمى مرتبة يبلغها الانسان وهى مرتبة الصوفى الذى وصل الى الفناء فى الله . ويقول ابن عربى « الانسان يجمع فى نفسه صورة الله وصورة العالم . وهو وحده الذى تتجلى فيه الذات الالهية بكل الصفات والاسماء ، وهو المرآة التى تنكشف لله فيها ذاته . ونحن أنفسنا الصفات التى نصف بها الله ، ووجودنا ما هو الا تحقيق وجوده ، واذا كان الله ضروريا لوجودنا فلابد من وجودنا لكى يظهر لنفسه » .

والجيلانى يخالف ابن عربى فى بعض التفصيلات فهو يقول : « الذات هو الامر الذى تستند اليه الصفات . فكل صفة استندت الى شيء ، فهذا الشيء هو الذات سواء أكان موجودا أم معدوما . والموجود أما موجود محض وهو الله أو موجود ملحق بالعدم وهو ذات المخلوقات . والوجود المطلق هو محض الذات الصرف التى لا يظهر فيها شيء من الاسماء أو الصفات أو النسب .

والظهور يقتضى التنزل من حالة البساطة ، وهذا التنزل له مراتب ثلاث : « الاحدية ، والهوية والآنية » وهنا تظهر الاسماء والصفات التى تعرف بها الذات ، وهى تنكشف بالتجلى . والانسان الكامل الذى هو مجلى الوجود المطلق منه واليه يرتقى فى تجليات متعاقبة حتى ينتهى بالانصهار فى الذات . وفى المقام الاول : مقام التجلى فى الاسماء » العبد تحت أنوار ذلك الاسم الذى يتجلى الله فيه حتى اذا دعوت بذلك الاسم أجابك لوقوع ذلك الاسم عليه ، والمقام الثانى هو مقام التجلى بالصفات . ويقبل الصوفى من تجلى هذه الصفات ما يناسب طاقته وسعة علمه وقوة عزيمته والله يتجلى على البعض بصفة الحياة ، وعلى غيرهم بصفة العلم ، وعلى آخرين بصفة القدرة وهكذا . بل ان الصفة الواحدة يتجلى الله بها على أحوال متنوعة: فالبعض مثلا يسمعون كلام الله بكليتهم ، وبعضهم يسمعون على لسان الخلق ولكنهم يعلمون انه كلام الله وآخرون يعرفون منه الحوادث المستقبلة . وفى المقام الاعلى وهو مقام التجلى بالذات يكون ذلك الهيكل الانسانى هو الفرد الكامل والغوث الجامع ، عليه يدور أمر الوجود ، يقدر على كل شيء ولا يحجب عنه شيء ،

والانسان المسلم هو الذى يحقق ارادة الله فى تنظيم الحياة الانسانية على الصورة التى تحفظ الكيان الخلقى والاجتماعى ، فالسلم لايتعاون وديا الا مع من يوافقه رأيا وعقيدة ، ويسايره فى تنظيم المجتمع الانسانى مع المحافظة على المثل العليا . والمسلم هو الذى يبحث عمن يتفق معه فى الايمان بالله حتى يوجد مجتمعا دينيا فيه الروح الاسلامية وفيه الاخوة الاسلامية ، فلا يضحى بعقيدته لعرض الحياة الدنيا .

« يتبع »

دراسات في التاريخ الإسلامي

الفتوح الكبرى في عهد الفاروق عمر بن الخطاب

فتح الشام

١ - معركة اليرموك

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

اشرنا في مقالنا السابق الى تناقض الروايات التي نقلها لنا الرواة عن الحرب بين العرب وجيوش الروم في سوريا تناقضا تاما ، ونحن نعتمد في مصادرنا على المؤرخين العرب الذين كتبوا تاريخ هذه الحرب بعد اكثر من قرن من وقوعها ، والذين - على الرغم من تدوينهم لاحداثها - كانوا كما هو واضح من الاختلاف الكبير بينهم يجهلونها او لايبالون بتحقيقها • ولذلك يجد المؤرخ الحاضر صعوبة كبيرة في التوفيق بين هذه الروايات ليستطيع ان يعطى صورة صحيحة واضحة لهذه الاعمال العسكرية الرائعة • ولكى نستطيع توضيح الموقف لابد ان نلجأ لدراسة المنطقة دراسة جغرافية طبوغرافية ، فان طبيعة المكان تتحكم الى حد كبير في رسم استراتيجية القتال وفي حركات الجيوش .. كما يجب أن نلم بالخطة التعبوية التي كان يسير عليها الطرفان في القتال ، فتعبئة الجيش وتنظيمه تؤثر تأثيرا كبيرا في حركة الجيش في المعركة وفي قدرته على خوض غمارها بتفوق في ميدان دون آخر •

ونبدأ اولا بذكر التعبئة العامة لكل جيش وامكانياته الخاصة في الصلاحية لمباشرة القتال •

لقد كانت الامبراطورية الرومانية تقوم وتصان منذ اربعة قرون على اكتاف المشاة الرومانيين الذين كانت فيالقهم المشهورة تعتبر المثل الأعلى للانضباط العسكري، لكن الجيش البيزنطي في القرن السادس الميلادي لم يكن يشبه بحال من الاحوال تلك الفيالق الرومانية القديمة التي دوخت العالم • فلقد بدأ التحول في تنظيم الجيوش بعد معركة أدرنه سنة ٣٣٨ بين القوط والرومان عندما تمكن فرسان القوط من اكتساح الجيش الروماني وابادته بعد ان كان يعتبر النموذج الاعلى لجيوش العالم • وتبعت هذه المعركة ثورة شاملة في الشئون العسكرية ، اذ قدر للخيالة ان يسيطروا على ميادين القتال لمدة الف سنة بعد ذلك التاريخ • وكان سلاح الجندي الروماني من المشاة يتكون من السيف والمزراق أما سلاحه الدفاعي فكان الخوذة والدرع والزرد وهو سلاح غير كاف لمقاومة اساليب الصاعقة التي يلجأ اليها الفرسان في هجومهم الثقيل • وبذلك أصبح الفرسان السلاح الأول في الجيش . ولما كان السيف والحربة لم يعودا كافيين لمقاومة أي هجوم ثقيل من الفرسان ، فقد لجأ الرومان الى القوس والنبل وسرعان ماتحولت كتائب الفرسان الى ثقيلة وخفيفة • أما الكتائب الخفيفة فسلاحها السهم والقوس ، وفي وسعها أن تطلق نبالها وهي في حالتي الركض والجنب في جميع الاتجاهات • أما الكتائب الثقيلة فسلاحها

الرماح وتستعمل في عمليات الصاعقة • وكانت الكتيبة هي الوحدة في الجيش الروماني وتضم نحوا من اربعمائة جندي ويتالف اللواء من ثلاث كتائب او أكثر كما تتالف الفرقة من ثلاثة الوية • وكان لكل كتيبة شارتها الخاصة بها واللون الخاص بملابسها • وكان البيزنطيون – على خلاف العرب – قد نظموا الخدمات التنظيمية والادارية في جيشهم على احسن منوال • فلقد كان لكل فصيل من المشاة مؤلف من ستة عشر جنديا عربة خاصة به تحمل لجنوده الفؤوس والمجارف لاعمال الحفر ومطحنة لطحن القمح ، وغير ذلك من الادوات والمعدات • وتسير مع الجيش وحدة اسعاف تضم الاطباء والجراحين وحملة نقالات الجرحى • وكان التدريب العسكري والتعبوي ينفذ بدقة ونظام ومثابرة • كما كان ضباط الجيش يدرسون الفنون العسكرية ويجدون كل مايحتاجون اليه من كتب عدة لدراسة الفنون الحربية • ومن هذا نرى ان الجيش البيزنطي كان جيشا قويا يسير على تقاليد حربية رفيعة ، كما كان مزودا بما يلزم لجيش كامل قوى التدريب من سلاح وعتاد • وكان هذا النظام الدقيق والتدريب التعبوي العالي صالحا كل الصلاحية لكسب المعارك اذا كان الجيش يواجه جيشا اخر من نوعه يعتمد في حركاته العسكرية في المعركة على اصول حربية مرعية واذا استطاعت القيادة ان توجه حركات قواتها دون عائق يمنع وصول الامر الى القوات في الميدان • غير ان هذا الجيش اذا حارب جيشا آخر لايسير على نظم مرعية معروفة او اذا استطاع العدو ان يحول بين اوامر القيادة وبين الوصول الى فرق الجيش في الوقت المناسب عجزت هذه الفرق عن المشاركة التلقائية في المعركة • ثم ان الجندي الذي تعود الحركة في نظام عام متسق يصبح بالضرورة عبدا للنظام المفروض وفي هذه الحالة تنعدم او تضعف مواهبه الفردية ولا يجد في مكنته التصرف الذاتي ولذلك يرتبك اذا اختل النظام ويجمد اذا لم تصله اوامر بالتحرك ، وخير ما يمثل هذا الموقف قول المثنى بن حارثة يصف قوات الفرس « •• فلا يروعنكم زهاء ترونه ، ولا سواد ، ولا قسي فج ولا نبال طوال فانهم اذا اعجلوا عنها او فقدوها كالبهائم اينما وجهتموها اتجهت » هذا الى ان التسليح الثقيل من دروع سابغة وأسلحة ثقيلة كانت تصلح لحركات الزحوف البطيئة ، ولكنها تعوق الجندي عن سرعة الحركة في الهجوم الخاطف • وهناك عامل هام لايجب اغفاله وهو الروح المعنوية لدى الجند ، وسمو الروح المعنوية وانخفاضها لدى الجند تخضع لظروف متعددة ، فالايمان بالفكرة ، والدفاع عن الوطن ، والاطمئنان للمثل التي يعيش عليها المجتمع ، امور تسمو بالروح المعنوية لدى الجندي وتجعله يستهين بحياته في ميدان القتال • ولم تكن هذه المعاني متحققة لدى الجند البيزنطي في ذلك الوقت ، فليس لدى الجندي المقاتل في جيوش الروم فكرة عليا يؤمن بها ويدافع عنها ، كما ان الجند لم يكونوا يدافعون عن اوطانهم وهم يقاتلون في ميادين الشام ، فهم اما روم من اوربا واما من الارمن او من اهل آسيا الصغرى جندتهم الدولة لخضوع بلادهم لها ، او هم جند مرتزقة جاءوا ماجورين فهم لذلك لايحسون بانهم يقاتلون عن اوطانهم ، وخير مايوضح ذلك ان الروم حين تعرضت القسطنطينية للهجوم العربي بعد ذلك دافعوا عنها دفاعا رائعا ضد القوات العربية المتفوقة في البر والبحر ، ولم يستطع العرب اقتحام المدينة بالرغم من حصارهم لها سبع سنوات وبالرغم من تخريب المنطقة حولها لاجاعتها في عهد معاوية بن ابى سفيان ، وذلك لان الروم هنا كانوا يدافعون عن وطنهم وابنائهم ونشاتهم واما المثل التي كان يعيش عليها المجتمع الرومي فلم تكن تدعو الجندي الذي يحس بالفارق الشديد بينه وبين قادته الى الاستماتة في القتال دفاعا عنها ، فالجند من طبقة رقيق الارض او من العبيد ، والقادة من النبلاء ، وبين الطائفتين فروق ضخمة في اساليب الحياة والانتفاع بخيرات الوطن ، لذلك كانت الهوة كبيرة بين القادة والجند • وانما كان الجند الرومي يتحرك الى المعركة تدفع القادة اطماعهم ويدفع الجند اذعان ومذلة الفوهما اجيالا متعاقبة •

وامام هذا الجيش النظامي الرفيع التدريب ولكنه فاقد الهمة ، يقف العرب جماعات من ابناء القبائل غير المدربين ، فهم لايعرفون من التعبئة وفنون الحرب كثيرا مما يعرف عدوهم ، ولم يقرا قادتهم كتبا في النظم العسكرية • وليست لديهم ادارة او رواتب ، او اطباء •• وكان سلاحهم اقل شانا واهمية من سلاح عدوهم •

ومع ذلك فانهم لم يخسروا اية معركة في حروبهم مع الروم • ومن المحتمل ان يكون شظف العيش الذي الفوه ، واحتمالهم للمشاق ، وافتقارهم لاى تدريب منظم ، وعدم تقيدهم بنظام معين قد جعل منهم قوةاقدر على الحركة السريعة من عدوهم • لكن الفضل الاول والاخير في انتصاراتهم يجب ان يعزى الى روحهم المعنوية العالية ، فهم ناريو المزاج محاربون بطبيعتهم وقد جاءوا الى ميادين القتال بارادتهم فتكون منهم جيش تلقائي لاتدفعه قوة الدولة القاهرة وانما تدفعه ارادة ذاتية لدى كل فرد منهم اساسها ايمان وطيد بفكرة ملات جوانحهم جميعا ومثل عليا يبغون تحقيقها • وأدى تطلعهم الى الشهادة طمعا في فراديس الجنان التي وعدهم الله بها في القرآن ، الى ان يقاتلوا بحمية تفوق تماما ماكان لدى اعدائهم من الروم من تفوق في السلاح والانضباط •

هذا من ناحية التعبئة العامة لكل من الطرفين • اما من ناحية الطبيعة الجغرافية لمنطقة القتال ، فان نهر اليرموك يعتبر المسيل المائي الذي يصرف مياه منطقة حوران ، وقد شق النهر عبر الوف السنين اخدودا عميقا يسيل فيه ليصب في وادي الاردن الذي ينخفض نحو ثلاثة آلاف قدم عن سهل حوران • ويبدا هذا الاخدود عند بلدة درعا الحالية • وتقوم الى الشرق والشمال الشرقي من هذه البلدة سلسلة ضخمة من الجبال التي ولدتها البراكين الخامدة والتي تكتظ سفوحها بكتل ضخمة من السوائل البركانية المتصهرة • وتصعب الحركة في بعض الجهات في هذه المنطقة حتى على المشاة • بينما يتعذر السير فيها على الجياد او الابل او العجلات مهما كان نوعها • وتهبط هذه النتوءات البركانية نحو السهل تدريجا الى ان تصل الى نقطة يصبح فيها نهر اليرموك ضيقا لايصلح للعبور مطلقا • وكانت الفجوة الصغيرة بين الارض البركانية وبين اليرموك تعتبر في ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر الطريق الرئيسي بين دمشق وبين فلسطين وعمان وايلة (العقبة) ، وقد اطلق الانجليز في الحرب العالمية الثانية على هذا المضيق اسم « فجوة درعا » وحصنوه للدفاع عن هذه المنطقة ضد اى هجوم المانى محتمل من الشمال • واذا كان هذا المضيق صالحا للدفاع ضد اى هجوم من الشمال فانه صالحا صلاحا اكبر واكثر اهمية لصد اى هجوم قادم من الجنوب ، بل انه يقوم امام أى غزو من الجزيرة العربية مقام مضيق ترموبولى في اليونان (١) •

وكان المسلمون سريعي الحركة الى درجة هائلة ، وكان أسلوبهم لسحق الروح المعنوية لدى العـدو ثم تدمير قوته المذهولة يتركز في هجـوم عنيف شرس وفي حركات تقدم وتراجع والتفاف تتم بسرعة مع قطـع طرق المواصلات والتموين . ولم يكن في وسع القوات البيزنطية الثقيلة والبطيئة الحركة أن تصمد امام هذه السرعة في التحرك في أرض فسيحة منبسطة . لـكن العرب لم يكونوا قادرين على خوض معركة للمشـاة متقاربة الصفوف يدور فيها القتال بالحراب ، فلم يكن جنود المسلمين يملكون اسلحة دفاعية كافية أو دروعا وقائية ، يضاف الى ذلك افتقارهم الى اسلحة الاسناد الثقيلة ، وكانت سحب النبـال هي سـلاح التغطية الوحيد لديهم . وهذا يفسر لنا اجتياحهم للسـهل الصحراوي شرق الاردن وجنوب فلسطين وسهولهـا وخشيتهم من القتال عند الجبال والمضايق . وقـد فزع البيزنطيون من حرب العرب الصاعقة فاقام جيشهم في سنة ٦٣٤ م معسكرا دفاعيا منيعا على مقربة من درعا في الثغرة الواقعة بين اليرموك والاراضي البركانية ، فكان العرب يقدمون على الاشتباك مع الروم امام هـذه المواقع الدفاعية ليعودوا فينسحبوا اذا كانوا يفتقرون الى الاسلحة الثقيلة كما كانوا يفتقرون الى التجـربة الكافية في ذلك الوقت مما جعل من الصعب عليهـم اقتحام هذه المواقع . ومن هنا يتبين ان عمليات خالد بن الوليد حول تدمر وقرب دمشق ـ التي تكلمنا عنها في مقالنا السابق ـ كانت تهدف الى اقنـاع الروم بالانسحاب من مواقعهم في درعا لحماية مؤخرتهـم ، ولكنهم لم يغامروا بهذا الخروج .

وبسبب هذه الحركات التي قام بها خالد بن الوليد يكثر ذكر اليرموك وتتردد الروايات في المصادر العربية المرة تلو المرة ان جيشي العرب والروم وكانا متقابلين على نهر اليرموك ثم تعود هذه الروايات وتذكر انهما تفرقا عن المكان دون الوصول الى نتيجة . فهل وقعت معارك عدة على هذا النهر ؟ ولماذا يتكرر ظهور اسـم اليرموك في الروايات ؟ ان الصورة الصحيحة لايمكن ان تتضح امام الباحث الا اذا احاط بدراسة المنطقـة دراسة جغرافية طبوغرافية مع الاستعانة بدراسة خطط العسكريين الذين باشروا القتال في هذه المنطقة في العصور المتأخرة والحديثة . وهذا ماحاولنـا ابرازه هنا .

لم يكن خالد من طراز القـواد الذين يخلدون الى السكينة والى محاصرة موقع الروم على نهر اليرموك ، ولذلك فانه ماكاد يصل الى ميدان الشام حتى حـول العمليات الحربية الى حركة هجومية دائمة ، وكان اول عمل قام به احتلال مدينة بصرى عاصمة الغساسنة ، ثم اخذ يصوب في المنطقة ويصعد في هجمات سريعـة عساه يغري الروم بالخروج من مواقعهم الحصـينة ليستطيع مواجهتهم في معـركة مكشـوفة في الأرض المنبسطة .

وكان عمرو بن العاص من ناحية اخرى لايزال يواصل غزو سهول فلسطين الجنوبية من القاعدة التي اقامهـا لنفسه في وادي عربة ، راغبا عن المغامرة واقتحام جبال السامرة واليهودية والكرمل اذ كانت خطة العرب ـ كما قلنا من قبل ـ ان يقاتلوا عـدوهم في الارض المكشوفة ويجروه الى الصحراء لينازلوه في ميدانهـم الذي لا يجاريهم فيه أحد براعة وقدرة .

وكان هرقل امبراطور الروم مقيما في حمص منشغلا باعداد جيش جديد يبعث به الى جنوب فلسطين . ويبدو من فكرة ارسال هذا الجيش ان هرقل كان واثقا من صمود تحصينات اليرموك في وجه العرب ، والا ماكان يغامر بارسال جيش الى هذا المكان النائي . وقـد استعاد هرقل بعمله هذا زمام المبادرة وارغم العرب على تعديل خططهم لمواجهة خطته .

ويحسن هنا ان نشير الى الخطة الاستراتيجية التي اتبعها هرقل في حروبه مع الفرس من قبل ، فهي نفس الخطة التى اراد تطبيقها مع العرب .

حين اعتلى هرقل عرش الامبراطورية البيزنطية سنة ٦١٠ م كانت الدولة مشتبكة في حـروب ضروس مع الامبراطورية الفارسية ، وكانت اولى الانباء التي طالعته من جبهة فارس نبأ سقوط انطاكية في ايدي اعدائه .

واحتلت جيوش كسرى بعد ذلك مدينة القدس سنة ٦١٤ م كما احتلت مصر في عام ٦١٦ . واكتسحت جيوش فارسية اخرى آسيا الصغرى ووصلت الى ابواب القسطنطينية على مضيق البسـفور . وفي غضون ذلك كان شعب من البرابرة يدعى الافارس قد زحف من مناطق روسيا الجنوبية على البلقان فاحتل شبه الجزيرة حتى وصل الى اسوار العاصمة . ولما كان هرقل في وضع سيء لايسمح له بمقارعة هؤلاء الاعداء جميعا من الفرس ومن الافارس فقد لجأ الى المفاوضات ، واستطاع مؤقتا ان يهدىء الافارس ، وان يعقد هدنة مع كسرى على ان يدفع له جزية سنوية كبيرة من الذهب والفضة والثياب مع الف جواد والف فتاة من الابكار . وكل ذلك في نظير ان يوقف الهجوم على العاصمة التى ظلت محاصرة .. لكنه في عام ٦٢٢ م سلم مقاليـد الامور في القسطنطينية الى البطريرك والى مجلس الشـيوخ ، وغادرها على راس حملة بحرية ليقاتل اعداءه بعيدا عن اسوار العاصمة . ولما كان الروم مسيطرين باساطيلهم على البحر فان هرقل عبر الدردنيل ونزل بقواته على الساحل الشمالي من خليج الاسكندرونة حيث سـيطر فورا على المضيق المعروف في جبـال طوروس ببوابة كليكية ، ثم هزم جيشا فارسيا جاء لمحاربته واجتـاح كبادوكيا قاطعا مواصلات الجيش الفارسي المرابط امام القسطنطينية ، ثم خلف جيشه مرابطا على نهـر هاليس ليقضي الشتاء فيها ، وعاد في نهاية عام ٦٢٢ م الى القسطنطينية . وفي ربيع ٦٢٣ م ابحر من القسطنطينية الى البحر الاسود يقود جيشـا مختارا لينزل به في طرابوزنده على بعد خمسمائة ميل الى الشرق ، ويزحف به على ارمينيا ملتقيا بقواته التى تركها في العام الماضي وينتصر على الفرس انتصارا حاسما في نينوى عـام ٦٢٧ م ثم اصبح في وضع مكنه من الزحف على المدائن مرغما كسرى على رفع الحصار عن القسطنطينية والجلاء عن اراضي الروم وعن ممتلكاتهم كلها في الشام وفي مصر . ومن الواضح والحالة هذه ان خطة الصمود امام العدو في خط تقدمه الرئيسي ثم ارغامه على الانسحاب بحركة التفاف واسعة تسهلها سيطرته على البحر كانت عملية استراتيجية يعرفها هرقل خير معرفة وقد شرع الآن في تنفيـذها من جديد ضـد العرب ولكننا سنرى في مقالنا اللاحق ان شاء الله ان ماحققه هرقل من نجاح في حربه مع الفرس لم يحقق منه شيئا في حربه مع العرب .

« يتبع »

(١) وقف ثلاثمائة جندي أسبرطي في مضيق ترموبولي فاستطاعوا ان يوقفوا زحف الجحافل الفارسية التيغزت اليونان ويمنعوها من التقدم جنـوبا في حـرب البلوبونيز بين الفرس واليونان في التاريخ القديم .

بين القرآن الكريم
وبين كتب العهد القديم

الأستاذ بهاء الدين القبانى

الفصل الاخير

رأينا فى العدد الماضى كيف أن نوحا ـ فى القرآن ـ أخذ فى تنفيذ أمر ربه الأول الخاص بصناعة الفلك .. ولم يضعف أمام المشركين .. بل كان يرد عليهم سخريتهم .. ويهددهم بالخزى الذى سوف يلحق بهم فى يوم قريب .. وأثناء صناعته تلك لم نسمع نوحا يخاطب الله فى شأن المشركين الظالمين .. وخرجنا بعدم تنكب نوح تنفيذ أوامر ربه .. فما زال السؤال الذى طرحناه فى هذا الصدد ماثلا أمام عيوننا .. ومازلنا نحن نجيب عليه من خلال عرضنا للاحداث العظمى .. وتحليلها الذى ورد به القرآن .. مع تبيان الملابسات الخطيرة التى قدر الله أن تجرى على يدى نوح عليه السلام ! .

وبالطبع عرفنا كيف أن سفر التكوين قد أهمل التكلم عن تلك الظروف التى صاحبت نوحا أثناء صناعته لسفينته .. ولم يتحدث اطلاقا عن تلك العلامة الرائعة الفاصلة وهى فوران التنور .. ولم يذهب الى تحليل أية وقائع .. الامر الذى أسلم قصة نوح جميعا الى غموض وتشويش شديدين ! ونحسب أن مترجم سفر التكوين قد ترجم هذه الفصول من قصة نوح وهو مريض بداء الحمى .. فانعكس مرضه على كتابته فلم يدقق فيها أى تدقيق .. ظنا منه أن الملايين من متبعى سفر التكوين هم الاخرون مصابون بداء الحمى مثله.. فلن يكون هناك معارض أو ناقد لكتابته !! ونحسب أن تلك الملايين جميعا فى أتم صحة .. الامر الذى نود أن يقيموا الحجج على صحته !

وحتى نستطيع أن نلم بالذى حدث بعد ذلك تماما فى كل من الكتابين المعنيين اذ أن الذى حدث كان دقيقا وعنيفا .. وشيقا الى درجة كبيرة .. فنرى من الاوفق أن نقسمه الى ستة اقسام .. فلا نترك ثغرة واحدة فقط تستطيع أية نقطة ماء من الطوفان نفسه النفاذ اليها .. تلك هى :

١ ـ فوران التنور
٢ ـ الركوب فى السفينة
٣ ـ الطوفان
٤ ـ الهدوء بعد العاصفة
٥ ـ استرحام نوح ربه
٦ ـ الحياة على الارض من جديد

القسم الأول : فوران التنور

من المسلم به أن كل حدث عظيم يسبقه تمهيد ينير الطريق اليه .. والأمثلة كثيرة .. فالبركان حين ثورته فانه قد يبدأ ببعض هزات أرضية .. تنطلق على اثرها الحمم من فوهته انطلاقا رهيبا .. وفوران التنور على يدى نوح تمهيد لانطلاق جنود الله تؤدب الذين يتطاولون على خالقهم .. وعلامة لنوح يستبين بها ساعة الصفر .. هذه العلامة ـ كما قلنا ـ لانجد لها ذكرا فى جميع أرجاء سفر التكوين .. مع أنها حدث هائل شيق يبعث الامل فى نفوس المؤمنين المساعدين لنوح فى صناعته .. ويبعث فيهم النشاط بتوقع حدوثه .. والارتياح برضى الله عنهم وانتصاره لهم ودحر الكافرين الجاحدين !

أما القرآن .. فقد أخبر باعطاء نوح هذه العلامة التمهيدية .. فقد أوحى الله اليه بأن يبدأ فى صناعة الفلك وأن يستمر فى صناعته حتى يجىء أمر الله بعد ذلك .. وعلامة هذا الامر التى يمكن اعتبارها « كلمة السر » هى فوران التنور الذى ينضج لنوح فيه خبزه .. يقول القرآن : « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ! فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها » . (المؤمنون ٢٧) .

وفى الواقع أن فوران التنور فى حد ذاته حدث شيق .. وكأننا بنوح يداوم على القاء نظراته على تنوره القريب من ساحة العمل . وقد يكون المؤمنون قد لاحظوا نظرات نوح المتكررة الى التنور .. فسألوه عن السبب فأخبرهم بأن فوران الماء عن التنور علامة على بدء الحدث الضخم .. أو يكون نوح نفسه قد

اخبرهم بها عقب أن أوحى الله اليه بالصناعة .. ومهما يكن من أمر فان تلك النظرات الى التنور كانت تصدر عن جميع العاملين فى السفينة .. وكأنها قوة دافعة تلهب حماسهم الى المواصلة فى العمل .. وتشعرهم بقرب خلاصهم من تعنت الكافرين .. فاعتبر جميع المؤمنين انهم بسبيل قطف ثمار ناضجة لذيذة ..

فاخذوا يعنون بأشجارها وأعوادها عناية فائقة ... ولقد كانت تلك النظرات بالطبع قليلة ابان جمع الاخشاب والآلات البدائية اثناء المراحل الأولى من العمل .. وكلما اقترب نوح من الانتهاء من سفينته اذ بنظراته الى التنور تزداد .. ومن الجائز أن نرى نوحا يثبت بصره فى هيكل التنور ساعات طوالا فانه يعلم أن الاشارة من هنا .. فتزداد ضربات قلبه .. ويزوغ بصره متقلبا بين التنور وبين ما هو فيه من تركيب الواح ومن دق مسامير .. شان كل العاملين معه .. وكل منهم يمنى نفسه بمشاهدة تدفق الماء من التنور أولا .. خصوصا وأنهم بسبيل رتوش يسيرة فى السفينة .. فيطلق حنجرته بصيحة قوية يعلن بها وفاء الله وعده الحق .

وفجأة .. وبينا نوح يعمل فى حيوية مشوبة باهتزاز خفيف نتيجة توقعه العميق لظهور العلامة .. اذ بأذنيه تتلقفان صوتا غريبا صادرا عن التنور .. فادار وجهه اليه فى سرعة فائقة .. فرأى التنور المليء بالاخشاب المشتعلة .. يبدأ الماء فى التدفق منه فى شكل ينبوع صغير .. تنعقد سحب البخار فوقه نتيجة غليان ذلك الماء .. واذ بنوح تنطلق منه صيحة تكبر الله وتحمده .. وتنزل دموعه على خديه فتبلل شفتيه المضطربتين .. ويتبعه فى ذلك من حوله من المؤمنين .

ومما لاشك فيه أن هذه اللحظة بالذات لحظةفوران التنور .. لابد وأن لها وقعا شديدا فى نفس نوح .. فهو يعلم ما تعنيه هذه العلامة تماما .. وكأننا بنوح يعلو ويهبط صدره فى سرعة كبيرة وكأنه قطع عدة أميال جريا على قدميه .. وبعينى نوح الزائغتين اللتين نحسب أن وقع المفاجأة قد جعلتهما مبحلقتين لايريان شيئا .. لا التنور ..ولا الماء .. ولا المؤمنين من حوله .. وحتى اذنيه كأنه لايسمع بهما الصيحات المدوية التى تنطلق من حناجرهم .. فلقد حملته العلامة الرهيبة الى عالم مملوء بالذهول .. وبالطبع فقد ينسى نوح نفسه .. وينسى أمر ربه كذلك عند مجيء العلامة .. هذا الامر الذى أوحاه الله اليه من قبل أن يحمل فى فلكه من كل المخلوقات زوجين اثنين وأهله ومن آمن .. عند رؤيته للعلامة .. فهذه هى العلامة تظهر .. ولكن نوحا واقف فى دوامة عنيفة لا يدرى ماذا يفعل .. وكأنه عاجز عن مداركة الموقف الرهيب الذى أفلت من يديه زمامه ؟

هذه اللحظة .. قدر الله العليم لها شدة وقعهاعلى نوح .. وكيف أنها عصيبة الى درجة عظمى قد تجعل نوحا يخرج عن طوره . أو تؤثر فى عقله تأثيرا ما .. فينسى ساعتها ما يجب عليه عمله .. وقد يختلطعليه الأمر .. فاذ بالله الرحيم يقف الى جانب نوح يساعده ويطمئنه .. فيرسل اليه جبريل عليه السلام يحمل الى نوح كلام الله وأمره الذى لابد وأن ينشرح لهصدر نوح ويتشبث به .. يذكره بما يجب عليه عمله فى مثل هذه الساعة أن يا نوح هيا الى تنفيذ أمر الله فى أخذ زوجين اثنين من المخلوقات وأهلك أيضا .. ومن آمن .. فقد قال الله له : « احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن » .. (هود ٤٠) ..

وبعده .. أفاق نوح لنفسه .. واطمأن كثيرا .. وبدأ فى التنفيذ على الفور .

ونأتى الى القسم الثانى وهو : الركوب فى السفينة. وطفق نوح يجمع من كل زوجين اثنين .. ويشرف على استقرارهم فى الفلك .. ولقد جاء سفر التكوين بتفصيل عن ماهية تلك المخلوقات التى حملها نوح فى فلكه .. وبالطبع ان فن السرد يستتبع عدم الاطناب.. والتكرار .. فالكاتب اذ يجيء بالكلمة أو بالعبارة مرتين فى نفس المقام - بلا داع - شيء يقبل على مضض .. أما اذا جاء بها ثلاث مرات فهذا هو الملل بعينه .. وما بال القراء الأفاضل اذا قلنا أن سفر التكوين قد جاء بذكر أغلب أنواع المخلوقات .. وأخذ يكرر فيها أربع مرات متتالية تنتظم اصحاحين بأكملهما هما السادس والسابع !؟ . ولولا أننا نخشى على القارىء من الملل وعدم متابعته لبحثنا هذا لعرضنا عليه الاصحاحين جميعا ليرى كيف أنهما مقسمان الى أربعة أقسام .. كل قسم يكاد ينطبق على الاخر تمام الانطباق .. بطريقة المثلثات المتطابقة .. ولكننا أمانة للبحث سنمر على قسمين منها مرورا سريعا .. ونجد أنه لاداعى لذكر الاخرين وان كنا سنخبر بأمكنتهما .. وذلك لعدم احتياجنا اليهما . فقد قال الله لنوح - فى سفر التكوين - أن يدخل الى الفلك وأهله وكذلك الحيوانات « فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك .. من كل حى من كل ذى جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكرا وأنثى من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الارض كأجناسها اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها » . (ص ٦ : ١٨ - ٢٠) .. ومما يجدر ذكره أن هذا الامر قبل أن يصنع نوح فلكه .. ويمكننا قبوله مع ما فى التعبير من الركاكة .. ولكن ما الداعى الى هذا الذكر مرة أخرى ! وقبل أن يصنع نوح فلكه أيضا .. فاننا نرى فى الاصحاح السابع نفس العبارات تقريبا من فقرة ١ الى فقرة ٣ ؟ والتكرار عند الطوفان أيضا فاننا نجد الكلمات عينها فى الاصحاح السابع من فقرة ٧ الى ٩ ؟ ونقرأ أيضا فى نفس الاصحاح : « فى ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوحوامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك هم وكلالوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التى تدب على الأرض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها .. ودخلت الى نوح الى الفلك اثنين اثنين من كل ذى جسد كما أمره الله . » (ص ٧ : ١٣ - ١٦) .

وبالطبع هذا تفصيل جميل !. ولكن ما الداعى الى تكراره أربع مرات على التوالى بدون فاصل يستوجب التكرار فيذهب بحلاوة التفصيل ؟؟ . ثم ان سفر التكوين لم يذكر أن هناك مؤمنين من غير أهل نوح كان لهم نصيب من الركوب فى السفينة !

ولنا أسئلة بالنسبة الى سفر التكوين بالطبع .. ألم يتكلم نوح أثناء عملية الاشراف على الراكبين ؟ هل أخذ يرص المخلوقات كما يرص البناء الطوب فى صمت ؟؟ ألم يشرح نوح صدر المؤمنين بكلمة تطمئنهم وتبعث فيهم الرضا عن عمل الله العظيم ؟ الا يمكن اعتبار المؤمنين زائرين لنوح فى سفينته فهو يستضيفهم باسم الله القدير ؟؟ ويوجه اليهم عبارات الترحيب بلسان تقى مملوء بالايمان والورع ؟؟ الا يقدم اليهم كؤوسا من مغفرة الله لهم ؟؟

لا نخرج من هذه الأسئلة - كقراء لسفر التكوين - الا باننا بصدد فيلم سينمائى صامت !! أناس يتحركون

ولا ينطقون .. هذا الفيلم المشوش الصامت هو قصة نوح فى سفر التكوين ؟؟

أما القرآن .. فقد ترك العنان لذهن نوح أن يتجول فى جميع المخلوقات فاوجز اليه الامر ايجازا عجيبا .. ولم يعدد القرآن الاصناف التى يجب على نوح أن تحملها سفينته .. لم يقل ان نوحا يحمل من الطيور كذا .. ومن البهائم كذا .. أو من أهله فلانا وفلانا .. بل أوجز القرآن كل هذا وأخبرنا أنه قال لنوح : « احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن » ! (هود ٤٠) .. فهذه بالطبع كلمات موحية تنبعث منها أضواء قوية تكشف الصور أمام القارىء الى مدى بعيد .. والى القدر الذى يستطيع ذهن أى قارىء الوصول اليه .. فكأن تلك الكلمات ليست فى ذاتها صورا يمكن رؤيتها .. ويستطاع عدها واحدة فواحدة ! وانما هى شعاع يكشف أمامنا تلك الصور .. بحيث اذا افتقدنا هذا الشعاع الذى هو عبارة عن كلمات القرآن الموحية .. فبالطبع لن نرى صورا على الاطلاق ولا نحس بوجودها .

ولقد ورد فى « روح المعانى » أن العلماء اختلفوا فى كيفية جمع الحيوانات على تفرقها فى أكناف الارض. فقيل أنها أحست بالعذاب فاجتمعت .. وعن الزهرى أن الله تعالى بعث ريحا فحمل اليه من كل زوجين اثنين من الطيور والسباع والوحوش والبهائم » .

ولكننا نقول بانه كانت هناك فترة تمهيدية ما بين ظهور علامة فوران التنور وبين انفتاح أبواب السماء بالمطر الغزير .. ونحسب أنها فترة طويلة نسبيا بالقياس الى الاعمار الطويلة التى كان عليها البشر فى ذلك الوقت السحيق .. تلك الفترة ارتفع الماء أثناءها عن الارض بالقدر الذى يجعل سفينة نوح تجرى فوقه بسهولة .. وفى تلك الأثناء بالطبع لجات الوحوش والهوام والسباع الى الجبال العالية لتبتعد - فى ظنها - عن خطر الغرق . وعندما تمر السفينة بهم أثناء جريانها الى جوار الجبال .. يأخذ نوح من الوحوش الموجودة والحيوانات الأخرى ما أمره الله به ويترك الباقى .. وتسير السفينة الى جبل اخر قد تكون عليه أصناف من المخلوقات الأخرى لم تحملها سفينته بعد .. فياخذها معه .. أى كأن نوحا عليه السلام قد استعمل سفينته فى جمع تلك المخلوقات التى أخذت تاوى الى المرتفعات خوفا من الغرق فكأن السفينة قامت معه بنصيب كبير فى تنفيذ أمر ربه وسهلت له سبيله .. والذى يدعونا الى ابداء هذا الراى هو أن نوحا نادى ابنه - والطوفان على أشده - أن يركب فى الفلك ولكن الابن رفض .. ولو رضى الابن بالركوب لكانت السفينة رست عنده لتحمله .. أى أن عملية الركوب كانت مستمرة حتى أثناء بلوغ الطوفان مبلغا عنيفا !

وقد أخرج ابن عساكر عن عطاء أن ابليس جاء ليركب السفينة فدفعه نوح عليه السلام فقال : يانوح انى منظور ولا سبيل لك على .. فعرف أنه صادق فامره أن يجلس على خيزران السفينة .. وان كان ابن عباس يروى رواية مخالفة لهذا بان نوحا قال للحمار : ادخل شيطان .. فدخل الشيطان مع الحمار ! ولما رآه نوح قال له : ويلك من اذن لك ؟ قال . أنت ! .. قال : متى ؟؟ قال : اذ قلت للحمار ادخل شيطان فدخلت باذن منك !!

واما من ناحية أهل نوح والمؤمنين معه .. فقد ورد فى الالوسى أنهم كانوا تسعة وسبعين رجلا .. زوجته وبنيه الثلاثة ونساءهم واثنين وسبعين رجلا وامرأة من غيرهم من بنى شيثا .. ولقد كان من بين زوجات نوح زوجة كافرة هى واعلة - كما جاء فى الالوسى - وابنها كافر ايضا هو كنعان وهو الذى ناداه ابوه نوح فلم يستجب له !!

واننا لنسمع نوحا النبى العظيم يستضيف باسم الله هؤلاء المؤمنين معه .. فياخذ ببشاشة واخلاص فى ادخال الطمانينة الى قلوبهم .. ويحييهم تحية فيها سلام وغفران . واذ يدخل المؤمنون فى محراب السفينة المقدس يقول لهم نوح : « اركبوا فيها بإسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم » (هود ٤١) .. وعلمه الله كلمات خالدات يقولهن بعد استوائه ومن معه على الفلك ! . يقول الله مخاطبا نوحا : فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل : الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ! » (المؤمنون ٢٨) ..

اذن .. ففى هذا القسم الثانى لم يتنكب نوح امر ربه .. بل نفذه بحذافيره .. فما زال السؤال الذى طرحناه نجيب عليه من خلال الاحداث !

ونأتى الى القسم الثالث .. وهو : الطوفان

بدأت الثغرة الاولى من التنور تزداد فى اتساعها شيئا فشيئا !! وأخذت الأرض من حول القوم تتفجر منها ينابيع الماء .. والسماء ترسل أمطارها .. وانهى الا أيام حتى صارت الامواج كالجبال تلطم القوم الكافرين ! والبيوت ! وكل ما يصادفها فى غير هوادة ولا شفقة ! .. اذن .. فلقد اشتد الكرب العظيم !

وبالطبع .. كنا نمنى أنفسنا بوصف رائع دقيق فى سفر التكوين .. خصوصا وأن سفر التكوين قد مر بنا فعرفنا كيف وصف الركوب فى السفينة وكرره اربع مرات فى تفصيل لا مبرر له .. وكنا نعتقد أننا سنحظى بصور وعبارات موحيه تعطى الموقف العنيف حظه من الاتقان .. ومن الفن .. سيما وأن سفر التكوين كتاب منزل من الله تعالى - أو يفترض فيه ذلك - فلابد وأننا سنقرأ الاعجاز فى تلك التصاوير .. ونستشعر الدقة فيما توالى من الاحداث .. خاصة وأن الموقف الذى جرى على يدى نوح عليه السلام لم يسبق حدوثه فى التاريخ ولن يحدث حتى قيام الساعة .. ولكننا لا نجد عنه اى تصاوير .. أو الفاظ تحملنا الى الماضى السحيق .. ولا صورا محسوسة تقرب الامر الى أذهاننا نحن أناس القرن العشرين ! الامر الذى أكد لنا أن المترجم فى هذا الجزء قد ازدادت عليه موجة الحمى ووطاتها .. فكتب افكارا من رأسه المحموم تخبط فيها تخبطا بعيدا .. دون مراقبة من ضميره ! ودون أمانة ! فلقد جاء فى سفر التكوين عن ذلك الطوفان الفظيع : « أن مياه الطوفان صارت على الارض .. فى ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء .. وكان المطر على الارض أربعين يوما وأربعين ليلة » (ص ٧ : ١٠ - ١١) .. هذا اذن هو وصف سفر التكوين للطوفان .. تفجرت الينابيع والأمطار استمرت أربعين يوما .. هكذا بطريقة الرسائل الحكومية المجردة التى لاتحمل اى نوع من انواع فن الكتابة المؤثر فى النفس ! ومع هذا فاننا نقبل هذا الكلام على علاته كترجمة لشىء يسير جدا عن الطوفان .. ولكن عندما نقرأ ماجاء عن الطوفان ايضا فى سفر التكوين وفى نفس الاصحاح تجعلنا نذهب الى القول بان الصبى فى الصف الخامس الابتدائى يجد أنه من العيب « جدا » فى الكتابة تكرار الكلمات والجمل .. فنقرأ فى سفر التكوين : « وكان الطوفان أربعين يوما على الارض .. وتكاثرت المياه .. رفعت الفلك

فارتفع عن الارض .. وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الارض .. فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء .. خمسة عشر ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال .. فمات كل ذى جسد كان يدب على الارض » (ص ٧ : ١٧ – ٢١) .

هذه خمسة سطور فقط فى سفر التكوين !! ..فيها ما يأتى :

كلمة « الأرض » تكررت ٥ مرات
كلمة « على » تكررت ٥ مرات .
كلمة « المياه » تكررت ٥ مرات .
كلمة « فتغطت » الجبال تكررت مرتين .
كلمة « الفلك » تكررت مرتين .
كلمة « جدا » تكررت مرتين .
كلمة « تعاظمت المياه » تكررت ٣ مرات
كلمة « تكاثرت » تكررت ٣ مرات .
كلمة « فارتفع » تكررت ٣ مرات .
كلمة « كان » تكررت ٣ مرات

فأى كلمات هذه الفقرة لم يكرر يا ترى ؟ يبدو أننى لم أدقق النظر فيها جيدا !! ؟

ولماذا الحشو هنا : « ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض ؟ » فبالطبع سيرتفع الفلك عن الارض .. لأنه لن يطير فى السماء !

والحشو أيضا : « فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت السماء !! » فهل يا ترى هناك جبال لا تظللها السماء ؟ .. فهل هذا منطق قول يوحى به الله العظيم ؟ ألا يوجد فى الفقرة وصف للعذاب الشديد ؟ ألا يوجد هناك تشبيه أو استعارة أو كناية ؟ أو اى فن من فنون السرد ؟ هل فى هذه الفقرة من المعنى يمكن اضافته الى الأحداث فنخرج بلوحة رائعة ؟ بالطبع مستحيل .. فسبحانك ربى !! هذا بهتان عظيم !

ولنقرأ اذن ما جاء عن الطوفان فى القرآن العظيم .

وأول ما يقابلنا فى هذا الصدد .. هو هذا التصوير المهيب الذى صوره لنا القرآن لتبيان الطوفان ..ولحمل القارىء ليعيش – على البعد بالطبع – فى ذلك الطوفان من خلال صور تبلغ القمة فى رسمها وروعة اطارها .. وبراعة ألوانها .. ونستطيع أن نقسم هذه الصور الى نقطتين :

الأولى : صور حسية ..

الثانية : صور معنوية ..

فمن ناحية الصور الحسية فقد حملنا القرآن الى عهد نوح .. وكاننا بازاء نافذة مفتوحة من نوافذ قطار ينهب الأرض ضحى .. فكل خطوة يخطوها القطار ان هى الا لوحة واسعة مليئة بالصنوف المتعددة من المناظر والأشكال والأحجام .. عليها من الظلال القريبة والبعيدة ما يجعل أذهاننا هى الأخرى تسبح فى أجواء أوسع وأعم فتضفى عليها خيالا أرقى..وحقيقة أعظم .. فلقد قال الله عن الطوفان فى سورة القمر : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا .. فالتقى الماء على أمر قد قدر » (القمر ١١–١٢) .. وبالطبع هذا تعبير يفوق الروعة نفسها .. فلقد تجمعت السحب الثقيلة التى تنذر بامتلاء بطنها بالماء الكثير الذى لا يعلم حدود كثرته الا الله تعالى ..وأخذ كل جزء من تلك السحب فى وقت واحد يرسل ماءه فى خيوط متصلة غير متقطعة .. وأن هذه السحب فى تجمعها فى خط أفقى لم تترك جزءا من السماء نفسها الا حجبته .. وبالطبع فقد حجبت الشمس ايضا .. فاذا أضفنا لون السحاب القاتم الى عدم وصول اشعة الشمس الى الأرض .. لخرجنا بنهار داكن قد لايرى الناس فيه بعضهم بعضا فى سهولة .. او بليل اسود رهيب .. متناه فى رهبته . هذا من ناحية السماء .. وأما من ناحية الأرض فقد تفجرت عيون الماء منها وكأن الماء يدفع بعضه بعضا فى قوة وجبروت واذا بهذه العيون ترسل أيضا خيوطا من الماء متصلة .. ومنطلقة انطلاقا رهيبا وكأنها حراب مسننة او خناجر تندفع من الأرض وليست ماء .. فلو راينا الخيوط المتدفقة من السماء تلتقى بالخيوط المتدافعة من الأرض وكأنه تصارع عارم بين المياه بعضها وبعض وفى اصطراعها هذا تقذف بالموت خنقا الى كل شخص كافر وتهدم بيته وتقوض أركان عشه وتحمل أدواته وأثاثه طافيا على الماء أو غارقا فيه .. فكأن غضب الف سنة الا خمسين عاما الذى تولد فى صدر نوح وقلبه وعقله .. وقومه لا يستجيبون له .. قد تكور فاصبح كتلة واحدة ثقيلة .. والتقت تلك الكتلة مع أخرى من غضب الله المتكبر اشد منها وانكى .. ثم انطلقت الكتلتان تدمران وتنزلان عقابا عجيبا ليس قادما من فوق رءوس الكافرين فحسب .. وانما من تحت أرجلهم أيضا .

اذن هناك جانبان جاءت منهما المياه .. السماء والأرض .. واذا بجانب ثالث يتساوى مع الاثنين السابقين ينتج عنهما .. الا وهو الامواج .. فالأمواج لم تكن هادئة ابدا .. بل بلغت فى صخبها وغضبها حدا جعل اللجة منه تعلو فى الفضاء كأنها الجبل الشاهق .. فتلطم الكافرين الذين اعتقدوا سلامتهم فى النزوح الى الجبال .. وتضربهم فى عنف .. وبالطبع كانت سفينة نوح تجرى بين تلك الامواج .. واذا تصورنا سفينة فى يوم عاصف فى بحر عظيم غضوب فستكون كالريشة فى مهب الريح .. ولكن الله يحفظ السفينة وراكبيها المؤمنين. يقول القرآن : « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ! » (هود ٤٢) .. هذه اذن هى الصور الحسية الدقيقة .. المتناهية فى دقتها والتى يعتبر سفر التكوين غفلا منها بالطبع !

اما النقطة الثانية وهى الخاصة بالصور المعنوية وهى صور أبطالها نوح وابنه !

ونبدأ القول بأن هذه الصور المجسمة التى جاءت فى مأدب القرآن الكريم .. لم يقدم منها شىء على الاطلاق فى جميع أطباق سفر التكوين .. فالقرآن لم يكتف بايراد الصور الحسية التى نعمت عيوننا برؤيتها واشفقن منها.. فنراه يؤثر فى نفسياتنا..ويرسم على وجوهنا انفعالات شتى نتيجة ضربه على الوتر الحساس ! ومسه شغاف القلوب.. فكأن القرآن يريد أن يصل بالقارىء الى تمثل حادثة الطوفان وما جرى فيها تمثلا حسيا كاملا .. ليس هذا فحسب .. وانما ينقل القارىء نقلا روحيا عميقا اليه.. وهذا فى عرضه حادثة تعتبر بسيطة فى مظهرها .. الا انها عميقة الغور .. تضرب فى أعماق القلب والنفس كما تضرب الشجرة الضخمة جذورها فى أعماق الأرض الخصيبة منتشرة فيها .. ومتشعبة الى جميع النواحى .. تلك هى حادثة نوح وابنه .. فقد حدث أن كان لنوح ابن اسمه كنعان – كما ورد فى الألوسى – وكان هذا كافرا .. وأثناء الطوفان وعندما بلغ الكرب أشده .. اذ بنوح من خلال سفينته يرى ابنه كنعان على البعد .. والماء المزمجر آخذ فى الاقتراب منه .. فى هذه الحادثة التى جاء بها القرآن نستبين تحليلا دقيقا لشخصيتين متناقضتين فى جميع أحوالهما .. فالأب نوح صاحب القلب الرحيم يخاف على ابنه .. فلقد تحركت مشاعر الأبوة الصادقة وانجهت بجزئياتها نحو

كنعان .. عندما رآه نوح يتخذ لنفسه مكانا اعتقد فيه أنه سيعزله عن الغرق .. وأنه سيكون فى مأمن من شر الأمواج المتلاطمة .. ولكن نوحا يعلم يقينا بأن الله لابد وأن يسحب ابنه الى غياهب الموت سحبا لا شفقة فيه ولا تلطف .. ولا بد وأن صوت الأمواج المتصارعة كان مرتفعا .. فأخذ نوح يصيح بابنه كنعان فى صوت عال حتى يصل الصوت اليه .. وبالطبع فان حنان الأبوة كان على أشده لدى نوح .. ذلك الحنان الأبوى الصادق الذى لايمكن ان يشوبه زيف ولا رياء ..ولنا أن نتمثل أبا رحيما واقفا فى مأمن يرى ابنه وفلذة كبده وقد بدا حبل المشنقة يلتف حول عنقه .. حول عنق قطعة لحم انفصلت عن جسم نوح ثم دبت على الأرض .. وبعد لحظات يسقط ابنه ميتا بعد أن كانت الروح فيه .. وكان ملء السمع والبصر .. فلابد وأن يصيح بابنه صيحات فزعة مدوية .. فهو يعلم يقينا أن الذى يقف تحت المقصلة هو المحكوم عليه بالاعدام .. ولكن بنداء واحد منه .. أو نداءين .. قد يجعلان ابنه يتحرك من تحتها .. فيتخطاه الموت .. فيناديه بنداء الأبوة أن يابنى حتى يمكن لمشاعر البنوة أن تتحرك هى الأخرى كما تحركت مشاعر الأبوة من قبل.. فيلبى أباه فيقر عينه .. يقول القرآن :

« ونادى نوح ابنه وكان فى معزل ! يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » (هود ٤٢) .

ولكن الابن المتغطرس المتكبر .. كيف يركب سفينة أبيه فيظهر أمام أقرانه ولداته بانه خائف جبان ؟ فيعيرونه مستقبلا بانه لما يبلغ مبلغ الرجال بعد .. وهو الفتى الشجاع صاحب الرأى بينهم .. فيتندرون عليه ويسخرون منه .. ثم ان هذه الأمواج المتدافعة لن تصل على الاطلاق الى قمة جبل .. فلماذا لا يأوى الى الجبل حتى يكون فى مأمن من هذا السيل اليسير الذى يعتبر فى نظره سحابة صيف .. ثم يعود الأمر كأن سيلا لم يكن .. بل كيف يركب فى السفينة مع الذين آمنوا مع أبيه نوح ؟ وكيف يختلط بهمويجالسهم وهم اضداده وهو خارج على الذى آمنوا به ؟؟ ان الركوب فى السفينة عنده أعنف وأشد من الطوفان نفسه .. وأقسى من تلك الأمواج .. فلماذا لا يختار أهون الضررين .. بعدم استجابته لأبيه وعدم ركوبه فى السفينة .. فكان أن رد النداء على أبيه بطريقة ملؤها الكبرياء والاعتزاز بالنفس اذ « قال : سآوى الى جبل يعصمني من الماء ! » (هود ٤٣) .. أى لن أذهب الى ما تدعونى اليه !! ولكن عينى نوح الدامعتين على ابنه وأذنيه المرهفتين جميعا .. متوجهة بأعماقها الى ابنه والى شفتيه .. وماذا عساها تنفرج عنه أمام هذا الفضاء الذى حم .. فما أن نسمع نوح اعراض ابنه عن الركوب حتى صاح بكنعان مرة أخرى صيحة الأبوة الرحيمة يذكره بأن هذا السيل ليس عاديا .. وانما هو عقاب فظيع من الله القادر وأنه لا جبل .. ولا تل .. ولا برج .. ولا قمة مهما بلغت فى ارتفاعها تستطيع أن تعصم أحدا من ارادة الله التى حقت .. فقد ناداه نوح . « قال : لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ! » (هود ٤٣) اى فقد سد نوح المنافذ على ابنه .. وانتظر نوح بأذنيه المرهفتين اللتين لابد وأن ارهافهما قد زاد عن ذى قبل .. وحملق نوح من خلال الضباب بعينيه الزائغتين اللتين زادت قوة ابصارهما عن ذى قبل .. آملا استجابة ابنه له .. وعدم انقطاع الاتصال البصرى والسمعى بينهما .. فهذا ابنه عما قريب قد يرى جثته تتقاذفها الأمواج وتعبث بها فى دواماتها الشقية .. ومازال نوح يتابع ابنه بنظراته على البعد .. فقد يستدر عطف ابنه عليه فيتخذ طريقه نحو السفينة فى اللحظة المناسبة .. والسفينة نفسها تتخذ طريقها نحوه أيضا .. ولكن ما أن مضت لحظة أو لحظتان على نوح فى انتظارمايتفوه به ابنه .. ونوح متعلق بشفتى كنعان .. حتىاندفعت موجة محمومة اندفاعا رهيبا نحو المكان الذى يقف عليه كنعان فابتلعته ابتلاع الحوت الجائع من مدة طويلة .. فلقد انهت هذه اللجة العنيفة المحادثة بين الأبوالابن .. وفصلت فى القضية التى نظرت بينها فى جلسة واحدة .. فلم يكن ثمة داع لتاجيلها والمماطلة فيها .. وفى هذا يقول القرآن : « وحال بينهما الموج !! فكان من المغرقين ! » (هود ٤٣) .

ولن نستطيع نحن باية حال من الأحوال ان نترك هذا الجزء الرائع المتناهى فى روعة تعبيره وايجازه واعجازه دون أن نستشف بعض نقاط جميلة من الممكن أن يكون القرآن قد رمى اليها .

الاولى : لم يذهب نوح الى الاعتقاد بأن نبوته ستحجب العذاب عن ابنه وتشفع له عند الله .. الأمر الذى لم يتوجه نوح معه الى الله فى حفظ ابنه من الغرق .. ولم يخاطب الله أيضا فى أن يجعل ابنه يركب فى السفينة .. وعلى هذا فنوح نفذ امر ربه بحذافيره .. هذا الأمر الذى ألقاه الله اليه سلفا قائلا : « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ! » (هود ٣٧)

الثانية : المحادثة بين نوح وابنه لم تنته بينهما .. فقد فرقتهما اللجة العاتية : « وحال بينهما الموج » (هود ٤٣) .. اى وقف الموج بمثابة الحاجز او الفاصل فعاقهما عن اتمام محادثتهما .. فقد كان يأمل نوح بالطبع أن لا يغيب ابنه عن نظراته .. حتى يوالى تحذيره من غضب الله . ويسكب فى أذنيه الحث على الركوب فى السفينة الذى يعتبر هو الايمان بالله .وكان ينتظر نوح المزيد من ردود ابنه وعباراته فقد يرق قلبه ويلبى نداء الأبوة ويركب معه .. وكان شغوفا الى سماع صوت ابنه .. وعندما بلغ شغف نوح وشوقه الى ابنه مبلغا عنيفا اذ بالموج يتدخل بينهما فيفرقهما الى الأبد تاركا قلب نوح متوجعا أسيفا ! عدم اتمام المحادثة هذه نعتبره نحن امتحانا من الله لنوح هل يصبر لحكم الله ؟ أم يجأر له بالشكوى ؟ وبالطبع فقد صبر نوح عليه السلام .. فلم يرد فى القرآن أن نوحا خاطب الله فى شأن ابنه أثناء الطوفان !!

وهنا يعن لنا سؤال مهم .. تساءلته أيضا بعض التفاسير من قبل وهو :

هل كان الطوفان عاما ؟؟ بمعنى أنه عم جميع أطراف الأرض ؟ أم اقتصر على المنطقة التى كان يعيش فيها نوح ؟؟ ...

ولقد ورد فى روح المعانى قول الألوسى رحمه الله : « والذى يميل اليه القلب أن الطوفان لم يكن عاما – كما قال به البعض – وأنه عليه السلام لم يؤمربحمل ما جرت العادة بتكونه من عفونة الأرض كالحشرات .. بل أمر بحمل ما يحتاج اليه اذا نجا ومن ومعه من الغرق لئلا يغتموا لفقره ويتكلفوا مشقة جلبه من الاصقاع النائية التى لم يصلها الغرق فكأنه قيل : قلنا احمل فيها من كل ما تحتاجونه اذا نجوتم زوجين اثنين » .

وفى الواقع من الأمر .. اننا نرجح أن الطوفان على عهد نوح كان عاما .. شاملا لكل أطراف الأرض ..حتى يمكن القول بأن كل قطعة منها قد غطته المياه فلم تترك قدرة ثقب ابرة .. وبالتالى تعتبر الأرض جميعا قد تحولت الى بحر عظيم لا ساحل له .. والذى يدعونا الى اصدار مثل هذا الرأى ثلاثة اعتبارات هامة

الاعتبار الاول : ان نوحا وقومه يعتبرون من الخلائق المقتربة اقترابا كبيرا من بدء الخليقة .. ولم تكن الخلائق كثيرة فى عددها بالطبع بل كانت قليلة .. وكانت أعمارهم طويلة جدا الى درجة مستحيلة فى عصرنا الحاضر .. فالفرد كان يعيش سبعمائة عام أو ثمانمائة .. ونوح بالذات لبث فى قومه تسعمائة وخمسين عاما يدعوهم الى الله الواحد .. وبالطبع كانت هناك سنون طويلة قد مرت على نوح قبل أن تأتيه رسالة ربه .. وما ذلك الا لتعمر هذه القلة من الناس الارض حتى يتكاثروا ويتوالدوا ولم تكن هناك هجرة من أولئك القلة اذ أن عقولهم وطرق معيشتهم بدائية كانت قاصرة على الضرب فى الأرض بغية المزيد من أساليب العيش .. وعلى هذا فقوم نوح فقط هم الذين يعتبرون ـ قبل الطوفان ـ سكان الارض فقط من الانس الاحياء ولم تكن هناك حياة بشرية أخرى فى أية بقعة أخرى من بقاع الأرض .. ويمكن تطبيق هذا على الحيوانات .. فما كان منها مستأنس بقى الى جوار قوم نوح .. ومن كان منها متوحش فبالطبع هرب الى الجهات المجاورة حيث الجبال .. وحيث لا سكان يطاردونه .. وان كانت تلك الجهات قريبة ـ الى درجة ما ـ حيث سكنى نوح وقومه .. أى يمكن اعتبار أن الحيوانات لم تتوغل فى البعد عن قوم نوح .. بل ظلت محيطة بهم .. وقد تكون هذه السكنى فى غرب أسيا وشمال شرق أفريقيا فى المربع الذى تحده الان شمالا جبال طوروس وشمال العراق وجنوبا الحدود الشمالية للمملكة السعودية وشرقا العراق .. وغربا شبه جزيرة سيناء وبلاد الشام على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

نخرج من هذا الاعتبار الأول أن نوحا وقومه كانوا قليلين فى عددهم وأنهم كانوا حاملى لواء البشر الى تعمير الأرض بالنسل و .. على تلك البذور يتوقف بالطبع تحديد الغلة .. وقد عرفنا أن هذه البذور كانت فاسدة أغلبيتها العظمى فسادا كاملا لا يمكن أن ينشأ معه أمل فى صلاحيتها .. وكان كفر القوم شديدا وبلا هوادة .. ولو تركوا هكذا فى كفرهم لعلموا أبناءهم وأحفادهم الكفر .. فتنشأ الدنيا على الكفر والعناد .. الامر الذى اعتقده نوح .. فدعا الله أن يطهر الارض من هذه الشرذمة الكافرة لينشأ الخلق بعد ذلك مؤمنين مسلمين لله .. وحتى لو كفر البعض فانهم سيكونون نسبة ضئيلة من البشر .. يرجى صلاح الدنيا وترجى عبادة الله الواحد على أيدى المؤمنين منهم .. الامر الذى من أجله خاطب نوح ربه قائلا فى صرخته الخالدة : « رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ! انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ! » (نوح ٢٦ ـ ٢٧) فكان أن طهر الله تلك البقعة من الارض منهم بالطوفان .. بل ويمكن القول بأن الارض جميعا قد أخذت « دشا » من الماء الوفير كافيا لتطهيرها من تلك الفترة العاتية التى عاش قوم نوح على بقعة واحدة منها فقط .. ولا يفوتنا أن نذكر أن أول جريمة حدثت على الارض كانت بين الاخوين هابيل وقابيل حيث قتل ثانيهما الاول .. والدماء الزكية التى جرت على الارض بغير الحق لاول مرة .. فلماذا لا تكون الارض أثناء الطوفان بمثابة الاستحمام الكامل من هذه الجريمة .. ومن جناية الاشراك بالله أيضا على يدى قوم نوح !! فكأن الطوفان الشامل قد ضرب عصفورين بحجر واحد !؟ .

الاعتبار الثانى : قول الله : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ! » (هود ٤٠) .. اى ذكر وأنثى من نفس الجنس .. وما ذلك الا للتوالد بعد الطوفان .. فان باقى تلك الأجناس محكوم عليه بالغرق أيضا .. أى أنه لن يكون هناك أى جنس من المخلوقات البشرية والحيوانية على وجه الارض الا ويغرق بالطوفان .. الأمر الذى قد يدعو البعض الى التساؤل عن الذنب الذى اقترفته تلك الحيوانات والطيور مما دعا الله أن يهلكهم بذنوبهم .. فنقول بأن تلك المخلوقات غير الانسية كان بعضها ـ من المستأنس ـ يطيع الكافرين فى أعمالهم .. والبعض الاخر ـ من المتوحش ـ عاش فترة طويلة فى زمن لم يعترف فيها معظم الناس لله بالوحدانية ولا بالربوبية له مع ارسال الله رسولا اليهم .. فكان أن أهلكهم الله لمجرد حياتهم فى تلك الفترة التى غضب الله فيها غضبا شديدا .. وأما المخلوقات التى ركبت مع نوح فانها قد أطاعت نوحا وركبت معه فى الفلك .. ونحسب أنها كانت هادئة فى ركوبها السفينة الى درجة كبيرة !

الاعتبار الثالث : أن الماء أخذ يعلو على سطح الأرض حتى غطى الجبال .. يقول القرآن بعد الطوفان : « وغيض الماء .. وقضى الأمر ! واستوت على الجودى » (هود ٤٤) .. وذلك بالطبع بعد أن هبط الماء عن مستواه الذى بلغ عنفوانه .. اذن فالسفينة بحمولتها الضخمة كانت تسير على نسبة مرتفعة جدا عن قمة الجبل .. ومن المعلوم للقراء ولنا بالطبع ـ أن الماء لايمكن أن يرتفع الى مثل هذا الارتفاع الكبير الا اذا كان محصورا حصرا دقيقا من جميع الجهات .. ومن المعروف عن هذه المنطقة أنه لايوجد بها جبال تكون سلسلة دائرية متصلة بدون ثغرات بينها تحيط بنوح وقومه فيرتفع الماء بينها فقط دون الاماكن المجاورة .. وهذا يحدونا الى القول بأن الماء قد عم الارض جميعا .. لانه طبقا لنظرية « الاوانى المستطرقة » لا يمكن أن نحصل على مثل هذا العلو الشاهق للمياه فى مكان معين والى جانبه من مكان آخر خال منها .. لأن المياه بالطبع ستجرى الى هذا المكان الآخر فلا تحصل على الارتفاع المنشود .. وعلى هذا فان الأرض جميعا كانت وحدة واحدة فتحت ابواب السماء بالمطر عليها فى جميع الجهات شمالها وجنوبها وشرقها وغربها .. وفجرت منها العيون فى كل بقعة من الأرض جميعا أيضا .. الأمر الذى أحدث بالطبع التساوى فى الوجه الأعلى للمياه وحتى وصل الى مافوق قمة الجبل بمقدار كبير .. لأنه لا يمكننا الحصول على مثل هذا الارتفاع الا بارتفاع الماء نفسه بنسب ثابتة فى جميع أطراف الأرض .. وفى كل جزء وبقعة فيها .. الأمر الذى نستطيع معه أن نؤكد أن الطوفان كان عاما ..

وبعد كل هذا الصخب العنيف للطوفان نستشعر الهدوء بعد العاصفة .

فقد قضى أمر الله ! وأهلك الكافرين .. وكان حقا على جنود الله أن يتخذوا طريقهم نحو ثكناتهم .. بعد أن لطموا الظالمين لطمات بالغة فى قسوتها .. اذن فقد حل الهدوء .. ولننظر ما جاء عنه فى سفر التكوين : « وأجاز الله ريحا على الارض فهدأت المياه .. وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء .. فامتنع المطر من السماء ورجعت المياه عن الارض رجوعا متواليا .. وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه واستقر الفلك على جبال أراراط » (ص ٨ : ١ ـ ٤) .. ثم ذكر سفر التكوين كيف أن نوحا أرسل الغراب من الفلك .. ثم الحمامة .. فرجعت اليه بغصن زيتون فعرف أن الأرض بدأت تظهر : « فكشف نوح الغطاء عن الفلك .. ونظر فاذا وجه الأرض قد نشف » (ص ٨ : ١٣)

وبالطبع ان التعبير الركيك يذهب بالمعنى ذهابا .. بل يضع المعنى فى اطار ملىء بالغموض والتشويش .. فاذا أضفنا الى هذا أن سفر التكوين لم يأت بالمعنى نفسه الا قليلا . فسنخرج بصور فارغة من أى فن .. لايمكنها خلق احساس فنى لدى من يقرأها .. بل تكون ثقيلة عند ناظرها .. وسامعها .. ونقرأ فى سفر التكوين : « وكلم الله نوحا قائلا اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك .. وكل الحيوانات التى معك من كل ذى جسد الطيور والبهائم وكل الدبابات التى تدب على الأرض أخرجها معك ولتتوالد على الأرض .. فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه وكل الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك » (ص ٨ : ١٥ – ١٩) .. أولا : لاحظ أيها القارىء الفاضل أن كلمة « كل » هنا تكررت سبع مرات .. وكلمة « معك » أربعا .. وكلمة « خرج » أربعا !! ونترك الحكم للقارىء ثم ألا كان يكفى أن يقول الله لنوح : اخرج أنت ومن معك من الفلك ؟ » ولم يكن ثمة داع الى تعديد جميع الأصناف الموجودة مع نوح .. فهل يتكلم الله مثل هذا الكلام الملىء بالحشو !؟ وبالنقد !؟ بل ومن العجيب « جدا » أننا نقرأ بعد ذلك تكرارا أن نوحا خرج هو وبنوه .. و .. و .. الخ ! فهل بالله نعتبر انه موحى به من الله تبارك وتعالى !؟ فيا أيتها القساوسة والرهبان .. أفتونا فى هذا الأمر ان كنتم للفتوى تتصدرون ؟؟!

ولننظر اذن ماجاء عن هذا الهدوء فى القرآن الكريم!

فلقد أورد القرآن كلمات قلائل فى عددها .. كثيرة رائعة فى معانيها وأعماقها .. حتى ليحس القارىء بأن طوفانا ثانيا من الصور والألوان الدقيقة قد انفتح .. ولكن لا ليغرق .. أو يدمر .. ولكن ليعلم كيف تصاغ الكلمات .. وكيف يؤتى بالعبارات المناسبة للموضوع تناسبا كاملا فى أعلى مراتبه .. فيه فن وحكمة ! فيه قوة وجمال ! .. يعلم فن الكتابة لا للذين نزل على أيامهم القرآن المجيد فحسب .. ولكن لمن يجىء بعدهم من القرون الطويلة وحتى قيام الساعة ! .. والقرآن بالطبع أبد هو المدرس الأوحد ! وأبدا هو الصادق الأوحد ! وأبدا هو المعلم الأوحد لكل جيل وزمان ! .

فبالطبع أول الأمر أصدر الله أمره الى السماء فانفتحت أبوابها بالمطر .. وآخر الى الأرض فتفجرت منها العيون .. وكل هذا لاغراق الظالمين وقطع دابرهم نهائيا ! وها قد أغرقوا .. ودابرهم قد قطع ! ومازالت السماء والأرض ترسلان عقابهما وكان لابد من أن الجهة التى أصدرت مثل هذا الأمر العنيف هى التى توقفه وتمنعه ! وليست هناك جهة تستطيع أن تتدخل .. فكل شامخ تهدم ! وكل متكبر غرس رأسه فى الطين .! وكل ظالم خرجت أحشاؤه .. وكل متطاول على الله العلى أخذته اللجة الهائلة ! وهاهو نوح فى سفينته كنبى عظيم .. وقبطان خبير ينظر فيرى عنفوان الماء وجبروته .. وهو عاجز عن أن يصدر أمرا الى الماء ان اديت واجبك فكفى .. فالأمر ليس بيدى نوح فى تلك الساعات الحالكة .. فلقد خرج بالطبع الأمر من يده وأصبح قبطان السفينة نفسه ينتظر قضاء الله فيه !

وأخيرا .. وبعد فترة كافية لاغراق الكافرين أصدر الله أمره الى الأرض أن تبتلع ما تدفق من عيونها وما نزل عليها .. والى السماء أن تمسك ماءها فلاترسله .. وبالطبع بدأتا على الفور فى الانصياع لأمر الله .. وبدأ الماء يتناقص من على الأرض شيئا فشيئا .. اذن فلقد انقضى أمر الله فى اهلاك الكافرين ..واستوت السفينة على جبل يقال له الجودى بالموصل أو بالشام – كما ورد فى الألوسى – واذ بالملائكة والناجين فى سفينة نوح يقولون فى شماتة : أن هلاكا وبعدا عن رحمة الله للقوم الظالمين .. يقول القرآن : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ! وياسماء أقلعى ! وغيض الماء ! وقضى الأمر ! واستوت على الجودى! وقيل بعدا للقوم الظالمين !» (هود ٤٤) ..

والى هنا .. هل خاطب نوح ربه فى أمر الظالمين ؟ بالطبع لم يحدث .. اذن فلم يتنكب نوح أمر ربه !!

ونأتى الى القسم الخامس الخاص باسترحام نوح ربه

اذن .. فلقد أخذت الأرض فى ابتلاع ما على وجهها من الماء .. وأقلعت السماء عن ارسال أمطارها الغزار .. وبدأت سفينة نوح ترسو الى جانب أحد الجبال .. وبالطبع .. فقد مرت فترة من الزمن بين ابتداء السماء والأرض فى انفتاحهما بالمطر .. وبين أمر الله لهما بالكف عنه .. فماذا كان شعور نوح عليه السلام واحساساته ؟ لابد وأنه كان مبلبل الفكر تجاه ابنه كنعان منذ أن حالت بينهما تلك اللجة العنيفة فلم يستمع الى جواب ابنه الاخير .. خصوصا وانه قد رأى تلك اللجة وهى تلطم ابنه فى قسوة .. فلم تمهله حتى يرد على أبيه .. فكأنه عاش صورا أخيرة من حياة ابنه .. فاخذت هذه الصور تتراءى له فى مجلسه من السفينة .. وفى صحوه .. ومنامه .. وبالتالى فقد قضت مضجعه الا من تثبيت الله له .. وانزاله السكينة على قلبه .. وبالطبع ان حنان الأبوة كان يتخذ له جزءا من قلب نوح وعقله .. فنرى نوحا تتازعه عاملان قويان :

الأول : أمر الله له بعدم مخاطبته فى شان الظالمين .
الثانى : صورة ابنه وهو يغالب الموت فى الرمق الاخير ..

واذ بالعامل الاول قد تغلب على نوح فرضخ له ولم يعقب على حكم الله .. ولكن بعد ذلك نقرأ فى القرآن: « ونادى نوح ربه فقال : رب ! ان ابنى من أهلى !! وان وعدك الحق !! وأنت أحكم الحاكمين ! » (هود ٤٥) . اذن فقد خاطب نوح ربه فى أمر ابنه الكافر .. فكيف يحدث هذا ؟؟ مع أن الله أمره بعدم المخاطبة فى شان الكافرين ! الأمر الذى قد يحدو البعض أن يقولوا بأن نوحا فى هذا الجزء قد تنكب أمر ربه ؟؟

وفى الواقع من الأمر .. ان نوحا لم يتنكب أمر ربه على الاطلاق .. بل سار نوح فى أبعاد تنفيذ الأمر السامى الى نهاية الشوط .. فقول الله لنوح : « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ! » (هود ٣٧) .. لابد وأن نوحا أخذ يقلب هذا الأمر على وجوهه .. يحدوه أن يجد ثغرة واحدة يستطيع منها النفاذ الى مخاطبة الله فى أمر ابنه .. ولقد وجد نوح – فى اعتقاده – ثغرتين اثنتين : الاولى : ان كنعان بن نوح يعتبر من أهل نوح الذين قال الله فيهم :

« احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك ، الا من سبق عليه القول ومن آمن ! » (هود ٤٠) .

الثانية : اعتقد نوح أن أمر عدم المخاطبة فى شان الظالمين يستمر تنفيذه بالطبع حتى يغرق الظالمون جميعا .. فاذا هلكوا ولم يكن هناك فرد حى منهم .. يستطيع نوح أن يخاطب اليه بعد ذلك على اعتبار أن أمر الله موقوت بغرق الظالمين ، وبعده يصبح فى حل من أمر الله فيستطيع أن يخاطب الله فقد قال الله له : « ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ! » (هود

٣٧) وبعد الاغراق يمكن لنوح أن يخاطب الله كما يشاء .. وفى أى موضوع كان ..

اذن فهناك حجتان فى يدى نوح يستطيع بهما أن يتقدم الى القاضى الأكبر ليسمح له بسماع أقواله ولكن كيف ينتقى نوح المعنى السامى الذى يخاطب الله به ؟ بالاضافة الى الادب العظيم الذى كان عليه نوح العظيم ؟ فما أن حل الهدوء بعد العاصفة .. وانتهت موجة الطوفان .. حتى تقدم نوح بطلبه الى اللهالكبير مخاطبا اياه فى شأن ابنه .. ولابد وأن صوت نوحكان خاشعا .. وهادئا .. ورائعا .. ولابد وأنه قد تمتم ببعض آيات وأدعية علمهن الله له .. وبدا كأنه يقدم رجلا ويؤخر أخرى : « ونادى نوح ربه فقال : رب !.. ان ابنى من أهلى ! وان وعدك الحق .. وأنت أحكم الحاكمين ! » (هود ٤٥) .. كلمات منتقاة .. عميقة فالذى يخاطب العظماء لابد وأن يتحفظ فى كلماته هو الاخر .. وينتقى ما سما منها .. وما علا من تراكيبها فى ايجاز بليغ .. فان نوحا يخاطب علام الغيوب .. أى رب ان كنعان من أهلى لأنه ابنى وفلذة كبدى .. وقد وعدت وعدك الحق يا رب أن تنجى أهلى من الغرق وقضاؤك أعلى .. ولكنى لست الان فى موقف المعقب على حكمك .. فانت أحكم الحاكمين ! وبالطبع فقد بلغ نوح تأدبا كبيرا فى مخاطبته لله تعالى .. وآملا منه فى نفس الوقت أن يرفع العذاب عن ابنه .. وان كان ابنه قد غرق فعلا ولا سبيل الى اعادته للحياة .. فكأن استرحام نوح ربه على اعتبار أن يتقبل الله شفاعة نوح فى ابنه فيرفع الله العذاب عنه .. لأن نوحا يعلم بأن الكافرين سيردون الى أشد العذاب يوم القيامة ! وجاء جواب الله على قول نوح فى ثورة .. وعتاب شديد الى نوح .. وخبر عنيف بأن ابنك يانوح من الكافرين ! فلا يعد من أهلك بالطبع .. فان أهلك هم المؤمنون وكنعان ليس منهم .. لأنه كافر تنكب الطريق المستقيم .. طريق الايمان بى .. والاعتراف بالوحدانية !ويانوح لابد وأن تكف عن أسئلتك فى أمور لاتعلمها .. ولاتتدخل فى شئونى العليا التى تعلو عن ذهنك وأفكارك .. وكان المفروض يانوح أن تعلم أنت هذا فلا تقحم نفسك فىأمور لا دخل لك أنت بها !! الى أنك يانوح ترمى من كلامك ان أرفع العذاب عن ابنك أو أن أعيده الى الحياة مرة أخرى .. وأنت تعلم يانوح أن قضائى لابد لى من أن أنفذه بحذافيره .. فالعذاب واقع بابنك الكافر لا محالة .. فقد حق القول منى بأنهم مغرقون .. وأنا أعظك يانوح وأبين لك الأبعاد التى يجب أن لا تتعداها .. حتى لاتكون من الجاهلين .. فتعد منهم .. يقول القرآن : « قال يانوح انه ليس من أهلك ! انه عمل غير صالح ! فلا تسألن ما ليس لك به علم ! انى أعظك أن تكون من الجاهلين ! » (هود ٤٦) ..

ولابد وأن نوحا عند سماعه هذا القول قد اضطرب.. واهتز .. وشاب وجهه اصفرار عنيف ! فكلمات الله له تحمل ثورة عارمة على مخاطبته اياه .. فارتعد نوح ارتعادا هائلا واعتذر لله على الفور آملا أن يغفر الله له هذا التطفل ويتوب عليه فقد قال : « رب .. انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ! والا تغفر لىوترحمنى أكن من الخاسرين ! » (هود ٤٧) .. وقد جاء عن الفضيل بن عياض أنه قال : « بلغنى أن نوحا عليه السلام بكى عند قول الله تعالى ماقال أربعين يوما !! »

وجاء رد الله الحكيم .. فى أدب بالطبع يصل الى اعلى درجات الكمال صافحا عن نوح نبيه العظيم فقد قال الله له : « يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك » (هود ٤٨) .

وبالطبع .. هدأت نفس نوح .. ورجع الى صوابه .
كل هذا الأمر الرائع .. لم يأت له ذكر على الاطلاق فى جميع اصحاحات سفر التكوين !

وبعد هذا نرى الحياة على الأرض من جديد ..

ولنبدأ ماجاء عنه فى سفر التكوين .. فبعد أن خرج نوح ومن معه من الفلك نقرأ فى سفر التكوين تفصيلا عن حياة نوح بعد الطوفان .. هذا التفصيلكان يعتبر جميلا ـ الى حد ما ـ لولا مايشوب الأسلوب من تكرار ممل وأفكار ساذجة .. ففى الاصحاح التاسع: « وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا واكثروا واملئوا الأرض .. كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفعت اليكم الجميع » (ص ٩ : ١ ـ ٤) ونعتقد نحن أن كل دابة حية فى ذلك الوقت لم تكن جميعا طعاما لنوح وأهله .. بل كانوا يأكلون دوابا معينة .. ثم ان نوحا ومن كان فى الفلك بالطبع سيأكلون ويشربون فلم يكن هناك داع الى ذكره .

وفى موضع آخر من الاصحاح التاسع : « فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد » (ص : ٩ ـ ١٥) وهذا صحيح بالطبع فلم يتكرر الطوفان مرة أخرى ولن يتكرر ..

أما القرآن فقلما يذكر مآدب الأكل والشرب التى نجد سفر التكوين منصوبة تلك المآدب فيه عند الصباح وفى الغداء .. وفى العشاء .. وان كان سفر التكوين لم يقدم على الاطلاق أى مائدة دسمة مليئة بأنواع مختلفة من الآداب والأخلاق والتهذيب .. وانما كانت موائده وأطباقه مليئة بلاشىء !

فلقد كرم الله نوحا بمغفرة منه وسلام وبركات .. ليس عليه فقط وانما على ذريات ستكون أمما كثيرة من بعد .. أصولها كانت معه فى السفينة .. بل أطلع الله وقتئذ نوحا شيئا من الغيب بأن بعض تلك الذريات والأمم سيمتعهم الله فى الدنيا ولكنهم يفسدون ..ويكون مصيرهم الى النار يقول القرآن : « يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » (هود ٤٨) .

ونستطيع أن نذكر أن بركات الله على نوح وعلى الأمم التى ستتفرع عنهم .. لن يصيبهم مثل هذا الطوفان حتى قيام الساعة .. وأن المفسدين سيلاقون جزاءهم عندما ينصب الميزان القسط ليوم القيامة .

اذن .. فلقد أتينا الى خاتمة قصة نوح عليه السلام كما وردت فى كل من القرآن الكريم وكتب العهد القديم .. ولابد من ذكر ما عن لنا من الملاحظات العامة التى مررنا بها فى كل من الكتابين المعنيين :

فمن ناحية سفر التكوين نستبين سبع نقاط هامة :

الأولى : لم تذكر قصة نوح فى سفر التكوين أى شىء عن عقيدة التوحيد اطلاقا ! فلم يرد فى القصة أن هناك الها واحدا كان يؤمن به نوح !. وكان يدعو اليه !

الثانية : لم يذكر سفر التكوين أن نوحا نبى من قبل الله !

الثالثة : لم نسمع صوت نوح فى سفر التكوين على الاطلاق .. فلم يتكلم نوح كلمة واحدة فقط فى أىموقف من المواقف الخالدة التى مرت بها قصته العظيمة !

الرابعة : لم يبين سفر التكوين أن السفينة صنعت خصيصا لانقاذ المؤمنين بالله .. ولم يذكر أن راكبى السفينة كانوا من المؤمنين .. بل لم يذكر كلمة « المؤمنين » .. أو كلمة « الكافرين » ولم يبين الفرق بينهما على الاطلاق ..

الخامسة : لم تذكر القصة سوى نقطتين فقط من حياة نوح هما صناعة الفلك والطوفان .. أما الحياة الرائعة الحافلة بالجدل العنيف بين نوح وبين قومه حول عبادة الله الواحد .. والبعد عن الأصنام .. وحتى هاتين النقطتين رأينا فيهما من التشويش ما رأينا !

السادسة : التكرار فى الجمل والكلمات تكرارا لايمكن الاعتقاد معه بأن الله سبحانه وتعالى هو الذى أوحى بمثل هذا !

السابعة : لايخرج القارىء بأية فائدة دينية ! أو دنيوية أو أدبية أو عملية على الاطلاق !

أما فى القرآن فنستبين جميع أطراف حياة نوح .. بطريقة عميقة .. ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا فى النقاط الست الاتية :

الأولى : شرحت القصة فى القرآن عقيدة التوحيد شرحا وافيا كاملا .. ونستطيع أ ل«ابنىرةقعكل شرحا وافيا كاملا .. يقول الله : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ! أن لا تعبدوا الا الله » (هود ٢٥ ـ ٢٦) .

الثانية : أظهرت القصة منذ البدء أن نوحا نبى من قبل الله .. ولم يترك القرآن شخصية نوح طافية على السطح كما كان الحال فى سفر التكوين ..

الثالثة : فى القرآن سمعنا صوت نوح كثيرا .. وعرفنا شخصيته وتفهمنا تحليلا دقيقا لها .. وقرأنا كيف كان يجادل قومه بالحق فيقول الكافرون له : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا » (هود ٣٢) .

الرابعة : صنع السفينة بالطبع كان لانقاذ المؤمنين بالله من الغرق .. يقول القرآن : « فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين » (المؤمنون ٢/) .

الخامسة : جاءت القصة فحللت جميع المراحل التى مرت بها حياة نوح منذ ارسال الله له .. وجعله نبيا كما رأينا من قبل .

السادسة : هناك فوائد عديدة دينية يخرج بهاالقارىء فى القرآن فقد عرف عقيدة التوحيد معرفة كاملة لا نقص فيها .. وأيضا فوائد دنيوية فقد أجاب نوح عندما أراد المشركون ابعاد الفقراء المؤمنين عن مجلسه عليه السلام فقال : « وما أنا بطارد الذين آمنوا » (هود ٢٩) .. وفوائد أدبية فقد أوسعت المجال أمام القارىء ليعمل ذهنه فيما يدور حوله ويدقق فيه .. ولقد عرفنا مواطن الايجاز المعجز فى القصة ومن ناحية الفائدة العلمية فلقد عرفنا بطريقة « الأوانى المستطرقة » أن الطوفان كان عاما فى كل أرجاء الارض ولم يقتصر على بقعة بعينها .

وبعد ..

فهل يحق لمترجم سفر التكوين أن ياتى بتلك المعلومات فقط عن نوح ؟؟ ويترك الأجزاء البالغة فى أهميتها .. وهل يصح لمترجم سفر التكوين أن يعيث فسادا بهذا الشكل فى قصة نبى عظيم مثل نوح ؟؟فيأخذ ـ بجهله ـ يحذف ويضيف مايتراءى له ؟ .. حتى بلغت القصة فى سفر التكوين هذا المبلغ العنيف من التشويش؟ ولولا القرآن العظيم لما عرفنا عن نوح وقصته شيئا .. ولما اهتدينا الى النقاط الكبار التى جاء بها بطريقة فنية أدبية معجزة !! حقا ! ان القرآن كتاب : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. تنزيل من حكيم حميد » ..

حياة المقر الشهابي

ابن فضل الله العمري

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

تتمة الوصف الشافى والبيان التاريخى الوافى (١٢) عن مسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

- ١٤ -

تتمة الوصف الرائع الشافى والبيان التاريخى الوافى عن « مسجد الصخرة المشرفة » و « المسجد الاقصى »

تفصيل « ابن فضل الله العمرى » لزيارته :

قلت : وكان قدومنا هذه المرة على الخايل - عليه السلام - يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فبتنا ليلتنا نتبرك مما حوت تلك القبور من العظام ، ونعفر الوجوه فى تلك البقعة المشرفة فى مواضع اقدام اولئك الاقوام . ثم اصبحنا وقد حمدنا السرى عند الصباح ، وطلبنا حوائجنا عند تلك الوجوه الصباح . فلما قضينا من الزيارة الارب ، وهزتنا من النوبة الخلياية الطرب ، بعثت وراء الصاحب ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن الخليلى التميمى الدارى ، وهو بقية هذا البيت الجليل ، والمنتهى اليه النظر على وقف الحبيب سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبلد أبيه ابراهيم الخليل .

استحضار ابن فضل العمرى نسخة الاقطاع النبوى لتميم الدارى ووضعه لها :

والتمسنا منه احضار الكتاب الشريف النبوى المكتتب لهم بهذه النطية - أى العطية بلغة اليمن ، وذلك اشارة الى اقطاع تميم الدارى الصحابى - والمشرف لهم به على سائر البرية ، فأنعم باجابة الملتمس ، وجاء به أقرب من رجع النفس . وهو فى خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير ، من كم الحسن

ابى محمد المستفىء بالله امير المؤمنين ، وبطانتها من كتان ابيض على تقدير كل اصبع منه ميلان اسودان مشقوقان بميل ابيض ، جعل ضمن اكياس يضمها صندوق من ابنوس يلف فى خرقة من حرير . والكتاب الشريف فى خرقة من خف من آدم ، أظنها من ظهر القدم ، وقدموه سواد الجلد على الخط ، لا أنه أذهبه ، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه . وهو بالخط الكوفى المليح القوى . فقبلنا تلك الآثار ، وتمتعنا منه بمدد الانوار . ومعه ورقة كتبها المستفىء بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه .

ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

« نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه »

« لتميم الدارى واخوته فى سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه »

« من غزوة تبوك فى قطعة ادم من خف امير المؤمنين على وبخطه »

« نسخته كهيئته »
« بسم الله الرحمن الرحيم »
« هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم »
« الدارى واخوته حبرون والمرطوم »
« وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن »
« نطية بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم »
« ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم »
« لعنه الله شهد عتيق بن أبو قحافه وعمر بن »
« الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن »
« بو طالب وشهد »

هذه نسخة الكتاب الشريف .

و « ابو قحافة » ألف وباء وواو — ثم « قحافة » — و « بو طالب » باء وواو — ثم « طالب » . وليس فى « بو » الف . بين ذلك ليعرف . و « كتب » فى ذكر على رضى الله عنه مقدمة ، و « شهد » مؤخرة ، بين ذلك أيضا ليعرف .

نقل هذه النسخة من خط الخليفة المستفىء :

وقد رأيت ذلك كله بعينى ، ومن خط المستفىء ، نقلت ، وهو خطه المعروف المالوف . وقد رأيته واعرفه معرفة لا أشك فيها ولا أرتاب . وقرأته من الكتاب النبوى نفسه . وهو موافق لما كتبه المستفىء ، نقلا منه . على أن آثاره كادت تنعفى ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفى .

كتب استاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم احمد زكى باشا تعليقا على هذه العبارة يقول :

« وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل ابن فضل الله . فمن ذلك ما رواه صلاح الدين الصفدى « فى ورقتى ٢٧ و٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكرته ، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية » .وهذا نص ما فيه :

قال الفقيه القاضى أبو بكر العربى المعافرى — رحمه الله تعالى — فى كتاب القبس له : « وقد كان عند أولاد تميم الدارى — رضى الله عنه — بحبرون بدمشق ، قرية ابراهيم — صلى الله عليه وسلم — كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — فى قطعة من اديم: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الدارى . اقطعه قريتى حبرون وعينون قريتى ابراهيم الخليل . يسير فيهما بسيرته ، وكتب على بن أبى طالب ، وشهد فلان وفلان » فبقيتا فى يده يسير بسيرته ، وشاهد الناس كتابه الى أن دخلت الروم سنة ستين — لعلها ست وتسعين • ولقد اعترضه فيهما بعض الولاة بأن يزيلهما من يده ابان كونى بالشام . فحضر مجلسه القاضى حامد الهروى . وكان حنفيا فى الظاهر ، ومعتزليا فى الباطن ، ملحدا شيعيا ، وكان الوالى سمكان بن أرتبك « أزبك ؟ » . فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال القاضى حامد ، هذا الكتاب لا يلزم ، لان النبى — صلى الله عليه وسلم — أقطع ما لا يملك . فاستفتى الفقهاء فقال الطوسى ، وكان بها حينئذ : هذا كافر ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان يقطع الجنة ويقول : قصر عمر ، قصر فلان ، فكيف لا يقطع فى الدنيا ؟ وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : زويت لى الارض .. الحديث . فوعده صدق وكتابه حق . فخزى القاضى والوالى ، وبقى أولاد تميم بكتابهم »

ومما يدل على وجود هذا الكتاب الى ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن القلقشندى صاحب « صبح الاعشى » كتب فصلا طويلا على هذا الاقطاع وعلى الكتاب النبوى الكريم• وذكر فى آخره ما نصه : « وهذه الرقعة التى كتب بها النبى — صلى الله عليه وسلم — موجودة بأيدى التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام الى الان ، وكلما نازعهم احد ، أتوا بها الى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرنى برؤيتها غير واحد . والاديم التى هى فيه قد خلق لطول الامد»

(انظر صبح الاعشى ج٧ ص٣٩ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بخزانتى) .

وذلك يدل على ان الكتاب النبوى كان موجودا الى سنة ٨٢١ هجرية .

وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالى ، فى الحرم الخليلى الملاصق لقبر زوج يعقوب — عليه السلام — المفضى منه الى المأذنة بحضرة مخزن العدس .

رؤية ابن فضل الله العمرى لهذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩ :

وقد كنت رأيت ذلك مرة متقدمة بالحصن سكن بنى الخليل ، بظاهر البلد ، لما اتيت زائرا بعد العود من الحج على الدرب المصرى فى المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولكنى اذ ذاك لم انقله .

قبر يونس بن متى وزيارة ابن فضل الله العمرى له مرات آخرها سنة ٧٤٥ :

قبر يونس بن متى عليه السلام

بقرية حلحول على يسار الذاهب من بلد القدس الى بلد الخليل عليه السلام . ويعرج الزائر اليه . وعليه بناء وقبة ، وله خادم زرته مرات . وآخر عهدى به فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة وكتبت على جدار القبة بيتين خطرا لى فى ذلك الوقت وهما :

(هنا بياض بالاصل مقدار سطرين)

قبر موسى الكليم عليه السلام

قبر موسى بن عمران — عليه السلام — بالقرب من أريحاء ، وتعرف القرية بشيحان .

رواية فى تحقيق موضعه ومنام عجيب

رأيت بخط علاء الدين ابن الكلاس ما صورته : « قال الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبد الله بن يونس

الارموى عن والده قال : زرت قبر موسى - عليه السلام - الذى بالقرب من أريحاء . قال الشيخ ابراهيم :وكان اذ ذاك لم تبن عليه قبة ولا مشهد. قال : فقلت فى نفسى : اللهم ارنى ما ازداد به يقينا فى صحة هذا القبر . قال : فبينا أنا نائم رأيت كأن القبر انشق وخرج منه انسان طوال . قال فجئت اليه وسلمت عليه ، وقلت له : من انت ؟

قال : موسى بن عمران ، وهذا قبرى ، وأشار اليه ، ثم قعدنا . واذا بالقرب منا رجل بطيخ فى قدره فلما استوى طعامه ، أحضره الينا فاذا شورباة أرز ، فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق ، وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثا . ثم تداولناها بيننا الى أن فرغت .

قال الشيخ عبد الله . وكنت على عزم العودة الى بلاد العجم ، الى عند شيخى .

فقال لى موسى عليه السلام : أنت لا تسافر الى شيخك ، وكيف تسافر ؟ وانت تريد ان تتزوج بامرأة من نسل الرسول وترزق منها أربعة أولاد .

وأقام الشيخ ابراهيم أصابع يده اليمنى الاربعة، وضم الابهام الى باطن كفه ، يحكيه .

قال الشيخ ابراهيم :فكان كما ذكر موسى عليه السلام ، فلم يسافر والدى ، وتزوج بامرأة شريفة ، وهى أمى ، ورزق أربعة أولاد ، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة ، قلت له : يا سيدى أنت راض عنى؟ فقال : كيف لا أرضي عنك ، وقد بشرنى بك موسى عليه السلام .

(هنا بياض آخر الصفحة بالاصل مقداره ثلاثة عشر سطرا) .

هذا آخر الوصف الرائع الشاق ، والبيان التاريخى الوافى عن « مسجد الصخرة المشرفة » و « المسجد الاقصى » الذى سجله الكاتب البليغ والمنشىء الناقد الضليع العبقرى المقر الشهابى « ابن فضل الله العمرى » رئيس ديوان الانشاء فى عصر الملك المنصور « قلاوون » ملك مصر ، ومن قادة الفكر العربى النابغين ، فى أكبر موسوعة عربية اسلامية فىالجغرافيا والتاريخ والادب . تناول فيه ما شاهده بنفسه ، أو نقله عمن عاينوه فى عصورهم التاريخية . وقد انفرد بذكره فى موسوعته الخطيرة ، دون سواه منالمؤرخين ، ويعتبر الآن وثيقة تاريخية هامة لهذين المسجدين العربى والاسلامى بصفة عامة ، والشعوب العربية بصفة خاصة من المقام السامى والمركز العظيم .

لا سيما وقد كانت المكتبات العربية بمصر، وخزانات الكتب بالمساجد فى عصره زاخرة بنفائس المخطوطات النادرة المثال ، والذخائر الثمينة القليلة الوجود . وهى بخطوط مؤلفيها ، قادة الفكر العربى فى العصور الاسلامية الى عصر « ابن فضل الله العمرى » فى متناول يديه ، لانه كان يشغل أكبر وظيفة ، وهى رياسة ديوان الانشاء ، ومؤلفه النفيس المطبوع فى المراسيم والمكاتبات السلطانية وهو « التعريف بالمصطلح الشريف » يدل على علو شأنه ومركزه السامى ، وتضلعه فى الكتابة والانشاء .

وقد ظلت هذه الكتب النفيسة فى أماكنها ، يرتشف من مناهلها العذبة العلماء الباحثون ، وطلاب العلم النابغون النابهون . الى أن جاء الفتح العثمانى المشئوم ، فى عهد السلطان سليم التركى الغشوم ، أوائل القرن العاشر الهجرى ، فنهب وسلب ما فى هذه المكتبات والخزانات من الدرر الغوالى ، واللآلىء الثمينة التى تقدر الآن بعشرات الملايين من الجنيهات واخذها معه حين خروجه من مصر ، ولم يكتف بهذا، بل اخذ معه مهرة الصناع والنابغين منهم . والعباقرة فى كل فن وصناعة من العرب المصريين الى الاستانة

لذا نهيب بالسادة رؤساء الجمهوريات العربية، وملوك ورؤساء الحكومات العربية ، والقادة العسكريين رؤساء جيوشها الابطال ، وجنودها الفدائيين الشجعان . ونخص بالذكر منهم « فرق الصاعقة » وشعوبها على اختلاف طبقاتهم ، وقادةالفكر العربى فى مشارق الارض ومغاربها المحافظة عليهما ، وبذل النفس والنفيس فى الابقاء عليهما ، ومحاربة كل من تسوله نفسه من جنود الاستعمار والصهيونية الاستيلاء عليهما - كما يحلمون بذلك - أسوة بما اغتصب من أرض فلسطين العزيزة فى قلب كل عربى، واتخاذها دولة مستقلة بما جلب لها من يهود العالم بمساعدة الدول المستعمرة ، لتكون قاعدة عسكرية لها ، واصبحت الآن خنجرا موجها الى قلوب الدول العربية المتاخمة لها ، كما نرى الآن عدوانها المتكرر على سوريا مرة ، وطورا على الاردن ، ومن قبل عدوانها الغاشم على مصر ، وباءت فيه بالفشل الذريع ، والخسران المبين ، فوق ما فقدته منجيوشها وطائراتها ودباباتها من خسائر فادحة يرميها بالخزى الوبيل . والعار الشنيع . وان عادت العقرب عدنا لها بما هو أشد وانكى .

ونظرا لعدوانها المتكرر على الدول العربية اتفق رؤساء الجمهوريات العربية وملوك ورؤساء الحكومات العربية ، فى اجتماعهم التاريخى بمؤتمر القمة المنعقد بالقاهرة على استرداد أرض فلسطين التى اغتصبها اليهود بمساعدة الاستعمار والصهيونية من أصحابها الشرعيين الذين شردوا فى بعض الدول العربية ، واستوطن بعضهم فى قطاع غزة ، ينامون فى الخيام التى أقيمت لهم ، ويقدرون بنحو مليون عربى .

ومع الاسف الشديد ، والالم المتزايد ان بعض من حضر هذا الاجتماع التاريخى خرج عن الاجماع العربى واتخذ له موقفا معاديا لهم ، وهو الحقود الحسود ، والعدو اللدود ، حليف الشيطان ، وعميل الاستعمار، ونصير الصهيونيه الخائن « بورقيبة » الذى يزعم ويدعى ظلما وعدوانا انه رئيس دولة عربية اسلامية شقيقة وهى منه بريئة .

ومن الغريب المدهش والالم المتزايد انه لم يكتف بهذا الموقف الشائن الذى يحز فى قلب كل عربى ، فى جميع الشعوب العربية ، وخروجه المخزى المزرىعن الاجماع العربى - وقد أصدر رؤساء الحكوماتالعربية قرارا اجماعيا بشأن موقفه هذا من القضيةالفلسطينية ويعتبرونه خروجا عن الاجماع العربى ، ونقضا للالتزام القومى بتحرير فلسطين - بل أخذ يدلىويهذى بتصريحات بالغة الخطورة يؤيد فيها بقاء اسرائيل البغيضة فى أرض فلسطين المغتصبة من أصحابها الشرعيين ظلما وعدوانا .

وقد استنكرها رؤساء الحكومات العربية ، وقادة الفكر العربى الاسلامى ، وعلماء المسلمين ، وجميع الطبقات والهيئات فى الدول والشعوب العربية .ونذكر هذا فيما يأتى .

آراء علماء الدين .

كتب الاستاذ المفضال عبد العظيم ملوك تحقيقا هى هذا الشأن بمجلة « منبر الاسلام » عدد المحرم سنة ١٣٨٥ (مايو سنة ١٩٦٥) بعنوان :

« آراء علماء الدين الذين يستنكرون تصريحات بورقيبة الشاذة الخارجة على العروبة والاسلام » عندما سألهم سيادته عن موقف هذا الخائن .

وفى مقدمة هؤلاء السادة علماء الدين الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر .

رأى الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر .

قال الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر ضمن اجابته الطويلة المدعمة بالآيات القرآنية الكريمة - حفظه الله وأبقاه لخدمة الدين الحنيف والاسلام والمسلمين :

« بورقيبة نقض العهد وخرج على الاسلام والعروبة »

رأى فضيلة الاستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى :

وأجاب فضيلة الاستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى بقوله ضمن اجابته السديدة التى تعتبر خنجرا فى قلب هذا الخائن :

«ان موقف الحبيب - وليس هو بالحبيب - كموقف الشيطان حينما يطل برأسه بين الجماعات وينفث همزاته ونزعاته ليفرقهم اشتاتا .. ولكن هيهات ! »

رأى السيد الدكتور محمد كامل الفقى

وأجاب السيد الدكتور محمد كامل الفقى الاستاذ بكلية اللغة العربية بالازهر الشريف بقوله ضمن اجابته :

« ان الدين الاسلامى لا يعترف الا بقيادة تستمد كيانها وتصرفها من روح الاسلام ، وقد خرج بورقيبة بهذا الانحراف من ظل الاسلام واتجاهه . والدين بهذه المثابة يدعو شعب تونس الى سحب ثقته ممن نصب نفسه بقيادة هذه الامة والمشاركة مع القادة العرب فى قضية الوطن العربى . ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ونكتفى الآن بهذه العجالة من الآراء لضيق نطاق المجلة ، وكثرة الآراء لسادة علماء الدين ، وكبار علماء المسلمين ضد تصريحات الخائن بورقيبة المؤيدة للصهيونية والاستعمار ، والمقالات التى يحررها طائفة مختارة ، وفئة ممتازة من كبار الكتاب المعروفين بسعة الاطلاع ، والثقافة الدينية ، وغيرهم من رجالات الفكر والادب والدين .

وسنذكر فى المقال التالى - ان شاء الله تعالى - البقية الباقية من هذه الآراء ، مشفوعة بآراء الهيئات والجماعات التى لم تنشر على صفحات هذه المجلة الغراء التى تعد الآن كبرى المجلات العربية الاسلامية فى الشرق والعالم الاسلامى ، لقيامها بخدمة الاسلام والمسلمين ، ونشر الوعى الثقافى الدينى فى انحاء العالم العربى والشعوب العربية ، بهمة رئيس تحريرها المفضال المسلم الغيور على دينه الحنيف ، الساهر على تقدمها الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - حفظه الله وكلاه بعنايته ورعايته وأبقاه لخدمة الاسلام والمسلمين - بمساعدة السادة الافاضل القائمين بتحضيرها وانجازها واخراجها فى غرة كل شهر عربى على الوجه الاكمل : جمال طبع ، وجودة ورق ، وأبدع تصوير ، وأحسن رونق يسر القارئين حتى تبرز للقراء فى انحاء العالم العربى ، بهذا الشكل الجميل ، والصورة البديعة .

ونختتم هذه الآراء بكلمة رائد العروبة الموفق ، وقائدنا المظفر ، ورئيسنا المحبوب من جميع الشعوب المحبة للسلام بصفة عامة ، والشعوب العربية بصفة خاصة « جمال عبد الناصر » رئيس الجمهورية العربية المتحدة - حفظه الله وأيده بنصر من عنده - وهى الكلمة التى ضمنها خطابه الرائع فى المؤتمر الوطنى لتحرير فلسطين والذى يندد بها موقف الخائن بورقيبة لتصريحاته الشائنة حيث قال :

« الجماهير العربية عزلت بورقيبة وحكمت عليه بانه عميل للاستعمار والصهيونية » .

« للترجمة بقية »

شريعة الإسلام والقانون الوضعي

الأستاذ ابراهيم عوضين

وشريعة الاسلام تختلف عن القانون الوضعى ؟ والبون بينها وبين القانون الوضعى شاسع . والاختلاف كبير.

فالقانون الوضعى ينشأ فى الجماعة التى ينظمها ويحكمها .. ضئيلا محدود القواعد ، ثم يتطور بتطور الجماعة ، فتزداد قواعده ، وتتسامى نظرياته كلما ازدادت حاجات الجماعة وتنوعت ، وكلما تقدمت الجماعة فى تفكيرها وعلومها وآدابها .

وأقرب مثل لذلك ما يلاحظه أبناء الجيل من تغيرات تتناول مبادىء ماركس وقوانينه فى الاشتراكية والشيوعية، بحيث أصبحت المقارنة بين الاصل وبين ما صار اليه دليلا يؤكد اختلافهما عن بعض كل الاختلاف مع أن الزمن لم يطل بالأصل ، والأجيال لم تتعدد .

فالقانون الوضعى كالوليد ينشأ صغيرا ضعيفا ، ثم ينمو ويقوى شيئا فشيئا حتى يبلغ أشده ... وهو يسرع فى التطور والنمو والسمو كلما تطورت الجماعة التى يحكمها ، وأخذت بحظ من الرقى والسمو ، ثم هو يبطىء فى تطوره ونموه كلما كانت الجماعة بطيئة النمو والتطور .

الجماعة اذن هى التى تخلق القانون الوضعى وتصنعه على الوجه الذى يسد حاجاتها وينظم حياتها ، وهو تابع لها ، وتقدمه مرتبط بتقدمها .

وعلماء القانون الوضعى حين يتحدثون عن النشأة الأولى للقانون يقولون : انه بدأ يتكون مع تكون الأسرة والقبيلة ، وان كلمة رب الأسرة كانت قانون الأسرة ، وكلمة شيخ القبيلة كانت قانون القبيلة ، وان القانون ظل يتطور مع الجماعة حتى تكونت الدولة ، وان عادات كل أسرة كانت لا تتفق مع عادات غيرها من الأسر ، وتقاليد كل قبيلة لم تكن مماثلة لتقاليد غيرها من القبائل، وان الدولة حين بدأت تتكون وحدت العادات والتقاليد ، وجعلت منها قانونا ملزما لجميع الأفراد والأسر والقبائل الداخلية فى نطاق الدولة .

ولكن قانون كل دولة لم يكن يتفق فى الغالب مع قوانين الدول الأخرى ، وظل هذا الخلاف حتى بدأت المرحلة الأخيرة ـ كما يقرر صاحب التشريع الجنائى الاسلامى ـ من التطور القانونى فى أعقاب القرن الثامن عشر على هذه النظريات الفلسفية والعلمية والاجتماعية ، فتطور القانون الوضعى من ذلك الوقت حتى الآن تطورا عظيما ، واصبح قائما على نظريات لم يكن لها وجود فى العهود السابقة .

وأساس هذه النظريات الحديثة (العدالة والمساواة والرحمة والانسانية) .

وقد أدى شيوع هذه النظريات فى العالم الى توحيد معظم القواعد القانونية فى كثير من دول العالم ، ولكن بقى لكل دولة قانونها الذى يختلف عن غيره من القوانين فى كثير من الدقائق والتفاصيل .

أما الشريعة الاسلامية فتختلف كل الاختلاف ـ فى نشأتها ـ عن القانون الوضعى .

شريعة الاسلام لم تتكثر بعد قلة ، ولم تتجمع بعد تفرق ، ولم تتسع بعد ضيق ، ولم تتعقد بعد سذاجة ، ولم تتهذب بعد تشعب واختلاط ، ولم تنم بنمو الجماعة الاسلامية .. انها شريعة الاسلام ولدت ناضجة مكتملة ، ونزلت من عند الله كاملة وافية الكمال ، شاملة جامعة مانعة ، لا ترى فيها عوجا ، ولا تصادف فيها نقصا ، أنزلها الله تعالى من سمائه على قلب رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى فترة قصيرة لا تتجاوز المدة اللازمة لنزولها ، بدأت ببعثة الرسول ، وانتهت يوم قال ـ سبحانه ـ « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا . »

ولم تأت الشريعة لجماعة دون جماعة ، ولا لقوم دون قوم ، ولا لدولة دون دولة ، وانما جاءت للناس كافة: من عرب وعجم ، شرقيين وغربيين ، على اختلاف مشاربهم ، وتباين عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم ، فهى شريعة كل أسرة ، وشريعة كل قبيلة ، وشريعة كل جماعة، وشريعة كل دولة ... بل هى الشريعة العالمية التى استطاع علماء القانون الوضعى أن يتخيلوا وجودها ولكنهم لم يستطيعوا أن يوجدوها .

ولم تأت الشريعة لوقت دون وقت ، ولا لجيل دون جيل ، ولا لزمن دون زمن ، وانما هى شريعة كل وقت ، وشريعة كل جيل ، وشريعة كل زمان .

ولم تأت شريعة الاسلام ـ تلك ـ لحادثة معينة ، ولا لحالة خاصة ، وانما هى كاملة لا نقص فيها ، جامعة تشمل كل حالة ، مانعة لا يخرج عن اطارها حادث ، تتناول

حاجات الأفراد كما تتناول حاجات الجماعات والدول ، وهى – فى تناولها ذلك – تشمل الأحوال الشخصية والمعاملات ، وكل ما يتعلق بالأفراد ، كما تشمل شئون الحكم والادارة والسياسة وغير ذلك مما يتعلق بالجماعة ، وكما تشمل ذلك تشمل علاقات الدول بعضها ببعض فى الحرب والسلام .

وأساس الفرق بين الشريعة والقانون – على ما ذكره صاحب التشريع الجنائى الاسلامى – هو أن الشريعة من عند الله – جل شأنه – وهو يقول « لا تبديل لكلمات الله » (٦٤ يونس) وهو عالم الغيب القادر على أن يضع للناس نصوصا تبقى صالحة على مر الزمان .

أما القوانين فمن وضع البشر ، وتوضع بقدر ما يسد حاجتهم الوقتية ، وبقدر قصور البشر عن معرفة الغيب تأتى النصوص القانونية التى يضعونهـا قاصرة عن حكم ما لم يتوقعوه .

ولقد جاءت الشريعة من يوم نزولها بأكثر مما وصل اليه القانون الوضعى ... وحسبنا أن نعرف أن كل مايتمنى رجال القانون اليوم أن يتحقق من المبادىء لهو موجود فى الشريعة من يوم نزولها ..

فاذا كان الفقه الأوربى الحديث يرتب مصادر الحقوق جميعا ، ويردها الى خمسة مصـادر كلية ، تعتبر هى المولدات المباشرة للحقوق والالتزامات بين الناس ، فكل حق لأحد لابد من أن يتولد عن أحدها .. وهى : العقد ، والارادة المنفردة ، والفعل الضـار ، والاثراء بلا سبب ، والقانون أى ارادة الشارع .

اذا كان الفقه الأوربى الحديث يرد مصادر الحقـوق جميعا الى هذه المصادر فانى أستطيع أن أقرر أن الفقه الأوربى هذا ليس مبتكرا ولا خالقا ، وانما هو تقليد ضن واضعوه على الأصل بالذكر لحاجة فى نفوسهم وقفت بهم دون ذلك .

لقد تضمنت شريعة الاسلام فيما تضمنت كل هـذه المصادر الالتزامية الخمسة ، وقدمت نصوصها الأساسية فى القرآن والسنة قبل نحو اربعة عشر قرنا ..

– فأما المصدر الأول – وهو العقد – فمما جاء عنه فى القرآن قوله تعالى يأمر بالوفاء به : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .. » (المائدة) .

٢ – وأما المصدر الثانى – وهو الارادة المنفردة – فقد جاءت بتطبيقاته آيات وأحاديث كثيرة ... منها ما جاء من الوصية التى تنعقد ، وتثبت فيها الحقوق بمجرد ارادة الموصى ، وعن انعقاد النذور بالتزام الناذر ، وانعقاد الوقف بارادة الواقف ، ووقوع الطلاق ونتائجـه المالية بارادة المطلق .. الى غير ذلك من صـور الارادة المنفردة ومصدريتها فى انشاء الحقوق .

٣ – وأماالفعل الضارفمما جاء عنه فىالقرآن جميع آيات النهى عن العدوان ، ومسئولية قتل الخطأ ، وقوله تعالى: « لها ما كسبت وعليهـا ما اكتسبت » (٢٨٦ البقرة) وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » ... وهذا أصل من أكبر أصول شريعة الاسلام .

٤ – وأما الاثراء بلا سبب والمسئولية الحقوقية فيه ، فمما جاء من شواهده ومؤيداته فى القرآن الكريم قوله تعالى : « وان ليس للانسان الا ماسعى » (٣٩ النجم

٥ – وأما التشريع والقانون ومصدريته المباشرة فى انشاء الحقوق فشواهده أكثر من أن تحصى ، كايجاب الزكاة ، ونفقة الأقارب ، وحق الشفعة وغير ذلك ..

ومن ثم نستطيع القول بأن شريعة الاسلام تختلف عن القانون الوضعى اختلافات جوهرية ، لا مجال لانكارها ، ولا للمماراة فيها ... من أبرزها : المصدر ، والتوقيت ، والهدف .

١ – أما المصدر ... فشريعة الاسلام صدرت عن الله ، والقانون الوضعى صنعه البشر .. ومن المقرر الثابت أن المصنوع يحمل سمة صانعه ، فشريعة الاسلام تتسم بالكمال والشمول والعظمة .

« ... ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم . » (١٠ الممتحنة) .

والقانون الوضعى يتسم بالنقص والقصور والمحدودية ولذا فهو فى حاجة للتغيير والتبديل ، كلما تغيرت الحياة وانتقل الانسان الى مرحلة لم تكن متوقعة ، ولم يصل اليها خيال الانسان المحدود الذى وضع القانون ، فقصرت عنها افتراضاته .

ومن ثم نرى الأستاذ عبد الرزاق السنهورى – فى بحث مبدأ سلطان الارادة العقدية ، ورضائية العقود فى الفقه الأوربى الحديث من كتابه نظرية العقد – يقرر أن جميع الشرائع الوضعية الحديثة التى أقرت أخيرا مبدأ سلطان الارادة المطلقة فى الشرق والغرب قد مرت أصولها بمراحل طويلة من القيود الشكلية المختلفة فى انشاء قواعد العقود ، الا الشريعة الاسلامية ، فانها انشأت قواعد العقد انشاء جديدا محررا من جميع القيود الشكلية التى تفرضهـا الأعراف والعادات فى جاهلية العـرب ، وفى شرائع الأمم المحيطة بهم ، وقد كان هذا من الظواهر الغريبة غيـر المعهودة فى تاريخ التشريع ، وهذه المزية التى تفرد بهـا الشرع الاسلامى مدينة لعامل واحد هام هو المصـدر الدينى . »

وليس صدور شريعة الاسلام عن الله راجعا الى تلك الميزات فحسب ، بل هناك ما هو أهم من ذلك كله ، فقد اقتضى صـدورها عن الله ان ترتبط بالعقيدة . وذلك يستلزم أن يكون الانسان قاضيا على نفسه – لايحتال على القاضى والقانون . اذا كان يعتز بايمانه ، ويسعى للابقاء عليه .

فمن تمكن من أن يخدع القاضى – وهـذا كثير نراه اليوم – حتى غير الحقيقة ، فان القضـاء لصالحه لا ينجيه ، ولكنه يحس بأن ذمته ما زالت معلقـة ، وانه لا يعدو أن يكون مغتصبا لحق ليس له .

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « وانما أنا بشر وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجـة من بعض فاقضى له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار . » . متفق عليه

وهكذا أصبح كثير من الناس – مع شريعة الاسلام – يحترمون الحق ويؤدونه ، ولو لم تقم البينة على ذلك .

ومن ثم حققت شريعة الاسلام ما عجزت عنه – حديثا – كل الشرائع الوضعية من فرض احترامها على المتقاضين اليها .

٢ – التوقيت .. فشريعة الاسلام قواعد وضعها الله على سبيل الدوام ، لتنظيم شئون الجماعة وتوجيهها . والقانون الوضعى قواعد مؤقتة تضعها الجماعة ، لتنظيم شئونها ، وسد حاجاتها .

« لا تبديل لكلمات الله » (٦٤ يونس) .

« سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . » (٢٣ الفتح) .

وهذه الميزة التى تتميز بها الشريعة تقتضى من الوجهة المنطقية :

أولا – أن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من المرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طالت الأزمان وتطورت الجماعة ، وتعددت الحاجات وتنوعت .

ثانيا – أن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من السمو والارتفاع بحيث لا يمكن أن تتأخر فى وقت أو عصر ما عن

مستوى الجماعة .

والواقع أن ما يقتضيه المنطق متوفر بوجهيه فى الشريعة، بل هو أهم ما يميز الشريعة الاسلامية عن غيرها من الشرائع السماوية والوضعية .

فقواعد الشريعة الاسلامية ونصوصها جاءت عامة ومرنة الى آخر حدود العموم والمرونة ، كما أنها وصلت من السمو درجة لا يتصور بعدها سمو .

ان معجزة الاسلام الكبرى هى انه يملك أن يحافظ على مبادئه وخصائصه ، وأن يسمح فى الوقت ذاته ببروز صور شتى من المجتمعات كلها قائمة على تلك المبادىء والخصائص

ومرد هذا الى أن تلك المبادىء والخصائص يحكمها ذات القانون الذى يحكم الفطرة البشرية ، ويحكم الحياة الانسانية ، بل ويحكم الوجود كله فى الحقيقة .

وهذا القانون يقوم على الثبات والاستمرار مع التطور والتحور كجزء أصيل من كيانه ، وعندئذ لا يصطدم تطور البشرية الدائم بتلك الشريعة الثابتة ، لأنها تحتكم جميعا الى ناموس واحد .

شريعة الاسلام تقرر منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا مبدأ الشورى ... استجابة لقوله ـ سبحانه : « وأمرهم شورى بينهم » (٣٨ الشورى) وقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا ضرر ولا ضرار » .

وهى اذ تقرر هذا المبدأ قاعدة للحكم ـ على الوجه الذى لا يضر فردا ولا جماعة ، ولا يضر المجتمع العام ـ تبلغ من السمو أقصى حدوده ، اذ لا يتصور أن يحتاج الانسان فى يوم من الايام الى تعديل فى ذلك المبدأ او تغيير فيه ، لأنه لا يتصور أن يصل البشر فى حياتهم الى تطبيقه كاملا ، فضلا عن أن يجتازوه ويطلبوا غيره .

ولو تتبعنا نصوص الشريعة لما وجدنا هناك ما يختلف عن ذلك المثل ... فاقرأ ـ ان شئت ـ قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها .. » (٢٨٦ البقرة)

أو قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين .. » (١٣٥ النساء) .

أو اقرأ قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن . » (١٢٥ النحل) .

لقد مر على شريعة الاسلام أكثر من ثلاثة عشر قرنا .. تغيرت فيها الحياة تغيرا كبيرا بما استحدث من علوم ، وبما جد من مخترعات لم تكن لتخطر ببال الانسان يوما من الأيام ، وبما طرأ على الأفكار من تطورات .

وتغيرت فيها قواعد القوانين الوضعية ونصوصها مرارا، بحيث لم تعد هناك صلة بين قوانين الماضى والحاضر ...

وعلى الرغم من كل ذلك فشريعة الاسلام كما هى يوم نزلت ، وما زالت قواعدها ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات ، وأرقى من الحضارات الجديدة ، وأكفل بتنظيم البشرية وسد حاجاتها ، وأقرب الى طبائع الناس ، وأحفظ لأمنهم واطمئنانهم .

٣ ـ الهدف ... فالجماعة تضع القانون لتنظيم شئون الجماعة ، وليس لتوجيه الجماعة ، لأنها تلونه ـ حين تضعه ـ بعاداتها وتقاليدها وتاريخها ...

ومعنى هذا أن القانون الوضعى متأخر عن الجماعة ، وانه تابع لها فى تطورها ، فهو دائم التخلف عن الجماعة لأنها تطوره بعد أن تتطور هى ، وتغيره بعد أن تتغير هى ... الأمر الذى يفقد الثقة فيه ، ويضعف من قيمته فى نظر الجماعة والأفراد ، ويهيىء النفوس دائما للثورة التجديدية فيه ، لأن النفوس لا تقر مع التخلف .

ومن ثم فهم دائمو النظر اليه ، والتعديل فيه ، حتى لا تتعرض البلاد لثورة عليه ، أو تجمد مع التخلف ان لم تسعفها الثورات .

وكان آخر تعديل طرأ على القانون الوضعى تعديله فى القرن الحالى ـ وعلى وجه التحديد بعد الحرب العظمى ـ تعديلا تناول الأصل الذى يقوم عليه ، والهدف الذى يرجى منه ، فأصبح القانون يستخدم لتوجيه الشعوب وجهات معينة الى جانب تنظيم الجماعة ـ الهدف القديم ـ وكان أسبق الدول الى ذلك روسيا الشيوعية ، وتركيا الكمالية ، ثم ايطاليا الفاشيستية وألمانيا النازية ... ثم اقتبست بقية الدول هذه التعديلات .

هذا الموقف بالنسبة للقانون الوضعى ..

أما الشريعة الاسلامية فانها لم تصنع لتنظيم شئون الجماعة فحسب ولكنها قصد منها ابتداء خلق الأفراد الصالحين ، وتكوين الجماعة الصالحة ، ثم انشاء الدولة الصالحة ، وايجاد المجتمع المثالى الأفضل ...

فهى ـ كما تقرر ـ ليست من صنع المجتمع ، ولكنها هى التى تصنع المجتمع .

وهى ـ كذلك ـ ليست من صنع فرد بشر ، لأنها هى التى تخلقه .

ولذلك جاءت نصوصها أرفع من مستوى العالم كله وقت نزولها ، ولا تزال كذلك حتى اليوم ، وستظل كذلك ما دام على الأرض يعيش انسان .

« صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

« انه خبير بما تفعلون » (٨٨ النمل) ولا يظن ظان أن ارتفاعها عن مستوى العالم يعنى أن العالم لا يستطيع الانتفاع بها ، فذلك ما لا يتصور . وانما هذا الارتفاع يعنى الاتصال بالعالم فى حدود متطلباته مع الارتفاع عنه ارتفاعا يلبى متطلباته كلما ارتفع العالم ، بحيث لا يأتى حين يرتفع فيه العالم على تلك الشريعة .

ولذلك رأينا ـ ونرى ـ فيها من المبادىء والنظريات ما لم يتهيأ العالم غير الاسلامى لمعرفته والوصول اليه الا بعد قرون طويلة ، وما لم يتهيأ هذا العالم لمعرفته أو يصل اليه حتى الآن ... وسنذكر ذلك فى مكانه من هذا البحث ان شاء الله .

ان شريعة الاسلام هى التى خلقت المجتمع الاسلامى ، وجعلت من رعاة الابل سادة العالم ، ومن جهال البادية معلمين وهداة قادوا الركب الانسانى الى العلم فى شتى مجالاته . ومن البداة رواد التحضر الأصيل الذى يحتفظ للانسان بانسانيته ولا يهدرها تحت أقدام الآلة .

جاءتهم شريعة الاسلام وهم قلة مستضعفة ، يخافون أن يتخطفهم الناس ، فتمسكوا بها ، واهتدوا بهديها فاذا هم ـ فى عشرين عاما يسودون العالم ، ويقودون البشر ... ولما تركوها ، وأهملوا أحكامها ، وفتنوا بزخرف الكلام رجع اليهم ضعفهم السابق ، وقادهم جهلهم الماحق ، فوهنوا وتضعضعوا ، واختلط عليهم الأمر ، فظنوا سر ذلك كامنا فى اسلامهم ، متناسين أنهم لفظوا اسلامهم منذ لفظوا تشريعه ، وأنهم هم الذين صنعوا بأنفسهم ما يألمون منه وينسبونه الى شريعة الاسلام ...

بينما شريعة الاسلام كما هى ، تنتظر من يرجع الى صوابه ، ويعود اليه رشده ، ليبدأ الرحلة من جديد ... ويومها سيكون ما قد كان ، وستزول من طريق المسلمين كل عقبة ، ويتحقق النصر لمن لم ينخدع بمظاهرات التقدم الاوربى الحديث ولم يتوهم أن سر تقدم أوربا كامن فى طبيعة قانونهم الوضعى ، وأن سر تخلفنا راجع الى تشريعنا السماوى ... يتحقق النصر لهم كما تحقق من قبل لآبائنا السالفين .

فالقانون الوضعى اليوم يبدأ من حيث بدأت شريعة الاسلام منذ قرابة أربعة عشر قرنا ... غير أنه لم يستقص بعد كل ما بدأت به شريعة الاسلام ، ولكنه فى طريقه الى ذلك ، فهو يقف اليوم منها موقف التلميذ المتابع من الأستاذ الضليع .

شرف الإسلام كمنهج وسلوك

الأستاذ منصور نسيم

الاسلام كرسالة سماوية أقيم على دعائم ثابتة وركائز قوية من الدعوة الى الصفاء والعمل على نشر الوئام ، والحيلولة دائما دون تعكير صفو العلائق بين الافراد والجماعات ، ومن هنا سلك الاسلام الحنيف بحيطته منهجا فريدا فى تحديد الروابط والعلاقات ورسم الطريق الفذ فى النهوض بالافراد وبالتالى الجماعات ، وكان سلوك الاسلام ازاء ذلك عن حكمة عميقة الجذور فى دعم اواصر الاخوة والصلات الانسانية دون تحديد أو تضييق ، ودون تفرقة بين الجنس البشرى او لونه أو لغته .

ومن هنا كان الاسلام بمثله واهدافه انما يحدد غاياته على مستوى عالمى يضم نطاق بنى الانسان فى كل مكان من بقاع الارض .. وقد يظن بعض الناس حقدا على الاسلام وكراهية لمثله وتعاليمه لانهم أصيبوا ان طوعا أو كرها بتعاليم الغرب الفاسدة ـ انه دين بعيد عن العصر الذى يعيش فيه ، وأصبح من المتعذر مواصلة التمسك به كدين صالح ، وهم واهمون فى كل قول أو عمل ، كما أنهم والى حد كبير معذورون لانهم دابوا على تناول الافكار الغربية دون تبصرة أو ترو ، ودون بحث أو تدقيق .. وكانت أوليات الفهم تملى على أمثال هؤلاء أن يفهموا ان شرف الاسلام الدولى هو أقدس شرف عرفه التاريخ ، وان القواعد التى وضعها الاسلام الدولى لصيانة هذا الشرف وحفظه ارسخ القواعد واثبتها .. فالاسلام هو الذى يقول فى المحافظة على التعهدات واداء الالتزامات « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .. ويقول : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين »

ويقول : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » .. ويقول فى اكرام اللاجئين وحسن الجوار للمستجيرين « وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » وهذا فى المشركين فكيف بالكتابيين ؟.

فالاسلام الذى يضع هذه القواعد ، ويسلك باتباعه هذه الاساليب ، يجب ان يعتبره الاعداء والمارقون من تعاليمه وفهمه أنه قام على نظريات عملية سديدة فى معاملات الدول بعضها لبعض . معاملات جعلت عقلاء الاعداء أنفسهم يحنون هاماتهم اجلالا واكبارا لما يشاهدون وفيما يتعاملون .

والحال هكذا فى تعاليم الاسلام ومثله حينما يدعو فى قوله « يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالالقاب » الى تأسيس المحبة وابقاء أواصر الاخوة على أسس من الفهم الواعى والارادة البعيدة ..

ومن هنا يكون الاسلام الحنيف قد رسم ضمن برامجه طريق الامة الناهضة ، لان الامة الناهضة احوج ما تكون الى الخلق .. الخلق الفاضل القوى المتين ، والنفس الكبيرة العالية ، اذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول اليه الا بالاخلاق القوية الصادقة من عمق الايمان ورسوخ العقيدة حتى تهون التضحية وتصفو النفس الى آفاق التفانى الانسانى فى سبيل الغير كمقدمة للتفانى فى سبيل المجموع .. ومن غير تعصب للاسلام هل نستطيع ان نجد ولو جزءا ضئيلا من تلك التعاليم قد حملته الينا النظم الوضعية وهل يمكنها ان تجد طريقها الى النفوس دون ان تكون نابعة من داخل الوجدان عن صدق فهم وعمق عقيدة وأين يوجد ذلك ان لم يكن قد تربى بين الدوحة الاسلامية وشفى ظمأ روحه من خلال مثله وتعاليمه .

وحسبنا ان نقول فى اجمال : ان نظام الاسلام فيما يتعلق بالفرد او الامة او الاسرة حكومتها وشعبها ، او صلة الامم بعضها ببعض ـ نظم الاسلام فى ذلك كله قد جمعت بين الاستيعاب والدقة وايثار المصلحة وايضاحها وانها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثا وقديما ، وهو حكم يؤيده التاريخ ، ويثبته البحث الدقيق فى كل مظاهر حياة الامة ، قال تعالى « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » .

ولقد كان هذا الحكم خاصا فصار الآن عاما يشهد به كل منصف ، وكلما تغلغل الباحثون فى بحوثهم كشفوا من نواحى الجمال فى نظم الاسلام الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم وصدق ربنا القائل : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟! » .

التكافل الاجتماعي في الإسلام أسمى ما يحقق القيم الإنسانية

الدكتور محمد سلام مدكور

لقد كانت دعوة الاسلام ثورة كبرى لتحرير الانسانية من كل فساد وظلم ، وتحطيم الفوارق والقيود التى كانت تفرق بين الناس بالجاه والجبروت والقوة والطغيان والافتخار بالتكاثر بالأموال والتعالى بها على الناس ، وكانت هذه الثورة السماوية بمثابة النداء الصارخ لتكافل اجتماعى شامل فى كل نواحي الحياة ، ودعوة الى اخوة متعاونة صادقة تسوى بين جميع الناس فى الحقوق والواجبات ، على أساس من الحب والايثار يقول الرسول صلوات الله عليه « لايؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ويقول « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ». واذا فالتقوى متمثلة فى مراقبة الله ورعاية مصالح الأسرة الانسانية هى معيار التفاضل بين الناس . انظر قول الله سبحانه وتعالى فى سورة الحجرات « يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل . لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ومن تأمل فى أسلوب الآية ونظمها الكريم استشف من روحها أنها تنادى بالوحدة الانسانية التى هى فى صميمها اخاء انسانى وتكافل عام اجتماعى . فالناس وان اختلفوا أجناسا والوانا ، وتفرقوا شعوبا وقبائل ، انما يرجعون الى أصل واحد ، والله يناديهم بانه خلقهم من ذكر وانثى ، ويبين لهم أنه جعلهم شعوبا وقبائل لا ليتناكروا ويتناحروا بل ليتعارفوا ويتآلفوا ، فان اختلاف الألسنة والألوان والطبائع والأخلاق لا يدعو الى نزاع الاشقاء ، بل يقتضى التعاون للنهوض بالرسالة الانسانية

وليس للون والجنس والوطن واللغة وسائر هذه المعانى حساب فى ميزان الله ، وانما هناك ميزان تحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس وهى التقوى .

والتقوى التى تشير اليها هذه الآية الكريمة ليست خاصة بالعبادات البدنية المعهودة من الصلاة والصوم والتسابيح والأدعية وحدها ، وانما تتمثل فى التحاب والتآلف والتعاون والتكافل ، وهذه العبادات المألوفة ذات أثر اكبر فى تحقيق هذه المعانى الكريمة كما يشير **الى ذلك قوله تعالى فى الصلاة « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفى الصوم «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »** وقد بين الصوفية وعلماء الأخلاق فى الاسلام . أن اكبر أثر للذكر اللسانى المتمثل فى التهليل والتسبيح والتحميد ، تهذيب النفس وتطهير القلب ليظهر أثر ذلك فى سلوك الانسان ومعاملاته لأخيه الانسان بما يحقق خلافة الله فى الأرض، ويجعل الأخوة ماثلة على وجهها الصحيح .

ومن تامل فى قول الله تعالى « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام .. » تبين له أن توجيهات القرآن الكريم فى هذا الركن الركين من جانب الأخوة الاسلامية يوحى بحقيقة واحدة لو فهمها الناس لتضاءلت فى حسهم كل الفروق الطارئه التى فرقت بين أبناء النفس الواحدة ، وما كان يجوز أن تطغى على مودة الرحم وحقها فى الرعاية ، وعلى صلة الربوبية وحقها فى التقوى ولكان ذلك كفيلا باستبعاد الصراع العنصرى والاستعباد الطبقى .

جاء الدين الاسلامى بالعدالة الاجتماعية الشاملة ، فنفى الفوارق البغيضة التى لا تتفق مع خلق ولا تلتئم مع وحدة وتكافل ، ولا تدعو الى تعاون على الخير والبر ، فالناس جميعا كما ينص دستور السماء عباد الرحمن لا فضل بينهم الا بالوقوف عند حدود الله وما يسديه الفرد للمجتمع من البر والمساعدة والمناصرة فى الحق .

وقد تمثل ذلك المعنى من العدالة الاجتماعية فى شعور المسلمين وعلى راسهم رسول الاسلام الداعى الى المحبة والسلام ، الذى هو أعرف الناس بما يبلغه لهم عن ربه ، فقد كان صلوات الله عليه يذكر الناس دائما فى كل مناسبة أنه عبد الله ويقول : **« أنا عبد الله ورسوله فمن كانت له عندى مظلمة أو قصاص فليطالبنى به** ليدلهم بذلك على أنه لا تفاضل ولا تعالى ، وأن قانون السماء لا يفرق بين صفير وكبير ولا بين قوى وضعيف ، وأنه لا يوجد فى دولة الاسلام من هو فوق القانون ، **وانظر اليه وهو يقول لابنته فاطمة حينما جاءت تسأله بعض المال « والله لا أعطيك يا فاطمة وأدع العاجزين المحتاجين » ، وانظر اليه وهو يخطب فى الناس حينما سرقت احدى الشريفات وجاءه بعض الناس يستشفع لها ليدرأ عنها الحد .. والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .**

وقد غرست هذه المعانى الكريمة فى نفوس المسلمين مظهرا كريما من مظاهر مفاهيم التكافل والتضامن والتعاون وهو مظهر المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وأن كثرة المال والولد وقوة الجاه وأصالة الحسب لاترفع وحدها القيم ولاتدفع العذاب، فالله سبحانه يضع للناس ميزان القيم كما هى عنده ، ويبين لهم أن بسط الرزق وقبضه ليس له علاقة بالقيم الثابتة الأصيلة وانما الشأن فيما يستقبل به الناس سعة الرزق أو ضيقه . فمن نفوس شريرة تطغى بكثرة المال فتبخل به على مصارفه وتسرف به فى غير مصارفه ، كما أنها تطغى بقلة المال فتزداد برما بالحياة ويأسا من رحمة الله وهناك نفوس خيرة تحس بكثرة المال فتنفقه فى وجوه الخير والبر وتطمئن الى قدر الله بقلة المال فتبصر وترضى . فالمقياس اذا هو الخير والشر فى تصريفه المال وتوجيهه فى الصلاح أو الفساد

والمساواة بين الناس معنى غرسه الله فى نفس نبيه من الصبى ، وأخذه به منذ بعثته للناس هاديا ومبشرا ونذيرا ، وقد تأصل هذا المعنى فى نفوس الخلفاء ، **فيقول أبو بكر**

الصديق في أول خلافته «الضعيف فيكم قوى عندى حتى أخذ له بحقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه، وقد اعتز عمر بهذا المعنى وقال فى أول خطبة له فى خلافته ، وقد استقر هذا المعنى فى أذهان الناس حتى اشتكى أحد الرعايا ابن الوالى للخليفة عمر بن الخطاب اذ اعتدى عليه بغير حق وقال له : أنا ابن الأكرمين . فما كان من الخليفة وقد ثبت له صحة الواقعة الا أن استدعاهم وقال للوالى وابنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !؟ ثم قال للشاكى : اقتص لنفسك من ابن الأكرمين .

وتعاليم الاسلام تهدف دائما الى تحقيق الصالح العام ، واعداد الأفراد الى تكافل اجتماعى واضح فى جميع نواحى الدعوة فالفرد فى المجتمع الاسلامى جزء فى كل : الفرد مسئول عن الجماعة ، والجماعة مسئولة عن الفرد ، وهذا التقابل بين الفرد والجماعة هو أول وسائل التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، وأساس مقاومة الآفات الاجتماعية ، والتكافل الاجتماعى فى الاسلام يجعل كفالة الحق فى ضمير الفرد وضمير الجماعة ، ويؤاخذ الجماعة كلها اذا ضاع الحق بينها ، ولذا فان الاسلام يضع التضامن الانسانى فى منزلة رفيعة .

وتبدأ صور التضامن منذ يخلق الانسان بين ابوين : فيلتزمان برعايته وتكوينه والانفاق عليه ، وينشأ هو على برهما وحبهما ثم يحسن اليهما فى كبره ، وكذلك الأقارب لهم حق البر بعضهم على بعض ، وكذلك الجار مع الجار والصديق مع الصديق ، وبذا يتم الترابط ويشعر كل فرد بأنه مسئول عن مصالح الآخرين ، ومطالب بأن يعمل على اسعاد الجماعة وأن يحقق لها كل ما ينفعها ما استطاع

ولقد غرس النبى صلوات الله عليه معنى التعاون والتضامن فى نفوس أصحابه حتى تجاذب الأنصار من سكان المدينة اخوانهم الذين هاجروا مع الرسول اليهم ، فكان كل واحد من الأنصار يحاول أن يسبق غيره فى مد يد المعونة لأخيه المهاجر حتى وصل بهم ذلك التسابق فى الخير ، التنافس على مد يد العون الى شيء من التشاحن ، فلم يك يفصل بينهم فى هذا الا الاقتراع ..

وقد حدث قحط فى عهد أبى بكر ، وكان أن قدمت لعثمان الف راحلة برا وطعاما ، فجاءه التجار ليربحونه ويشترون ما عنده ثم يبيعونه على الناس ، فقال : كم تربحونني ؟ قالوا العشرة اثنى عشر قال : لقد زادونى فقالوا العشرة خمسة عشر قال : لقد زادونى . قالوا : من زادك ونحن تجار المدينة ؟ ! قال : لقد زادنى الله لكل درهم عشرة وتلى قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وأشهدهم على أنها كلها صدقة على فقراء المدينة .

وقد حدث فى عهد عمر قحط ايضا لأهل الحجاز فأرسل الى ولاته بالأنصار ليعينوه فى تلك الضائقة فتسابقت الأقطار الاسلامية فى الاستجابة اليه ، ويروى أن عمر فى عام المجاعة هذا حلف الا يأكل لحما ولا سمنا حتى يزول هذا القحط . وكان يقول : واعمراه .. ! ايشبع ابن عمر ويرى المسلمون فى جدب وضيق ؟ !

وكان هذا من عثمان ، ومن عمر ، ومن جماعة المسلمين مظهرا واضحا من مظاهر التعاون الاسلامى والتضامن الانسانى ولهذا تغلبوا على ما صادفهم من أزمات وضائقات وحل الرخاء محل الجدب بفضل ذلك التعاون والايثار اللذين لولاهما لهلك الناس .

نعم ان من أبرز الحقوق التى يحث عليها الاسلام أن تكون فى حاجة أخيك اذا احتاج اليك ، وأن تفرج عنه الكرب اذا وقع فيه ، وأن تيسر عليه اذا كان فى عسر وأن ترجىء على المدين دينه اذا كان معسرا **يقول الرسول : من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة .. ويقول صلوات الله عليه « أيما أهل بقعة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله »**

ومن هذا الحديث استنبط الفقهاء حكمهم من أن كل أهل قرية أو مدينة يجب عليهم الا يهملوا أمر الفقراء ، وأن يستوفوا لهم ما يحتاجون اليه من شئون العيش من مطعم

وملبس ومسكن ، وأن يوفروا لهم سبل التعليم والتعلم واذا قصروا فى هذا وجب على ولى الأمر بحكم الشرع أن يجبرهم على ذلك فيجمع منهم المال اللازم من كل بحسب طاقته ، وليكن ذلك فى صورة ضرائب تجبى من الأغنياء لترد على الفقراء وذوى الحاجة حتى يكون كل فرد مرفوع الرأس موفور الكرامة مكفى المؤنة دون نظر الى صلة أو دين .

فالتشريع الاسلامى وضع قواعد اصيلة لتكافل اجتماعى سليم . لاغل فيه ولا حسد ، تناول ذلك فى كل نواحى الحياة دون توقف عند التكافل فى المال فقط . كما هو الشأن فى النظم والمذاهب الحديثة التى تصطبغ بصبغة المادية ، وكثيرا ما تتجرد عن هذه المعانى الانسانية الخصيبة الندية . ولكن الاسلام تناول التكافل الاجتماعى فى كل النواحى والصلات : تكافل فى الصلات الروحية والأمور الخلقية ، وتكافل فى الصلات المالية ومسائل المعاملات . وكانت الأولى طريقا للثانية ولذا كان التكافل فيه مبعثه الوازع والضمير وابتغاء فضل الله فى دار البقاء ، وكانت تعاليمه توجه الناس الى الزهد فى جمع المال لاكتنازه ، وانما تدفعهم الى التكسب لانفاقه فيما يعود على الجماعة بالنفع ، وكانت دعوته فى هذا واضحة كل الوضوح .. **« وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك »** .

وقد كان انفاق المال على وجوه الخير وتفضيل ذلك على الاستمتاع به أمرا واضحا فى حياة الرسول صلوات الله عليه **يقول ابن مسعود رضى الله عنه « دخلت على رسول الله وقد نام على حصير وقد أثر فى جبينه ، فقلت يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء نجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ؟ . فقال : مالى وللدنيا.ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها »** .

فالتكافل فى الاسلام مفاهيه عامة وشاملة وتجده موفورا فى كل نواحى الحياة فلم يعن بناحية التكافل فى المال دون سوائر النواحى المادية والخلقية ، ووضع له من القواعد والنظم التى تحث عليه فى كل المحيطات

ففى محيط الأسرة التى هى اللبنة الأولى لبناء المجتمع يدعو الاسلام الى التكافل بين جميع أفرادها .

وفى محيط العلم يدعو الاسلام الى التكافل فى نشر العلم والمعرفة وبانارة العقول .

وفى محيط التعامل بين الأفراد والجماعات يدعو الاسلام الى الوفاء والتأكد من تحقق الرضا الخالص ، ويحث على التسامح واقالة النادم .

وفى محيط العمل يدعو الاسلام الى العناية بالعاملين واعطائهم جميع ما لهم من حقوق نظير ما يقومون به من واجبات حتى يجعل من الجميع : العامل وصاحب العمل وحدة متساندة .

وفى محيط المسئوليات والتبعات يدعو الاسلام الى التكافل وجعل كل شخص مسئولا عما يحقق مصلحة الجماعة فى دائرة عمله وما يمكن أن يؤديه للمجتمع من نفع واحسان .

وفى محيط المال عموما الزم القادر على الكسب والزم الجماعة على أن توفر لكل فرد عملا يتعيش منه والا فنفقة الفقير العاجز عن التكسب واجبة فى بيت مال المسلمين مما يجبيه ولى الأمر من الأغنياء .

بل كان المال جميعه فى نظر الشارع الاسلامى مال الله استخلف الناس فى ادارته والانتفاع منه كل بقدر طاقته وما يؤديه من جهد وعمل ، وما كانت له من مواهب فى الاستثمار ، ومع هذا فقد جعل الشارع ذلك مقيدا بقيود يتحقق مع مراعاتها صالح الجماعة ونضمن لسائر الأفراد السكن والغذاء والكساء .

وفى **العدد القادم** ان شاء الله نتناول بيان كل هذا بشىء من التفصيل ليرى معى القارىء أن التشريع الاسلامى تتسع تعاليمه وقواعده لكل النظم الصالحة المصلحة وبشكل أعم وأشمل واكمل مما يجعلنا نؤمن كل الايمان بأنه ينبغى أن نعلن على الملأ أنه هو المصدر والأساس لكل دعوة اصلاحية وأن ما يخالف قواعد الاسلام لا نؤمن به ولا ندعوا اليه ولا نعمل حتى تلتف القلوب حولها ويكون الدافع اليها العقيدة والايمان .

الترار خرافة

الأستاذ على الجندى

معايا الجن .

ويزعم الاعراب : ان من مطايا الجن : الورل والقنفذ والارنب والظبى واليربوع والنعام وغيرها من الوحش والحشرات ، ولهم فى ذلك اشعار مشهورة .

قال ابن الاعرابي : قلت لبعض الأعراب : أترى الجن كانت تركبها ؟

فقال : أحلف لقد كنت اجد بالظباء التوقيـــع فى ظهورها ، والسمة فى الآذان !؟

– يريد بالتوقيع : السجح فى ظهر الدابة . والسمة : العلامة –

وحدث ابو نواس ، قال : بكرت الى المــربد ومعى الواح أطلب أعرابيا فصيحا ، فاذا فى ظل دار لجعفر بن سليمان العباسى أعرابى لم اسمع بشيطان اقبح منــه وجها ، ولابانسان احسن منه عقلا . وذلك فىيوم لم أر كبرده بردا ، فقلت له : هلا قعدت فى الشمس ؟

فقال : الخلوة احب الى .

فقلت مازحا : ارايت القنفذ اذا امتطاه الجنى وعلا به فى الهواء ؟ هل القنفذ يحمل الجنى أم الجنى يحمـل القنفذ ؟

فقال : هذا من أكاذيب الاعراب ، وانشدنى فى ذلك شعرا .

ومن اعاجيبهم : انهم كانوا اذا طالت علة الواحد منهم، وظنوا ان به مسا من الجن . لانه قتل حية او يربوعا او قنفذا ، عملوا جمالا من طين ، وجعلوا عليهـا جوالق

وملئوها حنطة وشعيرا وتمرا ، وجعلوا تلك الجمال فى باب حجرة الى جهة المغرب وقت غروب الشمس .

فاذا أصبحوا نظروا الى تلك الجمال ، فان رأوا انها بحالها قالوا : لم تقبل الدية فزادوا فيها . وان رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها قالوا : قد قبلت واستدلوا بها على شفاء المريض وضربوا بالدفوف .

وفى شرح نهج البلاغة : بعد ان يهيئوا تلك الجمـال ، يتحايلون على من به علة من مس الجن ، فاذا امسك بهـا ظنا منه انها جمال حقيقية، وحاول سحبها ليغنم ماتحمله من الميرة ، انهارت وسقطت بما عليها ، فيحدث ذلك فى نفسه رد فعل علي أثره ، ويتسبب لصاحب العلة فزع شديد من هول ما شاهده !!

فيحدث برؤه من المرض !!

اقـول : وهذا نوع من حل العقد النفسية عرفه هؤلاء الاعراب بفطرتهم السليمة !؟

رأيهم فى الابل :

ويقولون فى الابل : أقاويل عجيبة ، فمنهم من زعم أن فيها عرقا من سفاد الجن – اى تناسلهم – محتجا بانه – عليه الصلاة والسلام – « كره الصلاة فى أعطان الابل لانها خلقت من أعنان الشياطين » – الاعنان : النواحى–

قال ابن منظور : أراد أنها على أخـلاق الشياطين تشبيها لا حقيقة !.

وقال ابن الأثير : كأنه قال : كأنها لكثرة آفاتها من نواحى الشياطين فى أخلاقها وطباعها .

وقال آخرون : انها تشبه شياطين الجن فى النفور والتهويش على المصلين .

وقال بعض الشراح : انها من الشياطين حقيقة ، لان الشيطان عند العرب اسم لكل متمرد عات من الجـن والانس والدواب .

وعلى كلا الرايين يتبين ان الحديث لا يريد انها من الجن الذين يقابلون الانس .

رماح الجن :

ويزعمون ان الطاعون طعن من الشيطان ، ويسمونه « رماح الجن » قال العمانى يذكر دولـة بنى العباس ويمدح الرشيد ، بان الطواعين ارتفعت أو قلت فى عهد بنى العباس – وكانت كثيرة فى عهد بنى أمية :

قد أذهب الله رماح الجن   وأذهب العذاب والتجنى

وجاء فى بعض الآثار ان النبى – صلى الله عليـه وسلم – « ذكر الطاعون فقال هو من وخز عدوكم » .

وان عمرو بن العاص قام فى طاعون عمواس بالشـام فقال ، ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هــو وخز من الشيطان ففروا منه !!

وقد بلغ ذلك معاذ بن جبل فانكر عليه ذلك القول .

واذا صح الحديث : أن الطاعون وخز من الجن – برغم طعن معاذ فيه وهو من علماء الصحابة المعروفين – أمكن تاويله : بانه طعن كائنات حية خفية ، وهي الميكروبات والجراثيم التى تعد من الجن على معنى انها مجنونة عنا اى مستورة ، فلا منافاة بين الحديث وواقع العـلم وصدق الله – تعالى – « وما يعلم جنود ربك الا هو » .

ذبائح الجن :

روى أبو عبيـــدة فى كتاب الاموال ، والبيهقى عن الزهرى : عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « انه نهي عن ذبائح الجن » .

قال أبو عبيدة : وذبائح الجن : أن يشترى الرجل الدار ، أو يستخرج العين وما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة .

وكانوا فى الجاهلية يقولون : اذا فعل ذلك لم يضر أهلها الجن !!

فابطل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك .

اصوات الجن :

تسمى أصوات الجن : العـــزف والعزيف كمسمع وسميع . وفى اللغة : عزفت الجن عزفا من باب ضرب ، وهو صوت يسمع فى المفاوز ، ولهم فى ذلك اشعار كثيرة ، قال الراعى :

وداوية غبراء أكثر أهلها عزيف وبوم آخر الليل صائح

والداوية ـ بتشديد الياء وتخفيفها : الفلاة .

وأكثر شعراء العرب ذكرا لاصوات الجن هو الشاعر ذو الرمة صاحب مى لولوعه بوصف مظاهر البادية .

وقد يسمون أصوات الجن زجلا ـ بوزن سبب ـ وهو فى اللغة : الجلبة والتطريب ورفع الصـــوت ، قال الاعشى :

وبلدة مثـل ظهر الترس موحشة
للجن بالليل فى غطانهــا زجل

صور الجن :

قدمنا طرفا من تصور الاعراب لاشكال الجن كالغـول والسعلاة والشق ، ونضيف الي ذلك انهم كانوا يعتقدون ظهورها كثيرا فى صور الاناسى من رجال ونساء ، وفى اشكال الحيوان كالقط والثعبان والنعامة والكلب .

كما يتمثلونها فى اشكال قبيحة مفزعة ، ويحضرنا فى ذلك قصة المراة التى ذهبت الى رسام ليرسم لها صورة شيطان ، تخوف به طفلها ليكف عن البكاء !! فلما اعتذر لها بانه لم ير شيطانا قط ، ذهبت الى الجاحظ وقادته الى الرسام ، وقالت له مثل هذا !؟ .

فلما عرف الجاحظ القصة من الرجل شعر بالخجل والاسى معا !؟ .

ربما كان الشيطان فى صورته الشوهاء لا يزيد قبحا على الجـاحظ ، فقد حدث هو عن نفسه : بانه ذكـر للمتوكل العباسى ليقوم بتاديب بعض ولده .

قال : فلما رآنى استبشع منظرى ، فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى !!..

ولا يعيب الجاحظ قبح صورته مع غزارة علمه وسعة معرفته ، ورحم الله من قال :

وعيب الفتى فيمـــا أتى باختياره
ولا عيب فيما كان خلقـا مركبـا

وحكى الاصمعى عن بعضهم : انه خرج هو وصاحب له يسيران ، فاذا غلام على الطريق ، فقالا له : من أنت ؟

قال : انا مسكين قد قطع بى !! اى فارقنى الركب وانفردت عنه .

فقال أحدهما لصاحبه : اردفه خلفك ، فاردفه .

فالتفت الآخر اليه ، فرأى فمه يتاجج نارا ، فشد عليه بالسيف ، فذهبت النار ، فرجع عنه . فعل ذلك مرارا !!.

فقال الغلام : قاتلكما الله !! ما اجلدكما !! والله ما فعلتها بآدمى الا وانخلع فؤاده !!

ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره .

ويزعمون : ان عمير بن ضبيعة راى غلمانا ثلاثة يلعبون ، فوثب غلام منهم على عاتقى صاحبه ، ووثب الآخر على عاتقى الاعلى منهما !!

فلما رآهم كذلك حمل عليهم ، فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون !!

قال عمير : فما مررت بشجرة الا وسمعت من تحتها ضحكا !!

فلما رجع الى منزله مرض اربعة اشهر !!

ويظهر أن الرسامين القدامى انسوا بصور الشياطين واعتادوا رسمها ونحتها ، فقد ذكر ابن الاثير فى حوادث سنة خمس وثلاثين ومائتين : ان المتوكل العباسى الزم أهل الذمة ـ وكان شديدا عليهم كما كان شديدا على أبناء الامام على وشيعته ـ الزمهم بامور فى ملابسهم كلبس الطيالسة العسلية وركوب السروج بالخشب ، وشد الزنانير وغير ذلك واغرب من ذلــك الزامهم بان يجعلوا على أبواب دورهم صـــور شياطين من خشب مسمرة كما جعل على أبوابهم بالدهان أمثال الشياطين !!

ويقول العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا معقبا على ذلك فى كتابه « خيال الظل » : وهى عبارة صريحة : بان هذه الصور كانت مصـورة بالدهان ، أى ليست تماثيل من خشب ، ثم يقول : ولا يبعد ان يكون بعضها صور بالدهان ، وبعضها كان تماثيل على ما يظهر .

ولم يذكر المؤرخون لنا وصفا كاشفا لهذه الصور ، ولابد انها كانت فى غاية القبح والشناعة مثيرة للرعب والهلع ، كان تكون لها قرون كقرون الحيوان ، وعيون بالطول ينقدح منها الشرر ، وانوف ملتوية طويلة ، وافواه واسعة ذات أسنان عصل ، ينبعث منها اللهب والدخان ، وقد تبدو سيقانهم « مسلوخة » كما تخيف الامهات أطفالهن بذلك اليوم !!

استهواء الشياطين :

فى القاموس : استهوته الشياطين : ذهبت بهــواه وعقله ، او استهامته وحيرته ، او زينت له هواه .

ويقول الجاحظ : يزعمون : أن ثلاثة نفر هاموا على وجوههم فلم يوجدوا : وهم طالب بن أبى طالب ، وسنان ابن أبى حارثة ، ومرداس بن أبى عامر .

وكذلك استهووا عمرو بن عدى اللخمى الملك الذى يقال فيه : شب عمرو عن الطوق .

ثم ردوه الى خاله جذيمة الابرش ـ أو الوضاح ـ بعد سنين وسنين .

وكذلك استهووا عمارة بن الوليد المخزومى

وفى الصحاح والقاموس : أن عمر ـ رضى الله عنه ـ سأل الرجل المفقود الذى استهوته الجن ـ بعد رجوعه ـ ما كان طعامهم ؟

فقال : الفول والرمة .

وفى رواية : البعر والفول والرمة ، وما لم يذكر اسم الله عليه .

وسأله عن شرابهم ، فقال : الجدف ـ بوزن سبب ـ

والجدف : ما لا يغطى من الشراب او ما لا يوكى من الوعاء ، ونبات باليمن لا يحتاج آكله معه الى شرب ماء ، وما رمى به عن الشراب من زبد أو قذى .

وكا القربة واوكاها ، والثانى : افصح : شد راسها وكذا كل وعاء .

(يتبع)

التصوف الإسلامي في الهند

الدكتور عبد الرحمن بدوي

لم تستقر دعائم التصوف الاسلامي فى الهند الا بابتداء القرن السابع الهجرى ، بعد ان بلغ أوجه فى قلب العالم الاسلامى ، وصحب ذلك مقدم السلطان « شهاب الدين محمد بن سام الغورى، ملك غزنة وخراسان، المتغلب على ملك ابراهيم بن السلطان الغازى محمود بن سبكتكين الذى ابتدأ فتح الهند » (ابن بطوطه ، جـ ٢ ص ٢٠) ، وقد تغلب شهاب الدين (ويسمى أيضا معز الدين) على غزنة فى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) وفتح البنجاب سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦م) ووجه ايبك الى دهلى ففتحها سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م)

ومنذ ذلك الحين توالت الطرق الصوفية المختلفة حتى بلغت عدتها فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) سبع عشرة طريقة كما ذكر ذلك أبو الفضل العلامى فى كتابه « آئين أكبرى » (ترجمة جارت ، جـ ٣ ص ٣٨٩ — ٤٠٠) . واهمها هى : الحبيبية (اتباع الحسن البصرى) ،الجنيدية (أتباع الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨)، الطوسية (اتباع نجم الدين الكبرى) ، الجشتية (أو الششتية) السهروردية ، القادرية ، النقشبندية ، الفردوسية ، الكرخية (نسبة الى معروف الكرخى ، المتوفى سنة ٢٠٠هـ) ، والأدهمية (نسبة الى ابراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦٢هـ) ، والكازرونية (التى أسسها أبو اسحق بن شهريار المتوفى سنة ٤٢٧هـ) والشتارية .

ونريد هنا أن نلم بأهم هذه الفرق ،التى لعبت دورا خطيرا فى الحياة الروحية فى الاسلام فى الهند . فأكثر رجالها كانوا ممن عملوا على نشر دعوة الاسلام بين أصحاب الديانات الأخرى فى الهند ، ووفقوا فى هذا توفيقا عظيما ، بحيث يرجع اليهم الفضل الكبير فى انتشار الاسلام فى شبه القارة الهندية . وكانوا قدوة ومرشدين لحكام الهند المسلمين ، ومعظم هؤلاء من أواسط آسيا من الترك والمغل الذين كانوا محاربين أشداء ولكنهم تعوزهم الثقافة الروحية ، فتولى هؤلاء الصوفية اكمال هذا الجانب فيهم وتوجيههم وجهة روحية الى جانب الاتجاه الحربى . كذلك استطاع هؤلاء الصوفية المسلمون أن يقدموا للمسلمين فى الهند ما يوازن ويفوق بمراحل عدة روحانية الهنود العريقة التقاليد .

وكان طبيعيا ان يقع تبادل فى الصلات الروحية بين التصوف الاسلامى والتصوف الهندى بمختلف اتجاهاته ومذاهبه ، وأن يمر هذا التبادل بمراحل عديدة يتفاوت فيها نصيب كل منهما من التأثير فى الآخر الى أن قامت حركة وسط بين هؤلاء وهؤلاء هى حركة البهكتية ، التى هى فى الأصل حركة هندوكية وكاتبتها حاولت أن تأخذ المعانى الاساسية فى الاسلام ، لتصنع من هذه العناصر المختلفة روحانية جامعة تقوم على الحب والعبادة ، وقام على رأسها راما ننده ، ثم بلغت أوجها لدى الشاعر « كبير داس » المعروف باسم « كبير » فى القرن الخامس عشر (الميلادى) ، والذى تقول عنه كتب السير الاسلامية بانه كان تلميذا للشيخ « تقى » ، أحد اتباع الطريقة الجشتية (الششتية) .

الطريقة الجشتية

ونبدأ بأوسع الطرق انتشارا على مدى تاريخ التصوف الاسلامى فى الهند ، وهى الطريقة الجشتية .

وقد اختلف الباحثون فيمن أسس هذه الطريقة • فبعضهم يقول أن الذى أسسها رجل يدعى أبا اسحق ، من نسل الامام على ابن أبى طالب ،وكان يسكن فى آسياالصغرى ومن هناك ارتحل الى جشت ، وهى قرية فى خراسان • ويرى آخرون أن مؤسسها هو بنده نواز ، ويرى فريق ثالث ، وهو الرأى الأشهر ، أن مؤسس الطريقة هو خواجة أحمد ابدال الجشتى ، من قرية جشت ، المتوفى سنة ٣٥٥هـ (٩٦٥-٦م) .

وأول من أدخل هذه الطريقة فى الهند هو معين الدين محمد جشتى (الششتى) ، الذى ولد فى سيستان سنة ٥٣٧هـ (١١٤٢م) ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره توفى أبوه غياث الدين حسن ، فتنقل بين مختلف البلدان فى خراسان ، ووصل الى بغداد ، واتصل بكبار الصوفية فى ذلك العهد ، وعلى رأسهم نجم الدين الكبرى (بياء مقصورة ، لانه لقب بالطامة الكبرى ، واختصر اسمه الى الكلمة الثانية فقط) المتوفى سنة ٦١٨هـ ، وشهاب الدين عمر السهروردى (المتوفى سنة ٦٣٢هـ) وأوحد الدين الكرمانى وجاءالىدهلى فى سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣م) ، ثم ارتحل عنها الى أجمير ، فعاش بها حتى توفى فى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) ودفن بها ، وأصبح قبره من المزارات الكبرى فى الهند ، بل وفى العالم الاسلامى كله • وقام بزيارته السلطان أكبر (أبو الفتح جلال الدين) أعظم حاكم اسلامى فى تاريخ الاسلام فى الهند ، ماشيا على قدميه . ولا يزال قبره (درجاه) من أعظم الأماكن التى يؤمها المسلمون للتبرك والزيارة .

ذلك أنه يعد من أكبر أولياء الهند ،ويلقب بلقب « أفتاب ملك هند » أى نور مملكة الهند : كما لقب ايضا « سلطان الهند » .

وقد تتلمذ على خواجة عثمان ، أحد كبار رجال الطريقة الجشتية ، وهو الذى أوصاه بالرحيل الى الهند . ولما جاء معين الدين الى الهند فى سنة ٥٨٦هـ ذهب أولا الى لاهور ، وكانت فى ذلك الوقت لمركزا عظيما للعلوم الاسلامية منذ ان فتحها السلطان محمود الغزنوى (سنة ٣٩٧ هـ) وهنا فى لاهور أقام فترة من الزمن بالقرب من قبر الصوفى العظيم على الهجويرى ، صاحب كتاب « كشف المحجوب » ، ومن أوائل الصوفية الكبار الذين أقاموا فىالهند ، وممن عملوا على التوفيق بينالشريعة والحقيقة ، أى بين الفقه والتصوف ، وكان يقسم الناس الى ثلاث طوائف : « أهل الدنيا » ، و « أهل الدين » و « أهل الخصوصيات » ، وهؤلاء الأخيرون هم الصوفية ، وسعيهم لمعرفة الله . وكان يرى أن أبا بكر (رضى الله عنه) هو أول صوفية « المشاهدة » ، وعمر (رضى الله عنه) ممن دعوا الى حياة « المجاهدة » ، وعثمان (رضى الله عنه) يمثل موقف « الخلة » مع الله وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) هو الذى فسر مبادىء « الحقيقة » بفهم بالغ . (« كشف المحجوب » ، ٣١-٣٢ ، ٧٠ – ٧٨ ، ترجمة نيكلسون) .

ومن لاهور ذهب الى دهلى فى سنة ٥٨٩ كما قلنا ، ولم يطل بها المقام ، بل ذهب الى أجمير ، وكانت هذه آنذاك تحت حكم راى فرتهيفى راج ، وهو حاكم هندوكى ووجد هنا عنتا شديدا من تعصب أهل أجمير الهندوس، اذ كانوا يعدون الاتصال بالمسلمين دنسا ! ولكنه استطاع رغم ذلك فى أقليم راجيوتانه هذا الذى حاضرته أجمير أن يبث دعوته الى الاسلام فى مختلف الأوساط الدنيا . ونجح فى ذلك نجاحا هائلا جعل كهنة الهندوس يطلبون من راجا اجمير أن ينفيه من هذه المدينة • وتروى الأخبار أن الراجا أرسل أمر النفى بواسطة رام ريو ، رئيس كهنة أجمير ، وأن هذا حين اقترب من الشيخ معين الدين تأثر بشخصيته تأثرا بالغا الى درجة أنه اعتنق الاسلام ، وصار من تلاميذ الخواجة معين الدين ، وأمضى بقية حياته فى خدمة الفقراء والمساكين • (راجع « سير الأولياء » تأليف مير خرد) .

وكان معين الدين جشتي يرى ان التصوف ليس « معرفة » ولا رسما » به بل هو « أخلاق » . وفي نفس الاتجاه الذي سار فيه ملهمه الهجويري كان الخواجه معين الدين يقرر أن المرحلة الأولى في طريق التصوف هي الالتزام التام للشريعة ، وهي التي تقود الى المرحلة الثانية .وهي «الطريقة» أي التصوف . وبدون التزام أوامر الشريعة التزاما صادقا خالصا فلا يمكن السير في الطريق الى الله . و « الطريقة » تقود بدورها الى المرحلة الثالثة ، وهي « المعرفة » (راجع قطب الدين بختيار الكعكي : «دلائل العارفين» ص ٤٧ وما يتلوها ، طبعة دلهي) .

وكان خواجة معين الدين ، والطريقة الجشتيه كلها ، تؤكد أهمية « الحديث » النبوي ، ومن هنا جاء اهتمامهم البالغ بعلم الحديث ، كما يدل على ذلك ما يقوله حميد الدين الناجوري ، تلميذ معين الدين .

وكان « خليفة » خواجة معين الدين هو خواجة قطب الدين بختيار الكعكي (المتوفى سنة ٦٣٣هـ) الذي دفن بالقرب من قطب منار في دلهي ، المسجدالجامع العظيم صاحب المنارة العظيمة . وكان السلطان التتمش (٦٠٨ - ٦٣٤) يقدر الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي . وقد زار ابن بطوطة قبر الشيخ قطب الدن بختيار وقال عنه : « وهو ظاهر البركة ، كثير التعظيم . وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي أنه كان اذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة ، أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزوهن به الى أزواجهن ، يعطى من أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة - حتى عرف من أجل ذلك بالكعكي » (« رحلة ابن بطوطة » جـ٢ ص١٩ ،القاهرةسنة١٣٢٢هـ -١٩٠٤م)

ولما توفي مولانا جمال الدين محمد البسطامي ، شيخ الاسلام ، عرض السلطان التتمش هذا المنصب على قطب الدين ، لكنه رفض مؤثرا الحرية والاستقلال بذاته ، فلما رفض عين الشيخ نجم الدين الصغرى شيخا للاسلام ، وكان هذا يحسد قطب الدين لمكانته عند التتمش ، فاظهر العداوة للشيخ قطب الدين ، فقرر هذا أن يغادر دهلي .وفي ذلك الوقت تصادف أن كان خواجة معين الدين في دهلي ، فقررقطب الدين أن يصحبه الى أجمير . ولما أخذ الركب في الرحيل من دهلي قاصدا أجمير ، تجمع أهالي دهلي وراءهم ، متوسلين الى قطب الدين الايتركهم .. وكان السلطان التتمش نفسه من بين الجماهير ورجا الشيخ قطب الدين أن يبقى في دهلي . وتأثر خواجة معين الدين بهذه المظاهر البالغة من التقدير للشيخ قطب الدين ، تلميذه ، فأقتنع تلميذه بالعودة الى دهلي . ومنذ ذلك الوقت لم يجرؤ شيخ الاسلام ، نجم الدين الصغرى ، على مضايقة الشيخ قطب الدين ، ولا الاعتراض على حفلات السماع التي كان يقيمها مع رجال طريقته .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الطريقة الجشتية تهتم كثيرا بالموسيقى والغناء ، وهو ما يعرف بـ « السماع » عند الصوفية وكانوا في سبيل ذلك يستعينون بالمغنين المحترفين من أية طبقة او دين كانوا . وقد توفى الخواجة قطب الدين بختيار الكعكي وهو في حال الجذبة بخانقاه الشيخ على السجستاني ، بينما كان المنشدون ينشدون هذا المثنوي :

« ان الذين يقتلهم خنجر التسليم

في كل زمان تأتيهم من الغيب حياةجديدة

ثم خلف خواجة قطب الدين خواجة فريد الدين مسعود شكرجنج ، المعروف باسم بابا فريد المتوفى سنة ٦٨٨هـ (١٢٦٨-٤م) ، وكان يحب الخلوة ، فعاش بعيدا عن دهلي وكان يكره معاشرة الأغنياء . وحينما أراد سيدي مولى ، أحد تلاميذه ، أن يغادر اجودهن الى دهلي ، قال له بابا فريد ناصحا بعد أن سمح له بذلك عن غير رضا : «استمع الى نصيحتي . لا تصادق الملوك والنبلاء . وعد زياراتهم لك قاتلة لروحك . ان كل درويش يصادق الملوك والنبلاء لا تؤمن عاقبته » (« تاريخ فيروز شاه » للبرني) . وكان يقول : « الغرض الرئيسي من هذا الطريق (طريق التصوف) هو حشد القلب ،

وهذا يتم بالامتناع من أسباب الحياة ومن مخالطة الملوك » (راحة القلوب ») .

وعاش بابا فريد حياة الذهد والتقوى وتوفى فى سنة ٦٦ هـ (١٢٦٥م) وهو فى الثالثة والتسعين من عمره . ودفن فى باك پتن فى البنجاب ، وقبره كان مقصدا للزوار من كل الأنحاء .

وولد تلميذه الأكبر ، الشيخ نظام الدين أوليا ، فى بدايون سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) ، وتوفى أبوه وهو فى الخامسة من عمره ، وكانت أمه شديدة التقوى فتكفلت بتنشئته .

ولما بلغ العشرين رحل الى أجودهن ، وتتلمذ على بابا فريد ، وعرف فيه هـذا الذكاء الخارق وصدق الوجدان . وفى سنة ٦٥٨هـ (١٢٥٨ م) عاد الى دهلى ، وهنا بقى قرابة ستين سنة ، فعاش أولا فى قلب المدينة ، ثم رحل الى قرية قريبة من دهلى ، هى غياث بور ، وفيها بنى له تلميذه مولانا ضياء الدين، وكيل عماد الملك ، خانقاه لا تزال موجـودة حتى يوم الناس هذا .

ويذكر أنه حين ازدحمت غياث بور بالناس، فكر نظام الدين فى مغادرتها . ولكن شـابا تقدم اليه وانشد هذا المثنوى :

« فى اليوم الذى أصبحت فيه بدرا
لم تدرك أن العالم سيشيرون اليك بالبنان
ثم قال له انه لافضل فى ذكر الله فى الخلوة، وانما الفضل فى ذكر الله بين الناس . فغير نظام الدين رايه ، وبقى فى غياث بور .

وعاش نظام الدين ليشهد سبعة سلاطين يتناوبون الحكم فى دلهى ، ولكنـه لم يزر ديوان أحد منهم أبدا ، لأنـه رأى فى ذلك ما يحط من قدره . وجاء السلطان جلال الدين خلجى (الذى تولى سـلطنة دلهى فى سنة ٦٨٩هـ-١٢٩٠م حتى سنة ٦٩٥هـ-١٢٩٦م) أن يراه ، واستعان فى ذلك بتلميذ عزيز عند الشيخ ، ولكن هـذا رفض . ولما علم أن السلطان انتوى أن يفاجئه بالزيارة ، رحل الى أجودهن لتجنب هذه الزيارة .

وحاول بعض الفقهاء النيـل منه ، فأمر غيـاث الدين تغلق بمحاكمته أمام ثلاثة وخمسين فقيها ، ولكن هؤلاء برأوه ، لأنهم تأثروا بشخصيته البالغة التقوى ، وكانت التهمة التى حوكم من أجلها هى اباحة السماع (الموسيقى) . وقد كتب احد تلاميذه وهو مولانا فخر الدين زردى ، رسـالته فى اباحة السماع ، أورد فيها كل الأدلة الشرعية على اباحة الموسيقى .

وتوفى نظام الدين أوليا فى سنة ٧٢٥هـ فى غياث بور بالقرب من دهلى ، ولا يزال قبره يؤمه الحجاج من كل الأنحاء فى الهند .

وقد لقب بلقب محبوب الهى » (أى حبيب الله) ، لأنه جعل راس الفضائل محبة الله . ولهذا قال : « أصحاب الطريقة والحقيقة اتفقوا جميعا على أن الغاية من خلق الانسان هى حب الله تعالى » .

فى الإسلام والشعر

للأستاذ حلمى محمد بدير

ان الدعوة الاسلامية التى نادى بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وما فيها من قوة ومبادىء كبيرة ، لم توضع لبناء امة من الامم ، ولا لبناء قبيلة من القبائل ، وانما وضعت لتصبح شريعة الله فى الأرض يهتدى بها من يشاء ويزل من يشاء .

كان لابد وان تظهر صورة لهذه الدعوة واضحة فى كل ما يخرج من النفس البشرية وكل ما يعبر عن الانسان ، مشاكله وآلامه وأحلامه ، عواطفه واحساساته ، والشعر باعتباره تعبيرا عن مشاعر الانسان ، فى مختلف العصور والأزمنة ، كان لابد وان يعبر عن هذه الدعوة .. وأن يمثلها تمثيلا واضحا .. وان يتأثر بها ، وبما فيها من معانى جديدة .

مثل الشعر الدعوة الاسلامية بكل جلالها وقوتها ، وأظهر ما فيها من عناصر الحق والخير بكل ما فيها من جمال وقدة ، فمنذ قصة الأعشى المشهورة « أعشى قيس » ، حين أراد القدوم على النبى صلى الله عليه وسلم لمدحه ، ونكوصه عن رحلته ، عندما علم بتحريم الاسلام للخمر منذ هذه القصة ، وحتى بردة البوصيرى ، وهمزية شوقى .. مر الشعر العروبى بمراحل متعددة ، مراحل قوة ومراحل ضعف ، مراحل ازدهار ومراحل انهيار ، وفى كلا الحالين كانت القصائد الاسلامية تظهر وتزدهر ، وتضعف وتخفت ، تبعا لقوة وضعف هذه المراحل .

ومن أوائل الشعر الاسلامى ، قصيدة تنسب للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فى مديح ابن اخيه ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها :

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحته النطق
وانت لما ولدت اشرقت الأر
ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذاك الضياء وفى النـ
ـور وسبل الرشاد نخترق

وهذه القصيدة سواء أصحت نسبتها لقائلها ، أم لم تصح فهى تاريخ لبداية هذا النوع من الشعر ، فى تاريخه الطويل .

بل ان المؤرخين والعلماء ، ليثبتون على لسان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بيتين فى رثاء والدها صلى الله عليه وسلم . تقول :

انا فقدناك فقد الأرض وابلها
وغاب مذ غبت عنا الوحى والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا
لما نعيت وحالت دونك الكثب

ولحسان بن ثابت ، الشاعر المخضرم ، الذى شهد الجاهلية بخمرها وميسرها ووأد بناتها وشهد الاسلام وسماحته ونبله وكرامة أبنائه ، له مدائح مشهورة ، ارتبط تاريخها مع مدائح عبدالله بن رواحة ، وعبدالله بن الزبعرى .

وحسان الذى قيل أنه أشعر أهل المدر ، كان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم يذب عنه ، ويهجو المشركين ، حتى قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام ، « ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله ورسوله » . وروى صاحب الأغانى بسند له أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال ليلة وهو فى بعض أسفاره : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال: احد . فجعل ينشد ويصغى اليه النبى صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك ، حتى فرغ من نشيده ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لهذا أشد عليهم من وقع النبل . ويقال ان حسان توفى سنة أربع وخمسين من الهجرة ، ويقال انه توفى قبل الأربعين فى خلافة على رضى الله عنه ، وقيل سنة خمسين وقيل غير ذلك .

ومن أشهر قصائده :

عفت ذات الأصابع فالجواء
الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس
خلال مروجها نعم وشاء

وهو يعرض بالأعداء ، يوم الفتح فيقول :

عدمنا خيلنا ان لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأسنة مصغيات ...
على أكتافها الأسل الظماء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم
يعين الله فيه من يشاء

وهو شاعر الرسول ، الذى يدافع عنه ، ويجيب على المشركين بلسانه ، يذب عن الاسلام :

هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء

وله قصيدة طويلة يرثى فيها محمدا صلى الله عليه وسلم تبلغ خمسة وأربعون بيتا من الشعر يقول فيها :

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

وهو يمدح العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم :

سأل الامام وقد تتابع جدبنا
فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي
ورث النبي بذاك دون الناس
احيا الاله به البلاد فاصبحت
مخضرة الأجناب بعد اليأس

وعندما نترك حسان ، الى مخضرم آخر ، هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، الشاعر الذي نشأ في مدرسة شعرية لها صفات تميزها عن غيرها .. فهو ابن زهير بن أبي سلمى ، صاحب الحوليات المشهورة ، وراوية الحطيئة صناعة الشعر ، أسلم ومدح الرسول بقصيدة لامية وهو باعتراف كافة نقاد الشعر وصيارفته ، شعر من النوع القوي الجزل ، من غرابة لفظ كانت تعد بدعة .. وجودة وصف كانت تعتبر حينذاك حرفة ، ويقال انه توفى سنة أربع وعشرين للهجرة ، يقول في لاميته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم أثرها لم يجز مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت
كأنه منهل بالراح معلول

وأول من يقرأ القصيدة ويفجأ بهذه الأبيات السابقة ، لا يخطر بباله قط ، انها مديحة نبوية من أشهر المدائح في تاريخ الشعر الاسلامي .. فما سعاد هذه ، ومن ذا الذي أسقمه الحب وقيده الى هذا الحد ، وماهذا الأغن غضيض الطرف فيه تكسر وفتور وما علاقة هذا كله بالدين والاسلام والرسول ..؟

ولكن الأمر في حقيقته لا يتعدى تقليد سار عليه الجاهليون ، من الشعراء وتبعه الاسلاميون .. وهو التقليد الذي يدعو الى مقدمة غزلية .. (طللية) ، يقف فيها الشاعر على ديار حبائبه يبكي ويستبكي ، ثم ينتقل بعدها الى صلب موضوع القصيدة ، وأول من أوجد هذا النوع من الشعر ، أبو الشعراء (أمرؤ القيس) حين دعا صاحبيه :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو التقليد الذي ثار عليه أبو نواس بعد ذلك في العصر العباسي ثورة جامحة :

قل لمن يبكي على رسم درس
واقفا ما ضر لو كان جلس
اترك الربع وسلمى جانبا
واصطبح كرخية مثل القبس

ولكننا حين نمضي في لامية كعب ، نجده في حسن تخلصه من هذه المقدمة الغزلية ودخوله في صلب الموضوع وهو مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول ...
فقد أتيت رسول الله معتذرا
والعذر عند رسول الله مقبول

ويخرج من هذا الى مديحه صلى الله عليه وسلم :

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زالوا انكاسا ولا كشفا
عند اللقاء ولا ميل معازيل

ومن هؤلاء المخضرمين ، الذين عاصروا ذل الجاهلية وعزة الاسلام ، النابغة الجعدي ولكنه كان ممن أنكر الخمر والسكر في الجاهلية ، وهجر الاصنام والازلام ، كما يقول صاحب الأغاني ، الذي يروي عنه ، حكاية قدومه على الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

وقيل قدم النابغة الجعدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدة منها :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فاين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الى الجنة . فقال صلى الله ، فقال : ان شاء الله . ومن هذه القصيدة :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا ..
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك . فلقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفض من فيه سن » .

ومن ملاحم المديح - في مدحه صلى الله عليه وسلم - بردة البوصيري ، الميمية التي يبدؤها :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم
نعم سرى طيف من أهوى فارقني
والحب يعترض اللذات بالالم

يمدح فيها محمدا :

محمد سيد الكونين والثقلين و
الفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

وبردة البوصيري من اشهر القصائد التي قيلت في مديح الرسول ، ومن أجملها ، فلقد نسج على هديها « نهج البردة » لاحمد شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الاشهر الحرم
رمى القضاء بعيني جؤذر اسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

والامام البوصيري بالرغم من قلة انتاجه ، وعدم شهرته الا بهذه القصيدة ، يعد أحد الشعراء الموهوبين ، وأعلام الأدب البارزين ، ولد سنة ٦٠٨ هجرية نسب الى بوصير احدى قرى صعيد مصر ، ونسب اليها واشتهر بها ، وهي موطن أبيه . وكان ذا حظوة لدى حكام مصر صحب أبا العباس المرسي ولازمه وأخذ عنه ، وتوفي بالاسكندرية سنة ٦٩٤ هجرية .

وبردة البوصيري السابقة الذكر وهمزيته التي يبدؤها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

تعدان من أشهر قصائد المدائح النبوية في تاريخ الشعر العربي ، وهي على قوتها ، ورصانتها تعتبر منبعا دسما للمدائح والنبويات في العصر الحديث .

فهو يصف في همزيته ليلة مولده بقوله :

ومحيا كالشمس منك مضيء
أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للدين

سن سروره بيومه وازدهـاه
وتوالت بشرى الهواتف ان قد
ولد المصطفى وحق الهنـاء

وهو لا يتقيد فى همزيته ، أو ميميته ، بحوادث تاريخية بدقتها وتاريخها العلمى .. والا لاصبح نظما لا علاقة له بالشعر فى شىء ، وانما هو احساس وتعاطف ، تجـاه أحداث حياته صلى الله عليه وسلم ، فمن قبيل هـذا حادثة الغار ، يقول فيها :

ويح قـوم جفـوا نبيـا بارض
ألفتـه ضبابهـا والظبـاء
اخـرجوه منهـا وآواه غـار
وحمتـه حمـامة ورقـاء
واختفى منهـم على قرب مـرآ
ة ومن شـرة الظهـور الخفـاء

والبوصيرى فى تعبيره عن هذه الحادثة ، ليمثل قـوة الشاعرية الحقة ، ويكفى دليـلا على ذلك التشطير والتخميس والنهج الذى لقيته بردته الاسلامية الكبرى .

هذا الشىء الجديد الذى وجد فى موضوعات الشعر العربى ، والذى لم يكن موجودا من قبل ، ولم تكن له ولو بذور صغيرة توحى اليـه . جاء ولا شـك مى مجىء الاسلام .

ولم يكن الرسول يكره الشعر ..

ولم يكن القرآن ينفى هذا الجيد من الشعر ..

والروايات تتوارد عن استحسانه صلى الله عليـه وسلم لأبيات بعينها ..

والروايات تتوارد ، عن تحبيذه صلى الله عليه وسـلم الجيد من الشعر وطربه له . لم يكن يكره الشعر.. فكان له شعراء يدافعون عنه ويهجون أعداءه .

ولم يكن القرآن ينفى الشعر ... والا كان من الأولى أن ينفيه حامل القرآن محمد ..

لقد جاء هذا الشىء الجديد .. جاء مع مجىء الاسلام ، الذى طهر النفوس وصفى القلوب .. وأزال الأحقاد .. وساوى بين الناس بالحق ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى .. الا بالتقوى .

ورقت نفوس الشعراء ... حتى فى غزلهم ، فانصرفوا عن الحسيات الى غزل عفيف يقدس الحبيب . وانصرفوا فى أحيان كثيرة عن الدنيا برمتها ، الى نوع من غزل آخر لم يشهده تاريخ الشعر العربى . الغزل الصوفى .. ومن هنا نشأت جماعة الزهاد ، قرأوا الكتاب الكريم ، وحفظوا منه ما تيسر حفظه ، ومنه :

« انما يتقبل الله من المتقين »

« يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا »

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكـر ولذكر الله أكبر »

« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعـون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » .

هذا كله صرف كثيرا من المسلمين الأولين الى الزهد فى حطام الدنيا وأكد لهم الحديث النبوى ذلك . من مثل ما يروى من أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل اذا أنا عملته ، أحبنى الله وأحبنى الناس. قال : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

ومن هنا ظهـر الزاهدون ، التائبون ، العـابدون ، الحامدون .. ظهر حذيفة بن اليمان ، وظهـر ابو ذر الغفارى ، ومن النساء ، ظهرت معاذة القيسية ورابعـة العدوية والبلجاء وغزالة وقطام وحمادة ، وكحيلة ، ومن نساء الغالية ليلى الناعطية وصروف وهند .

كان لهذه الحركة الضخمة ، أثر كبير فى حياة الناس ، وأثر كبير فى حياة المجتمع بعامة ، أثرت على الشعر العربى كما مر بنا . ظهرت موضوعات المدائح النبوية ، وظهرت معانى وموضوعات الزهد ، واعتزال الدنيا بما فيها من أثر زائل ، وانصراف الى طلب هذه الروحية المعنوية ، بعيدا عن زيف الحياة وزخرفها . حتى الفرزدق الشـاعر المستهتر الذى لم يبرع فى شىء قدر براعته فى التعـريض بالناس بالذم والهجاء ، ونقائضه مع جرير والأخطل شاهد عيان على هذا . لم يكن الاسلام بعيدا عن نفسه ، كان يعمل فى سريرته فكان يمدح بعناصر اسلامية كثيرة ، ويروى أنه قيد نفسه وآلى أن لا ينزع القيد من رجلـه حتى يحفظ القرآن . ولعل من الطريف أن نجد فى ديوانه قصيدة يهجو فيها ابليس حليفه وربيبه ـ كما هو بعد حليف وربيب أبا نواس ـ يقول فيها :

ألم ترنى عاهـدت ربى واننى
لبيـن رتـاج قائـم ومقـام
على قسم لا أشتم الدهر مسلما
ولا خارجا من فى سـوء كلام
أطعتك يا ابليس سبعين حجة
فلمـا انتهى شيبى وتم تمامى
فررت الى ربى وأيقنـت أننى
ملاق لأيام المنـون حمـامى

الى أن يقول :

وما أنت يا ابليس بالمـرء ابتغى
رضـاه ولا يقتـادنى بزمـام
سأجزيك من سوآت ماكنت سقتنى
اليـه جروحا فيك ذات كـلام

هذه الحياة الدينية ـ طورت الشعر الأموى فى هذه الفترة ، وأثرت أثرا عميقا فى نفوس الشعراء ، وأصبح من غير الممكن أن ينظموا شعرا لا تتضح فيه عناصر هـذه الحياة ومن أهم ما كان من ذلك أنهم أصبحوا لا يمدحون احدا ولا يهجون احدا الا ووضعوا فيها صفات دينية ايجابا وسلبا ـ فى مديحهم وهجائهم ، يقول كثير فى مديح عمر بن عبد العزيز من مقطوعة ميمية :

وصدقت بالفعل المقـال مع الذى
اتيت ، فامسى راضيا كل مسـلم
وقد لبست لبس الهلوك ثيابهـا
تراءى لك الدنيـا بكف ومعصم
وتومض أحيـانا بعين مريضـة
وتبسم عن مثل الجمـان المنظم
فاعرضت عنها مشمئزا كأنمـا
سقتك مدوفـا من سمام وعلقم
تركت الذى يفنى ، وان كان موقنـا
وآثـرت ما يبقى بـرأى مصمم
واضررت بالفانى وشمرت للذى
أمامك فى يـوم من الشر مظـلم

نحن حين نستعرض شعر هذا العصر ، نستطيع ان نلمح فيه الكثير من المعانى التى تتبع من تعاليم الاسلام بسماحته ، ويسره وايمانه بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسوله ، ذكر الصلاة والصيام والحج .. آيات من القرآن او ما فى معناها .. تعاليم الرسول وحكمه وأمثاله التى يضربها للناس لعلهم يهتدون . كل هذا تلمحه فى شعر العصر الأموى عند أكثرهم هجاء كالفرزدق وجرير .

علام يدل هذا كله ؟

أثر الاسلام فى الشعر أثر لا ينكر ، أثر له صــوره وله ظروفه ، وله مظاهره التى لا تخفى على عين ناقد ..

وأثر الاسلام على الحياة ، واضح لا ينكر ، وبالتالى أثره على الشعر .

جماعة الزهاد ، شعر المدائح النبوية والزهد ، الصفات الاسلامية فى الشعر هذا كله ، يشـــهد عليه تاريخ الأدب العربى .

واذا كان الفن صورة حية للحياة ، فالشعر باعتباره أقوى صور الفن تعبيرا عن المشاعر والاحساسات ، يعــد أقوى صورة حية للحياة. ومن هنا ظهرت فى الشعر هذهالصفات على طول مراحل تطوره . كان أثرها خافتا فى عصر صــدر الاسلام ، لأن الجيل الجاهلى لم تكن نفسه قد رقت بعد ، واشتد أثرها ظهورا فى عصر بنى أمية ، عندما خرج جيل محمد نظيفا خاليا من أدران الماضى ، وعادت للخفوت فى عصر العباسيين ، عندما اشتد اختلاط العرب بالاجناس المختلفة من موال وغيرهم . كانت نتيجة للتوسع فى الفتوحات الاسلامية وتطورت هذه الانواع الشعرية تبعا لهـــذا كله ؛ فظهرت أنواع من القصائد هى ملاحم اسلامية أو أشـــبه بالملاحم الاسلامية ، وهى وان قلت فى الاعصر القديمة، فليس لعدم المقدرة على ابداعها ، ولكن لتغلب المقطوعة الشعريةعلى الاتجاه العام فى ذلك الحين . فكان للمقطوعة الشعرية مكانة لا تعد لها مكانة . ولكننا لا نصل الى القرن السابع الهجرى حتى نفجأ بملحمة البوصيرى الاسلامية :

أمن تذكر جيــران بذى ســلم ....

وصارت فاتحة عهد جديد فى شعر الاسلام . قلدها شوقى ، فكتب نهج البردة ، وحاول أحمد محرم فى الياذته الاسلامية تقليدها ، فخرج بملحمة ليس لها مثيل فى تاريخ الشعر العربى . سجل حياة الرسول وغزواته ، ومواقفه حتى خروج حملة أسامة بن زيد فى أواخر أيامه صلى الله عليه وسلم . وكتب حافظ نوعا آخر من الشعر الاسلامى، وهو قصيدته المشــــهورة « العمرية » فى حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

هذه أنواع من الملاحم والقصـــائد الاسلامية فى العصر الحديث .. سنعرض لها بالتفصيل بعد .

من هذا العرض الطويل ، نستطيع أن نخرج بحقيقـــة هامة ، وهى أن الشعر الاسلامى تطور فى تاريخه الطويل ، منذ أن كان بيتين يقالان فى مديح الرسول ، أو مقطوعة ينشدها حسان فى هجاء الأعداء ، الى أن وصل الى ملاحم اسلامية ، تحكى أمجاد العرب ومفاخر الاسلام . تحكى غزوات الرسول وانتصاراته وتحكى تاريخ العربوفتوحاته. شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، من حدود الصــين ، الى حدود فرنسا ، ومنحدود الروسيا حتى جنوبالجزيرة ، لا تقل فى قوتها وجمالها وبراعتها عن شاهنامة الفرس ، أو الياذة اليونان .

ولكن مراحل التطور لاتقف عند الالياذة الاسلامية أو ديوان مجد الاسلام ليكون خاتمة المطاف بالرغم من قوته وبراعته وصورته الرائعة .

ان مراحل التطور التى شهدتها الفكرة الاسلامية فى الشعر لتشهد فى العصر الحديث نوعا آخر ، ذلك النوع الذى افتقده العرب فى أعصرهم الأولى ، وهو المسرحية الشعرية .

فالمسرح الشعرى المعاصر الذى أبدعه شوقى بعلى بك الكبير وقمبيز وعنترة وغيرها حافل بالمسرحيات الاسلامية التى تمثل مجد العرب فى عصوره المختلفة ، ومجـــد تاريخهم وقوتهم الهائلة . وقد أسهم فى هذا الميــــدان كثيرون ، ومن أعلامهم عزيز أباظه ، خليفة شـــوقى على عرش المسرح الشعرى ، وعمر أبو ريشة الشاعرالدبلوماسى وغيرهم كثيرون . فلعزيز اباظه مسرحيته الشـــعرية الكبيرة .. قافلة النور

ولعمر أبو ريشة المسرحيات الاســـلامية الكثيرة ... الحسين بن على ، محمد ، خالد ، بطل اليرموك .

ونحن حين نعرض لاحداهن ، نعرض لقافلة النـــور مثلا ، نجد أن المؤلف يضع فى أولها تحت عنوان « على هامش المسرحية » السبب الذى جعله يتجه الى هـــذا الميدان من التأليف ، يقول . « اقترح على الاستاذ فتـــوح « نشاطى » منذ سنوات ان أكتب مسرحية يكون الـــدين قطبا لها تدور حوله ، ولم يلقنى بعد ذلك قط ، الا عاد لاقتراحه ذاك فى ايمان عارم ، وكنت كلما ســألته عن سر اصراره هذا يقول : ان كبار التراجيديين فى العالم عالجوا فى روائعهم الخالدة ناحية من نواحى الدين . فكشفوا بذلك عن بعض ما خط الدين من أثر فى طوايا الانسانيـــة بصفة عامة ، وفى أعماق النفس البشرية على وجـــه التخصيص . »

كان هذا اذن هو الدافع الذى حدا بعزيز أباظه الى كتابة هذا اللون الاسلامى ، وكان هذا أيضا هو الدافـــع الذى جعله يصور أنموذجا حيا رائعا من صور الكفـــاح الاسلامى لنشر الدين ، فزمان المسرحية « حين رجـــع رسول الله من الحديبية وأمر فجعل دعوته للاسلام دعوة عامة ، بعث صلى الله عليه وسلم الى الملوك والامـــراء رسلا يحملون اليهم كتبه . وكان رســـوله الى كسرى « أبرويز » عبدالله بن حذافة الســـهمى ، ويفترض أن حوادث هذه المسرحية قد وقعت بعـــد ذلك عند أواخر السنة السابعة للهجرة الكريمة » .

ولا أروع من هذا الحوار الذى يدور بين « منذر قائد جيش الحيرة » « وسعد بن العلا » وافد الصحابة من يثرب ، وأشجع بن حزام وافد الصحابة من يثرب أيضا :

منـــذر : (مستمرا) هل عرفتم محمدا ؟
ســعد :
فى دهشة من السؤال   قد عرفنـــاه
منـــذر :   فمـــا شرعه وما انجيله .
أهو رب عبدتموه الاها ؟
سعد : (فى صرخة)   جل ربى بلعبدهورسوله.
يشرب الماء يطعم الزاد يفنى
والثرى انجرى القضاه مقيله.
هو زوج وابن وجد وما كان
لـــرب فروعه واصـــوله .
منذر : (فىهدوء) أيمارى موسى؟ أكذب عيسى
فى دعـــاواه
أشجع :   بل همـــا أخـــواه
انه مرســـل ليكمـــل ما قـــد
بدءاه . كـــذا يقـــول الله
منذر : (مستمرا) كيفماضيهبينكمقبلهذاالامر
كان الحـــزم الـــكريم الركينا
منذر :   نبئـــانى أموســـــر هـــو
سعد :   لا بل
كان يرعى الاغنـــام للموسرينا
منذر :   ثـــم ؟
سعد :   ثم اصـــطفته حاضـــنة الدين
وأم الاســـلام والمؤمنيـــنـــا
دفعت مالهـــا اليه فنمـــاه
حـــلالا فاستخلصـــته قرينـــا

الى آخر هذا الجدل الشعرى ، الذى يظهـــر براعة الحوار الشعرى ، وبراعة التصوير لصـــفاته صلى الله عليه وسلم .

واينينا كماوى

الذى أصبح

حسن واى على كماو

تعودت دائما فى هذا المكان ان التقى بكم مع الذين انار الله قلوبهم . وهداهم الى الصراط المستقيم فشرح صدرهم لنور الاسلام . ولقاء هذا الشهر مع اخ من كينيا . دخل الاسلام قلبه فاناره . وعرف الحق فالتجا اليه . حضر القاهرة لاشهار اسلامه وللتزود بتعاليمه وأحكامه . وذهبت معه الى مكتب الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر . حيث كانت اللحظة الخالدة التى تجلجل فيها لسانه قائلا : أشهد ان لا اله الا الله وأن محمد رسول الله . وخرجت معه . وفى الطريق قص لى قصة اسلامه فقال :

اسمى واينينا كماو ولدت فى ٢٤ اغسطس سنة ١٩٢٢ بأقليم كياروبو بكينيا . ونشأت هناك . ثم تعلمت فى مدارس الارساليات . وفى أثناء دراستى تعلمت كثيرا عن الاوربيين والمسيحيين . على يد مبشريهم الذين أساءوا الى بلادنا كينيا . ولذا لم أرغب فى ان أكون مسيحيا بأى حال . فظللت وثنيا ولكن مع ايمانى العظيم بالآله الأعلى لكافة الناس والمخلوقات الموجودة على ظهر الأرض .

كنت أعلم أن هناك قوة فوق قوى البشر تسيره وتنظمه . هذه القوة العظيمة هي الآله الأكبر . خالق الارض والبشر .

وفى عام سنة ١٩٥٢ اجبرت على الرحيل من وطنى حيث عشت فى اوغنده حوالى عام . وخلال هذه الفترة شدتنى احوال المسلمين .. فاختلطت بهم وزاد ايمانى بعقيدتهم . فحاولت دراستها . أعجبنى فى الاسلام مساواته للناس .. فهم سواسيته كأسنان المشط . لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم . قويهم وضعيفهم . ابيضهم ولا اسودهم كلهم يتساوون امام شىء واحد هو الايمان ، والتقوى وهكذا قررت بارادة الله ان أصبح مسلما مخلصا وأن أظل كذلك طوال حياتى .

واملى ان ادرس فى الجمهورية العربية المتحدة الشريعة الاسلامية وكل ما يتعلق بأحكام الاسلام . حتى أتمكن من نشر الدعوة الاسلامية فى بلدى . لقد آمنت بقوة الاسلام . وعدله وسلامه . اننى أريد عند عودتى الى بلدى كينيا أن أعمل علي محاربة التبشير المسيحى هناك حتى يزداد انتشار الاسلام . اننى على ثقة من اننى سأسلك السبيل السوى فى حياتى كمسلم مخلص يقوم بخدمة أخوانه المسلمين ، ذلك عن طريق ايمانى القوى بالله ومساندة عبادة المسلمين المخلصين .

يا ضمير الإنسان

للشاعر عبد الله شمس الدين

أَرْعَدَ البرقُ فى الظلام العَتىِّ ... أى غيْب وراءَ هذا الدَّوِىِّ ؟ !
يا جبال الأَمواج من غَضَبِ الأَرضِ ... رويدًا فى زحفِكِ الهَمَجِىِّ
لم تَعُدْ بُقْعَةٌ بغير أنينٍ ... واضطراب فى الكوكب الأَرضىِّ
وكأَنَّ الوجود غابة ذُعْر ... رغم عصر التَّقَدُّمِ البَشَرِىِّ

* * *

يا ضمير الإِنسان : أَىُّ ارتقاءِ ... تبتغيه وراءَ سفكِ الدِّمَاءِ
طوَّحَ الحِقْدُ فى فؤادِكَ بالعلم ... فأَضحى مطيَّةً للفَنَاءِ
بشظاياك قد طحنْتَ قُوَى الأَرضِ ... فأَمست رهينة الأَرزاءِ
ما كفاك الثرى . فرحت تعادى ... قَمَرَ الأُفق فى سفين الفضاءِ

* * *

يا ضمير الإِنسان فى موكب العِلْمِ ... وفى قِمَّة الحياةِ الطليقَهْ
أَنت أَرهقْتَنِى اختراعًا وكشفا ... واندفاعًا إلى المهاوى السحيقَهْ
لم تحاول وأَنت بالعلم تمشى ... أَن ترى الحق وهو يهدى طريقَه
لعَنَ اللهُ كلَّ عِلْمٍ مُضِلٍّ ... لا يُرِى أهله صباح الحقيقَهْ

* * *

يا دُعَاةَ السلام : أَىَّ سلامٍ ... بيْنَ أَطماع قُوَّة مجنونَه
قُوَّةٌ تسحق الضعيفَ . وتأْبى ... أَنْ يعيش الأَحرارُ عيْشَ سكينَهْ
ذِى فلسطين . فى فم الدهر تحكى ... قصة البغى والحقوق الطعينه
شرَّدوا أَهلها جهارًا وقَسْرًا ... ليقيم الخنا بها «صُهيونَهْ»

محمد رسول الله

للشاعر نجاتى عبد الرحمن

وُلد الهدى وله الوجود تطلَّعا   وسرى أَريج حديثه مُتضوِّعا
ناجيت شعرى فى مديح «محمد»   فوجدت شعرى من بيانى اطوعا
إنى وقفت على الرسول مدائحى   ومدحت لا متكلِّفًا متصنِّعًا
شتَّان ما بين امرىء متشوقٍ   لمديح سُدَّته وبين من ادعى
أَسعى وأُكثر فى المديح مردداً   أَن ليس للإِنسان إلا ما سعى

* * *

عهدًا علىَّ قطعته ما كنت فى   قولى كمن نقض العهود وضيَّعا
قلبى يحن إلى المدائح كلما   ذكر الحنين إلى الرسول ورجعا
حسبى فخارًا يا «محمد» أننى   مازال يأْتينى مديحك طيعا
فنظمت لم تَسْتَعْصِ فيك خواطرى   وجرى فأَسعدنى البيان وأَبدعا
كم صُغت فيك من القريض فرائدًا   ونظمت عقدًا بالثناءِ مرصعا
مهما بلغت فلست منك ببالغ   وطرًا وإن نطق اليراع واسمعا
مشرف النُّبوة لا يفى بجلاله   مدحٌ بما جمع البيان وما وعى
ما كنت مدَّعيا بلاغة شاعرٍ   رام السُّمو بشعره فتصنَّعا
لكننى أُلهمت فيكِ خواطراً   جاءت بوحىِ الشعر والفصحى معا

قد جئت بالدين الحنيف مبشرًا وطويت عهدًا بالغواية مترعا
وأقمت ملكًا بالجزيرة ذاخرًا بالطَّيبات وكان قبلكِ بلقعا
وغرست غرس المكرمات بأُمةٍ فاخضرَّ غرسُكِ فى القلوب وأينعا
وسموت بالعرب الغلاظ قلوبُهم حتى تهذَّبتِ الطباع تورُّعا
أَلَّفت فيما بينهم بمـــودة وجمعت شمل شتاتهم فتجمعا
وأتيت بالقرآن دستور الهدى فهزمت من سن الأُصول وشرعا
وافاك جبريل الأمين ملقِّنًا آياته فهدى العقول وأقنعا
قد أعجز الفصحاءُ فى تفصيله وغدا لطلاب الحقائق مرجعا
لم يترك القرآن أى فضيلة إلَّا لها فى كلٍّ موعظة دعا
يا أيها الأُمىُّ جئت بمعجز أعيى بهى أهل البيان وروعا
قد كذَّبوك وقال قومٌ إنه سحرٌ وشنَّع هازئا من شنَّعا
قالوا كلام الله فرية مفترٍ لما تضاءل علمهم وتضعضعا
ومن العجائب أن يعيبَ مكابرٌ حقًّا ، فيظهر جاهلًا متسرعًا

* * *

يا من بُعثت إلى الخلائق رحمةً وكرُمت فى قوم العروبة منبعا
وبلغت بالأخلاق أرفع ذروةٍ ومكثت فوق سَنَامِها متربعا
دوَّخت أقطاب الممالكِ كلها ورميت حائط مجدهم فتصدعا
وفتحت بالإسلام فتحًا باهرًا كانت مراميه أجلَّ وأنصعا
بالحق بالبرهان بالنور الذى أُوتيته كانت فتوحك أروعا
ما السيف يعمل فى النفوس وإنما الحق أقوى ما أذلَّ وأخضعا
أغروْك بالجاه العظيم وبالغنى ما كان حبُّهما لنفسك مطمعا
ورضيت فيهم بالكفاف وأنت مَنْ دانت له شُمُّ الأُنوف وأفزعا

أعرضت عن عرض لدنيا زائلٍ		فبلغت فى الدنيا المقام الأرفعا
إن القناعة فى النفوس عزيزة		والرسل أولى أن تُعِزَّ وتقنعا

* * *

شَرف الحجاز مكانة بالمصطفى		وغدا لأنوار النبوة مطلعا
وُلد الأمين به وأرسل هاديًا		ودعا إلى الدين الحنيف وشرعا
فمحا ظلام الشرك وانتشر الهدى		وانجاب غيمُ الجهل ثم تقشعا
كم أسمعوه من السِّباب وهجره		فأشاح عن هُجر الكلام ترفعا
آذوه حين دعا إلى سُبُل الهدى		مستعذبين من الأذى ما أفزعا
فتحمَّل المختارُ منهم صابرًا		ألمًا يسيل من الجماد الأدمعا
والصبر من شيم النبوة والأسى		جزع ، وما كان النبى ليجزعا
ورعى القرابةَ والمودة لم يَخُنْ		عهدَ الوداد فكان أكرم من رعا
ما زال بالحسنى يجادل قومه		وغدا لعلَّةِ دائهم متتبِّعا
حتى اهتدى للدين منهم من غوى		وانقاد من تبع الهوى وتمنَّعا
ما حاد عن نهج الهداية منهمو		إلا مضِلٌّ بالضلال تقنَّعا
أو فاجر ألقى عليه نقابَه		سوءُ المصير وبالنقاب تبرقعا

* * *

يا خير خلق الله قمت بدعوةٍ		شمِلت بقوتها الخلائق أجمعا
وسَرَتْ كما يسرى النسيم بروضة		غنَّاءَ صار عبيرُها متضوعا

* * *

يا معشر الإسلام لا تتفرقوا		فلكم شهدتم بالتفرق مصرعا
ضُمُّوا الصفوف ووحِّدوا مجهودكم		إن التجمُّع قوة لن تصدعا
سيروا على نهج «النبى» وهديه		وتمسكوا بالدين والدنيا معا

خديجة

للشاعر محمد بدر الدين

يا خدرها كم كنت معراج الهدى ... يا خدرها أو ما اهتززت إلى الندى
يا خدرها كم كنت مشرق رحمة ... وكم استفاض النور فيك وغردا
فى كل يوم غدوة أو روحة .. ... للروح إذ يلقى لديك محمدا
لولا حراء لكنت أول منزل ... أهدى إلى الدنيا الرسالة والهدى
لو تملك الأفلاك من آفاقها ... سعيا لجئن إلى رحابك سجدا
يا للجلال وأنت تؤوى أحمد ... وترى الذى أولت خديجة أحمدا
آفاق مكة كلها عطر سرى ... وحديث إعجاب يهز المنتدى
وفتى يعانقه الجلال إذا غدا ... وتغض هيبته العيون إذا بدا
لم تعرف البطحاء فى أزمانها ... مثلا له خلقا كأنفاس الندى
حدثا يسمى بالأمين وكفه ... غيث لمن فى الناس يفتقد الندى
لا تطفئ البأساء من اشراقه ... كلا ولا الجدباء تنسبه الجدا
قد هز سيدة النساء حديثه ... فسعى إليه رسولها متوددا
ويسافر الفطن الأمين بمالها ... ويعود بالربح العظيم مزودا

وخديجة اللهفى تسائل من أتى ... عما جرى فيقصه مستحمدا
يحكى عن الأَموال كيف تكاثرت ... ويفيض فى الربح العظيم معددا
سأَلته ما بال الأَمين فقال بـــا ... لله لم أشهد أبر وأحمدا
سبحت خديجة فى خواطر أمسها ... والشوق فى طى الضلوع توقدا
بعثت إليه وأنها لأَبية ... ماذا عليها أن أحبت أحمدا
ماذا إذا خطبته وهى عفيفة ... أتعاب من ترجو الزواج لتسعدا
ايه خديجة قد سننت لنا هدى ... وأبى فؤادك عزة أن يخمدا
وجعلت للفتيات حق تخير ... أفكنت تدرين الذى يأتى غدا
ورضيت بالشهم الفقير وقبله ... أعرضت عمن فى غناه تفردا
يا خدرها وغدوت معراج الهدى ... لما استفاض النور فيك وغردا
يا حبها قد كنت سلوى أحمد ... إما تحير فى الحياة وسهدا
يا صبرها والناس حول حبيبها ... رصد يذيب الشامخ المتشددا
يا آية الاخلاص كيف رضاؤها ... بذهابه للغار كى يتعبدا ؟
أما البطولة إذ رأته مفزعا ... يرجو الدثار فما أجل وأمجدا
وحديثها والله لن تخزى سرى ... فى نفسه كالرى فى إثر الصدى
رضيته زوجا فى الحياة وسيدًا ... للقلب ثم أوت إليه مرشدا
حتى انتهت أيامها تركت به ... جرحا إذا بلى الزمان تجددا
لم يشك منها مرة أو تجفه ... يوما وكان هناؤها أن يسعدا
ولئن تعددت الحلائل بعدها ... فلقد تذكرها على طول المدى
يا خدرها قد كنت معراج الهدى ... وكم استفاض النور منك مغردا
لو أن فى التاريخ أسطر جوهر ... لحبا بها زوج الرسول ومجدا
لو تملك الأَفلاك من آفاقها ... سعيا لجئن إلى رحابك سجدا

مختارات من شعر

ابن عربي في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

فائتة من فرائد الثناء :

الكرامة والاستقامة

يقول ابن عربى فى واجب الصوفى من الاستقامة وطلب الترقى فى المقامات :

أنض الركاب الى رب السموات
وانبذ عن القلب أطوار الكرامات
واعكف بشاطىء وادى القدس مرتقيا
واخلع نعالك تحظى بالمناجاة
وغب عن الكون بالأسماء تذكرها
حتى تغيب عن الأسماء بالذات
ولذ بجانب فرد لا شبيه له
ولا تعرج على أهل البطالات
بل صم وصل وفكر وافتقر أبدا
تنل معالم من علم الخفيات
فقد قضى الله بالميراث سيدنا
لكل عبد صدوق ذى تقيات

فى هذه المقطعة يلتقى ابن عربى الفقيه بابن عربى الصوفى مهتما بالشريعة وتأدية الفرائض على وجوهها مترقيا فيها الى ما يطلب من مراقى وما يأمل من كشوف. والصوفى الحق من لا ينشد غير الاستقامة . أما طلب الكرامات واللهفة عليها فليس الا من عبث المدعين للتصوف المتظاهرين بمظاهره . وان من أدب الصوفى اذا أنعم الله عليه بكرامة أن يخفيها وينكرها ، أما من ادعاها وأظهرها فهو مدع كذوب .

ويوصى ابن عربى أن يحث المرء ركابه بتأدية الفرائض وأن يتمسك بالاستقامة ولا يعلق قلبه بالسعى للحصول على الكرامات ليعتز بها على الناس . كما يوصى بالعكوف على شاطىء وادى القدس خالعا شهواته الشبيهة بالنعال حتى يؤذن له أن يقرب اذ لا سبيل الى القرب ودخول وادى الرضا والقبول الا بالعكوف على شاطئه بالفرائض والتذلل والدعاء .

وخلع النعلين الذى أمر به موسى عند الوادى المقدس يراه الصوفية أمرا بخلع شهوات الدنيا وشهوة دخول الجنة ونيل الثواب فيها وهاتان الشهوتان كالنعلين ، كما يرونه أيضا فى خلع النعلين اللتين كان يلبسهما موسى أيضا وهذا عند الصوفية جمع بين الشريعة والحقيقة والظاهر والسر . والوادى المقدس انما هو وادى القرب من الله ومناجاته وليس مكانا بذاته وان كانت المناجاة قد حدثت لموسى فى شاطىء الوادى الأيمن .

ويرى ابن عربى أن الدرجة العليا للعابد انما هى درجة الفناء التى يغيب فيها عن كل شىء حتى نفسه الا عن الله. ويرى أن ترديد الأسماء الحسنى بدوام ذكرها موصل الى رضا الله ذاته . وليس القصد الملذات نفسها فقد قضى أن الحس والعقل الدنيويين لا يدركانها .

وذكر الله بلفظ الجلالة له شأن عند الصوفية ، وما يزال اللسان ينطق به حتى يستثير القلب فيخفق به . وذكره بالقلب عندهم معناه عدم رؤية غيره وبذكر الله تطمئن القلوب .

ويوصى ابن عربى أن يلوذ العابد بجانب الواحد الفرد ولا يلجأ الى سواه فان كل ما سواه انما هو من ثنائية يميل اليها وينجذب بها ـ وهو ما أثبته آخر العلم فى الذرة والنواة ـ أما الفرد الذى لا شبيه له فهو غنى فى ذاته واهب الغنى لمن سواه .

كما يوصي ابن عربى ان لا يلجا احد الى دعاوى الكرامات التى يدعيها أهل البطالة الذين يفارقون الاستقامة بدعوى الولاية ، بل يوصى بالصوم والصلاة والتفكر والخشوع دائما أبدا حتى يعلمه الله ما لم يكن يعلم اذ قضى الله بذلك فى قوله سبحانه « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

قافية الحاء :

من سر الوضوء

قال ابن عربى فى أسرار غسل الوجه ثلاثا فى الوضوء :

ان الحيــاء لبـاب الله فتـاح
ووجهه خلف ذاك البـاب وضاح
وغسلك الوجه بالشرع الذى شرعت
رسل الحبيب لذاك الباب مفتـاح
فاقدح زناد وجود الكشف تحظ به
ان اللبيب لـزند الـكشف قـداح

مما فهم من قول ابن عربى معقبا على هذه الأبيات فى كتابه « لطائف الأسرار » أن غسل الوجه فى الظاهر انما هو اشارة لتطهير القلب فى الباطن ، وغسل الوجـه فى السنة بثلاث غرفات . فالأولى لتطهير الظاهر والثـانية للتجميل والثالثة للتكميل . وهناك فى الـكتاب اشارات كثيرة تتناسب مع أوقات الصلوات كشفها ابن عربى ـ كما يقول ـ .

ولم يخالف أحد من اهل السنة او غيرهم فى وجوب الغسل ثلاثا وان اختلفوا فى مزية كل واحدة . وقد بين ابن عربى مزاياها فى ذلك الـكتاب .

ومعنى الأبيات أن الحياء يفتح لصاحبه باب الولوج فاذا فتح الباب كشفت للداخل الأسرار ، ويرى أن غسل الوجه طبقا لما وضعت الشريعة مفتاح ذلك الباب . ويطلب من المتوضىء المصلى المتعبد أن يشعل زناد فكره ليدرك هذه الأسرار ، ويقول انه لا يفعل ذلك الا اللبيب فهو وحده الذى يقدح زناد فكره على الدوام .

ولا يخفى مع هذا كله أن اشارات ابن عربى فى غسـل الوجه كما قال ظلت بعيدة تحتاج الى كد وعلم واجهاد .

العمل والجزاء

وقال ابن عربى من روح سورة العصر :

بالعصر أقسم أن الوزن يلـزم من
فى الوزن يخسـر ميزانا ويرجحـه
حتى اذا جاء يوم الحشـر موقفنـا
الخـوف يبهمـه والوزن يوضحـه
وليس باب من الأبـواب يغلقـه
الا وفعلك يأتيــه فيفتحــه
فالجـود يمنحـه والعـدل يصلحه
والعـلم يوضحه والوزن يفضحـه
ان كان شرا فشرا أنت كاسـبـه
أو كان خيـرا فخيرا أنت تمنحـه

يقول ان الله قد أقسم بالعصر ـ الذى يرجح أن يكون عصر الحساب يوم القيامة ـ بان الوزن ـ أى الحساب ـ لازم لكل الخلق لأنهم جميعا اما مسيئون فى الأعمـال فمخسرون فى الميزان واما محسنون فيها فمرجحون فيه .

ومن هول يوم القيامة يكاد المرء ينسى ما عمـل خوفا وذهولا ، ولكن وزن الأعمال بيانها وشهودها سيوضحها ويحددها ، وما من شىء يحب الانسان أن يستره ويخفيه الا والعمل الذى عمله يفضحه ويبديه .

والجـود يجازى بجود والعـدل بعدل واصلاح حال والعلم بوضوح وثبات قدم . والوزن يبين كل ذلك ويقدره

أكان عملا يرجى به وجه الله أم يرجى به غيره ، فان كان الثانى فهو شر قد اكتسبه فاعله وان كان الأول فهو خير قد فعله فاستحق جزاءه وثوابه .

عظمـة الله

وقال ابن عربى من وحى سورة الرعد :

البـرق يلمـع والرعـود تسبح
والغيث ينـزل والمنـازل تصبح
مخضـرة هاماتهـا وبقاعهـا
والزهـر فى روضاتهـا يتفتـح
فتـرى جنان الخلد أنشاها لنا
بصـدور أعـلام اذا هى تشـرح
وقطوفهـا تدنـو فتطعـم من لـه
ذوق اذا هى بالعبـادة تفصـح
فالخلق منـه اذا نظـرت مهلل
ومكبـر ومعظـم ومسـبح
والـكل مثـن بالذى هـو اهـله
فالله يعطى من يشــاء ويمنـح

ياخذ ابن عربى أول قوله فى هذه المقطعة من قـوله تعالى فى سورة « الرعد » هو الذى يريكم البرق خـوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده ..» ويؤيد ابن عربى ظاهرة الطبيعة فى نزول الغيث اذا لمـع البرق وهتف الرعد . اما المنازل فهى أماكن الغيث التى تحيا به ، وقد شبه ابن عربى الحياة بعد الموت بالاضاءة بعد الاظلام .

وقد اراد بصدور الاعلام فى البيت الثالث السـفوح وهامات الجبال التى تنشرح بنزول الغيث فتخضر كالبقاع وتزهر وتجود بالثمار فيلذ بطعمها من يرى فيها قدرة الله وحسن صنيعه .

وليس أمر النعم التى يفيضها الله مقصورا على منازل المطر وبقاع الاخصاب ، ولكن كل نعمة على الكائنات انما هى منه ، وهى مردودة اليه بتهليـل الكائنات وتكبيرها وتعظيمها وتسبيحها ، فالكل يثنى عليه بالذى هو مستحق له وهو الحمد والثنــاء مهما اختلفت لغاته وتباينت لهجاته .

هذا ، ولم يعد من الخفى أن ابن عربى لا يعنى بنسج الشعر نسجا قويا ما دام يؤدى باشاراته المعـانى التى يريدها ، كما لم يعد خفيا أن أغلب هذا ـ كما يقول ـ من وحى الرؤيا . فربما ند عنه القول واستعصى الترتيب والتقسيم ، كما يتضح فى البيت الأخير وكان السـياق أن يقول « فالله يعطى من يشاء ويمنع » اذ المنع أيضـا من وحى سورة الرعد فى قوله تعالى « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » او المنع عند الصوفية منح فلعله اراده . والله أعلم .

درجات الشهداء

وقال ابن عربى يوضح درجات الشهداء وأقدار الخلق والأعمال من وحى سورة القتال :

شرع القتـل للرجـوع سريعـا
للذى جئت منه عند الكفـاح
دون مـوت وان عينـى تـراه
ميتا قد علمـت معنى السـراح
جعـل الله فى الشـهادة رزقا
للذى نالهـا بغيـر انتـزاح
وهو ان كان فى العبـاد فسـادا
فهـو عنـد الاله عين الصـلاح
كل ما كان أو يكـون ومـالا ..
انمـا كـونه بامـر متــاح

ما يريد العبيد منه تعالى
غير درك المنى وخفض الجناح
ما على من يريد ردا اليه
فى الذى قد أتى به من جناح
ما يريد العصاة منه تعالى
غير عفو عن الذنوب القباح
ما يريد الفقير منه تعالى
غير عفو عن الذنوب القباح
هو ليلى اذا أتيت أناجى
ونهارى عند المسا والصباح
لو ترانى اذا وصلت اليه
من وجودى فى بسطة وانشراح
لست ابغى سواه فى كل حال
انا فيه من ضيق او انفساح

ركز ابن عربى فى هذه المقطعة على حال الشهيد فى جهاد الدين ودرجته وأجره ، وبدأ بذكر مشروعية القتال ورأى أن الموت فى الكفاح المشروع اسراع الى العودة ـ التى لابد منها ـ الى التراب الذى خلق منه الانسان

وأوضح أن الشهيد وان كانت العين تراه ميتا فهو ليس بميت انما هو حى يرزق رزقا لا ينفد ولا ينتزع ، وقد جاء هذا الوعد فى سورة القتال فى قوله تعالى « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم .. » أما بقية المعانى فهى من آيات وسور أخرى .

ويقول ابن عربى ان الموت وان كان يرى عطبا يحل الاجسام ويفسدها ويظنه العيان كذلك فانه عين الصلاح اذ به تنطلق الروح من الجسد وتصعد الى كيانها العلوى.

ويوضح ابن عربى المقدور على العباد والكائنات فى كل زمان وجودا وعدما بانه أمر من الله وقدر قدره وهيأ له اسبابه وأزمانه . وليس على المرء أن يهتم بذلك فلا يدله فيه وانما عليه أن يسعى وراء أمانيه النافعة ليدركها ويطلب رحمة الله بعمله وسعيه .

أما العصاة فعليهم أن يخطوا أول خطوة بان يتركوا الشهوات ويطلبوا الغفران . ولا يريد ابن عربى بالذنوب القباح الكبائر وانما يريد كل الذنوب وأى نوع منها كان ، الكبائر منها والصغائر فكلها قباح . وهذه منزلة البادئين عند الصوفية ، ولا يصح أن يطلبوا العفو الا اذا تخلوا عن الشهوات .

واما ما يريده ابن عربى بالفقراء فاما أن يكونوا طلاب الرزق فهم يرجون السعة ، واما أن يكونوا المتصوفة الذين هم دائما فى فقر وعلى اضطرار ، وهذا هو الراجح . وعلى هؤلاء أن يبذلوا من أعمالهم وأموالهم وأرواحهم فى التقرب الى الله .

ويختم ابن عربى كلامه بانه يلجأ الى الله بدعائه ومناجاته ، وكلما دعا وناجى تصور أنه فى الليل الذى يحسن فيه التبتل ويقبل فيه الدعاء ، وتصور أنه يرى نورالله كلما دعاه ابهر واضوأ من كل ضوء نجم فى الليل وشمس فى الصباح .

وليس من مطلب له الا أن يصل الى درجة الفناء عن نفسه ، تلك الدرجة التى يحس بوجوده فيها أكثر من احساسه بوجوده اذا كان مع الخلق وهو لا يبغى سواها دون مبالاة بما يمتحن به من ضيق وسعة ومن صحة او سقام .

كانت الشمس تميل غاربة نحو الاشجار والقصور على ضفة النيل الغربية ، وكانت ترسل من نورها الشاحب ومضات رقيقة تلمس بها أكواخ الصيادين على الضفة الأخرى، وواجهات البيوت الواقعة وراء تلك الاكواخ ،

ولما استقر شعاع منها على نافذة بيت من هذه البيوت ، اذ هو يكشف عن وجه سيدة تدعى عائشة ، فى نحو الخمسين من عمرها ، تنم ملامحها عن بقية من جمال رائع ، وعن حزن عميق دفين كأنه ينبع من قلب لم يعرف يوما السعادة فى الحياة .

وكان فى نظراتها شرود وتفكير .. لكأنما ترى فى أطياف الغروب الراقصة على صفحة النيل صورا لأيام الشباب قبل أن تغيب .. بل انها لترى هذه الصور ـ صور الشباب ـ تتوالى فى وضوح أمام بصيرتها ، ثم تتوقف برهة عند يوم معين من أيام ذلك الشباب .

كانت قبل ذلك اليوم تعيش مع زوج فقير، وكان أحساسها بفرط جمالها يملأ نفسها بالغرور وبالنفور من زوجها الفقير .. ولم تكن تخفف من نفوذها بسمات طفلها الوليد محمود ، لا .. ولامشاعر الأمومة الكامنة فى اعماق نفسها .

واستطاعت أخيرا فى ذلك اليوم المعين أن تظفر بالطلاق من زوجها ، وأن تغادر البيت وقد تنازلت عن جميع حقوقها كزوجة وأم .

وحمل زوجها الفقير ابنه الوليد محمود ، ومضى به الى القاهرة حيث كان أخوه حامد الصياد يعيش فى كوخ على ضفة النيل الشرقية وبعد ثلاثة أعوام مات الرجل تاركا ابنه فى رعاية هذا الشقيق الصياد .

أما عائشة ، فقد تزوجت من تاجر حبوب ميسور الرزق ، وراحت تنتقل معه من مدينة الى أخرى حتى استقر بها المقام فى القاهرة.. فى بيت من هذه البيوت الواقعة وراء أكواخ الصيادين ، عشرون عاما مضت منذ افترقت عن ابنها الوليد محمود فى ذلك اليوم المعين .. وكان نبع أحزانها فى خلال هذه الاعوام

يزداد يوما بعد يوم ، انها لم تنجب طفلا آخر ٠٠ وانها لم تستطع أن تنسى احساسات الامومة التى ركلتها بقدميها فى ذلك اليوم الذى لاتنساه ٠٠ ولم يستطع قلبها أن يكف عن الشعور باللهفة العنيفة والحرمان القاسى الذى يعصف بقلب كل أم لاتعرف مصير ابنها الوحيد ٠

وأنها فى هذا اليوم الذى أخذت شمسه تنحدر نحو المغيب ٠٠ بعد عشرين عاما ٠٠ لترى بقلبها المحزون ، وبنظراتها الشاردة ، أطياف الغروب وهى تؤدى على صفحة النيل رقصة جديدة رقصة مبهمة غامضة كأنها صور من حياة ابنها محمود الذى لم تره ولم تعرف عنه شيئا منذ فارقته وأنه ليخيل اليها أنها ترى ابنها هذا يتأرجح على أمواج الحياة٠٠ باسما حينا ٠٠ بائسا أحيانا محروما دائما من عطف أمه التى لاتزال على قيد الحياة ٠

وفى تلك اللحظة ذاتها التى أرسلت فيها الشمس الغاربة شعاعا حزينا الى وجه عائشة كان ثمة شعاع آخر أشد حزنا ينفذ من كومة فى كوخ على الشاطىء لايبعد عن بيت عائشة غير مسافة قصيرة ٠

كان داخل الكوخ مظلما رغم الشعاع الباعث الذى ينفذ اليه من الكومة ٠٠ وكان ثمة كومة من القش فى ركن منه ، فوقها شاب مريض يدعى محمود ٠٠ ليس فيه من سمات الحياة الا أنفاس لاهثة ٠٠ وبجانبه جلست فتاة جميلة القسمات ، شاحبة الوجه ، فى ثوب أسود فضفاض ترنو الى الشاب بعينين دامعتين وتتحسس بيد مضطربة جبينه المحموم بين لحظة وأخرى ٠

وفتح المريض عينيه ، ثم تمتم بصوت ضعيف

ـ نبوية ٠٠ دعينى أرى الشمس ٠٠ قبل أن تغيب ٠٠

وزمت الفتاة شفتيها حتى لاتنفجر باكية ، ثم حملت الشاب بين يديها كأنه طفل ، ومضت به الى مكان على الشاطىء ظليل ، حيث أرقدته على بساط من العشب ، وجعلت وجهه الى صفحة النيل والى قرص الشمس الغاربة ٠

وقبل أن تجلس بجانبه ، سمعت أمها تهتف بها غاضبة من كوخ آخر قريب ٠

ـ نبوية ٠٠ أليس لك عمل غير العناية بمحمود ٠٠ ؟ اتركته أمه لنحمل عنها همه ؟ تعالى ٠٠

فغمغمت الفتاة وهى تنهض مسرعة ٠

ـ محمود ٠٠ لا تبالى بما تسمع ٠٠ لسوف أعود اليك حالا ٠٠

فقال الشاب وهو يحاول الابتسام

ـ أكدى لها أن كل شىء ٠٠ سينتهى قريبا ٠

ونظرت الفتاة اليه برهة ثم ابتعدت حتى لايرى دموعها ٠٠ وهمس هو لنفسه ٠٠

« ترى لو أن أم نبوية هى أمى ٠٠ أكانت تضيق بى هكذا ؟٠٠ »

وانطلق شعاع الشمس الغاربة فى تلك اللحظة فلمس وجه الشاب ، وأضفى عليه غلالة من الصفاء والسلام ٠٠ أما هو فقد راح ينظر الى أطياف الغروب الراقصة على صفحة النيل فيخيل اليه أنه يرى فى رقصاتها صورا من الماضى القريب ٠

لقد جاء الى هذا المكان قبل أن تعى ذاكرته أحداث الحياة ٠٠ وشب فى رعاية عمه الصياد فكان يلهو على الشاطىء مع نبوية ـ ابنة عمه ـ وأختيها الصغيرتين فاطمة وسكينة ولولا قسوة زوج عمه عليه واعتبارها أياه عبئا على موارد زوجها ، لتلونت طفولته بظلال من الرفق والحنان ٠٠

ولما اشتد عوده ، راح يساعد عمه فى صيد السمك ، فكان يغادر كوخه الخاص به ، ويمضى مع عمه الى النهر فى منتصف الليل ، فيركبان الزورق ويلقيان الشباك هنا وهناك ، ثم يعودان عند الفجر بما تيسر لهما من الرزق فيبيعانه الى باعة السمك المتجولين ، ثم يتناولان مع بقية أفراد الاسرة الشاى المركز وبعض الخبز الاسمر والجبن القريش والبصل ، ثم يدخنان بعض اللفائف قبل أن يأوى كل منهما الى كوخه ليستريح ٠

وبدأ محمود يألف هذا الكفاح القاسى فى سبيل الرزق ٠٠ ويألف بجانبه قسوة زوج عمه وبدأ يبتسم للحياة كلما رأى نبوية تنمو ويتوضح جمالها ويستدير جسمها ٠

وفى ليلة شتاء عاصفة ، أصيب عمه حامد بالتهاب رئوى ، ولم يلبث غير أيام معدودة

حتى قضى نحبه تاركا على عاتق الشاب عبء العمل واعالة الاسرة ..

وقام محمود بالتبعات خير قيام ،فاستعد من قوة صباه معينا لمضاعفة الجهد ، وزيادة الرزق حتى استطاع بعد فترة وجيزة أن يزين عنق نبوية بعقد ذهبى ثمين .

كان يحرم نفسه من كل ما تهفو اليه من الراحة وأطايب الطعام ليسعد زوج عمه وبناتها ، وليدخر من المال ما يؤهله للزواج من نبوية ، فكان يقوم بصيد السمك ،وبيعه فى الطرقات ، ثم يعود بعد الاصيل منهك القوى حيث يستغرق فى نوم عميق ، فاذا اقبل الليل ، نهض يصعد بزورقه فى النهر ويصوب ، ويلقى بالشباك هنا وهناك .

وكانت ساعات الليل فى الشتاء تكاد تفجر الدماء من أطرافه ، وكانت ساعات النهار فى رقدة الصيف تكاد تفجر الدماء فى رأسه وهو يجول بوطاب السمك فى الطرقات ..

ولكن بسمات نبوية كانت ـ حين تلقاه فى الصباح ـ تمسح عن نفسه أهوال الليل ، وكانت نظرات أعجابها تزيل عن جسمه التعب آخر النهار حين يعود عامر الجيب خالى الوطاب ..

وكان مع هذا كله يحس بالحزن والقلق كلما خطر له أن جارهم «عامر» الصياد يبذل جهده ليخطب نبوية ، وأن أم نبوية تعينه على هذا وتعده بتحقيق رغبته فى وقت قريب .

وفى حومة هذا الصراع النفسى والبدنى ، أصيب محمود بداء المفاصل ، فلزم كوخه المظلم الرطيب بضعة أسابيع وهو بين الموت والحياة .. وكان أشد ما يؤلمه ويشقيه خلال هذه الفترة العصيبة أن يرى حال الاسرة تسوء ، وان يختفى العقد الذهبى من عنق نبوية ..؟

ورأى وجه الفتاة ذات مساء شاحبا ولمح فى عينيها دموعا تتألق ، وخيل اليه أنها تكاد تسقط من فرط الضعف وهى تحمل اليه حساء الأرز ، فلما جلست بجانبه تنتظر فراغه من الطعام ، وجدها على غير عادتها صامتة ، واجمة ، تخفى عنه دموعها ، فقال لها وهو يلمس يدها فى رفق ..

ـ نبوية ..؟ ماذا حدث ؟

فلما لم تجب ، استطرد قائلا ..

ـ أنا أعرف يانبوية انكم بعتم العقد الذهبى لتنفقوا من ثمنه ..

تمتمت الفتاة وهى تزفر ..

ـ وخلخال أمى ، وطشت الغسيل ، وحلة و .. ..

ـ لو كان الأمر يخصنى لما حزنت قط ..

ـ أولهذا أنت حزينة الليلة ؟

فأنا أعلم أن الله لن ينسانا .. ولكن أمى لا تطيق أن ترانا نخدم فى البيوت ، ولا تطيق أن ينقضى هذا اليوم بدون .. بدون .

وعضت الفتاة على شفتيها وأدارت وجهها ، ولكن محمود أدرك ماذا أرادت أن تقول ، ومن ثم أحس بشىء كالنار يسرى فى دمائه، فاذا هو يتحامل على آلام مفاصلة الرهيبة ، وينتصب واقفا مترنحا ، ثم يقول بصوت ملؤه العزم

ـ نبوية ، أرجو الا تكونوا قد بعتم شبكة الصيد الباقية ؟

وكادت تند من شفتى الفتاة صيحة عجب وفزع وهى ترى الشاب المريض المتهالك قد وقف ، وتتألق على وجهه حبات العرق ، ويرن صوته فى قوة وهو يستطرد قائلا :

ـ لسوف يبقى ما يحدث هذه الليلة سرا بينى وبينك يانبوية .. فلو عرفت أمك أنى قادر على الصيد لمنعتك من الحضور الى فى مثل هذه الساعة ، وسوف أبقى فى حاجة الى معونتك حتى يتم شفائى .. وأريد منك ان تتسللى وتأتى بالزورق فى أقرب مكان من هذا الكوخ وان تضعى فيه الشبكة وأدوات الصيد ووطاب السمك .. وأن يتم هذا كله فى سكون ..

ثم ضغط على كتفها بقوة وقال ..

ـ وعامر الصياد ... ؟ ما موقفه منكم ؟

ـ انه يرفض مساعدتنا ، ويغرى الصيادين على تجنبنا .. أنه يريد الثمن أولا ..

ـ وأمك ؟..

ـ انها تريد أن تخضع له وتزوجنى منه فى أقرب وقت .

ـ وأنت ؟..

ـ ورفعت نبوية عينيها فى عتاب صامت

غير شاعرة بالدموع التى راحت تنساب على وجهها ٠٠ وفجأة ابتسمت وقالت ٠٠

ـ كنت نذرت لله أن أزغرد يوم أراك خارجا للصيد مرة أخرى وأن أضع عشرة قروش فى صندوق نذور السيدة الطاهرة ٠٠ فاذا لم أستطع أن أزغرد بلسانى الآن ، فانى أفعل بقلبى ومنذ الغد سأبدأ فى ادخار النقود العشرة ولكن

ـ وأمسكت عن الحديث برهة وماتت البسمة على شفتيها ، ثم تمتمت فى حزن وقلق ٠٠

ـ ولكن كيف ؟ انك لم ٠٠ لم تشف تماما يامحمود ؟

واشتدت قبضته على كتفها ثم قال مصطنعا الابتسام ٠٠

ـ اذهبى وافعلى يانبوية ما طلبت منك ٠٠ لن تحول قوة فى الارض بينى وبين السعى فى سبيل رزقكم ٠٠ والله المعين ٠

وغادرت الفتاة الكوخ وهى ترفع وجهها الى السماء ٠٠ الى النجوم الباسمة ٠٠ ثم تمتمت فى ايمان عميق ٠٠

ـ يارب ٠٠

ومضت فى رفق الى الزورق ٠٠ والى أدوات الصيد ٠٠ والى وطاب السمك ٠٠

وظل محمود راقدا فى كوخه ، يستجمع قواه ، ويحرك مفاصله ، ويدلك عضلاته ، حتى اذا سمع ساعة الجامعة تعلن انتصاف الليل زم شفتيه وتحرك من مكانه زاحفا على يديه وركبتيه وراح ينتقل خطوة بعد خطوة ورأسه مطرق كأنما يخشى أن يبهر عينيه نور يحس به ولايراه ، وشفتاه تهمسان بكلمة واحدة تجمعت فيها كل آماله ٠

ـ يارب ٠٠

ان الالم الذى يلتهب فى جسمه ويحز كالسكاكين فى مفاصله ، ويتراجع مهزوما أمام هذه الكلمة التى تهمس بها شفتاه وأمام هذه البسمة التى يشرق بها وجهه بسمة الرجل الذى يسعى لانتزاع الرزق من أنياب الالم والعذاب ، مستعينا بالله ٠

ولما بلغ شاطىء النيل ، خيل اليه أن هزيمة الالم تمت ، وهو يغرق وجهه ورأسه فى الماء الطهور ثم وهو ينتقل الى الزورق ويدفع به الى عرض النهر ٠ وحين تهيأ لالقاء الشبكه فى الماء للمرة الاولى بعد شهور من الرقاد ، وخيل اليه أن الماء والسماء والنجوم الساهرة والاشجار النائمة تردد معه وهو يهمس قائلا:

ـ يارب ٠٠

وعاد محمود الى الشاطىء قبيل الفجروترك الزورق وزحف الى الكوخ ، حيث ألقى بنفسه على كومة القش وراح فى سبات عميق ، وقد ارتسمت على وجهه بسمةالرجل الذى استعان بالله فى انتزاع الرزق من أنياب الالم والعذاب

ووقفت نبوية وأمها وأختاها فى بكور الصباح أمام الزورق ذى الوطاب الممتلىء بالسمك الوفير مندهشات ، يفركن أعينهن ، كأنما يخشين أن يكون هذا الذى أمامهن خيالا جسمته تهاويل بطونهن الخاوية ٠

وظنت الأم أن عامر الصياد هو الذى أسدى اليهن ـ سرا ـ هذا الصنيع ٠

وأعتقدت الابنة الصغرى أن « ملك البحر » هو الذى اهداهن هذا الرزق الوافر ٠

وابتسمت نبوية ولم تقل شيئا ٠٠ ولكن قلبها كان ينبض قائلا :

ـ شكرا يارب ٠

ونهض محمود ليلة بعد ليلة يسعى الى النيل ، زاحفا حينا ، متأرجحا على ساقيةحينا آخر يحف به دائما هذا النور الذى يحس به ولا يراه ، ويكاد يسمع الماء والسماء والنجوم الساهرة والاشجار النائمة وهى تردد معه كلما ألقى الشبكة فى الماء ٠

ـ يارب ٠

ولكن الداء المراوغ الذى كان ينهزم أمام ارادة الشاب ليلة بعد ليلة، كان يتجمع ليضرب الجسد الواهن ضربة قاضية ، فاذا محمود صريع الاغماء ذات ليلة والحمى تستعر فى جسده ، واذا هو يشعر حين أفاق بين يدى نبوية أن النهاية تقترب ٠

وها هو ذا راقد على العشب فى هذااليوم الذى مالت فيه الشمس نحو المغيب ، يمد البصر الى صفحة النيل بعد ان أختفت من فوقها أطياف الغروب الراقصة وأختفت معها صور حياته الا صورة واحدة ٠

انها صورة شاب واقف فى زورق من نور، يجرى على أمواج من النور ، تحف به أطياف

مجنحة مخلوقة من رحيق النور تردد معه فى نغم عذب كلمة واحدة تجمعت فيها كل مافى الحياة من آمال وايمان .

ـ يارب ..

وهاهى ذى نبوية تهرع الى الشاب وقد رنت فى أذنيها هذه الكلمة القدسية فاذا بلغت موضعه ، ركبت بجانبه هاتفة وقد أدهشتها وروعها بجمال البسمة المشرقة على وجهه الساجى ..

ـ محمود .. ؟

ولكن محمود لايجيب ، فقد ركبت روحه فى تلك اللحظة زورق النور الى عالم الجمال والخلود

وانحدرت الشمس أخيراوراء الأفق وارتفع عن وجه عائشة ـ الأم التى تنكرت لزوجها الفقير وابنها الوليد ـ الشعاع الاخير من الشمس الغاربة فتراجعت عن النافذة وقد شعرت كأن شيئا فى اعماق قلبها قد تمزق ، وكأن صياح النائحة الذى ارتفع عند أكواخ الصيادين يرن فى أذنيها رنينا رهيبا ويدوى فى قلبها الممزق قائلا .

ـ اذهبى أيتها الام الجاحدة الى الشاطىء .. فهناك بقايا ابنك الذى عاش محروما من حنانك ..

وخيل الى عائشة أن رأسها يكاد ينفجر وهى ترتدى ثوب الخروج وتغادر البيت فى طريقها الى الشاطىء كأنما تدفعها اليه قوة خفية ليس الى التغلب عليها من سبيل .

وسألت فى الطريق احدى النساء عن سبب صياح النائحة على الشاطىء فقالت لها ..

ـ مات الصياد الشاب .. محمود .

واندفعت عائشة بتلك القوة الغامضة نحو الشاطىء ، حتى اذا اقتحمت كوخ الصياد المتوفى وقفت فى الظلال المرسلة من ذبالة المصباح ، تنظر الى الجسد المسجى على كومة القش ، والمغطى بملاءة رثة .. وفجأة ركعت بجانبه ورفعت الغطاء عن وجهه فاذا صيحة خافية تند عن شفتيها حين رأت فى ذلك الوجه الساجى ، صورة واضحة لوجه زوجها الأول الفقير فى شبابه ..

وكانت دهشة الجميع بالغة حين رأوا هذه السيدة الغريبة ، تنفجر باكية وتذرف الدموع فى غزارة .. هذه الدموع التى تجمعت فى قلبها خلال عشرين عاما .

باب
الرياضة
اعداد : ناصف سليم
12

• فتى القرن العشرين فى الملاكمة ..

• الإيمان بالله منحه الثقة فوق الحلقة ...

تتسابق الدول الكبيرة وغير الكبيرة اليوم فى ميدان الرياضة .. كل دولة تريد ان تثبت انها اقوى من الأخرى . وتقدم شبابها وانتصاراته دليلا عن التقدم والرقى ، لأن النهضة فى الرياضة من دلائل التقدم والحضارة .

وكانت وكالات الأنباء على اختلاف الوانها واشكالها تتابعنا كل صباح وكل مساء بأنباء استعداد محمد على كلاى وليستون ، ولم تبد منها جميعا اية لمحة انصاف لمحمد على كلاى ، او ارهاص بفوزه ، برغم وضوح ذلك .. حقيقة بعضنا كان يخشى أن تنجح المؤامرات ضد محمد على كلاى ، ولكن الله وحده - كما قال محمد

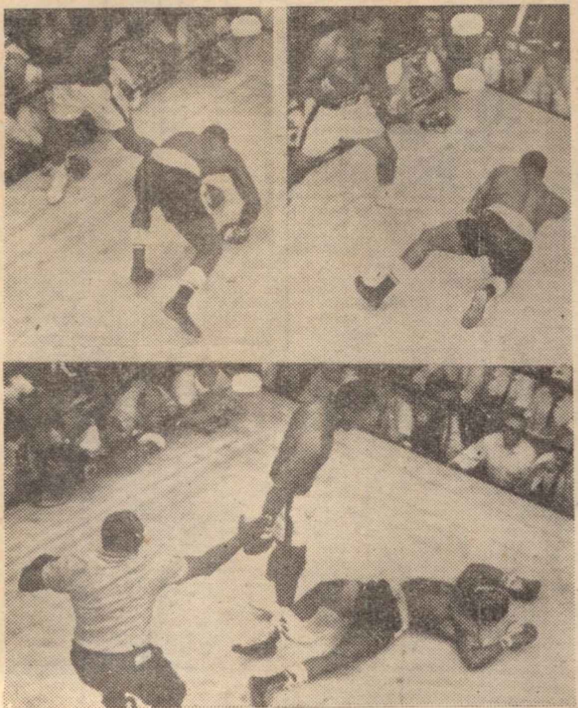

احدث كاميرا هى التى سجلت هذه المناظر الثلاثة لهزيمة « ليستون» .. التقطت من فوق وظهرت فيها تفاصيل الوقعة لحظة بلحظة

وتفخر الدول بانتصاراتها الرياضية سواء كانت فردية أو جماعية ، فبطل العالم فى لعبة ما ، لا يقل أهمية عن رائد الفضاء . بل ان البطل يظل مادة حديث فترة طويلة الى أن يأتي من ينتزع منه البطولة . وبالرغم من توالى الانتصارات لكثير من الأبطال فى مختلف اللعبات ، فان نصرا واحدا من هذا كله لفت أنظار العالم ، وسيبقي سنوات أخرى موضوع جدل وحديث .. ذلك هو النصر الذى حققه محمد على كلاى فى القرن العشرين فى الملاكمة . الذى لم تفخر امريكا بنصره كما تفخر بغيره من ابنائها .. ولكن احتفلت بهذا الفوز كل الشعوب الاسلامية .

كلاى هو الذى عجل بنصره على ليستون فلم يكن هناك أية فرصة للتلاعب فى النتيجة ان امتد وقت المباراة ، ولم تكن ضربة محمد علي كلاى لخصمه فى مكان يمنع القانون الغربى فيه ، ولم تكن بكوعه أو رأسه ، أو أثناء التحام .. بل كانت خاطفة كالبرق ، قوية كالرعد . فى الدقيقة الأولى ، قبل أن يدون القضاة الكثير من نقط كل واحد من الملاكمين .

وكان هذا هو السبب الرئيسى فى فشل أية مؤامرة ضد محمد على كلاى ، ضربة عاجلة فى أول دقيقة .. ضربة صحيحة ١٠٠٪ .. ضربة قاضية تجب النقط والحساب والعد .. وتعلن وحدها النتيجة .

مميزات محمد على

وإذا كان محمد على كلاى ممتازا للغاية من الناحية الفنية فان هذا لم يكن كافيا لفوزه ، ولكن توفرت فيه ميزات اخرى أهمها :

● قوة الايمان .. فقد صعد الى الحلقة واثقا من نفسه معتمدا على الله ، لم يرتعد وصيحات الجمهور الكبير تتهكم به ، ولم يخش احدا ، والمراهنات كلها لصالح ليستون .

● صفاء الذهن .. حيث أثبت انه اذكى ملاكم شاهدناه على الحلقة ، لان سرعة البديهة وحدها ، هى التى مكنته من ان يضرب بيمناه فى صدغ ليستون عندما انكشف فى أقل من ثانية .. لم يتوان محمد على كلاى ووجه الضربة فى توقيت سليم مضبوط بينما كان معتقد الجميع انه سيضرب بيساره .

أما مميزاته الفنية فكثيرة ، والذين شاهدوا المباراة رأوا بأعينهم قوة قدمى محمد على كلاى .. وسرعة تحركهما ، وكيف يدافع بتحريك وسطه فتذهب ضربات ليستون فى الفضاء ، ثم كيف يخفى وجهه بيسراه الذى يلوح بها أمام ليستون ثم يضرب باليمين .

قوة الارادة

هذا ما كان فى المباراة ، أما ما سبقها من استعداد فيدل على قوة ارادة محمد على كلاى ، حيث وضع نفسه فى معسكر طويل وتدرب فيه بعنف ، فلم يترك لنفسه فرصة للهو ولم يكن مثل ليستون فى استعداده ، حيث بناه على الدعاية والتهريج ، بينما ضبط مخمورا وهو منطلق باقصى سرعة بعربته فى الفترة التي كانت محددة له للاستعداد .

وإذا كان كثيرون من أعداء المسلمين ، قد أخذوا قول محمد على كلاى . الله هو الذى نصرنى مأخذ الهزل..وتهكموا به وتعجبوا فى صحفهم .فانهم لم يعلموا أن محمد على كلاى المؤمن يعرف حقيقة ذلك .. لانه لم يتواكل .. ويقول : اللهم انصرنى ، ولكنه عمل .. واجتهد واستعد ، حتى رجحت كفته فوق الحلقة . فكان النصر فى جانبه .. ولينصرن الله من ينصره ، وان الله يحب من احدكم اذا عمل عملا ان يتقنه . ولم يفز محمد على كلاى الا بعد جهد واستعداد ، وثقة فى الله .

صدى الانتصار

وبعد أن انتصر محمد على كلاى لم نسمع الا مديحا فيه حتى من اعدائه ، وكلهم يرشحونه للفوز ببطولة العالم للوزن الثقيل فى السنوات العشر القادمة ، ولكن احدى وكالات الأنباء قالت فى استغراب :

« ان جميع اذاعات الدول العربية أصرت فى حديثها عن كلاى بتسميته « بمحمد علي كلاى » .. ولعلها قد ادركت أن الاسلام هو أقوى رباط بيننا ، وأن نصره هو نصر للمسلمين جميعا فى كل مكان .. وهذا ليس تعصبا منا ، فقد التقينا جميعا مع الجماهير فى مختلف انحاء الارض فى تشجيع باترسون عندما كان يلتقي مع ليستون ، لان باترسون كان انسانا مسالما وديعا ، وليستون كان وما زال شريرا ، ولكن الفرق بين محمد علي كلاى الان وباترسون كبير للغاية ، الأول عرف كيف يستعد ليفوز ، والثانى اعتمد على القوة الجماهيرية التي تعادى ليستون ، ولم يأخذ بأسباب الفوز .. فانهزم فى الدقائق الأولى من ليستون .. ليتربع الشرير على عرش البطولة الى أن يصل اليه محمد على كلاى فتى الملاعب فى القرن العشرين .

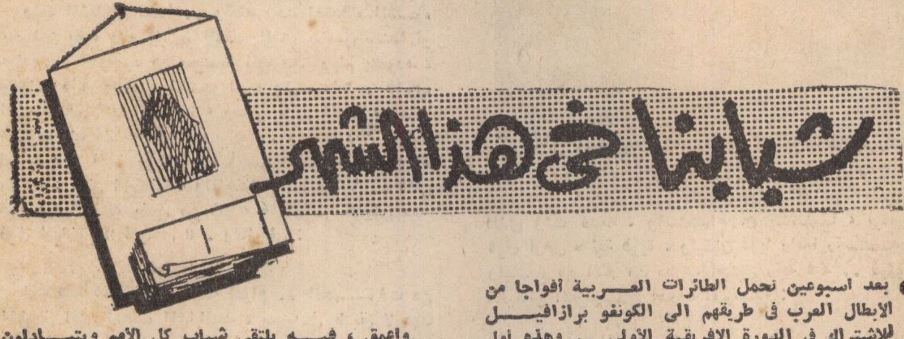

● بعد اسبوعين تحمل الطائرات العربية أفواجا من الابطال العرب فى طريقهم الى الكونغو برازافيل للاشتراك فى الدورة الافريقية الأولى .. وهذه أول دورة يجتمع فيها شباب افريقيا المتنافسة فى مختلف ألوان الرياضة ، وتبادل المعلومات والمعارف ، وهى أول دورة لا يكون لفرنسا فيها نشاط . لذلك فان العبء الأكبر فى تنظيمها يقع علي الجمهورية العربية المتحدة ، لذلك ستضم بعثتنا عددا كبيرا من الحكام والاداريين .. وهناك فى الكونغو سترفع اعلام دول فى ميدان الرياضة لأول مرة بعد أن استقلت . وسنجد منافسات قوية فى عدد كبير من اللعبات الناهضة بافريقيا مثل الملاكمة ، وألعاب القوى

● وفى نهاية هذا الشهر ايضا تقوم أكبر بعثة عربية بالاشتراك فى المهرجان العالمي بالجزائر .. وسوف يشترك فيه أكثر من ٧٠ دولة ، حيث تخوض الدولة الشقيقة تجربة جديدة فى تنظيم الدورات وهذا المهرجان العالمى وأن كانت المنافسة الرياضية خلاله تدور فى فلك ضيق ، الا ان نشاط الشباب فيه اوسع واعمق ، فيه يلتقى شباب كل الأمم ويتبادلون المعارف ، وتعرض كل دولة لونا من الوان فنونها .. انه جامعة للدراسة فى صورة مهرجان .

● واذا أردنا أن يكون نجاحنا كاملا فى هذين الميدانين « فى الكونغو ، وفى مهرجان الجزائر ، فما علينا الا أن نتذكر دائما أننا فى شهر ربيع .. الشهر الذى ولد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام ، ليرسى قواعد الحضارة والمعرفة ، والسلام .. فنهتدى بهديه فى كل مجال ، ونتذكر انه كان يعتمد على الشباب فى غزواته وفى يوم هجرته ، لانه الساعد القوى للدعاة .. وليس مطلوبا من شبابنا وربما فى كل دورة الا أن يكونوا عنوانا صادقا لما وصلت اليه الجمهورية العربية المتحدة ، من تقدم ونهضة ، وأن يتخذوا من قادة هذه الامة القدوة الحسنة فى كل عمل يقومون به .. وأن يعلموا أن هذه الدورات وسيلة وليست غاية ، وسيلة للترابط والتعارف ، وليست رحلة ترفيهية نقضيها خارج البلاد .

عاد الى الله .. فانتصر

قابلته صيف عام ١٩٦١ فوق ظهر الباخرة الوادى ، وهى تقطع جزءا من البحر الابيض المتوسط ، وجزءا من المحيط في طريقها الى الدار البيضاء ، وهي تحمل أكبر بعثة للجمهورية العربية المتحدة للاشتراك فى الدورة العربية الثالثة التى نظمتها المغرب .

وكان فى هذا الوقت ما يزال ساذجا ، يخرج من حدود الجمهورية لأول مرة ، كان أصغر لاعب فى طريق الكرة ، وأعزهم طيبة ووداعة . لقد خرج من روض الفرج وبولاق لأول مرة ليمثل الجمهورية العربية جناحا أيسر .. وكان لنا نشاط دينى فوق الباخرة التى أقلت ٣٠٠ عربى ، ولمحت فى وجهه الاستعداد التام للسير فى طريق طه اسماعيل وأمثاله من الأبطال الذين نهجوا الطريق المستقيم .. وقلت له :

انت ياشاذلى طيب .. ولابد أن تصل لمستوى كبير اذا سرت فى نفس الطريق ، ولكن هذه السذاجة التى ألمحها فى عينيك قد تضعفك عن مقاومة الاغراءات التى تحيط بنجوم الملاعب بالذات .

وعاد الشاذلى نجما .. ولكنه وجد أصدقاء السوء يحيطون به ، وهو اليتيم الفقير الذى يتلمس سندا أو فائدة .. أخرجوه من مجتمعه الي مجتمع لم يتعوده ، واجلسوه فى مجالس ليست له ، وليس لها . فشرب الخمر وهو ابن العشرين ، وسهر حتى الصباح وهو المطلوب منه أن ينام فى وقت مبكر .. وتدرب دون فاعلية أو جديد ، فكان جزاؤه عدم اختياره لتمثيلنا فى دورة طوكيو ، برغم الامكانيات والمؤهلات التى يملكها .. فكان هذا درسا جعله يفيق من غفوته ، وتذكر حديثى معه فوق الباخرة « الوادى » . وقال لى :

لقد فسدت أكثر من ثلاثة أعوام .. انحرفت عن الطريق التى توصل الى المجد ، سرت فى طريق لا عهد لى بها .. وكان اعترافه يحمل أكثر من معنى .. انه توبة الى الله ، ونزل الشاذلى الى ميدان الرياضة بروح جديدة ، ونفس قوية ، يامل أن يمحو آثار الماضى ، وان يعوض ما فات . وشاهدناه فى الملاعب نجما قوى البنيان .. يصلي قبل أن يلعب ، ويصلى بعد أن يلعب ، وينام بعد صلاة العشاء ، ويستيقظ قبل صلاة الفجر . ويعيش فى بدروم فى روض الفرج مع والدته ، كان يعمل من أجلها ، وكانت تدعو له .

ثم انعقد المؤتمر الرياضى الكبير بدار الجمهورية لاختيار احسن لاعبي موسم الكرة ، فكان الشاذلى هو الفائز بالمركز الاول بالاجماع .. نال كل الأصوات ، وكان موضع حديث المجتمع الرياضى كله ، لانه اللاعب

الذى زلت قدمه ، واستطاع أن ينتشلها ، ليسير فوق أرض صلبة قوية ، وليكون قويا رافعا رأسه ، وليسمع من أكثر من مدرب أجنبى رأيه فيه .. فيقول ماتيكالو اليوغوسلافى مدرب الترسانة :

ـ يستطيع الشاذلى أن يلعب فى احسن أندية أوروبا اذا أراد ، ويستطيع أن يقبض مقابل ذلك ٢٠ الف جنيه استرلينى .

ويقول ايفان مدرب المحلة :

اذا كان عندكم اثنان أو ثلاثة يصلحون للعب فى الاندية الكبيرة فى أوربا فالشاذلى احدهما .. بل هو أولهما .

وهكذا ينتصر الشاذلى بالعودة الى الله .. ونسعى جميعا لتكريمه دون أن نخاف عليه من الغرور أو الفساد لأنه كما يقول : سأظل فى نفس الطريق .. أصلي ، ولا أسهر حتى اصل الى مستوى احسن باذن الله .

وهكذا كانت الصلاة سببا رئيسيا فى الفوز بالبطولات لانها خير معين على أداء العمل والاستعداد .

ماذا تعرف عن العالم الإسلامي

دوله وشعوبه

الدكتورة عنايات الطحاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الاسلامى مهد الحضارات الأولى :

نبتت دوحة الاسلام فى أرض لم تتميز بجودة التربة ووفرة الماء والشجر ومع ذلك لم تلبث أن امتدت فروعها وأغصانها حتى أظلت عالما واسعا فسيحا • تفجر هذا الينبوع الهائل فى واد غير ذى زرع من أرض الحجاز فلم يلبث أن أصبح فيضا يغمر الجزيرة العربية ثم يتجاوزها فى سرعة عجيبة ليعم أقطارا واسعة فى آسيا وفى افريقية ثم يتجاوزهما الى أوربا • وأضحت بلاد المسلمين الذى يبلغ عددهم حوالى خمسمائة مليونا تمتدمن مراكش فى الغرب الى أندونيسيا فى الشرق ومن سيبريا فى الشمال حتى زنجبار فى الجنوب • هذا بالاضافة الى ما يعيش فى كل من الأمريكتين الشمالية والجنوبية من المسلمين •

وهذا الوضع الجغرافى للعالم الاسلامى الذى أثبت حدوده فى ثلاث قارات هى آسيا وافريقيا وأوروبا جعله يتمثل قارةحقيقية هى القارة الوسيطة تنصهر فيها جميع الصفات الجنسية وتمتزج الحقائق الاجتماعية وتذوب الاختلافات فى وحدة انسانية ذات طابع روحى •

وبسبب هذا الوضع الخاص يتمتع الاسلام بكونه القاسم المشترك الأعظم مع جميع الثقافات التى تؤلف الخريطة الروحية فى العالم • فهو فى مركزه فى البحر المتوسط يقع فى قلب عالم الكتاب المقدس الذى يتقاسم معه رسالة ابراهيم ـ عليه السلام • وهو فى مراكزه الأسيوية يقع فى قلب عالم يعتنق فكرة بوذا وحكمة كونفوشيوس • وهو فى افريقيا الوسطى والجنوبية على صلات مع النفس الانسانية العذراء المنزهة عن أى طابع تعليمى فى كامل براءتها البدائية •

وهذه القارة الوسيطة سكنتها عدة أقوام لعبت أدوارا هامة فى تاريخ البشرية وتعتبر مهدا للحضارات العظيمة الأولى •

ففي مصر قامت الحضارة الفرعونية العظيمه وفي منطقة الهلال الخصيب قامت الزراعة واستأنس الانسان الحيوان وأقام المساكن واستخدم النحاس والبرونز • ثم كان ظهور الفينيقيين الذين اخترعوا حروف الهجاء ونشروا لغة واحدة وأنشاوا فى القرن السادس قبل الميلاد وحدة سياسية ضخمة تمتد من الهند حتى البحر المتوسط واستمرت تلك الوحدة في عصر الاغريق كما استمرت على نحو ما في عصر الرومان • ثم تتابعت الموجات العربية السامية وحينما سارت الجيوش العربية الاسلامية كان من أهم أهدافها اقامة مجتمع عربى اسلامى قوى واقامة حضارة جديدة خالية من الفساد الذى انتشر فى المجتمع الفارسى والمجتمع الرومانى •

كذلك ظهرت فى تلك القارة الوسيطة ثلاث حركات اصلاحية دينيةهى اليهودية والمسيحية والحنيفية • فاليهودية انتشرت فى بعض بلاد العرب وخاصة اليمن ويثرب ولكن انتشارها كان محدودا وظل معظم العرب يعكف على عبادة الأصنام • ثم حاول الأحباش والرومان نشر المسيحية ولكن لم يقبل العرب عليها اقبالهم على الوثنية • أما الحركة الاصلاحية الثالثة وهى الحنيفية فحركة عربية داخلية كرست جهودها نحوغرض واحد هو استبدال الوحدانية بعبادة الأصنام ولم تلق أيضا هذه الحركة اقبالا كبيرا من العرب •

وما أن ظهر محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى هب العرب الى تلبية الدعوة الروحية الجديدة واعترف الاسلام للانسان بحريته واستقلاله الفكرى والاجتماعى والمالى ودعا الى أن يكون الناس أخوة متحابين متعاونين فى الحياة وساوى بينهم فى الحقوق والواجبات •

وعليه فقد صار المسلمون أخوة تربطهم رابطة واحدة على تباعد أوطانهم وتباين طرق معيشتهم واختلاف لغتهم •

مراحل انتشار الاسلام :

نشأ الاسلام فى بلاد العرب حوالى سنة ٦١٠ م ولم يتغلغل فى قلوب أهل البلاد المفتوحة الا تدريجيا ذلك أن كثيرا من العرب قد حملوا على الاسلام قبل سنة ٦٤٠ م • أما نصارى مصر والشام الذين كانوا يستنكرون مذهب الاغريق الأرثوذكس فقد دخلوا فى الاسلام شيئا فشيئا بمحض رغبتهم • وتسامح العرب كذلك مع أهل فارس الذين كانوا يدينون بالزرادشتية ودخل هؤلاء فى الاسلام متمهلين • وكانت موجة الفتوح العربية التى تلت ذلك تتسم أيضا بهذا التسامح ذلك أن الفاتحين خيروا بربر شمال افريقية ونصارى اسبانيا ويهود هذين القطرين بين الاسلام والبقاء على دينهم فى ظل الحكم العربى فكانوا يرحبون بمن أسلم ولا يضطهدون من صد عن الاسلام •

ودخل أهل ما وراء النهر والتركستان فى الدين الجديد تدريجا على الرغم من ارتدادهم عنه فى كثير من الأحوال ولم تسلم القبائل التركية الشمالية الا فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) وسلك المسلمون فى الهند سبيلين فحينا يحملون أهلها على الاسلام وحينا يهدونهم اليه بالوعظ والارشاد وكانت الوسيلة الثانية أفعل وأدوم بقاء •

ويصدق هذا القول أيضا على افريقية الوسطى فلم يدخل فى الاسلام من أهل شرق أفريقية أو الصين الا عدد قليل ولذلك ظلت الجماعات الاسلامية فيهما مقصورة أمدا طويلا على المهاجرين وذريتهم •

وفى أندونيسيا التى تلى الباكستان مباشرة فى عدد المسلمين فقد دخلها الاسلام بفضل التجار المسلمين كما دخل فى شبه جزيرة الملايو وفى أنحاء كثيرة من أواسط افريقية •

كذلك غمرت افريقية الشرقية والغربية موجة من الايمان بالاسلام بعد الغاء تجارة الرقيق فى القرن التاسع عشر الميلادى لأن الشريعة الاسلامية تحرم على المسلم أن يسترق أخاه فى الدين • أما جنوب أفريقيا فقد دخلها الاسلام على يد الهنود والملاويين •

هذا ولم يبذل الأتراك العثمانيون الا جهدا هينا فى نشر الاسلام أثناء فتحهم البلقان وبلاد

المجر فلم تسلم الا ألبانيا والبوسنة ودبروجة وشمال مقدونيا وتراقيا .

وبالنسبة الى روسيا فليس فيها اذا استثنينا ماوراء القوقاز الا آثارا قليلة لحكم التتر ولو أنه بقيت فيها جماعات صغيرة من المسلمين فى نواح متباعدة لا تمثل اقليما قائما بذاته .

يضاف الى ما تقدم نزوح بعض المسلمين منذ عهد قريب الى أمريكا الشمالية والجنوبيه وجزر الهند الغربية واليابان وجزر هاواى .

هذا ومع انتشار المسلمين فى جميع أنحاء العالم الا أنهم يتكاثفون ويستوطنون آسيا وأفريقية وجنوب شرقى أوربا . ويبلغ عددهم فى العصر الحاضر حوالى (سدس) سكان المعمورة .

العالم الاسلامى وحدة جغرافية واقتصادية متكاملة :

يمتاز العالم الاسلامى بتنوع كبير فى مظاهر السطح من أقاليم جبلية الى مناطق سهلة ومن صحراوات قاحلة الى سهول زراعية تجرى فيها أعظم أنهار الدنيا وأهمها كالنيل والدجلة والفرات والسند والكنج .. الخ . والى جانب اختلاف السطح يختلف المناخ والنبات فيمتد العالم الاسلامى من الأقليم الاستوائى الحار فى الجنوب الى الأقليم الشمالى البارد فى سيبريا وفيما بينهما نجد الأقاليم المعتدلة والصحراوية . وتبعا لاختلاف المناخ تتنوع الغلات وعليه يعتبر العالم الاسلامى وحدة جغرافية طبيعية متكاملة بغلاتها الزراعية والحيوانية والمعدنية ووجوه نشاطها الحيوى ومن ثم فهو وحدة اقتصادية يكمل بعضها بعضا .

ولو صحت العزيمة بين سكان هذا العالم على استغلال موارده الطبيعية المتنوعة وزالت الحواجز فيما بينهم لحقق المسلمون اكتفاء ذاتيا لا يحتاجون فيه الى غيرهم . ولو جد المسلمون فى استنباط مكنونات أرضهم بالطرق العلمية الحديثة لما أمكن أن يفرض عليهم حصار اقتصادى .

هذا ويغلب الطابع الزراعى على دول العالم الاسلامى قاطبة اذ يعيش حوالى ٦٠ ٪ من السكان على الزراعة ينتجون فيها جميع الغلات الزراعية التى تغطى احتياجاتهم دون الحاجة الى أى مصدر خارجى .

وهكذ يمكن تبادل الغلات الزراعية والحيوانية بين الدول الاسلامية بعضها وبعض وهذا يؤدى الى تحسن مستوى المعيشة فيها وعدم خروج أى ربح منها للخارج وتنمية مواردها ومحاولة التوسع فى أراضيها الزراعية والاهتمام بمشروعات الرى الحديثة التى تخدم الانتاج الزراعى خاصة وأن الأراضى الغير مستغلة فى الزراعة حاليا ويمكن تحويلها الى أرض زراعية يمكن أن تزيد المساحة المزروعة فعلا فى الوقت الحاضر الى أضعاف أمثالها .

كذلك يمكن لدول العالم الاسلامى أن تنمى الصناعات التى تقوم على ما تنتج من خامات زراعية متوفرة فيها بحيث تكفى نفسها بنفسها الى حد كبير ولن يحتاج الامر الا الى سياسة منسقة تعاونية فيما بينها .

أما من حيث الثروة المعدنية فان دول العالم الاسلامى تستخرج من أرضها الكثير من المعادن كالفحم والحديد والفوسفات والرصاص هذا علما بأن مساحات كبيرة لم يتم كشفها بعد .

وبالاضافة الى ذلك فهناك البترول وهو الوقود الأساسى للصناعات الحديثة والذى يوجد بكميات وفيرة فى العالم العربى الذى يعتبر جزءا أساسيا هاما من دول العالم الاسلامى وقد ركزت البلاد العربية اهتمامها باستخراج بترولها الذى يتراوح بين ٥٠ ٪ ، ٦٠ ٪ من احتياطى العالم .

ولو أن بترول البلاد العربية أحسن استغلاله فيها لنمت مواردها .

ومن الغريب أننا نلاحظ أن البلاد المنتجة للبترول هى التى تشكو التخلف الاقتصادى وليس هذا بغريب اذا ما عرفنا أن ٦١ ٪ من انتاج البترول العربى من نصيب شركات

أمريكية ، ٣٢٫٧٪ من نصيب شركات بريطانية وهولندية وجزء بسيط جدا تشترك فيه بعض حكومات الدول العربية • ولو أمكن زيادة نصيبها من بترولها لصنعت البلاد ولما بقيت بنا حاجة الى الغرب •

وقد بدأت الجمهورية العربية المتحدة حركة التصنيع ونجحت فيها نجاحا ملحوظا ولها صناعات محلية متقدمة وانتاجها من هذه الصناعات يفيض عن حاجة الاستهلاك المحلي ويغذى حركة التصدير الى دول العالم الاسلامى •

الاستعمار الأوربى والصهيونى ومساوئهما فى العالم الاسلامى :

واذا كانت الوحدة الاقتصادية بين أجزاء العالم الاسلامى لم تتحقق بعد لاعتبارات سياسية فان المصالح الاقتصادية المشتركة قائمة بالفعل لأنها جزء أساسى من التكامل الطبيعى للاقليم • أما أولئك الذين اقاموا الموانع والسدود الاقتصادية بين أجزاء هذا العالم فهم أولئك الاستعماريون لتحقيق مطامعهم فى أن تبقى دوله ودويلاته مرتبطة بحركة الاقتصاد الأوربى والأمريكى •

هذا وقد كافح المسلمون الاستعمار فى شتى صوره المختلفة وتخلصت غالبية دول العالم الاسلامى من ذلك الكابوس الذى ظل يجثم على صدور المسلمين سنين طويلة • فقد كافح العرب الاستعمار الفرنسى فى بداية القرن التاسع عشر وكافحوا الاستعمار البريطانى منذ ذلك الحين وهم الآن يكافحون الاستعماريين معا فى جنوب شبه الجزيرة العربية وبقية الدول الأفريقية التى استقلت حديثا •

كذلك تخلصت أندونيسيا من الاستعمار الهولندى والباكستان من الاستعمار البريطانى فى القرن العشرين • وعلى الرغم من استقلال معظم دول العالم الاسلامى الا أنه لا تزال بعض الصور الاستعمارية باقية كالمعاهدات السياسية والاقتصادية والشركات الاحتكارية •

هذا فضلا عن الاستعمار الصهيونى الأثيم والعدو الأكبر للاسلام والمسلمين فبين الاستعمار والصهيونية تحالف قديم • والذى يطالع قصة اسرائيل يدرك مدى مساعدة بريطانيا للصهيونية • فالانجليز هم الذين أبرزوا لليهود مطالب فى مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ م ، ترمى الى انشاء وطن قومى لهم فى الارض المقدسة • وقرر الانجليز التدخل للحصول على حق التوطن فى فلسطين • وفى سنة ١٩١٧ م صدر وعد بلفور المشئوم الذى يؤكد توطين اليهود فى فلسطين وكان هذا الوعد أكبر صدمة للعرب وللمسلمين •

وظلت مشكلة فلسطين بدون حل بل تنتقل من سيىء الى أسوأ وأخذت أمريكا بدورها تشجع هذا الوطن الصهيونى المزعوم حتى وقع الالتحام بين العرب واليهود فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ •

وتحول النصر الذى كان محققا للعرب فيها الى هزيمة أو ما يشبه الهزيمة حين استغل الاستعمار الظروف التى أدت الى عقد اتفاقية الهدنة فى شتاء سنة ١٩٤٩ م تحت ضغط الأمم المتحدة •

ونشأت المشكلة الكبرى وهى مشكلة اللاجئين الذين شردوا عن ديارهم وحرموا من وطنهم الطبيعى لحساب اليهود المعتدين •

وأمعنت دول الاستعمار الثلاث بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فى بذل العون لاسرائيل •

وليس هناك شك فى أن اقامة اسرائيل فى هذا المكان ليست فقط لاستعمار بقعة عربية وانما للتواجد فى بقعة استراتيجية لها أهمية كبيرة جدا وجدت لكى تكون قاعدة بحرية على البحر المتوسط تمنع اتصال العالم العربى الى حد ما بالبحار الخارجية •

وأصبحت اسرائيل مركزا استراتيجيا للاستعمار تنطلق منه خططه مقنعة أو سافرة وشوكة فى جنب العالم العربى خاصة والعالم الاسلامى عامة •

خريطة العالم الاسلامى

وهكذا يتضح لنا عداء الغريب للعالم الاسلامى وهو عداء دينى ما فى ذلك شك وعليه فمن الضرورى أن يحس العالم الاسلامى بهذا الخطر وأن يجمع شمله فيرد الاعتداء ويقاوم الاستعمار ويحقق قوله تعالى « **ان هذه أمتكم أمة واحدة** »

والشريعة الاسلامية بطبيعتها تخلق ارتباطا كبيرا بين معتنقيها . فالمسلمون جميعا فى صلاتهم يتجهون الى الله يرددون نفس الكلمات ويؤدون نفس الأركان . والى الكعبة تتجه أفواج الحجاج من كل فج عميق وكأنهم أسرة واحدة تمتزج احاسيسهم وأصواتهم فى التكبير والتهليل . والقرآن الكريم يتلوه ويرتله ملايين المسلمين فى مختلف البقاع ويصومون رمضان أينما وجدوا ويحرمون الربا والخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ويخضعون جميعا لقوانين الزواج والطلاق والميراث كما جاءت فى القرآن الكريم .

وحسبنا أن نطوف العالم الاسلامى لنرى أننا دائما بين أهل وأخوان وندرك أن شعوب المسلمين لا تعترف بالحدود الاقليمية التى صنعها الاستعمار ليمزق بها الوطن الاسلامى الواحد بل تشترك جميعها فى المؤتمرات التاريخية التى تشكل وحدة الأحداث ووحدة التراث وفى المصالح المادية والاقتصادية والمعنوية المتداخلة وفى الوجدان النفسى المشترك وتقارب الآراء .

وهى اليوم أكثر منها فى أى وقت مضى مزيج من هذه العناصر التى تفاعلت وقويت فيها أسباب التكامل والترابط وذابت فيها كل فوارق الدم والدين والدولة .

وسنتناول فى الأعداد القادمة عرض دول العالم الاسلامى وشعوبه كل على حدة والله الموفق .

هو اقامة الكيان الفلسطينى كمسلك من مسالك العمل العربى .

وقال الرئيس ان العمل العربى الواحد يضع قيود علينا يؤدى الى بلبلة ولكن فى نفس الوقت نحن ما زلنا على ثقة من أن هذا العمل يستطيع التحرك جزئيا ما أمكن خصوصا بالنسبة لقضية فلسطين . وقال الرئيس نحن دولة ثورية واراؤنا الثورية معروفة ومبادئنا معروفة

وقال جمال عبد الناصر ان الحل لقضية فلسطين هو العمل الثورى الذى يمثل الامل ويحشد كل امكانيات الامة العربية ويحرر هذه الامكانيات لتنطلق وتحرر فلسطين .. تحرير فلسطين عاوز عمل ثورى عربى وسبيلنا الوحيد لتحقيق هدفنا هو العمل الثورى الذى له حقوق والجمهورية العربية المتحدة هى قاعدة العمل الثورى العربى .

نص خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

أيها الاخوة .. لقد قررت فى أخر لحظة النهارده بعد الظهر ان اجىء الى اجتماعكم وكان من المقرر ان يصل كمال رفعت ينوب عن الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها فى تحيتكم . ويبارك مؤتمركم ليبحث أمورة . ولكن فى أخر احظة النهارده بعد الظهر قررت ان احضر معاكم واتكلم معاكم ..

الحقيقة كلامى معاكم ان يكون مجرد تحية ولا مجرد ترحيب ، والأسباب اللى يمكن دفعتنى اجى اتكلم معاكم . حتكلم عنها حسيت أن اللحظات اللى احنا فيها ستمثل لحظات عصيبة ومضنية فى النضال العربى وحسيت ان أنا لا بد أن آجى واتكلم معاكم كمواطن عربى يشعر بما تشعروا ويحس بنفس احساس ويشوف ويسمع وتتخلى من اللى كان مقرر ، ان تكون هناك تحية رسمية من الجمهورية العربية المتحدة وتمنيات بالنجاح لمؤتمركم .

الامور بصراحة

طبعا كان الواضح ان انا جيت حتكلم فى مواضيع كثيرة .. حنفتح هذه المواضيع ومش حا أقدر اجى أقول لكم ان انا بحييكم واتمنى لكم النجاح ، وقضية فلسطين وراها والسلام عليكم ورحمه الله لا مش حاقدر اقول هذا الكلام ، ولكن انا شايف ان المرحلة اللى احنا فيها تستدعى ان احنا نتكلم بوضوح . ونحط كل الامور بصراحة . لان احنا كل واحد فينا فى هذه الايام يشعر ان هناك فتور فى قوة العمل العربى وظروف كثيرة كل واحد مننا بيحس انها صدمته فيما كان يتصوره . وما كان يحلم به بعد وحدة الأمة العربية وتعبئة الامة العربية الضخمة فيما يتعلق بهدايا السلاح الالمانى لاسرائيل

تغيير الموجه الثورية العالية فى انحاء العالم العربى . تبين مقاومة الامة العربية .. فيه شعور أن هذه الموجة تهدأ الان . أو هكذا قد يخيل للبعض منا فيه ناس فيكم تنتابهم عوامل من الضيق ، وفيه ناس فيكم بتنتابهم عوامل من خيبة الامل ، وفيه ناس بيحسوا بالمرارة فى الجو اللى فى وسط الاجماع الشعبى العربى .. تحفظت ثلاث دول عربية على قرار قطع العلاقات السياسية مع المانيا الغربية فيكم اللى أحزنه ان رئيس عربى وزعيم عربى يقف للمرة الأولى ويطالب بالاعتراف باسرائيل والتعايش السلمى معها فيكم اللى اتضايق من القرار اللى صدر عن رؤساء الحكومات العربية بخصوص بورقيبة وفيه من انحاء العالم العربى وبين الشعب

العربى اللى بيقول ان هذا القرار لايتناسب مع مافعل بورقيبة وأثار ما فعل بورقيبة .. بورقيبة باع الوطن العربى للاستعمار والصهيونية واحنا الشركات الاجنبية اللى بتتعامل مع اسرائيل بنقاطعها فليه منقاطعش بورقيبة ، والممثلين اللى بيتعاونوا مع اسرائيل او اللى بيجمعوا تبرعات لاسرائيل او بيعملوا دعاية لاسرائيل بنقاطعهم فليه لم يصدر قرار بمقاطعة بورقيبة ..

حملة تشكيك

ناس بتحس بخيبة أمل .. وناس بتحس بالمرارة .. فيه ناس لم تجد فى قرارات رؤساء الحكومات العربية .. قرارات معظمها سرى .. ماوجدتش فى هذه القرارات اللغة اللى كانت عايزاها .. وفيه صحف نشرت ماجرى .. كل صحيفة نشرت طبعا حسب ما ترى ووكالات الانباء نشرت اللى يناسبها ، الجزء العربى اللى انتشر لم يشف غليل ، فيه هجوم على القيادة العربية الموحدة وفيه تشكيك فى القيادة العربية الموحدة بنسمع هذا الكلام من بعض الاذاعات العربية وبنقرا هذا الكلام فى الصحف .. بعض الصحف العربية ، حملة مركزة على القيادة العربية الموحدة ، اية اللى عملته القيادة العربية الموحدة لما وقعت غارة اسرائيلية على سوريا . اية اللى عملته القيادة العربية الموحدة لما حصلت غارات اول امس على الاردن فيه عوامل تشكيك كبيرة .. فيه طبعا اللى بيحس ان بسبب موقف بورقيبة منظمة التحرير على خلاف مع الدول العربية .. انسحبت من اجتماعات الرؤساء .. فيه كلام كثير .. فيه حملات كثيرة .. يمكن الفلسطينيين بالذات كانوا دائما هدف الحملات المستمرة من داخل العالم العربى ومن خارج العالم العربى ، كل الكلام اللى انا قلته موجود ، كل الكلام اللى انا قلته بيخلق مشاعر كثيرة .. مشاعر متناقضة .. مشاعر متعبة بين الفلسطينيين .. بين الشعب العربى كل ..

فى الحقيقة .. انا قررت انى اجى اليكم واتكلم معاكم وجدت ان واجبى فى هذه اللحظة انى أجى اتكلم معاكم كمواطن عربى . لاأتقيد بالرسميات . واحد حاسس بقضية فلسطين وعاوز يتكلم عن القضية .. حاسس بالتناقضات الموجودة حاسس ان الوقت بيستدعى ان احنا نعرف احنا فين . وجدت من واجبى ان ماسيبش هذه الاستفسارات واجى اقول لكم احنا فين بالضبط وبصراحة

وواحد بيقرأ كل يوم مايكتب فى العالم عن قضية فلسطين . سواء فى الصحف الاجنبية أو فى الصحف العربية ، أو الاذاعات الاجنبية أو الاذاعات العربية وحاسس فى هذه المرحلة بالذات بحدة الهجوم لبلبلة الفكر العربى ، وحاسس ايضا بأن الهجوم ده هجوم اتعودنا عليه ، طوال المدة اللى فاتت . من الصهيونية والاستعمار والقوى العربية التى تجد فى مسألة فلسطين انها موضع للكسب موضع للبيع أو موضوع للمزايدة أو موضوع للتجارة فى الحقيقة كل ماتتحرك قضية فلسطين بتتعرض لجو مشابه لهذا . جو لايئسنا من الحاضر ولا حييئسنا من المستقبل . . ناس تقيس على الماضى وتفرض ان المستقبل هيكون زى الماضى ، احنا كنا فين فى الماضى واحنا فين النهاردة وهنكون فى المستقبل .

ناس يقولوا : قضية فلسطين بقالهم ١٧ سنة بيتكلموا فيها ، وكفاية كلام بقى فى قضية فلسطين ، عايزين عمل .. وناس بيقولوا منظمة التحرير الفلسطينية بقالها سنة ونصف سنة عملت أية .. منظمة التحرير الفلسطينية موضوع كلام .. كفاية كلام وعايزين عمل ناس يقولوا الجامعة العربية كان زمان بتكلم عزام سنة ٤٨ وبنقول عليه ابو الكلام عزام . النهاردة حسونة مابيتكلمش ما اتغيرتش الجامعة العربية مفيش أمل ، الماضى كان شيء والحاضر فيه تناقضات وفيه يأس من المستقبل

بورقيبة باع العرب

ناس يتكلموا يطلع بورقيبه ويبيع الوطن العربى .. الاستعمار والصهيونية ويطلع

بورقيبة علشان عايز ۲۰۰ مليون دولار أو ۱٥۰ مليون دولار يبيع العرب كلهم ويجعل من نفسه خادم للاستعمار والصهيونية ويبعث يبشر بالبورقيبية بالنسبة لقضية فلسطين فى أفريقيا . وان العرب يجب عليهم انهم يتعايشوا مع اسرائيل ، وان العرب ازاى يتصرفوا النهاردة تصرف غير أخلاقى . دى اسرائيل عضو فى الامم المتحدة ومعترف بيها دوليا ولا يمكن العدوان على اسرائيل .

طلع بورقيبة يقول هذا الكلام . علشان يؤسنا من حاضرنا ويؤسنا بعد مابدات القضية الفلسطينية تتحرك وبعد ما بدا الكيان الفلسطينى يقوم . وبعد ما بدات منظمة التحرير الفلسطينية تعمل .. الفلسطينيون حرموا الى ۱۷ سنة اللى فاتت من العمل يدوبك السنة اللى فاتت بدا الفلسطينيون يكافحوا ويناضلو فى سبيل وجودهم .. طوال الـ ۱۷ سنة اللى فاتت كانت خطة الاستعمار والصهيونية هى تصفية قضية فلسطين ..

ولا يمكن أن تصفى قضية فلسطين ولا بتصفية شعب فلسطين وكانت المحاولات دائما مبنية على تصفية شعب فلسطين ۱۷ سنة كانت الدول العربية خاضعة للاستعمار كانت الدول العربية تعمل فى سنة ٤۸ وهى فى منطقة نفوذ الاستعمار ..

قضية فلسطين لن تصفى

احنا فين النهارده .. احنا النهاردة بعد ۱۷ سنة أو بعد ۱٦ سنة لن تصفى قضية فلسطين ولن يصفى شعب فلسطين، بل حصل العكس حصلت خطوة للأمام .. تجمع شعب فلسطين، بدأت القيادة الفلسطينية بدأت منظمة التحرير الفلسطينية اذن لم يستطع الاستعمار ، ولم تستطع الصهيونية ، ولم يستطع أعوان الاستعمار ، بأى حال من الأحوال انهم يصفوا قضية فلسطين ، لأن شعب فلسطين لم يصفى والدليل على هذا أنكم هنا النهارده .. بتمثلوا شعب فلسطين اللى قاسى النكبة فى سنة ۱۹٤۸

بيطلع بورقيبة من الأرض وبياخذ هذا الخط .. خط يخدم الاستعمار .. بيخدم الصهيونية .. ما هو هدف بورقيبة .. هدف بورقيبة فى هذا الآن حقيقته بتقول بعد مؤتمرات القمة ، آدى رئيس عربى أهو طالع يتكلم هذا الكلام يبقى مفيش فايدة يطلع بورقيبة ويقول ان معيش فايدة فى المستقبل ، ولن تستطيع الدول العربية ، ولن تستطيع الشعوب العربية ولن يستطيع الشعب الفلسطينى أن يتحرك .. دى مش خطة بورقيبة .. دى خطة الاستعمار .. خطة الصهيونية ، بورقيبة فى هذا العمل ليس ألا أحد أعوان الاستعمار وأحنا أعوان الاستعمار مش جداد علينا .. أعوان الاستعمار عاشوا بيننا .. أعوان الاستعمار كلهم انتهوا وراحوا وجه الشعب العربى ، وجه الشعب العربى يكافح ويناضل من أجل أهدافه من أجل آماله ، لم يكفر أبدا الشعب العربى بحاضره ولا بقدرته لم يكفر أبدا الشعب العربى بمستقبله .

سوريا تهاجم

فى نفس الوقت بنبص نلاقى أيضا أن مؤتمرات القمة انعقدت وعقدت القيادة .. قامت القيادة العربية الموحدة ، وحصل عدوان على سوريا نبص نلاقى اذاعة سوريا تهاجم القيادة العربية الموحدة .. وتهاجم المؤتمرات العربية .. معنى ده ايه .. معناه أن أحنا بنيأس .. بنيأس من مستقبلنا .. وكانت الحملات تستمر على القيادة العربية الموحدة ، وكانت الحملات تستمر على المؤتمرات العربية فيه عربى أو فلسطينى بيقول مافيش فايدة .. العرب اجتمعوا .. مؤتمر أول للرؤساء والملوك وأجتمع ، مؤتمر ثانى للرؤساء والملوك اجتمع ، وأخذوا قرارات .. هذه القرارات هى تحويل الروافد واقامة القيادة العربية الموحدة ، واقامة الكيان الفلسطينى بمنظمة تحرير فلسطين وجيش فلسطين .

فى نفس الوقت ، نجد ذعر عند اسرائيل من هذا العمل ، وحملة عنيفة حملة نفسية وحملة تشكيك وأن جمال عبد الناصر دعا الى هذا لأنه عايز يسيطر على العرب وعلى الدول العربية .. فى نفس الوقت نجد حملة عنيفة على المؤتمر .. مؤتمر الملوك والرؤساء من سوريا وصحافة سوريا ، وحملة عنيفة على القيادة العربية

الموحدة والدعوة ـ للهجوم على اسرائيـل معنى هذا ايه •• بنجد حملة تقول أن القيادة لم تقم بواجباتها ، وان الدول العربية لم تقم بواجباتها طيب وبعدين انت يا فلسطينى لما تسمع هذا الكلام من اذاعة سوريا النهارده تسمع هذا الكلام من صحافة سوريا ويقولوا أن جميع الدول العربية تخاذلت ، ماعدا سوريا ، بتقول ايه •• بتقول مفيش فايدة •• مفيش فايدة أبدا فى العمل العربى • مفيش فايدة فى العرب طول عمرهم مايتفقوش ، العرب طول عمرهم بيختلفوا مفيش فايده فى الحاضر مفيش فايدة فى المستقبل .. نجد أيضا القوى الانعزالية وأعوان الاستعمار ومحطات الاذاعة الاستعمارية أيضا تثبط الهمم .

أنا باشوف كل هذا الكلام فى الحقيقة بعد ما كنت مش ها اجى وجدت أن من الضرورى أنى أجى وأقول لكم أن احنا لازم نكـون واضحين •• لازم نعرف احنا فين ورايحين فين ، ما نقفش ونقول العودة •• العـودة يا فلسطين أنا قلت قبل كده أن طريق العودة مش طريق مفروش بالورد •• طريق العـودة طريق مفروش بالدم ••

ما هى الوسائل

بعدين علشان نحدد موقفنا لازم نعرف .. نعرف ايه وسائل العمل العربى •• ايه امكانيات العمل العربى • اذا كنا عايزين نحرر فلسطين لازم نعرف أيضا له اللى يحرر فلسطين •• لازم نحدد المسائل العديدة التى يتمشى فيها العمل العربى •• الجامعة العربية •• الجامعة العربية تمثل الدول العربية بأوضـاعها الراهنة .. أوضاعها الموجودة .. الجامعة العربية كشىء تقـاس بأضعف حلقـة مانجيش نطلب من الجامعة العربية ونقول : ان الجامعة العربية هى حسونة .. حسونة مش هو الجـامعة العربية ، الجامعة العربية هى الدول العربية الموجودة .

ايه اللى تتكل عليه الدول العربية • هو ده أمكانية الدول العربية ، لما بناخد قرار بالنسبة لقطع العلاقات السياسية مع المانيا • تستطيع بعض الدول أنها تتحفظ •• هذا هو مجال الجامعة العربية وهذه هى قدرة الجامعة العربية محاسبة بورقيبة كلنا عزلنا بورقيبة احنـا مالناش علاقة مع بورقيبة وبورقيبة بيهاجم يوميا وموقفنا • وفيه قطيعة كاملة بيننا وبين تونس ، وبورقيبة قال انه مش ممكن يحضر الجامعة العربية طالما ان اجتماعاتها ستعقد فى القاهرة ، ده موقفنا معروف من بورقيبة ••

فى داخل الجامعة العربيـة •• يختلف الوضع ، داخل الجامعة العربية الجامعة العربية معناها أن ماحناش عايزين نطلع براى واحد لا عايزين نطلع براي الدول العربية كلها ، اذن هذه هى قدرة الدول العربية فى الجامعـة العربية •

امكانيات الجامعة العربية

كلنا لازم نعرف هذا الكلام ونسلم بيه ، ولا نطلب من الجامعة العربية أكثر مما تستطيع أن تقرره الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية نطلب من دولة واحدة نطلب من دولة •• هل نفك الجامعة العربية •• هل الجامعة العربية مليهاش فايدة •• احنا بنقول رغم مآخذنا على الجامعة العربية ولكن الجامعـة العربية هى أداة توحيد ولكن هل الجامعـة العربية تستطيع تحرير فلسطين •• أنا باقول أن الجامعة العربية لا تستطيع أن تحـرر فلسطين ، هل تستطيع الجامعة العربيـة أن تحرر الجنوب العربى •• لا •• لا تستطيـع الجامعة العربية أن تحرر الجنوب العربى • هل تحرر الخليج .. لا .. لا تستطيع هل تستطيع الجامعة العربية ، أنها تخلصنا من القواعـد الأجنبية اللى موجودة فى البلاد العربية •• لن تستطيع ولا تستطيع ••

اذن لازم نعرف ايه الجامعة العربية وايـه قدرة الجامعة العربية وأما الجامعة العربيـة بتأخد قرار ما بتصابش بخيبة أمـل ، لأن الجامعة العربية فيها حدود ، الجامعة العربية ليها قدرة .. يبقى السؤال .. هل اذا كانت هذه الحدود حدود ضيقة نفك الجامعة العربية يبقى الجواب لا • أن الجامعة العربية • مـع الأيام ممكن تقوى ، ومع الأيام قويت وأن ده مسلك من مسالك العمل العربى الجامعـة

العربية بتوحد ثقافيا وبتساعد اقتصاديا وبتعمل أعمال كبيرة جدا ، لكن مانجيش نطلب من الجامعة العربية أن تسير الجامعة العربية وفق أضعف حلقة موجودة فيها .. تسير علشان تمثل اجماع للدول العربية .

هذا ميثاق الجامعة العربية ، وده شيء قبلناه وشايفين ان وجود الجامعة العربية حايفضل .. اذن بنقبل هذا الموضوع وبنعرف أن الجامعة العربية لها حدود وأن الجامعة العربية فى عملها وفى اجتماعاتها لا يمكن لها أن تخرج عن هذه الحدود . حدود العمل العربى الجماعى أو اجتماع الدول العربية وفقا لميثاق الدول العربية ... احنا فى اجتماعات فى الجامعة العربية وافقنا على القرارات الخاصة ببورقيبة احنا تصرفاتنا كدولة لنا مواقف أقوى من هذه القرارات وزى ما قلت لكم هذا الموقف وصل الى القطيعة ولكن فى داخل الجامعة .. القرار اللى عملته الجامعة بيمثل قوة للجامعة هل من مصلحتنا تمزيق الجامعة العربية ، أو نمشى فى أطار الجامعة العربية بأقدار اللى تستطيع فيه الجامعة العربية أن تمشى .. ولكن فى نفس الوقت بنقول أن احنا لينا قوة خارج أطار الجامعة العربية واستطعنا خارج أطار الجامعة العربية أن احنا نمارس هذه القدرة اتعزل بورقيبة .. اتعزل شعبيا . اتعزل عن الأمة العربية وأحساسكم أنتم أن القرار اللى اتخذ فى الجامعة العربية ما كانشى كافى ، بيعكس حقيقة العملية ، وحقيقة قدرتنا ... احنا خارج الجامعة العربية ، أن احنا نتصرف أكثر من التصرفات اللى تكون فى داخل الجامعة العربية ..

الدعوة لمؤتمر القمة

ده أول شيء موجود بعد كده الشيء الثانى .. انا وقفت فى يوم ٢٣ ديسمبر ودعيت الى مؤتمر لرؤساء وملوك الدول العربية لبحث موضوع فلسطين ، ومن أجل العمل العربى الموحد الخاص بفلسطين . وكان الموضوع هو أن اسرائيل حولت نهر الأردن ، وأن فيه قرارات اتخذت فى الجامعة العربية من سنة ٦٠ بتحويل روافد نهر الأردن . وأن فيه قرارات اتخذت فى الجامعة العربية من سنة ٦٠ لتكوين قيادة عربية موحدة لكن هذه القرارات لم تنفذ .

لذا أنا شعرت فى هذا الوقت بالخطر الكبير علينا فى عملنا العربى وشعرت إن العمل فى الجامعة ، بالطريقة العادية ، لن يدفعنا أى خطوة للأمام ، فى سبيل العمل العربى الجماعى ومن الواجب أن نحاول محاولة أخرى ، ودعيت الى مؤتمر الملوك والرؤساء ، وهذا كان مسلك آخر أو مسلك تانى من مسالك العمل العربى الواحد واجتمع الرؤساء والملوك . كلنا نعرف وضع الدول العربية فى هذا الوقت والنزاع والصراع وكيف كانت قوى الاستعمار والصهيونية تعتمد على هذا الصراع وتغذى هذا النزاع .. وهذا الصراع .. المؤتمرات ايضا بتمثل مسلك من مسالك العمل العربى .. وفى رأيى ان هو عمل مهمة جانبية او فرعية واحدة عمل لمواجهة واحدة من مضاعفات الخطر اللى قابلنا فى هذا الوقت وهو ضياع الجهد العربى الموحد فى مواجهة العمل الاسرائيلى .. فنسأل أنفسنا سؤال برضه علشان نكون على بينة .. هل هذا المؤتمر مؤتمر الملوك والرؤساء الأول ومؤتمر الملوك والرؤساء الثانى . ومؤتمر رؤساء الحكومات أو العمل العربى الواحد كما اسفرت عنه مؤتمرات القمة ، هل هو الطريق الى تحرير فلسطين .. نسأل نفسنا هذا السؤال .

ماهو الوضع الآن

عشان نجاوب على هذا السؤال بنشوف ايه أوضاعنا العربية .. فيه تناقض بين الدول العربية وفيه عدم ثقة بين الدول العربية .. وفيه حرب بين الدول العربية .. موجود فى اليمن . فيه صراع بين اليمن والجمهورية العربية من جانب والسعودية من جانب آخر والانجليز أيضا .

الامور على حقيقتها

فيه هذه التناقضات هل ننساها ونغمض عنينا ونقول ان كل الامور اتحلت ، وكل المشاكل انحلت ، والطريق بأه ممهد ٠٠وعملنا مؤتمر للملوك والرؤساء واتقالت شوية خطب فى هذا المؤتمر واتخذت شوية قرارات ٠٠ اذن فتحررت فلسطين ٠٠ أقول ان احنا لازم ناخد الأمور على حقيقتها ٠٠ لا مش هو ده الطريق اللى حيحرر فلسطين ٠٠ قد يساعدنا هذا الطريق على تحرير فلسطين يساعدنا ازاى بالاجتماعات بتتحل الخلافات تدريجيا ٠٠٠ بتتحل المتناقضات تدريجيا ٠٠ ونستطيع أن نجمع على شيء ولكن لن نستطيع أن نجمع على كل شيء ٠٠ كل واحد ليه مصالحه كل واحد خايف من الثانى باين هذا الكلام فيه شكوك ، وفيه متناقضات موجودة ٠ وواضح هذا الكلام فى عدم السماح للجيوش العربية بالانتقال من دولة عربية الى دولة عربية أخرى ٠

هذا واقع لازم نعترف بيه فيه مشاكل بين سوريا والعراق ٠ فيه مشاكل بين سوريا ومصر ، فيه مشاكل بين السعودية ومصر ٠٠ فيه شكوك طبعا ٠ فى لبنان لا يقبلوا أى قوة عربية هذه أوضاع احنا عايشنها فلازم نقبل هذه الأوضاع ولا نتناساها

ولكن طب العمل العربى الموحد بيساعد فى أيه ٠٠ العمل العربى اللى هو نتيجة مؤتمر الملوك والرؤساء بيقدمنا خطوة عن الحالة اللى كنا فيها بالجامعة العربية ٠٠ اذن العمل العربى الموحد هو مسلك من مسالك العمل العربى مش بالمؤتمرات حتحرر فلسطين ٠ وطبعا أما بتتجمع الدول العربية زى ماشفنا فى الأسبوع اللى فات حتحصل مزايدات وتحصل مهاجمات وتحصل مقالات وتحصل اذاعات تقرأ فى بعض الدول أن لازم تفتح جميع الجبهات العربية على اسرائيل ٠٠ أن لازم يكون فيه عمل عربى اذا تعرضت سوريا للعدوان ٠ وان القيادة العربية الموحدة لم تتخذ أى اجراء حينما تعرضت سوريا للعدوان أو حينما تعرضت الأردن للعدوان وكل طبعا دولة عربية بتحاول أنها تلقى اللوم على الدولة العربية الأخرى ، وأنها هى قايمة بواجباتها قيام كامل ٠ ولكن القيادة العربية الموحدة هى المقصرة ، والقيادة العربية الموحدة هى اللى ماقامتش بالدور ٠٠ وكا واجب الدولة العربية الأخرى أنها تعمل كذا وأن أحنا مانقدرش نعمل شيء ألا اذا توفرت لنا حماية ارضية وحماية جوية ولا نستطيع أن نحول روافد الأردن الااذا وفرت لنا حماية أرضية وحماية جوية ، وكل يلقى اللوم على الآخر ده واقعنا ٠٠ ده حالنا ٠٠ حال الدول العربية ٠ ولكن أحسن من الحال اللى كنا فيه من ٣ سنوات أحسن ليه ٠ من ٣ سنوات ماكانش فيه عمل عربى خالص موحد بالنسبة لفلسطين النهارده بعد المؤتمر الأول للملوك والرؤساء اتخذت قرارات ٠

١٥٠ مليون جنيه للدفاع

واتقال أننا حنعتمد لتقوية الدفاع العربى فى سوريا ولبنان والأردن ١٥٠ مليون جنيه تدفعها الدول العربية احنا الجمهورية العربية المتحدة حندفع خمسين مليون جنيه ٠٠ نقوى الدفاع العربى فى الأردن وفى سوريا وفى لبنان ، وفعلا فى السنتين الأخيرتين انشئت وحدات جديدة وحصلت تعاقدات على أسلحة وحصلت حركة بالنسبة لتقوية الدفاع العربى فى سوريا ولبنان والأردن سواء كان هذا دفاع أرضى أو دفاع جوى والدول العربية كلها اشتركت فى هذا ٠

أيضا حصل أن الدول العربية قررت أنها تتحمل مصاريف تحويل روافد نهر الأردن وسد المخيبة بالنسبة للأردن ٠٠ هذا أيضا عمل عربى موحد قدرنا ننجح فيه كان فيه عدة قيادات عربية ٠٠ استطعنا أن احنا من القيادات العربية ننشىء القيادة العربية الموحدة كلنا نعرف ما هو قبل العدوان على مصر لما وقعت الاتفاقية العسكرية بين سوريا والأردن تقدير اسرائيل للقيادة العربية الموحدة ، كلنا نذكر فى سنة ٥٦ ومصر ٠

كان ايه رد اسرائيل ، وكان ايه رد بن جوريون ٠٠ بعد العدوان قال بن جوريون أن هذه الاتفاقية كانت بالنسبة الينا كشيء يجعلنا

كالبندقة فى داخل كسارة البندق .. طبعا دى النظرة اللى بتنظرها اسرائيل الى القيادة العربية .

لكن ماذا تستطيع القيادة الموحدة انها تعمل فى هذه المدة القصيرة مع وجود الخلافات السياسية نحن نعتمد على شىء أن المتناقضات بتقل والخلافات ايضا والشكوك بتقل ، اذن تستطيع القيادة العربية الموحدة أن تعمل

النهاردة الدول العربية بتخاف من بعضها ولا تسمح لجيوش ..

دول أخرى انها تمر فيها أو تصل اليهـا لتعزيز قواتها ، وعلى هذا الأساس لا تستطيع القيادة العربية الموحدة أن تقوم بواجبهـا ، كاملا ، ولكن فى المستقبل اذا حلت هـذه التناقضات تستطيع القيادة العربية الموحدة أن تقوم بواجبها كاملا .. النهارده أيضا امكانيات الدفاع قد تكون غير كاملة ولكن حصـلت اعتمادات وحصلت تعاقدات على أسـلحة جديدة وبهذا ستقوى امكانياتنا على الدفاع

نحن لا نزايد

طيب اذا كنا النهارده غير قادرين على الدفاع ازاى نتكلم على الهجوم طبعا اذا كنا غير قادرين على الدفاع فى بعض البلاد العربية .. اذن ما نقدرش نتكلم على الهجوم ، واذا تكلمنا عـلى الهجوم نبقى بنهرج ونبقى بنزايد .. ولكـن مش معنى هذا أن احنا ناخذ خط ، زى الخط اللى اخذه الحبيب بورقيبة ، ونيأس ونتقاعس ولكن بنقول ، نعمل كذا وكذا ، ولازم يكـون لنا سياسة ، بالنسبة لتقوية أنفسنا حتى نكون قادرين على الدفاع والدول العربية الغير قادرة على الدفاع ، يجب أن تعزز أسلحتها بحيث تكون قادرة على الدفاع ، واذا أصبحت الدول العربية كلها قادرة على الدفاع ، بعد هذا نكون جميعا ، قادرين أن احنا نقوم بعمل هجومى

معالم المرحلة الحاضرة

اذن المرحلة اللى احنا فيها النهاردة ومرحلة مؤتمر القمة العربى ، ومرحلة العمل العـربى الموحد ، كانت متجهه الى تعزيز الدفاع العربى وده ظهر فى مؤتمر القمة الثانى ، ونشر هذا الكلام وقيل ان لنا هدفين .. هدف عاجل وهو تعزيز الدفاع العربى فى البلاد التى يتحول فيها نهر الأردن وهدف قومى وهو القضاء على الاستعمار الاسرائيلى وعودة شعب فلسطين . ده الكلام اللى تقررولكن هل تقرير هذا الكلام ممكن انه يرجع لنا فلسطين با أقول لا .. هل عن طريق هذه المؤتمرات سنستعيد فلسطين، با أقول لا .. ولكن هذا أيضا ، هو مسلك من مسالك العمل العربى ، بدل الجمود والخلاف اللى كنا فيه وبدل الوضع المهلهل العربى اللى كنا فيه قبل الدعوة الى مؤتمر القمة .

النهارده فيه اجتماعات بتعقد من اجل فلسطين . وفيـه قـرارات اتخذت من اجل فلسطين وفيه قرارات اتخذت من أجل تمويل التسليح وفيه قرارات اخذت من أجل التحويل ومن أجل السدود .. وفيه قرارات أخذت باقامة القيـادة العـربية الموحـدة ، وفيه قرارات باقامة الكيان الفلسطينى .

احنا اقامة الكيان الفلسطينى .. موضوع كنا ، بنطالب به منذ سبع سنوات .. وكانوا بيقـولوا أن مصر بتطالب باقامـة الكـيان الفلسطينى عشان نستخدم الفلسطينيين فى اثارة المشاكل . واحنا يعلم الله ان احنا لم تكن بأى حال من الاحوا لنهدف الى هـذا ولكن كنا شايفين هدف الاستعمار والصهيونية هو تصفية القضية الفلسطينية بتصفية شعب فلسطين ، اذن العمل المضاد له هـو اقامة الكيان الفلسطينى ، ولم تكن تستهدف ابدا أى دولة عربية او اى زعيم عربى .

النهاردة بعد مناقشـة سبع سنين هذا الكلام فى الجامعة العربية ما اقدرناش نوصل اليها .. استطعنا فى مؤتمر الملوك والرؤساء ان احنا نصل الى الكيـان الفلسطينى والى منظمـة التحرير الفلسـطينية والى جيش فلسطين اذن هذا أيضا مسلك من مسـالك العمل العربى .. العمل العربى الموحد .. ده بيمثل حـركة مؤقتـة بيمثـل تفاعل الواقع

والأمل بقدر ما يمكن موضوعيا وعمليا ..
وفيه مشاكل بين المنظمة الفلسطينية وبعض الدول العربية ، مانستغربش ان تكون فيه هذه المشاكل لان فيه شكوك وفيه أوضاع لم تتضح ولكن هل هذه المشاكل تخلينا نيأس انا باقول لا ليه .. لان احنا تقدمنا خطوة وفى حدود هذا المسلك نستطيع ان نتقدم خطوات وان احنا نحل مشاكلنا ونقدر نعمل عمل ونتحرك حركة مؤقتة بدلا من الجهود اللى كنا فيه والوضع الضائع المهلهل اللى كنا فيه

هذا الوضع النهاردة اللى هو العمل العربى الواحد يواجه مشاكل بالطبيعة ويواجه تشكيك ، والمسألة فى العمل العربى الواحد ان احنا نتحرك جانبيا بقدر ما يمكن عمليا وموضوعيا او السبيل الآخر ايه .. انهم خلاص .. اذا كانت فيه حملة النهاردة على القيادة العربية الموحدة وعلى العمل العربى الواحد وعلى مؤتمرات القمة وقيل ان مؤتمرات القمة الغرض منها تصفية فلسطين .. وقيل ان الدول العربية غير واخدة مسئولياتها .. وان مسألة فلسطين بتضيع الى اخر هذا الكلام . خلاص ادامنا حل من اثنين .. يانمشى فى هذا السبيل .. يانفركش العمل العربى الواحد .. سهل قوى ، فى ٢٤ ساعة مؤتمرات القمة كلها ممكن بتنتهى ، احنا نقدر ننهى مؤتمرات القمة ونمزق العمل العربى الواحد ..

هل احنا يعنى بنقول ان العمل العربى الواحد ده حيحقق لنا كل أهدافنا ولكن هو مسلك .. مسلك أخر غير الجامعة العربية يدينا نتائج اكثر من الجامعة العربية .. ولكن هل حيدينا ما نتمناه ، انا باقول انه مش ممكن حيدينا مانتمناه لان الأوضاع العربية الموجودة فيها ما فيها ، والخلافات العربية فيها ما فيها ، وكلنا نعلم هذا الكلام .

طبعا العمل العربى الواحد بيضع قيود علينا .. وان احنا بنقبل هذه القرارات وفى نفس الوقت يؤدى الى بلبلة .. ولكن فى نفس الوقت احنا ما زلنا على ثقة من أمر العمل العربى الموحد الذى نتج من مؤتمرات القمة .. يستطيع التحرك .. التحرك جزئيا ما أمكن خصوصا بالنسبة لموضوع فلسطين .

العمل العربى .. له طاقة

ولكن طبعا اذا كنا نسمع اذاعات بتقول ان الحكومات العربية متقاعسة والحكومات العربية لا تقوم بواجباتها .. والحكومات العربية فى هذا لم توافق على تحرير فلسطين .. الى اخر هذا الكلام .. اذا كنا نسمع مزايدات .. نقول ان المزايدات بتضر .. طيب انا ايه اللى يخلينى فى العمل العربى الموحد . انا دولة ثورية .. وارائى الثورية معروفة ومبادئى معروفة . ولكن عن طريق العمل العربى الموحد بنستطيع ان احنا نجابه الخارج ، ما اقدرناش نجابهه مثلا ثلاث عشر دولة ، فى موضوع المانيا جابهناه عشر دول ، عشر دول قطعنا العلاقات السياسية ، أيضا فيه عمل عربى فيه شىء .

فى نفس الوقت احنا لم نطالب بقطع العلاقات الاقتصادية مع المانيا ، علما ان كلكم تعلموا ان المانيا موقعة عقوبات علينا احنا على الجمهورية العربية المتحدة لانها لا تتعامل اقتصاديا مع الجمهورية العربية المتحدة بعد المعركة اللى حصلت بيننا وبينها علشان أهداء الاسلحة الى اسرائيل ولكن لم نطلب من الدول العربية الأخرى ان تقطع علاقاتها الاقتصادية مع المانيا الغربية لان فى تقديرنا ان العمل العربى الموحد له طاقة وله امكانية وهذا العمل العربى الموحد فيه مشاكله .. وفيه تناقضاته العنيفة اللى كل واحد فينا فى العالم العربى بيحس بها وفى نفس الوقت فى أمالنا ان احنا نقلل من هذه التناقضات وتقضى بقدر الامكان على هذه الخلافات والشكوك وطبعا أيضا الاستعمار والصهيونية تغذى هذه التناقضات وتغذى هذه الشكوك ..

الوضع اليوم .. احسن

ولكن رغم كل التناقضات والشكوك والخلافات نقول ان الوضع النهاردة عربيا .. احسن مما كان من سنتين قبل مؤتمرات القمة ولكن فى نفس الوقت يجب ان نعلم وان تكون

على بينة ان العمل العربى الموحد الناتج عن مؤتمر الملوك والرؤساء مش هو السبيل اللى يحقق لنا أهدافنا ولكنه مسلك على طريق العمل العربى بيقوى من العمل الجماعى العربى ويقوى من الجامعة العربية ويساعد على تحرك قد لا يكون تحرك كامل ولكنه تحرك جزئى خصوصا فى موضوع فلسطين وفى موضوع مواجهة اسرائيل ..

طيب بعد كده بتقولوا ادى الموقف بالنسبة للجامعة العربية وادى الموقف بالنسبة لمؤتمرات الملوك والرؤساء ، بالنسبة للعمل العربى الموحد .. امال ايه الحل ..

الحل .. العمل الثورى

الحل ايه .. الحل هو فى رايى العمل الثورى العربى .. هو ده الحل .. كل هذا الموجود هى مسالك فى طريق العمل العربى ولكن الحل لقضية فلسطين لا يمكن ان يكون بقرارات ومساومات ، وتغييرات للمواقف لا يكون الا بالعمل الثورى العربى الذى يمثل الأمل والعمل الثورى العربى هو الذى يحشد كل امكانيات الأمة العربية . ويحرر يحشد كل امكانيات الأمة . ويحرر هذه الامكانيات لتعمل .. يوجه هذه الامكانيات لكى تنطلق .. دى مسالك .. المسلك الجامعة العربية لها حدود ، ولا يمكن ان احنا نقول أن الجامعة العربية حتحرر فلسطين .. واذا قلنا ان الجامعة حتحرر فلسطين بنضحك على نفسنا وبنضحك على العرب ، ولا يمكن ان احنا .. ان العمل العربى الواحد هو اللى حيحرر فلسطين ان العمل العربى الواحد قد يعوق من العمل الثورى ولكن بنقول ان تحرير فلسطين عايز عمل ثورى عربى ، ولاينبغى لنا ان احنا نخلط بين هذه المسالك وهذه السبل وهذه الوسائل .. الجامعة العربية وسيلة العمل العربى الواحد وسيلة أيضا سبيل ووسيلة .. ولكن سبيلنا الصحيح هو العمل الثورى العربى عشان كده لما الجامعة العربية تاخذ قرار ضعيف ما نياسى .

الحملة على الجامعة العربية

دى قدرة الجامعة العربية ولما يقعدوا اعداءنا يهاجموا الجامعة العربية والجرايد الاستعمارية أو الجرايداللى بتعمل للاستعمار وتقول آدى العرب وآدى الجامعة العربية وأجتمعوا لكى لا يتفقوا .. واجتمعوا ليختلفوا .. والكلام ده مش جديد علينا الكلام ده قديم بنقول آه الكلام ده قديم .. والجامعة العربية هى تناقضات الأنظمة العربية والأوضاع العربية الاجتماعية والأوضاع السياسية بتحط كل هذه التناقضات مع بعضها ونقول لها أطلع لنا بحل .. لا يمكن الا انهاتطلع لك بحل ضعيف

اذن هذا لايبلبلنا .. وهذا لا ييأسناوهذا لايجعلنا نشعر بالمرارة لأن ده سبيل ومسلك فى العمل العربى لا ينبغى ان احنا نخلط بين هذه المسالك ولا أن نجعل بعضها يتصادم مع بعض ، طالما كان ذلك ممكنا . وباقول طالما كان ذلك ممكنا ليه بقى ؟ لأن قوة العمل الثورى لا ينبغى ولا يمكن أن يضحى بها لأى شىء وسمى أو شكلى أو خطة من أبعاد المعركة .. المشاكل اللى بيننا وبين الدول الغربية وبيننا وبين أمريكا هى تمثل ابعاد المعركة واساس المشاكل وأساس الخلاف هو اسرائيل . النهاردة فى هذه الايام ، بريطانيا بتسلح اسرائيل .

مرحلى بنعرف .. بنشتغل عن طريق الجامعة .. بنشتغل ايضا من طريق مؤتمرات الملوك والرؤساء ولكن بنعرف ان سبيلنا الوحيد لتحقيق هدفنا هو العمل الثورى العربى وقوته .. انتم هنا فى مصر فى الجمهورية العربية المتحدة .. فى قاعدة العمل الثورى العربى

قوة العمل الثورى غير محدودة

قوة العمل الثورى العربى غير محدودة. لأنها تمثل الجماهير فى كل بلد عربى .. الجماهير الصابرة الحرة المؤمنة .. قوة هذا العمل العربى وحدها هى القادرة على تحرير فلسطين بحشد كل الطاقات العربية وبحشد

كل الأمكانيات العربية .. عملية ليست عملية سهلة عملية ضخمة كبيرة .. عملية معقدة عنيفة .. تحتاج الى ان نقيم العدو لكى نقدر القوى اللازمة لمواجهة هذا العدو ، قوى الأمة العربية كلها التى لا يمكن ان تحشدها الا قوة الثورة العربية ، وأنا باقول ان الجماهير العربية كلها تعيش ثورة عربية .. عدونا يدرك هذا .. عدونا يركز على أمكانيات قوة العمل الثورى .. عدونا بيعمل مخططات نفسية .. عدونا بيحاول ان يثبط الهمم .. عدونا بيحاول ان نفقد الثقة فى حاضرنا وفى مستقبلنا .. عدونا يركز على أمكانيات العمل الثورى ..

شفتم كلكم مخططات بريطانيا اللى عاملاها فى العالم العربى .. هذه المخططات بتستهدف الجمهورية العربية المتحدة خطة بريطانيا فى ليبيا للهجوم على الجمهورية العربية المتحدة وتعتبر الجمهورية العربية المتحدة هى العدو خطة بريطانيا ضد الشعوب العربية ..شفتم الخطط اللى نشرت فى الاسبوع الماضى ، وتعتبر الجمهورية العربية المتحدة هى العدو اللى بتنشر عن خطط بريطانيا وهى وثائق صحيحة مائة فى المائة ، بتثبت اكثر من أى شىء أخر ابعاد المعركة الحقيقية .. لتحرير فلسطين وما يجب ان نستعد به ، ابعادالمعركة العسكرية والاقتصادية والسياسية .. الضغط علينا أقتصاديا .. علينا هنا فى مصر .. علينا اقتصاديا وعلينا سياسيا .. وفرنسا بتسلح اسرائيل ، والمانيا بتسلح اسرائيل وبلجيكا بتسلح اسرائيل ... ليه النهاردة أمريكا قررت أنها تسلح اسرائيل علما ان اسرائيل عندها أسلحة .. لأن فعلا قضية فلسطين ، ما اتصفيتش ، قضية فلسطين النهاردة بتاخذ منطلق جديد ولأن الثورة العربية ، والعمل الثورى العربى بيمثل خطورة على أوضاع اسرائيل واوضاع الاستعمار ..

توازن القوى

طيب وبيقولوا الامريكان اذا جبتوا أسلحة حاندى اسرائيل اسلحة وحنحافظ دائما على القوى وتوازن القوى بين العرب واسرائيل .

فيه ناس بتقولك مافيش فايدة حنضيع فلوسنا فى السلاح ،حانجيب طيارات حايدوا اليهود طيارات ، حانجيب دبابات حايدوا اسرائيل دبابات ولكن هل احنا كثوريين عرب فعلا تتأثر بهذا .. العملية اكبر من هذا بكثير أحنا عندنا القوى التى نستطيع أن نتفوق فيها زى ما قلت لكم ، طريق العودة الى اسرائيل مش طريق مفروش بالورد ، دا طريق مفروش بالدم مش طريق سهل ،طريق صعب ، اسرائيل ليست اسرائيل وحدها ولكن اسرائيل هى اسرائيل واللى وراء اسرائيل اللى أقاموا اسرائيل .. اسرائيل لا يستعصى عليها أنها تجيب سلاح . احنا بنجيب سلاح واسرائيل بتجيب سلاح ، ولكن لابد واحنا بنواجه هذاان يكون تفكيرنا ثورى عندنا قوانا البشرية ، عندنا مواردنا البشرية وزى ما قلت قبل كده ان احنا نستطيع ان احنا نجند اتنين مليون وثلاثة مليون ، احنا مائة مليون عربى ، ونجند أربعة مليون واكثر مشكلتنا ايه ، احنا شعب طرد من بلده عايزين ايه .. عايزين نرجع لبلدنا يبقى ايه .. يبقى تحارب من أجل الرجوع لبلدنا ، هل نحارب ارتجالا ، لا ، لا ، لا ، يجب ان احنا نقدر ونجهز ونستعد ونواجه اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل ..

حرب نفسية

التيارات تموج فى العالم العربى جزء من خطة الحرب النفسية .. تشكيك فى كل شىء حتى نيأس من مستقبلنا وده والله اللى خلانى أجيلكم النهارده واتكلم معاكم .. باقرأ الجرايد واقرأ الاذاعات العربية .. تشكيك فى القيادة العربية الموحدة فى العمل العربى الموحد .. الفلسطينى والعربى لما بيسمع هذا الكلام بيقول مافيش فايدة .. مافيش فايدة فى المستقبل اذا كان النهارده مثلا سوريا تهاجم المؤتمرات والعمل العربى الموحد .. والقيادة العربية الموحدة .. كان عندى امبارح أخواننا السوريين قلت لهم قدامنا حاجتين ، بتهاجموا المؤتمر وبتهاجموا الدول

العربية وبتقولوا ما فيش غير سوريا .. وبهذا باحس انكم بتلمحوا علينا وبتنغزوا فينا .. هل بنغز فيكم احنا كمان وبعدين حاناخذ قضية فلسطين للتنغيز والمزايدة .

تطلع جرايد حزب البعث فى لبنان بيقولوا البوليس الدولى .. البوليس الدولى .. طيب حانهاجم اسرائيل بكره والا بعد بكره .. اذا كنتم بتقولوا ان اسرائيل هجمت على مواقع التحويل فى سوريا وطلعت خمسين طيارة ، وسوريا بتطالب بتعزيز دفاعها الجوى .. اذن ازاى نكلم على الهجوم واحنا غير قادرين على الدفاع اولا ، زى ما اتفقنا بنكون قادرين على الدفاع .. عايزين طيارات من مصر انا مستعد ولكن المشكلة بيننا وبين سوريا مش عسكرية انا قلت امبارح لأخواننا السوريين بصراحة والله هذا الكلام وبقلب مفتوح قلت لهم المشكلة بيننا ماهياش مشكلة عسكرية مشكلة عدم ثقة ، وكل العالم العربى يعلم هذا الكلام وما فيش داعى نقعد مع بعض وكل واحد يقول للتانى ازيك سلامات وانستنا ..

حانبعت طيران الى سوريا مستعدين .. ولكن ماذا يضمن لنا أن اللى حصل سنة ٦١ ما يحصلش مرة ثانية ، ماذا يضمن لنا ما يتقالش أن الطيارين دول بيتآمروا على الحكم فى سوريا ، وبنبص نلاقيهم اتشحنوا وانسجنوا واتبعتوا لان فيه أوضاع وفيه خلافات موجودة دى من يضمنها هل نستطيع ان ننكر هذا . فيه خلاف بيننا .

قلت لهم ان احنا عرضنا هذا الموضوع لدونا قاعده جوية بنحميها بقواتنا علشان محدش يتعرض لنا ، مستعدين نبعت لكم طيران ولكن كلكم تعرفوا فى سنة ٦١ حصل ايه لضباطنا المصريين فى سوريا .

احنا ناس .. المصريين ناس طيبين وبينسوا يعنى الاسية زى احنا ما نقول هنا ، احنا رغم اللى حصل معانا فى سوريا سنة ٦١ رحنا اليمن ومتنا فى اليمن واولادنا ماتوا هناك فى اليمن رحنا ليه اليمن .. حاناخذ احنا ايه من اليمن .. يعنى بيقولوا فى الدعايات وبتسمعوا دعايات اسرائيل والاذاعات ان احنا الجيش المصرى يستعمر اليمن .. فيها ايه اليمن ؟ ولو كانت تستعمر ما كانوا استعمروها ما كانوش سابوها ، ما فيهاش حاجة ابدا .. احنا بنصرف فى اليمن ، والشعب المصرى يعلم ان احنا بنصرف فى اليمن .. بنصرف على الجيش اليمنى .. وبنصرف فى اصلاحات ، ولكن مسئولية الثورة العربية هى اللى دفعتنا ان احنا نروح .. والمبادىء هى اللى دفعتنا ان احنا نروح .. مفيش حاجة بيقولوا ان عبد الناصر عاوز يستولى على الجزيرة العربية وعلى البترول ويأخذه لمصر .. فين طيب اليمن وفين البترول فى اليمن ، لا فيها بترول ولا فيها ماء ، ولا فيها حاجة ابدا وكان زمان فيها بن دلوقت مافيهاش بن . ولكن العملية هى عملية مبدأ فاحنا مستعدين ، ومسئوليتنا العربية مستعدة بيقولوا شيلوا البوليس الدولى .. البوليس الدولى بيمنع مصر عن اسرائيل .. طيب نشيل البوليس الدولى وبعدين حانعمل ايه .. ايه خطتنا مش لازم أولا يكون لنا خطة هل مثلا اذا حصل عدوان على سوريا بأهجم أنا على اسرائيل اذن اسرائيل بتستطيع انها تحدد لى الوقت اللى انا أهجم فيه ليه لأنها بتروح عدوان على سوريا وبتضرب جرار أو جرارين وانا تانى يوم اهجم على اسرائيل .. طبعا هل هذا هو الكلام الحكيم هل ده الكلام السليم احنا اللى نختار وقت المعركة احنا اللى نحسم موقفنا احنا اللى نقدر معركتنا .. احنا قدراتنا غير محدودة . بيقولوا حاربوا لازم نحارب اسرائيل .. النهاردة ليه تتمنى اسرائيل فعلا ان احنا نحاربها النهاردة ليه لأن اسرائيل تجد أن العمل الثورى العربى والقرارات العربية بتنمو .

احنا سنة ٥٢ كانت ميزانيتنا فى مصر كانت ٢٠٠ مليون احنا النهاردة ميزانيتنا ١٢٠٠ مليون جنيه كان الجيش كان عندنا ايه يعنى احنا عندنا جيش اقل من خمسين الف احنا النهاردة عندنا خمسين الف فى اليمن .

طيب اذا كنا حانهجم على اسرائيل فهل حانهجم على اسرائيل وانا عندى ٥٠ الف فى اليمن ، يعنى انا كنت حقرر ان انا حهجم على اسرائيل يبقى أول حاجة اعملها ، هو ان انا ابعت اجيب الـ ٥٠ الف عسكرى الموجودين فى اليمن ، يكونوا معايا هنا قبل ما اقول ان انا حاهجم على اسرائيل طبعا احنا لما بعتنا قوات لليمن عملنا قوات جديدة بحيث ان احنا نكون باستمرار نقدر نتصدى ونـدافع عن حدودنا .. ده الوضع .. ولكن لانستطيع بأى حال من الأحوال ان احنا ناخد الامـور بالمزايدات . لان اذا كنا غير قـادرين على التحويل ، النهارده نقوم ناجل التحويل لغايه المدايدات اذا تبارينا فيـها قد تؤدينا الى مشاكل وماسى نحن فى غنا عنها وكفاية المشكلة والمأساة اللى شفناها فى سنة ٤٨ .

تاجيل التحويل

اذا كنا غير قادرين على التحويل النهـارده نقوم نؤجل التحويل لغاية مانكون قادرين على حمايته . وعايزين نحمى التحويل من كـدا وكدا . ونواجه نفسنا بصراحة وبوضـوح ، بدل ما أنا أحرج فلان ، وفلان يحرجنى وأنا القى اللوم على ده والتانى يلقى اللوم على .

لازم نكون واضحين .. أولا ... بتوفـر الدفاع العـربى وفى نفس الوقت نـستعد لتحقيق هدفنا الاساسى ولا يمكن ان يتحقق هذا الا عن طريق العمل الثورى العربى .

خطة الهجوم والتشكيك من الاسـتعمار والصهيونية وايضا فيه صحف عربية بتهاجم المؤتمر . بتهاجم القيادة العربية الموحـدة قد يكون فى هذا دفاع فى ناحية من النواحى لكن فى نفس الوقت طيب ما هـو ده بييأس الشعب العربى كله من المستقبل .. خطـة الهجوم على منظمة التحرير .

أنا عارف وباكد لكم ان أكثـر شئ تعب الغرب واسرائيل قيام الكـيان الفلسطينى ومنظمة تحرير فلسـطين . قيام القيـادة العربية الموحدة . وقرار الدول العربية بتحويل روافد نهر الأردن ومنع المياة العربية عـن اسرائيل دى اكثر حاجة تعبتهم لهذا نجد ان منظمة التحرير . الشقيرى بيتكلم ونازل كلام طب حيعمل ايه الشقيرى فى الأول ؟ ماهـو حيتكلم فى اول قيام المنظمة بيتكلم . المنظمة مش ثورية . المنظمة ما اقامتش الجيش .. المنظمة عملت ابة لغاية دلوقت . قد تـكون فيه ماخذ على المنظمة ولكن بدى اقـول لكم حاجة الكيان الفلسـطينى قام .. المنظمة قامت .. مطلوب من المنظمة انها تثبت مدى قدره الشعب الفلسـطينى على مواجـهة مسئولياته . والارتفاع الى مستوى الأحداث والتحديات اولا . وانتم بتكوينـكم وانتم النهارده بتقولوا للعـالم كله ان الشعب الفلسطينى قادر على مواجهة مسئولياته . وقادر على النضال . والارتفاع الى مستوى الأحداث والتحديات مطلوب منكم انكم تكتلوا قوى شعب فلسطين . وده العمل اللى انتم بتعملوه ..

ايه اللى حصل فى السبعتاشر سنة اللى فاتت . قوى الاستعمار والصهيونية هدفهـا الاول توطين اللاجئين ، تصفية شعب فلسطين .. تصفيه قضية فلسطين .. بعد ١٧ سنة بنقول برضه ان احنا انتصرنا .

قد لا يكون أملنا تحقق ، واستعدنا الوطن السليب ، ولكن هزمنا هدفا للاستعمار .. لم يستطع الاستعمار ان يقضى على شـعب فلسطين ، ولم يستطع الاستعمار ان يصفى القضية الفلسطينية . بتصفية شعب فلسطين ولكن استطاع شعب فلسطين ان يقيم الكيان الفلسطينى وان يقيم منظمة تحرير فلسطين .. اذن هذا فى حد ذاته نجاح ..

يجب الا نيأس

بعد كده تبدا المشاكل العادية والمشـاكل الأخرى ، طبعا فيه اقليمية وفيه حزبية وفيه تكتلات بيحصل صراع فى داخل المنظمـة وتناقض ، وهذا فى رأيى أمر طبيعى ، طبيعى فى الكون كده . وطبيعى فى البشر . انهم اذا توحدوا يتناقصوا ويتصارعوا ، وكل واحـد قد ينتقد وقد يطلب الكمال ، ولكن كل اللى ياطلبوا منكم ان ده مايأسناش .. بنقـول عملنا عمل .. تكـوين جيش فلسطين مش سهل ابدا ، تكوين جيش فلسطين . فكـره

تكوين جيش فلسطين ده انتصار ، ولكن البدء فى تكوين جيش فلسطين عملية مش سهلة ، عملية عايزة وقت وعايزة عمل ، من التشتت والتفرقة بتجتمعوا النهارده . بتوع غزة بيجتمعوا على شتوع الكويت على بتوع سوريا، على بتوع لبنان . على الأردن بعد ١٧ سنة .. صعب العملية انها تكون سهلة .

الهجوم على المنظمة .. مغرض

الأردن فيه مشكلة . هذه المشكلة بين المنظمة وبين الاردن . بنحل هذه المشاكل بالعمل الدائب المستمر بحيث ان ماتبقاش فيه مشكلة ، المشاكل بتتواجد من الشكوك ولابد ان نقضى على الشكوك قضاء كامل . وبنقدر نحقق خطوة وبعد كده بنقدر نحقق خطوة ثانية .. لكن بالتفاهم بنصل الى ان احنا نحقق أهدافنا بعدين قلنا اذا أوصلنا الى مشكلة وشكوك بتتفركش العملية تانى .. أنا باكلمكم عن الواقع اللى احنا عايشين فيه بنبص نلاقى بتوع غزة فى غزة ، وبتوع الأردن فى الاردن ، وبتوع الكويت فى الكويت ، وسوريا فى سوريا ، لكن احنا النهارده حققنا عمل كبير ان احنا اجتمعنا ، ولكن العمل الثورى والفلسطينيين ، النكسة ، يعنى مرستهم على النضال الثورى .. العمل والنضال بيخلينا نحل هذه المشاكل بالصبر بحيث ان احنا نحقق الهدف ، وهو الكيان الفلسطينى ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وبعدين بأقول أن الهجوم اللى على المنظمة أنا بأقول انه هجوم مغرض وقد تكون لى مآخذ على شغلتكم أنا ولكن ما اتكلمتش عليها ومش ح اتكلم عليها .. ليه .. انا باقول أن هؤلاء الناس بقى لهم سنة متفرقين بقى لهم ١٧ سنة ، النهارده لهم سنة اتجمعوا وعملوا مؤتمرهم الأول ، عايزين تاخذوا فرصة .. وعايزين يشتغلوا . وفعلا سبل الشغل اولا مش حتكون سبل سهلة وميسرة ومفتوحة . حتكون صعبة ..

بعد كده فيه حاجات عن هنا .. فيه حاجات عن هنا عن الجمهورية العربية المتحدة .. اللى انتم عايزينه فى الجمهورية العربية المتحدة مش بس فى صحراء سينا وفى غزة وفى الجمهورية العربية المتحدة ، فى اى مكان .. مفتوحة الجمهورية العربية المتحدة للفلسطينيين . ومفتوحة الجمهورية العربية المتحدة للجيش الفلسطينى واحنا أصلا عندنا جيش فلسطينى موجود .

وبتعتقدوا ان احنا هنا معندناش مشاكل يعنى ظروفنا معندناش مشاكل ولا عندنا شكوك والأمور محلولة كلها .. قد تقابلنا ساعات عقبات فى التعامل معاكم .. مكتبية أو بيروقراطية ودى عمليات عادية ارجوا أنكم ما تبقوش تشتكوا منها والقيادة بتاعتكم ما تبقاش تشتكى منها فى العلن ولا فى السر ، اذا حصلت حاجات احنا الحقيقة احنا واخدين مسئوليات كثيرة ، بنشتغل عندنا قوات فى اليمن ، وبنشتغل فى اليمن وبنتحمل فى السياسة الدولية أكثر من قدرتنا وبنتحمل تحديات ، ممكن حد يبعت لنا جواب وماردش عليه مش معناه ان احنا مش عايزين نرد عليه ولا شىء من هذا القبيل .. با اقصد بهذا انا باطمنتكم من ناحية الجمهورية العربية المتحدة .. ان الجمهورية العربية المتحدة معاكم قلبا وقالبا ، واحنا بنعتبر نفسنا هنا قاعدة الثورة ، وأيضا بأقول لكم أن الحرب النفسية اللى موجودة للبلبلة ولتيئسنا فى حاضرنا وفى مستقبلنا يجب ان نتخلى عنها

وأنا قلت ان الفترة الحالية اللى احنا فيها هى من أخطر الفترات ، وانها بتبدو صحة تقدير الكلام ده ، النهار ده المهم ان احنا منخلطش ولا نجعل المسائل تتشابه ، ما للجامعة العربية للجامعة العربية ، وماللعمل العربى الواحد للعمل العربى الواحد ، اللى هو مؤتمر الملوك والرؤساء ، وما لقوة العمل الثورى لقوة العمل الثورى العربى ..

العمل الثورى العربى قادر . وأنا باقول ان احنا قادرين ويجب أن احنا ندخل معركتنا واحنا قادرين بنقوى كل يوم ماديا .. عندنا الموارد البشرية ، بنبنى صناعة ثقيلة بنبنى صواريخ بنعمل طيارات ، بنعمل أسلحة ..

فى سنة ٤٨ انا كنت فى فلسطين بحارب وكنا بنضرب من اليهـود وماكناش بنرد علشان مكناش عندنا ذخيرة .. كلكم تعرفوا هذا الكلام اللى كانوا موجـودين معانا فى الفالوجا وفى عراق المنشية كنا بنقعدبنضرب بالطيران والمدفعية والاسلحة ما نردش ولا طلقة مستنين اما يهجموا علينا وبنوفـر الاسلحة للهجوم علينا ..

وحتحاول اسرائيل تيئسنا لما نياس واقول لكم ان مستقبلنا احسن من حاضرنا .. حاضرنااحسن من ماضينا . ومستقبلنا بعون الله سيمكننا من ان احنا نبنى القوة الثورية العربية القادرة انها تحقق هـدفنا فى تحرير فلسطين ..

احنا اللى حنقرر .. الثورة العربية .. العمل الثورى العربى هو اللى حيقرر امتى وقت المعركة وازاى نستعد للمعركة .. احنا اللى حنقرر . الجامعة العربية حتقرر . وانا با اتكلم كواحد من القواد العرب . وانا برضه زى ما قولت لكم فى الأول .. احسن بورقيبة يطلع الصبح ويقول ان جمال عبد الناصر عايز يملى ارادته ويفرض ارادته على العرب زى الكلام اللى احنا سامعينه .

باقول احنا الثوار العرب احنا اللى نقرر واحنا اللى بالعمل الثورى فعلا بنقدر نشق طريقنا واحنا نقدر نقول ان العمل الثورى قادر ، بنستكمل قوانا كل يوم وبعدين يجب الا نترك انفسنا للغضب او للاستفزاز أو للمزايدة او لأن نقع فريسة للحملات الميئسة باقول لكم حاضرنا احسن من امسنا ومستقبلنا احسن من حاضرنا .

والكلام اللى حصل فى مؤتمر رؤساء الحكومات العربية هو سبيل من سبل العمل العربى والكلام اللى بيحصل فى الجامعة العربية هو سبيل من سبل العمل العربى .. كل عمل عربى جماعى له قدرات محدودة .. العمل اللى ممكن يخلينا ننطلق هو العمل الثورى العربى . وبهذا مفيش داعى ان احنا تحزن لأن قرار من الجامعة العربية طلع مش ثورى .. مافيش داعى ان احنا نياس .. ما فيش داعى ان احنا نزعل .. ما فيش داعى ان الهجوم على القيادة العربية الموحدة يخلينا نعتقـد ان مافيش فايدة ولا الهجوم على العمل العربى الموحد يخلينا نقول مفيش فايدة ..

نلاقى اذاعات اسرائيل بتقول هذا واذاعات الاستعمار بتقول هذا .. وصحف عربية بتقول هذا ، وده اللى خلانى جيت النهاردة وجدت واجب على انى اجى واتحرر من الرسميات والكلام الرسمى واقول لكم الجو النهارده بيبان انه قاتم ، ثم بنبص نلاقى ان رؤساء الدول العربية اجتمعوا ورؤساء الدول العربية موصلوش الى قرارات وفيه قرارات سرية وفيه خناقات وما فيش الكفاءات .

القرار بتاع بورقيبة قرار مش قوى وبا اقول ان العمل العربى الثورى ، الجماهير الثورية حكمت على بورقيبة بانه عميل خدم الاستعمار القرار العربى جه متاخر خالص .. بعد الحكم الثورى العربى والحكم الشعبى العربى .

اذن ما فيش داعى نزعل .. مفيش داعى نتأثر .. ما فيش داعى نحس بالمرارة .. بورقيبة بيطلع بيقول تصريحاته اللى قالها . وبيحصل هـزة ازاى . رئيس دولة عربية يحكى الحكاية دى ويقولها . بورقيبة هـو بورقيبة .. احنا دعينا بورقيبة هنا ومجدناه لأنه وقف فى المؤتمر الافـريقى الاول واتكلم كويس على فلسطين وقلنا والله الراجل رجع وتاب . ولكن طلـع ما تابش ولا حاجة .. وما نزعلش بيشتمنا .

وانا قلت ان هوة بيحاول يسب الدنيا كلها ويحاول انه يعمل معانا معركة .. معنا احنا .. مع الجمهورية العربية المتحدة لأنه مأجرينه على الجمهورية العربية المتحدة ، لأن الجمهورية العربية المتحدة هى قاعدة العمل الثورى ، وبورقيبة متصور انه اما بنفـذ خطط الاستعمار ويقول ان جمال عبد الناصر قالى خد موقف مضاد من أمريكا وقف مع

الاتحاد السوفيتى بيخلى أمريكا تضغط علينا اذا تخلص بورقيبة من الثورات العربية جنبه فى الجزائر وهنا الجمهورية العربية المتحدة بعد كده . البورقيبية اللى هو بيقول عليها .. اللى انا باسميها اللى هى سياسة المساومات البورقيبية بتاعته بتنتشر وطبعا لا يمكن للبورقيبية انها بتكون مبدأ لأنها مبنية على سياسة المساومات وسياسة الخنوع ..

بيقول انا مجاهد كبير بقى لى ٣٠ سنة بنجاهد .. طيب هو بقى له ٣٠ سنة بيجاهد .. يعنى بيجاهد من قبل اى واحد موجود فى العالم العربى وأخر واحد خد استقلاله واخر واحد اللى الفرنساويين طلعوا .. من أمتى .. فهى دى البورقيبية ..

لن نفجع فى بورقيبة

طبعا ما تزعلش بناخد الأمور كما هى .. بناخد الأمور .. بورقيبة هو بورقيبة .. ولا نفجع فى بورقيبة ، وبنقول ان ده .. بورقيبة دخل معانا فى مسلك هو طريق من طرق العمل العربى .. أما الطريق الأساسى هو الطريق الثورى .. الطريق الثورى .

وجدت ان من واجبى ان انا اجى أقول لكم هذا الكلام النهاردة وحتى ايضا لا يفسر عدم حضورى الى أنه أيضا يأس .. ان أنا كمان يئست نتيجة لهذا الكلام .. الحقيقة فى أخر وقت خفت ليفسر فى هذا الجو .. جو المهاجمات والمزايدات والمناقضات .. والضباب ..

معنى هذا أن فيه يأس من القضية الفلسطينية . أنا لم أيأس ابدا وبالعكس .. أنا اقدر المسئولية واؤمن ان فلسطين أغتصبت بالسلاح .. وبقوة السلاح . وأنا شفت بعنية سنة ٤٨ ولا يمكن ان احنا نستردها الا بالسلاح .

وعشان نستردها بالسلاح وبقوة السلاح لازم نواجه اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل اللى بيقولو لنا جندى اسرائيل .. اسرائيل حنشترى طيارة .. جندى اسرائيل طيارة .. بنقول عندنا مواردنا البشرية بنجند .. غرضى أقول ان احنا العرب حنستطيع ان احنا نجند مليون و ٢ مليون و ٣ مليون ..

المصريون .. الأوائل

وباقولكم حاضرنا النهاردة أحسن من أمبارح وفى مستقبلنا نستطيع من الفلسطينيين ومن المصريين . والمصريين بيكونوا أول ناس بيدخلوا فى هذه المعركة وأنا متأكد .. متأكد من هذا ، وعارف انا شعور المصريين ، المصريين يمكن ما بيتكلموش كتير ، ولكن انا عارف شعورهم وأنا شفت القوات اللى رجعت من اليمن فى السويس ، ورحت أسلم عليهم ، ونازلين بيقولوا الى فلسطين ، وده فعلا تعبير عن النفسية الثورية ، عن النفس الثورية العربية ما تخلوش حد ييأسكوا .. ما تخلوش حد يخليكم تحسوا بمرار .. الجامعة العربية هى الجامعة العربية .. مؤتمرات الملوك والرؤساء العرب هى مؤتمرات الملوك والرؤساء العرب .. دى قدراتها محدودة ودى قدراتها محدودة ..

السبيل لأسترجاع فلسطين هو العمل الثورى العربى ..

انا جيت أطمنكوا علشان ماتؤثرش عليكم الغارات النفسية أو الغارات العسكرية .. الغارات العسكرية اللى حصلت فى الأردن مقصود بيها أيضا انها تأثر على العرب .. وتطلع جرايد عربية .بيقولوا فين العرب ، وفين الدول العربية ، عملوا ايه وسووا ايه الى أخر هذا الكلام ، علشان كل ده موجه الى ثقتنا بنفسنا ، الى ثقة الأمة العربية بنفسها . واللى قواها الثورية القادرة ، والى حريتها فى العمل . والى كفايتها على تحقيق النصر بعون الله .

وربنا يوفقنا جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

فرحة التاريخ

مسرحية اسلامية قصيرة

للأستاذ على الجمبلاطى

أشخاص الرواية

ثريا ـ هند اسماء : من فتيات العرب

أم ايمن : حاضنة الرسول

شفاء : قابلة النبى عليه الصلاة والسلام

عاتكة : زوجة ورقة بن نوفل

بسم الله الرحمن الرحيم

(ردهة بيت من الطراز العربى القديم • مصابيح زيتية تضىء المكان • ثريا وهند وأسماء جالسات يتسامرن • الوقت حين ولادة النبى)

ثريا : ما هى أنباء مكة ياهند ؟

هند : وهل تخفى عليك أنباء مكة حتى أخبرك بها •

اسماء : (فى مداعبة) لا شك ياثريا انه لا يخفى عليك نبأ واحد فى مكة •

هند : فى مكة فقط •• قولى فى مكة وجدة والطائف وكل أحياء العرب • تصورى

يا أسماء أن ثريا تعرف كل أسرار القبائل .. لدرجة أنها أخبرتني أمس أن ..

ثريا : (مقاطعة وتضع يدها على فم هند) اعقلي ياهند اياك أن تبوحي بشيء .

أسماء : (وهي تباعد مابينهما وتتجه نحو هند) قولي ياهند بماذا أخبرتك ثريا ؟

هند : (وهي تحدق في ثريا) أخبرتني بأن خمس فتيات من قبيلة طيء قد وئدن بالأمس وأن هناك فتيات أخريات في نفس القبيلة سيلقين المصير المشئوم .

أسماء : أهناك فتيات وئدن بالأمس حقيقة ياثريا ؟

ثريا : وهل هذه أول مرة نسمع فيها بوأد الفتيات ياأسماء ؟ ولكني سمعت ما هو أبشع من ذلك .

أسماء : كيف تعلمين هذه الأسرار ياثريا وتخفينها عنا ؟

ثريا : لأنها مفزعة .. مخجلة .. ماذنب الفتاة التي تدفن حية ؟ والى متى يظل الرجال يستهينون بالنساء ؟

هند : لأنهم رجال ياثريا .. لاتغضبي هكذا يقولون .

أسماء : مهلا ياهند نريد أن نسمع من ثريا بقية أنبائها .

ثريا : هل أنت مولعة بالأنباء المحزنة ياأسماء ؟

أسماء : مهما تكن محزنة .. مروعة .. مخيفة .. فهي تهمنا على كل حال .

ثريا : صحيح .. ولكنها تملأ النفس حسرة .. لقد سمعت أن احدى نساء هذيل وضعت بنتا منذ ثلاثة أيام .

هند : وماذا حدث لها ؟

ثريا : اسود وجه زوجها حين بلغه النبأ وأقسم باللات والعزى ليحرقن البنت وأمها دون تردد .

أسماء : وما ذنب المولودة البريئة أيضا ؟ ولكن هل بر الرجل بقسمه ياثريا ؟

ثريا : لم يستطع لأن أهل زوجته تهددوه بقيام حرب بينهم وبينه اذا أقدم على ارتكاب هذا الجرم الفظيع .

أسماء : اذن بدأ الرجال يحدون من حقدهم على النساء .

هند : كلا ياأسماء .. لولا عصبية الدم والقرابة لأشعل الرجل النار في زوجته المسكينة وابنتها البريئة .

ثريا : ومع كل هذا لا حيلة لنا فيما يصنع من الرجال .

(تسمع زغاريد منبعثة من بيت آمنة بنت وهب) .

أسماء : زغاريد ؟؟ اسمعي ياثريا ، اسمعي ياهند .. ماهذا ؟ عرس ؟ استطلعي لنا الخبر ياثريا .

ثريا : انتظرا قليلا (تخرج مهرولة)

هند : من أي بيت تنبعث هذه الزغاريد ياترى ؟

أسماء : يخيل الى أنها تنبعث من بيت آمنة بنت وهب .

هند : آمنة بنت وهب .. لايمكن لاأصدق محال أن يحدث هذا .

أسماء : لماذا تستبعدين هذا ياهند ؟

هند : لأن آمنة بنت وهب لاتزال لابسة ثوب الحداد على زوجها ألم تتذكري أن عبد الله مات بعد أن حملت منه آمنة بشهرين .

أسماء : أتذكرين ذلك جيدا .

هند : اذن كيف تزغرد آمنة وهي مفجوعة في زوجها .

أسماء : لك حق فيما تقولين . ولكن من أي بيت تنطلق هذه الزغاريد اذن ؟

هند : لاتتعجلي ياأسماء فسوف تأتي ثريا بالنبأ اليقين .. وهاهي ذي مقبلة علينا (تدخل ثريا وهي تكاد ترقص طربا)

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع أول ١٣٨٥	يونية ١٩٦٥	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	٣٠	١٦	٤	٠٢	٦	٠٣	١	٢٩	٤	٠٥	٨	٢٨	٩
الخميس	٢	يوليه	١٦		٠٢		٠٣		٢٩		٠٥		٣٨	
الجمعة	٣	٢	١٨		٠٣		٠٣		٤٠		٠٥		٣٨	
السبت	٤	٣	١٨		٠٢		٠٤		٤٠		٠٥		٣٨	
الأحد	٥	٤	١٩		٠٤		٠٤		٤٠		٠٥		٣٨	
الاثنين	٦	٥	١٩		٠٤		٠٤		٤٠		٠٥		٣٨	
الثلاثاء	٧	٦	٢٠		٠٥		٠٤		٤١		٠٥		٣٧	
الأربعاء	٨	٧	٢١		٠٥		٠٥		٤١		٠٥		٣٧	
الخميس	٩	٨	٢١		٠٥		٠٥		٤١		٠٤		٣٦	
الجمعة	١٠	٩	٢٢		٠٦		٠٥		٤١		٠٤		٣٦	
السبت	١١	١٠	٢٣		٠٦		٠٥		٤١		٠٤		٣٦	
الأحد	١٢	١١	٢٣		٠٦		٠٥		٤١		٠٣		٣٥	
الاثنين	١٣	١٢	٢٣		٠٧		٠٥		٤١		٠٣		٣٤	
الثلاثاء	١٤	١٣	٢٤		٨		٠٥		٤١		٠٣		٣٤	
الأربعاء	١٥	١٤	٢٥		٠٩		٠٦		٤٢		٠٣		٣٤	
الخميس	١٦	١٥	٢٦		٩		٠٦		٤٢		٠٣		٣٤	
الجمعة	١٧ —	١٦	٢٦		٩		٠٦		٤٢		٠٢		٣٣	
السبت	١٨	١٧	٢٨		١٠		٠٦		٤٢		٠٢		٣٣	
الأحد	١٩	١٨	٢٨		١٠		٠٦		٤٢		٠١		٣١	
الاثنين	٢٠	١٩	٢٩		١١		٠٦		٤٢		٠١		٣١	
الثلاثاء	٢١	٢٠	٢٩		١١		٠٦		٤٢		٠٠	٨	٣٠	
الأربعاء	٢٢	٢١	٣١		١٢		٠٦		٤٢		٠٠	٨	٣٠	
الخميس	٢٣	٢٢	٣١		١٢		٠٦		٤٢		٥٩	٧	٢٨	
الجمعة	٢٤	٢٣	٣٢		١٣		٠٦		٤٣		٥٩		٢٨	
السبت	٢٥	٢٤	٣٣		١٣		٠٦		٤٣		٥٨		٢٨	
الأحد	٢٦	٢٥	٣٤		١٤		٠٦		٤٣		٥٨		٢٧	
الاثنين	٢٧	٢٦	٣٥		١٥		٠٦		٤٣		٥٧		٢٦	
الثلاثاء	٢٨	٢٧	٣٥		١٥		٠٦		٤٣		٥٧		٢٤	
الأربعاء	٢٩	٢٨	٣٧		١٦		٠٦		٤٣		٥٦		٢٤	

أسماء : (فى لهفة) ماذا ياثريا ؟ .. أى شىء جد فى مكة تكلمى ؟ هل جاء نبأ يبشر بصلح قريب بين القبائل . هل أوحت آلهة الكعبة بخير يفيض على بلاد العرب ؟

هند : هل عقدت القبائل اتفاقا على عدم وأد البنات بعد اليوم ؟

أسماء : بعد أن أرقص قليلا (تأخذ فى الرقص)

هند : دعى الرقص ياثريا وأخبرينا بما حدث

أسماء : ماذا جرى لعقلك ياثريا ؟ وربما تكون السماء قد أمطرت ذهبا على مكة .

ثريا : (تفرغ من الرقص وتقبل على أسماء) لم تمطر السماء ذهبا ياأسماء وانما أرسلت الينا نورا وطهرا .

أسماء : (هامسة لهند) لقد أصابها مس فى عقلها بلا شك .

هند : انتظرى حتى نعرف حقيقة الخبر (تتجه نحو ثريا) كيف أرسلت السماء نورا وطهرا الى مكة ياثريا ؟

ثريا : اذهبى الى بيت آمنة بنت وهب تشهدى العجب العجاب .

هند : أشهد العجب العجاب . كيف ذلك ياثريا ؟

ثريا : لقد وضعت آمنة الليلة مولودا تستحى العيون أن تحدق فيه لروعة جماله وقد طرب الوجود لمولده بلا شك .. أنظرى هاهى ذى السماء تتألق سرورا وهاهى ذى النجوم تبتسم ـ ابتهاجا وهاهى ذى الدنيا غارقة فى أمواج من النور الذى تنبثق منه .

(يشع نور يملأ جوانب المسرح)

هند : هل تستطيعين أن تصفى هذا المولود ياثريا ؟

ثريا : انك تكلفيننى أمرا فوق طاقتى ياهند .. كيف أصف النور الذى يبهر العين ؟ وكيف أصف الجمال الذى يملك اللب ؟ وكيف أصف الأطياف النورانية التى أقبلت على هذا المولود تحييه وتقبله

أسماء : هذه عجائب لم نسمع بها من قبل . هلمى ياهند الى بيت آمنة .

هند : هيا يا أسماء

(تخرجان وتدخل أم أيمن)

أم أيمن : أسمعت ماحل الليلة بالدنيا ياثريا ؟

ثريا : أجل سمعت بل وعرفت الكثير .

أم أيمن : يخيل اليك هذا ياثريا ؟

ثريا : ليس تخيلا ياأم أيمن ولكنه حقيقة .. فأنا قادمة منذ لحظات من عند آمنة بنت وهب .

أم أيمن : وما شأن آمنة بنت وهب بما حل بالدنيا ؟

ثريا : ألم تأتك أنباء العجائب التى حدثت بعد أن وضعت مولودها ؟

أم أيمن : سمعت نساء يتكلمن فى هذا ولكنى سأسمعك أنباء أخرى لها خطرها .

ثريا : هات ما عندك يا أم أيمن .

أم أيمن : جاءنى زوجى الليلة ووجدته متغير الملامح من الدهشة .. انه رأى بعينى رأسه آلهة الكعبة سجودا .

ثريا : صدقى .

أم أيمن : كيف أصدق ياثريا ..؟ ولكن كيف أكذب وزوجى أقسم أنه رأى ذلك بعينى رأسه .

ثريا : أهذا كل ماعندك ؟

أم أيمن : وأبلغنى أخى أنه سمع من القافلة القادمة من بلاد الفرس الليلة أنهم عرفوا عن الكهان أن هنالك نبيا سيظهر فى بلاد العرب ..

ثريا : صدقى .

ام ايمن : كيف أصدق ولكن كيف أكذب وأخى أقسم انه سمع هذا الخبر بأذنيه من القافلة نفسها .

ثريا : وماذا لديك أيضا ؟

ام أيمن : أتريدين بعد ذلك انباء عجيبة .. مدهشة

ثريا : عندى ماهو أعجب من ذلك .. هل سمعت بالنور الذى شاع بين المشرق والمغرب .. هل سمعت بالجمال الذى يخشع له العقل والقلب ؟ . هل سمعت بسكان السماء يرقون بأجنحتهم على سكان الأرض . هل سمعت بأن النجوم تبتسم من فرط السرور .. لقد حدث كل هذا الليلة فى بيت آمنة ..

أم ايمن : ياللغرابة .. ؟ ربما يكون لما حدث فى الدنيا الليلة ايضا شأن بهذا المولود

ثريا : لاريب عندى فى ذلك ياأم أيمن ..

(تعود هند وأسماء ومعهما شفاء)

ثريا : ماذا رايتما ؟

هند : حدثيها ياشفاء فقد باشرت ولادة آمنة بنفسك .

شفاء : الحق ياأخواتى أن هذا المولود أظهر أمورا يعجز عن تفسيرها العقل ؟

ثريا : أحقا رايت ياشفاء أطيافا نورانية ترفرف بأجنحتها فوقه ؟

شفاء : نعم

ثريا : ورأيت شعاعا صاعدا من جبهته يتصل بالسماء .

شفاء : نعم .

ثريا : ورأيت فى وجهه محاسن لم توهب لمولود قبله فى العرب ؟

شفاء : نعم .

ثريا : وسمعت أصواتا خافتة كأنها آتية من عالم مجهول تحييه ؟

شفاء : نعم .

ثريا : وهل كنت وحدك حال ولادة آمنة ؟

شفاء : كان معى فتيات من كرائم قريش .

ثريا : وشهدن مثلك عجائب هذا المولود ؟

شفاء : لم يفتهن شيئا منها .

ثريا : وماذا كان شعوركن جميعا ؟

شفاء : كنا مأخوذات بما نرى ونسمع .

هند : ولكنا نسينا أمرا هاما .. من هى المرأة السعيدة التى ستحظى بارضاعه ؟

أسماء : ليتنى أستطيع ذلك ياهند .

هند : بل ليتنا جميعا فهذا شرف لن تناله الا التى كتبت لها السعادة

(تدخل عاتكة زوجة ورقة بن نوفل)

أسماء : أقبلى ياأختاه .. ماذا يقول زوجك عن مولود آمنة بنت وهب ؟

عاتكة : يقول .. جاء اليوم الموعود فى التوراة والانجيل .

أسماء : وماهو اليوم الموعود فى التوراة والانجيل ياعاتكة ؟

عاتكة : انه يوم ظهور النبى المنتظر ياأسماء

أسماء : أيظهر نبى فى بلاد العرب ياعاتكة ؟

عاتكة : نعم وقد أكد زوجى أن أمارات هذا الوليد تنطبق على أوصافه فى التوراة والانجيل .

هند : هكذا يقول زوجك ؟

عاتكة : هكذا يقول زوجى ويقول انه سيغير معالم التاريخ .

ثريا : يافرحة التاريخ بهذا المولود العظيم .

أم أيمن : حبذا لو نغنى الليلة ونرقص .

أسماء : هيا الى الرقص والغناء

(تدخل فتيات ثم يبدأن الرقص وينشدن هذا النشيد)

رددوا عذب الاغانى ... فى ثناء الخالدين
انه عيد الزمان ... مولد الهادى الامين
جاء بشرى للوجود ... فيه يدعو للسلام
فبدا العهد السعيد ... فى حمى خير الأنام
جاء بالاسلام دينا ... فاهتدينا بهداه
وسما بالحق فينا ... وهو نبراس الحياة
جاء بالقرآن وحيا ... وهدى للمتقين
فمحا الشرك وأحيا ... شرعة الحق المبين

أضواء على التاريخ الاسلامي

-٣-

انتشار الدعوة الإسلامية في الهند

الاستاذ محيي الدين الألوائي

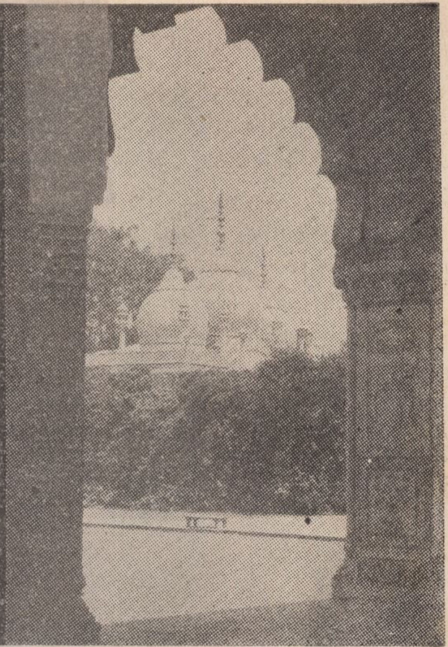

راينا فى العرض السريع لتاريخ دعوة الاسلام فى الهند ، والعوامل التى ساعدت على انتشارها فى تلك البقاع ان الدعوة الاسلامية وتطوراتها فيها لم تكن الا حلقة من حلقات سلسلة الدعوة الكريمة الممتدة عبر تاريخ الامة الاسلامية ، وان هذا التاريخ حافل بالجهود المتلاحقة التى بذلها المجاهدون العاملون لهذا الدين ، فى كل بقعة من بقاع الارض لنشر دين الله الحنيف بين الناس ، ولاثبات الايمان الصحيح فى نفوسهم وابعادهم عن الخرافات والخزعبلات والبدع والاهواء • ومادامت طائفة من العلماء المخلصين تقوم بالدعوة الى الله ، وتعمل بجد واخلاص لاعلاء كلمته ، ونشر تعاليم كتابه وارشادات سنة رسوله ، تكون الامة بخير ، وعزة ، وسؤدد • والى هذه الحقيقة يشير الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم بقوله : « وان العلماء ورثة الانبياء ، وانالانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وانما ورثوا العلم ، فمن اخذه اخذ بحظ وافر» وكذلك قوله عليه السلام : « صنفان من امتى اذا صلحا صلح الناس كلهم ، واذا فسدا فسد الناس كلهم ـ العلماء والامراء » •

واول مانستفيده من العبرة من تاريخ انتشاد الدعوة الاسلامية فى الهند ، ان الاسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها ، وان تعاليمه تتمشى معجميع البيئات والظروف ، ومبادئه صالحة لكل زمان ومكان ، فان عناصر الخلود وعوامل الصلاحية متوفرة فى اصوله وقواعده التى تؤدى حتما الى تحقيق اسباب المجد والعزة والتقدم للجنس البشرى كله ، وان فطرة الانسان ، ونواميس الطبيعة لا تتغير ولا تتبدل مهما حاول المزيفون وسعى المنحرفون لابعاد الناس عن فطرتهم ، وهذا هو السر الكامن وراء الانسياق الفطرى الذى رآه تاريخ الدعوة الاسلامية فى مختلف البلدان العريقة فى الوثنية والشرك ، او الدهرية والفسوق • او الخرافات والترهات ، وكل هذا وذاك الى جانب محاولات جمة بذلت لصد تيار هذه الحركة الالهية العالمية، او تشويه اهدافها ومقاصدها ، او تزييف كتابها •

والعبرة الثانية من تاريخ هذه الامة الاسلامية مدى جهود العلماء الصادقين فى سبيل نشر هذا الدين ، ودورهم الفعال فى توطيد دعائم العالم الاسلامى وجمع شمل المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ، ولقد كانوا اعلام الهدى ومنار الطريق امام الحكام • ونستفيد منه ايضا ان الدعوة الاسلامية اذا افلت زمامها من ايدى علماء مصلحين متنورين الى علماء جامدين ، او اشباه العلماء الذين تكدرت عقائدهم باوساخ البدع والخرافات وبادران العادات الفاسدة ، وقلت بضاعتهم من العلم ، من المعين الصافى للقرآن والسنة فيتسرب الوهن والضعف الى صفوف المسلمين •

وان حلقات سلسلة الدعوة الاسلامية لم تنقطع الى يومالقيامة ، وتستمر فى مد وجزر حسب تقلبات الزمن وتطورات العصر ، فهى خير مصداق لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » •

ولما صارت الدعوة الاسلامية فىالهند عرضة للركود والجمود بسبب دسائس الاعداء وغفلة العلماء وقلة الدعاة المصلحين ، قيض الله رجالا يحملون لواء الاصلاح من جديد وتنقيح الافكار الجامدة ، والعقائد الفاسدة •

المسجد الجامع التاريخى فى مدينة (سرينجار) بكشمير

واذا نظرنا الى تاريخ الاسلام والمسلمين فى القارة الهندية فى مستهل القرن الثانى عشر للهجرة النبوية. نرى وهنا فى عزيمة امراء المسلمين وضعفا فى نفوس علمائهم ، بسبب تضعضع دعائم حكم المسلمين ، وتفكك حكومتهم المركزية ورفع خصومهم رءوسهم للنيل منهم. واما العلماء والمشايخ والصوفية الذين كانوا طليعة نشر الدعوة الاسلامية الحقة فى ربوع الهند فاصبح خلفهم عاكفين على رسوم وشعائر وطقوس وعادات لا صلة لها بالتعاليم القرآنية ، والسنة النبوية ، وابتعدوا عن دراسة القرآن والسنة ، واكتفوا ببعض كتب المسائل الفرعية والعلوم العقيمة ، مثل كتب المنطق والفلسفة والكلام ، مع تعليقات وحواشى لا تسمن ولا تغنى من جوع . وهكذا اصبحت الدعوة الاسلامية كجسد بلا روح ، وشجر بلا ثمر ، ونهر بلا ماء يغترف منه المتعطشون الى التروى ، من المنابع القرآنية ، والسيرة النبوية الصحيحة ، وعم التقليد ، وانتشر الجمود ، وتفشى الفساد فى الاخلاق ، والفتور فى الاذهان ، وتسرب الياس والقنوط الى خاصة المسلمين وعامتهم ، فمست الحاجة الملحة الى من يضطلع باعباء الاصلاح الشامل ليستعيد المسلمون مجدهم الماضى ، ويستيقظوا من غفواتهم ، ويتنبهوا من غفلاتهم ، ويرجعوا الى تعاليم القرآن والسنة الصحيحة

وفى تلك الفترة التى وصلت فيها حال جمهور المسلمين الى الجمود الفكرى ، والانحطاط الذهنى ، اتاح الله لهذه الامة مصلحا عالما حكيما الا وهو الشيخ الامام شاه ولى الله الدهلوى » ـ ١١١٤ هـ ـ ١١٧٦ هـ » .

فشرع فى مهمة التجديد الدينى من جميع نواحيه بثبات وهمة ونشاط ، وحكمة واناة ، وبدا فى ارشاد المسلمين الى مواطن الضعف فيهم ، وشرح لهم مناهج علاجه الناجع ، وفى توجيههم الى مبادىء سامية ، واخلاق فاضلة ، وخصال حميدة ، حتى نجح فى تكوين

فكرة شاملة للاسلام ونظمه ، واهتم بنشرها وشرحها فى كتبه ، ومؤلفاته ، وخطبه ، وعظاته ، حتى اتاح الله له ان تتخرج على يديه جماعة صالحة من ابنائه وتلاميذه واتباعه ، واما الافاضة فى بيان آرائه وافكاره ، والاحاطة بأعماله وخدماته فيطول بها الكلام ، ولا يسع لها المقام .

ولقد علمنا مما سبق ان العلماء والمشايخ قلما كانوا يهتمون فى تلك الفترة بدراسة الكتاب والسنة ، وتدبر معانيهما ، وكان جل همهم الكتب الفقهية ، والكلامية . فأرشدهم الى هذا الموطن من الضعف ،وصنف كتابا جامعا فى اصول التفسير ، وترجم لهم الفاظ القرآن الكريم ومفرداته باللغة الفارسية التى كانت اللغة الرسمية السائدة فى البلاد حينذاك ، لكى يفهم العامة معانيها عند تلاوة القرآن بأصله العربى ، وكذلك ارشدهم الى اصول الحديث النبوى ومافيها من معان سامية وتوجيهات حكيمة ، واسرار بالغة ، ودعا الناس كافة الى الاعتصام بكتاب الله ، وسنة رسوله . فنبههم هذا الامام المصلح الى ترك التقليد الاعمى ، والاخذ بأقوال الفقهاء بعد البحث والتحقيق ، فبين لهم اسباب اختلاف المجتهدين وشرح لهم مسألة الاجتهاد والتقليد، فلا يخفى على من اطلع على كتابه الشهير « حجة الله البالغة » وكذلك « الانصاف فى بيان سبب الاختلاف » انه كان يسعى للتوفيق بين مذاهب الائمة . وله بحوث قيمة فى هذا المضمار .

ومن الخدمات الجليلة الفريدة التى يسجلها التاريخ بمداد من نور جهده البالغ فى نشر علوم السنة فى الهند ، وهو اول من شرح اول كتاب فى الحديث ، وهو « كتاب الموطأ » للامام مالك بن انس رضى الله عنه . فشرحه بالعربية والفارسية تعميما للفائدة ، ونشرا للاحاديث النبويةالشريفة ومعانيها بين العرب والعجم.

وكذلك شرح تراجم ابواب البخارى ، ووضع رسالة ممتازة باسم « الفضل المبين من حديث النبى الامين ». واما كتابه ، المذكور آنفا ، « حجة الله البالغة » فكتاب فريد لا نظير له فى اسرار الحديث والفقه ، والتصوف النقى . وبفضل حركاته الاصلاحية دب النشاط فى المدارس الدينية وبين العلماء وجمهور المسلمين ، ونشطت اللغة العربية ، ونهضت السنة ، بعد ان كان الناس يأخذون بما جاء فى كتب الفقه ، من غير تبصر ولا تفكر ، وكانوا يقلدونها تقليدا اعمى ، بل كان كل كتاب وضع ، قبل زمانهم ، بيد فقيه او شيخ يعتبر حجة فى الاسلام ، ولايحيدون عنه قيد انملة ، وينظرون الى من يدعوهم الى البحث والتحقيق ، بعين الازدراء . وكان هذا الشيخ الجليل نعمة كبرى فى سبيل نشر علوم الكتاب والسنة فى ارض الهند ، وانتشار التعاليم الدينية الصحيحة فيها .

وقد من الله على الامة المسلمة فى الهند بجماعة صالحة من ابناء هذا المصلح الكبير وتلاميذه الاجلاء . الذين اغترفوا من ينابيع افكاره الخصبة ، وآرائه النيرة . وارسلوا النور والعرفان الى ارجاء الهند المليئة بالخرافات ، والشرك والضلال . واضاءوا الطريق امام المسلمين بانوار الكتاب والسنة ، واشعلوا فى قلوبهم نور العلم والتقى ، وجاهدوا فى سبيل توطيد دعائم الدعوة الاسلامية واعلاء كلمة الله ، وتنفيذ الشريعة الالهية وبذلوا كل غال ورخيص فى تذليل العقبات وتمهيد الطريق امام الاجيال القادمة ليعيشوا عيشة اسلامية حقة، بعيدة عن الجمود والتقليد والخوف والجبن . وهكذا سجل تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند الشيخ الامام شاه ولى الله الدهلوى ، فى سجل ابطال هذه الدعوة ، ودرة تاجها، فى هذه البقعة الشاسعة العريقة منذ القدم .

مقاما محمد الجعفرى والسيدة عاتكة

١١٠٠ - ١١٢٠ م

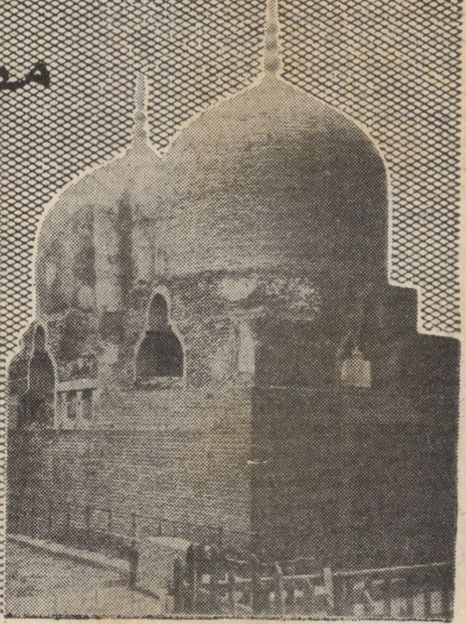

الأستاذ محمود وصفى

تعتبر القاهرة من اغنى عواصم البلاد الاسلامية بمساجدها العديدة التى لا يكاد يخلو مطرح من مطارح ارضها الا ويوجد به مسجد او مقام تعلو كلا منهما مئذنة او قبة ، حتى لقد اصبحت المآذن والقباب من مميزات العمائر الدينية فى الاسلام بل لقد اصبحتا عنصرين هامين من عناصر الزخرفة يمكن عن طريقهما تحديد عصر بناء العمائر ، كما ان كلمة قبة اصبحت تعنى كلمة ضريح او مقام .

ومن القباب الهامة ضريحان لمحمد الجعفرى والسيدة عاتكة وهما وان كانا صغيرين فى مساحتهما الا انهما عظيمان من الناحية الفنية والمعمارية. ويوجد الضريحان فى التكية التى بها مشهد السيدة رقية بنت على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، والتى كما هو مدون فى نقش اعلى المدخل انها اسست سنة ١١٧٠ هـ ١٧٥٦ - ١٧٥٧ م وجددتها لجنة حفظ الآثار سنة ١٩١٦ م

ومحمد الجعفرى صاحب هذا المقام هو ابن الامام جعفر الصدق ، ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، امه ام فروة بنت القاسم بن محمد ابى بكر الصديق ، اشتغل بالكيمياء والزجر والفال ، ويقال ان من تلاميذه ابوموسى جابر بن حيان ، وانه الف كتابا يشتمل على الف ورقة تتضمن رسائل استاذه جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة ، ولد جعفر سنة ٨٠ وقيل ٨٣ هـ وتوفى سنة ١٤٨ هـ بالمدينة ودفن بالبقيع . وكان اماما للشيعة الامامية ، والامام حسب معتقداتهم يكتسب حقه فى الامامة بطريق الوراثة من على باعتباره خليفة النبى شرعا ، ويعتبر الامام فوق ذلك وريث النبى عن فاطمة ويغلب ان يكون اكبر ابناء أبيه سنا .

وفى ذلك يقول كثير عزة المتوفى سنة ١٠٥ هـ - ٧٢٣ م :

الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق اربعة سواء
على والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يتبعها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

ولقد بايع اهل الكوفة جعفر الصادق على امامتهم ايام الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ويذكر لنا المؤرخ الطبرى ان بنى امية اطلقوا على الشيعة اسم الرافضة وذلك لعدائهم الشديد لهم بل ان لفظ رافضى اصبح يستعمل للاحتقار ، وقد عمم اطلاق هذا اللفظ على كل من يبدى ميلا لآل البيت ومن ذلك قول الشاعر :

ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان انى رافضى

اما عن المقامين من الناحية المعمارية فان كلا منهما يتكون من قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٫٨٠ مترا ، وتحمل

هذه الحوائط منطقة التحول التى تكون شكلا مثمنا اهمية هذين البنائين لان بهما تظهر اول محاولة من الداخل ومدرجا من الخارج ، ومن هنا يتبين لنا اهميـــة هذين البناءين لان بهما تظهر اول محاولة لاستعمال المقـرنص بدلا من المثلثات الكروية المقعرة البسيطة .

وفى كل وجه من اوجه منطقة الانتقال من المربع الى القبة يوجد نافذة ، وبين النوافذ توجد المقرنصات التى تتكون من ثلاثة فجوات او تجويفات نعلوها فجوة رابعة ، وهى من الاهمية بمكان لانها النمـوذج الاول للمقرنصات او الدلايات المصرية الاسلامية التى تحمل القبة ، وهذه المقرنصات الاربعة تحمل مثمنا وفوق المثمن تقوم القبة .

اما المدخل الرئيسى فقد كان فى الجهة المقابـلة للمحراب ولكنه سد لكى يبنى عليه سور ضريح السيدة عاتكة ، وفتح له باب اخر فى الجهة الشماليـــة الشرقية .

واستعمل فى بناء مقام الجعفرى الاخر وكسى الاجر بطبقة من الملاط ثم نقشت عليها زخارف نباتية محفورة غاية فى الدقة والجمال ، ولكن للاسف فقد اندثـرت معظم هذه الزخارف ولم يبق منها شىء اللهم الاشريط من الكتابة الكوفية التى تدور حول القبة تحـــت المقرنص .

والسيدة عاتكة هى عمة الرسول عليه السلام ، وقد حاولنا ان نجد ترجمة لهذه السيدة الفاضلة ، ولكننا للاسف لم نعثر على شىء يذكر اللهم الا على نبـــذ متناثرة عن ابنائها الذين عضدوا عليا وابناءه من بعده فى طلب الخلافة ، فقد جاء فى حوادث سنة ١٦٩ فى عهد الخليفة الهادى العباسى ان العلويين قاموا بثورة يدعون لانفسهم ، وكانت هذه الثورة بقيادة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بالمدينة يدعو الى نفسه سنة ١٦٩ هـ ومنها سار الى مكة حيث التقى بجيش العباسيين بفخ وهو واد فى طريق مكة فقتل بعد ان ابلى بلاء حسنا ، وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لم تكن مصيبة بعد كربلاء اشـد وافجع من فخ ، وقد اكثر الشعراء من الشيعـة فى رثاء قتلاهم من اولاد عاتكة ومن ذلك قول احدهم :

فلابكين على الحبيـــب من بعولة وعلى الحسـن

وعلى ابن عاتـكة الذى واروه ليس بذى كفـن

تركـوا بفخ غـدوة فى غير منزلة الوطـن

كانوا كـراما هيجوا لا طائشـين ولا جبن

غسلوا المذلة عنهـم غسـل الثياب من الدرن

هدى العبـاد بجدهم فلهم على النـاس المنن

هذا وضريح السيدة عاتكة يشبه ضريح الجعفرى الى حد كبير ولكنهما يختلفان فى شكل القبة اذ ان قبة الجعفرى تتكون من ستة عشر ضلعا . ومن حسن الحظ ان مقام السيدة عاتكة احتفظ بجزء كبير من الزخارف الجصية فى ثلاثة اجزاء

اولا – فى اعلى المنطقة المربعة الداخلية حيث يوجد شريط من الخط الكوفى

ثانيا – فى الاطار الذى يوجد حول النوافذ من الداخل

ثالثا - فى المحراب الجميل « لوحة ب »

ويشغل هذا المحراب الباب الرئيسى لضريح الجعفرى المسدود ، وهذا المحراب الجميل الشكل من الجص وارتفاعه ٣٫٠٤ امتار واتساعه ١٫٧٦ متر ويتحلى عقده باطار من الكتابات بالخط الكوفى الدقيق ، ونرى فى الاطار الذى على المحراب زخارف بها آثار باللون الازرق ، هذا فضلا عن الزخارف الفاطمية الطراز « لوحة جـ »

ومهما يكن من شيء فان مقام السيدة عاتكة فى الجهة الشمالية الغربية لمقام الجعفرى وهو يشبه سابقه فى كل شيء الا انه مربع غير منتظم ، ويقول العلامة باتريكلو اننا اذا نظرنا الى قبتى الضريحين نجد ان قبة السيدة عاتكة مفصصة بعكس قبة الجعفرى فهى ملساء من الخارج والداخل ايضا ، وهو اول مثل قائم فى مصر باستثناء قباب الفاطميين فى اسوان .

وهذا التأثير جاء من شمال افريقية كالقبة التى امام المحراب فى الجامع الكبير بالقيروان وترجع الى عهد ابى ابراهيم احمد سنة ٢٤٨ ، ٨٦٢-٨٦٣ م . وهى تشبه كذلك القبة التى امام محراب المسجد الكبير فى تونس التى بنيت فى سنة ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م .

ويوجد ايضا ثلاث قباب مماثلة له فى مصر اولها المسجد العمرى بقوص ثم مشهد السيدة رقية وثالثها مسجد يحيى الشبيه

اما عن تاريخ الضريحين فانه من الصعب تحديد تاريخهما لانه لا توجد كتابة او لوحة تاريخية يستدل بها على التاريخ

وهنا نقف قليلا للاشادة بما للعلاقة بين التاريخ الاسلامى والآثار الاسلامية من علاقة وثيقة ، فان للكتابات التاريخية المرقومة على العمائر والمساجد والزخرفة والتحف الاثرية وغيرها شأنا عظيما فى تأييد اقوال المؤرخين او اثبات خطئها ، كما انها تكشف لنا فى كثير من الاحيان عن حقائق لا تعرض لها كتب الادب او التاريخ ، فهى ادلة مادية هامة يجب الاعتماد عليها. فان للعمائر الاسلامية وما عليها من كتابات اخطر الشأن واجل الفائدة فى دراسة المدنية الاسلامية وتطور الحياة العقلية والسياسية والادبية

ومن هنا نجد انه بالرغم من عدم وجود هذا التاريخ فانه امكننا من معرفته من الزخارف والتأثيرات المعمارية وامكننا ايضا عن طريق الكتابات الكوفية ان نرجعه الى عصر الخليفة الآمر المنصور ابو على الذى حكم ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ ، ١١٠١ - ١١٣٠ ، وامكننا استنتاج ان ضريح السيدة عاتكة احدث من الجعفرى ولكنه اقدم من ضريح السيدة رقية المجاور له وامكن ذلك عن طريق كيفية بناء النوافذ التى تعتبر فريدة فى نوعها .

وبينما لا نجد لهذين المقامين شبيها فى مصر ، نجد ان هذا الطراز استخدم فى سوريا فى القرن الثانى عشر والثالث عشر فى بناء المدارس وهو نظام ادخل فى سوريا فى اوائل القرن الثانى عشر .

والخلاصة ان الفاطميين قد بنوا الكثير من المقامات تخليدا لذكرى آل البيت سواء فى ذلك الرجال والنساء ؛ لان الاسلام ساوى بين المرأة والرجل فى امور كثيرة ، ولم يغفل الفن بالتالى مكانة المرأة العربية فقد اقيمت من اجلها المساجد والمقامات

شركة مصر للتجارة الخارجية
أولى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

الوكلاء الوحيدون :
لمؤسسة
مونتكاتينى
ميلانو - ايطاليا
MONTECATINI

لكافة احتياجاتكم من :
• الكيماويات العضوية وغير العضويه
• المواد الأولية لصناعة البلاستيك
• المواد المساعدة لصناعة النسيج والجلود

نرجو الاتصال بادارة الكيماويات بالشركة - ١ شارع قصر النيل بالقاهرة ت ٤٦٥٠٤

باب العلم

الشمس

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

ورد ذكر الشمس فى القرآن الكريم فى آيات عديدة، وذلك بطبيعة الحال نظرا لأهميتها بالنسبة للأرض وما عليها من أحياء فى عالمى النبات والحيوان • ويشير القرآن الكريم الى الشمس كذلك ويعبر عنها بالسراج الوهاج اى الذى يضيىء ويرسل الحرارة فى خضم هذا الفضاء الذى تنتشر فيه مجموعة الكواكب السيارة ومنها الأرض • قال تعالى « وجعلنا سراجا وهاجا » سورة النبأ • وقال تعالى : « وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » سورة نوح • والشمس نجم هائل يزيد قطره على مليون وثلث مليون من الكيلو مترات ، اى أن قطر الشمس قدر قطر الأرض مائة مرة • وتبلغ درجة حرارة سطح الشمس الخارجى الذى يشع الحرارة والضوء نحو ٦٠٠٠ درجة مطلقة ، وتزداد الحرارة سريعا بازدياد القرب من المركز حتى تصل الى أكثر من ٢٠ مليون درجة ، وذلك نظرا لما تعانيه المواد الموجودة فى قلب الشمس من ضغوط هائلة تفوق حدود الوصف والخيال •

وتندلع من الشمس نافورات من غازات ومواد ملتهبة وتصل الى ارتفاعات تقدر بآلاف الكيلو مترات فوق السطح ، وبين هذه النافورات ما نطلق عليه اسم «البقع الشمسية» •• وهى أعاصير جبارة تحدث فى جو الشمس ، قد تصحبها تفريغات كهربائية تستمر عدة أيام وبذلك تطلق من الطاقات والحرارة مقادير ليس من اليسير تصورها ! وكثيرا ما يبلغ قطر الأعصار فى جو الشمس نحو ٥٠ ألف كيلو متر ، وهى متعددة فى حلقات يتبع ظهورها انتشار الأعاصير المغناطيسية فى سماء الأرض •

وقد أدت بحوث الفلك وأرصاد الأقمار والكواكب الصناعية الى اعتبار جو الشمس الخارجى ممتدا من حولها على هيئة غلالة مخلخلة الى حيث الكواكب السيارة • وتسرى فى هذا الجو تيارات من « البلازما » - قوامها الكهارب والنوى والايونات ، على غرار تيارات جو الأرض ، بسرعة قد تصل ألف كيلو متر فى الثانية ، أما الأشعة الكونية فقد تقارب سرعتها سرعة الضوء) ، وتفقد الشمس بذلك مقادير هائلة من وزنها • وتدفع تيارات الفضاء الخارجى هذه بالمذنبات عندما تقترب من الشمس ، اذ أن ضغط الاشعاع الشمسى لا يكفى للقيام بهذه المهمة ، كما تحدث تأثيرات متباينة على الكواكب وأجوائها العليا والعواصف المغناطيسية الخ •

ومجمل القول أن الفضاء الكونى القريب ليس فراغا تاما كما قد يظن بعض الناس ، ولكنه يفيض بالأسرار والغوامض وتحفه الأهوال والمخاطر بتأثير ما تطلقه الشمس من اشعاعات وكهارب ونوى نشطة • ويبدو أن أمرا ما يحدث للشمس من آن الى آخر فتطلق أسرابا من هذه الأشعة الكونية الفتاكة • والمعروف علميا على أية حال أن عدد البقع الشمسية التى تتبع النشاط الشمسى يتغير بطريقة دورية قوام فترتها نحو ١١ سنة على وجه التقريب• وعندما يصل عدد البقع الشمسية الى النهاية الصغرى تسمى الشمس هادئة والعكس بالعكس •

ولقد درست الشمس خلال أوج نشاطها عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، كما رصدت كافة الظواهر التى تبعث هذا النشاط فى جو الأرض خلال السنة العالمية الأخيرة لطبيعيات الأرض، وأعقب ذلك أن فكر العلماء فى عمل دراسات تكميلية مماثلة فى حالة هدوء الشمس بعد مضى نحوست سنوات ، تضمنت رصد الشمس ورسم خرائط للبقع التى تظهر على سطحها ، ورصد وتصوير معالم الفضاء والفجر القطبى أو أنوار الشمال وهى الأضواء الجميلة التى تزين السماء فى أعالى جو الأرض بالقرب من القطبين بسبب ما يحتبسه مجال الأرض المغناطيسى من الكهارب النشطة التى ترسلها الشمس • ولقد تم الاتفاق على انجاز هذه البرامج كلها على مقياس عالمى تبدأ من أول يناير عام ١٩٦٤ وتنتهى فى آخر ديسمبر عام ١٩٦٥ ، وأطلق عليها اسم (السنين العالمية للشمس الهادئة) • وتهدف هذه البرامج كذلك الى الاهتمام بثلاث نقط هى : (١) توضيح الظواهر التى يقتصر ظهورها خلال حضيض النشاط الشمسى ، (٢) مقارنة البيانات التى يتم جمعها بما يماثلها فى فترات أوج النشاط الشمسى ، (٣) رصد الظواهر الشمسية التى قلما تتأثر بعوامل خارجية •

وعندما استخدم الفلك اللاسلكى لأول مرة اكتشف العلماء وجود تغيرات عظمى فيما ترسله الشمس من أمواج اللاسلكى • وتزداد هذه الأمواج بشكل ظاهر عندما تظهر البقع الشمسية الكبرى على قرص الشمس • ولقد أطلق العلماء على الزيادات الكبرى هذه اسم (الانفجارات) وهى ذات أهمية بالغة •

وكذلك شاهد العلماء الى جانب هذه (الانفجارات) وجود سلسلة متتابعة من الزيادة والنقص البطيئين فيما ترسله الشمس من موجات بين الحدين ٣ و ٥٠ سنتيمترا• وتلازم هذه السلسلة ظهور واختفاء البقع الشمسية •

ودلت التحليلات الاحصائية لقياسات شدة الاشعاع الشمسى على وجود مركبتين احداهما مركبة الاشعاع الحرارى من الشمس الهادئة، والأخرى مركبة بطيئة التغير ترتبط عن كثب بمساحة البقع الشمسية المرصودة •

ولقد أثار اكتشاف هذه المركبة البطيئة التغير عددا من الأسئلة مثل : ما هى طبيعة هذا الاشعاع ؟ هل هو حرارى ناجم عن تصادم الكهارب حسبما اتفق مع النوى المنطلقة فى جو الشمس المستعر ؟ أم هو نتيجة عملية أكبر ، تتضمن حركات منتظمة للكهارب ؟ وهل يصحب أو من الضرورى أن يلازم شيئا ما نستطيع أن نراه بأعيننا على الشمس ؟

ويبلغ الفضاء الذى تسبح فيه الشمس وسائر المجموعة الشمسية ، فضلا عن الفضاء الكونى اللانهائى ، من الاتساع القدر الذى لا يسمح لها بالتصادم أو التلاقى ، كما أن هذه الأجرام تخضع لقوانين ونظم من صنع الاله تجعلها تؤدى الغرض منها على أكمل وجه فى هذه الدنيا • ويعبر القرآن الكريم عن ذلك كله فى سورة يس مثلا اذ يقول : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » •

ندوة الشهر

الطلاق وتعدد الزوجات

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

لأن الأسرة عماد المجتمع .. قوامها الدين والأخلاق .

نلتقى مرة أخرى مع العوامل التى تهدد كيان أسرتنا العربية .

ترى ماذا يقول رجل الاجتماع ؟
وماذا تقول احدى الأديبات الكبيرات ؟
وفى ندوة الشهر يتحدث عن هذا الموضوع :

١ ـ الأستاذ مصطفى المسلمانى مدير ادارة الأسرة بوزارة الشئون الاجتماعية .

٢ ـ السيدة جاذبية صدقى الكاتبة المعروفة .

يقول الأستاذ مصطفى المسلمانى :

ـ الحقيقة ان الطلاق ظاهرة من ظواهر التفكك والانحلال والتصدع فى الروابط الأسرية ودليل على عدم قدرة الأزواج على تحقيق التكيف الاجتماعى والنفسى والمادى فيما بينهما .. والهرب من هذه الحقيقة هو الذى يدفعهما الى الانفصال والطلاق ..

ولا شك أيضا أن الحياة الزوجية تقوم على مقومات عديدة فى النواحى النفسية والمادية والجسمانية لابد من توافرها للمعاونة على استقرار الحياة الزوجية ودعم أركانها .. ومن أهم هذه المقومات الفهم والادراك من جانب الزوجة لمعنى الحياة الزوجية وانها تواد وتراحم واندماج كامل هدفه خدمة الوجود المشترك أى الأسرة ذاتها بالتضحية من كلا الجانبين وهذا الشعور يجعلهمايسعدان فى نفس الوقت بهذه التضحية .

وهذا الفهم ينبغى أن يوجد سلفا عند الشباب فى المراحل السابقة للزواج وأن يبنى الى جانب منهم معنى العلاقات الزوجية على احساس من فهم الطبيعة البشرية ذاتها أى أن الفرد يجب أن يستقبل الاختلافات الموجودة بينه وبين الناس على أنها أمور عادية فان عدم فهم هذه النقطة يكون سببا فى كثير من الأحيان فى انهيار العلاقات الزوجية .. فالرجل الذى ينظر الى زوجته التى تنام قبل أن يعود الى المنزل مثلا كما لو كانت قد ارتكبت جريمة لأن والدته كانت تنتظر أباه الى أن يعود .. والمرأة التى الفت أن ترى والدها أو أخاها فى المنزل من غير صحيفة أو كتاب ثم تثور اذا رأت زوجها يميل الى أن يقضى وقت راحته قارئا .. مثل هذه الزوجة وهذا الزوج يجب أن يفهما أن الاختلافات بين الناس من شخص الى شخص أمر طبيعى ويجب الا تكون مثل هذه الامور مثار نزاع على الاطلاق ..

وارجو الا يفهم من قولى الاعداد للتكيف بعد الزواج فى المراحل السابقة للزواج .. أرجو الا يفهم من هذا أنى أطالب باطالة فترة الخطوبة مثلا .. بل على العكس انى ارى أن تكون هذه الفترة فى أضيق نطاق ممكن لأن طولها يسبب أحيانا مشاكل لا تستند الى اساس واقعى .. وانما أنا اقصد من عملية الاعداد ان المفاهيم الصحيحة لمعنى الزوجية يجب أن تغرس فى نفوس الشباب فى دور العلم والاندية والجماعات والأسرة ، وعن طريق وسائل الاعلام حتى يشب النشء « فتى وفتاة » وهم على ادراك ووعى بقيمة ومعنى العلاقة الزوجية وقدسية الأسرة ..

فاذا بقيت بعد عملية الاعداد هذه مشاكل يمكن أن تحدث بعد الزواج فانها تجد فى انتظارها المكاتب الاجتماعية التى تعالجها كحالات فردية ، وتقدم لها الخدمةالاجتماعية اللازمة لها ، ويسرنى أن أعلن أن وزارة الشئونالاجتماعية قد اتجهت الى التوسع فى انشاء هذه المكاتب بعد أن نجحت تجربتها .

أما التشريع فقد يأتى فى المرحلة الأخيرة التى تعالج بالنصوص ما لم يكن علاجه عن طريق الوعى .. واعتقد أن الصورة المثالية فى هذا الشأن هى عدم اطلاق حق الرجل أو الزوجة فى الطلاق دون أن تبذل محاولة لتهيئة الجو المناسب لصفاء جو الأسرة ، فاذا فشلت هذه المحاولات فان الطلاق أحيانا يكون هو العلاج الوحيد .. وأنا وان كنت لا أوافق على فكرة المعاش الدائم ولا على تحريم الطلاق أو التعدد .. الا أنى ارى انه ما دمنا نحبس الزوج الذى يمتنع عن النفقة لمطلقته تحملا من جانبه لتبعات الطلاق فانى ارى أن يوضع ما يقابل هذه النقطة بالنسبة للمراة عندما يركبها العناد والغرور أو يدفعها شيطان الغواية الى أن تهدم بيتها دون مبرر ، وليكن تنازلها عن حقوقها قبل الزواج هو المقابل أو ما هو اشد من التنازل حسب تقدير القاضى لنسبة العناد أو الغواية عندها وليكن له أن يمضى فى ذلك الى حد الحبس حرمانا

(البقية ص ٢٦١)

أم كلثوم

بنت النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد عائشة حسني

وفي صفحة من صفحات تاريخ المراة المسلمة اقدم جوهرة نفيسة وزمردة ثمينة بين النساء واحدى بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم هي ام كلثوم رضي الله عنها .

كان لمحمد بن عبد الله ، امين قريش ، وفخر الكائنات وخاتم الانبياء اربع بنات « زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة » وكلهن من زوجته الاولى خديجة ام المؤمنين . انجب محمد بناته قبل النبوة وعاش حياة كلها طمانينة ودعة ونعم بالابوة السعيدة الراضية . وما ان اختاره الله نبيا وهدى للعالمين حتى كانت بناته اول من دخلن في دين الله الجديد .

كان رسول الله صلى عليه وسلم خير مثل لانتشار الدعوة اذ كان برا رحيما جم التواضع كامل الرجولة ، عذب الحديث ، محبا للعدل يعطي كل ذي حق حقه وينظر الى الضعيف واليتيم والى البائس والمسكين ، نظرة كلها ابوة وحنان وعطف ومودة ..

آمن بمحمد من تجار مكة واشرافها من عرفت نفوسهم الطهر والنزاهة والرحمة .. وآمن به كل محروم وبائس وضعيف وانتشر امر محمد بمكة ودخل الناس في الاسلام رجالا ونساء .

وبعد مضى ثلاث سنين من البعث امر الله رسوله ان يظهر ما خفي من امره وان يصدع بما جاءه منه ، ونزل الوحي .

دعا محمد عشيرته وحاول ان يحثهم داعيا اياهم الى الله . فقطع ابو لهب حديثه واستنفر القوم ليقفوا فدعاهم النبي مرة اخرى على الطعام واخذ يحدثهم بأن جاءهم بخير الدنيا والآخرة وان الله قد امره ان يدعوهم ولكنهم تركوه ، اما عليا فكان من بدء حياته شهما واصبح عونا منذ تلك الآونة .

انتقل محمد بدعوته الى اهل مكة وصعد الصفا يوما ونادى : يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يابني زهرة ، يا بني تيم ، يا بني مخزوم ، يا بني اسد ، ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين. واني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا : لا اله الا الله . فنهض ابو لهب وكان رجلا بدينا سريع الغضب فصاح : تبا لك سائر هذا اليوم ؟ لهذا جمعتنا ؟ !

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه وما لبث ان جاءه الوحي بقوله تعالى : « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما اغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد »

زواج ام كلثوم من عتيبة :

تزوجت ام كلثوم من عتيبة بن ابي لهب كما تزوجت اختها رقية من عتبة ولكن ما تلقى محمد رسالة ربه بان يدعو للدين الجديد حتى ردت كل منها الى بيت ابيها .

وحينما نزلت الآية : « تبت يدا ابي لهب ». قال : ابو لهب لولديه : رأس من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد . ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما . وكان كل من ابي لهب وزوجته ام جميل ارادا ان ينتقما من رسول الله وخديجة في ابنتيهما . فام جميل ارادت ان تشفي غليلها من خديجة المراة الطاهرة المخلصة .. وابو لهب كان يرى في ذلك اخمادا لدعوة محمد والقضاء على الدين الجديد لانشغاله ببناته .

ولكن شاء الله ان يخيب ظنهم وظن المشركين من قريش فلم يشغل محمد صلى الله عليه وسلم عن دعوته . حتى كللت بالنصر والتوفيق .

ام كلثوم في بيت النبوة :

بقيت ام كلثوم في بيت النبي بمكة في قلب معركة الاضطهاد التي لاقاها النبي في سبيل نشر دعوته. والتي كانت خديجة له السند الاول بما اولته من حبها وبرها وطهارة قلبها وقوة ايمانها . فاتخذت ام كلثوم منهما مثلها في مساندة ومآزرة النبي .

ترك محمد بناته الثلاثة زينب وام كلثوم وفاطمة وهاجر ومن اتبعوه الى يثرب حتى تنجح الدعوة.دعوة لا تعرف الاكراه ، بل اساسها الرفق والاقناع والمجادلة بالتى هى احسن .

ام كلثوم المهاجرة

ما ان جاءت البشرى بوصول النبى سالما الى يثرب حتى اقبل زيد بن حارثة يصحب ام كلثوم وفاطمة الى دار الهجرة . وتركتا اختيهما زينب زوجة ابى العاص ورقية زوجة عثمان فى مكة وذهبتا الى رسول الله تشهدان النصر .

وهكذا هاجرت ام كلثوم لتشارك فى المعركة ، معركة الجهاد والصبر والتضحية من اجل انتصار الاسلام واعلاء كلمة لا اله الا الله .

بعد عامين من صلح الحديبية فتحت مكة وتم النصر الاكبر . وفى الحال تذكرت ام كلثوم امها وشقيقتيها الراحلات اللاتى كن يأملن فى رؤية هذا النصر العظيم.

تذكرت ام كلثوم :

● خديجة الام الطاهرة العون الاول للنبى والسند له فى بدأ رسالته وتحمل الصعاب.

● زينب التى تركت زوجها ابا العاص وهاجرت من اجل الدين الجديد وصبرت وجاهدت الى ان تم الله لها النصر بدخول زوجها الاسلام .

● رقية وقفت بجانب النبى وكانت اول من اسلم بعد خديجة ووقفت بجانب عثمان تؤيده وتسانده لنصرة الاسلام . وهاجرت معه الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة كما هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبذلك اتخذتهم ام كلثوم قدوة لها فى التضحية والصبر والجهاد .

ام كلثوم ورقية :

اذا تتبعنا حياة رقية وام كلثوم نجد كلا منهما مرتبطا بالآخر .

ـ تزوجتا ابنى ابى لهب عتبة وعتيبة وافترقا سويا بظهور الدين الجديد ـ الاسلام .

ـ وقفتا بجانب النبى وهاجرتا معه حتى كللت دعوته بالنصر وفى بدر شاء القدر الا ترى رقية هذا النصر وشهدته ام كلثوم وحدها .

وبوفاة رقية تزوجت ام كلثوم من عثمان بن عفان لتكون سندا له فى اتمام الرسالة

وبذلك جمع النبى حوله برابطة المصاهرة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجمع بذلك اربعة من اقوى المسلمين الذين كانوا معه .

ـ وشاء القدر مرة اخرى ان يجمع ام كلثوم برقية فى الموت وتوفيت فى بيت عثمان فى شهر شعبان سنة ٩ هـ .

وبهذا اكون قد اسردت صفحات من تاريخ المرأة المسلمة وهى من اعظم الصفات واجلها اذ شملت حياة امهاتنا المؤمنين وبنات النبى صلى الله عليه وسلم فكن القدوة الحسنة للمرأة فى كل زمان ومكان

بقية (ندوة الشهر)

لها من تحقيق رغبتها التى استهدفتها من وراء هدم اسرتها بلا مبرر ..

على انى أقول كلمة أخيرة وهى أن مشكلة الزوجية قد تكون فى بعض الأحيان مجرد « الفقر » وقلة الموارد .. وهذه لا يعالجها القانون ولا نعالجها التوعية وانما نعالجها خطة التنمية ومحاولة رفع دخول الاسر الفقيرة عن طريق استغلال جزء من الفائض من دخلها والفائض من وقتها فى أعمال منزلية منتجة لتعود أرباحها على الأسرة بمايمكنها من اشباع حاجاتها وهذا بطبيعة الحال يساعد على علاج المشاكل ذات الطابع الاقتصادى .. وهذا فى رأيى يمثل خطا متكاملا مع خطة التنمية العامة التى تهدف الى مضاعفة الدخل وزيادة القوة الانتاجية للدولة بشكل عام.

أما الاستاذة جاذبية صدقى فتقول :

اننى أريد أن أقرر حقيقة ضخمة وهى أن الطلاق حق من حقوق الرجل ويجب أن يظل له هذا الحق وألا تسلبه منه .

كل اللوم والتقريع منصب على رأس الرجل .. وكل السلاسل تهتز فى الأيدى تريد أن تقيد الرجل .. ان الرجل هو الذى يبدأ بالخطوة الايجابية نحو تكوين عش الزوجية لأنه هو الذى يخطب ويقدم الشبكة ويدفع المهر فكيف يتجه الاتهام اليه بسرعة بمجرد تصدع العلاقة الزوجية ..

ألا يمكن أن تكون المرأة هى التى تحتاج الى الزجر والعقاب ؟! أنا شخصيا أعرف حالات كان الرجل فيها ضحية المرأة بكل ما تحمل كلمة التضحية من معنى ..

فلنفرض أن الزوجة هى التى تريد الطلاق وهذا يحدث كثيرا .. هل يكفى مجرد طلبها الطلاق لتعطى وثيقة الطلاق بحكم القاضى ثم نقول لها مع السلامة ..؟ أم انها هى الاخرى يجب أن تدفع ثمن تمردها على الحياة الزوجية وايقاع الضرر بزوجها واطفالها ؟!

ثم انى أريد أن أقرر حقيقة هامة وهى أن التعدد بالذات لا يمكن منعه .. وأنا سئلت فى أمريكا هذا السؤال بالذات .. كيف يسمح دينكم بتعدد الزوجات ؟! فكانت اجابتى .. هذا افضل وأكرم من منع التعدد مع اباحة تعدد آخر افدح من الضرر وهو تعدد الخليلات والزوجات غير الشرعيات .. ان ديننا لا يتجاهل مطالب الحياة الواقعيه ، فقد نستحيل الحياة الزوجية تماما بسبب المرض أو العقم ، ونظرة ديننا هنا نظرة أخلاقية اجتماعية واقعية .. انما أنتم فانكم تدفنون رءوسكم فى الرمال وتغمضون عيونكم عن الواقع فتكون النتيجة أن يتصرف الزوج أو الزوجة بما يشبع مطالبه الخاصة على حساب القيم والأخلاق الفاضلة ..

ومن أجل هذا فانى أعارض الحد من حق الطلاق للرجل وارى انه يكفى جدا القيام بالتوعية اللازمة حتى ترتفع مفاهيم الطبقات التى تمارس هذا الحق بتعسف أو استغلال ..

حديث مع بعض زعماء المسلمين

اعداد عفاف توفيق خليل

رأت « منبر الاسلام » أن تنقل الى قرائها صورا من واقع الاســـلام فى الاقطار الاسلامية بقلم اثنين من العلماء والقادة المسلمين الذين مثلوا بــــلادهم فى مؤتمر البحوث الاسلامية الذى عقد اجتمـــاعه الاخير بالقاهرة وقد خرج المؤتمر من انعقاده هذا بقرارات نهائية بل أوصى بعدة توصيات من اهمها

١ ـ قضية فلسطية قضية اسلامية تهم جميع المسلمين لأنها قضية انسانية ، وقد أوصى المؤتمر البلدان العربية بالوقوف موقف الحزم تجاه القضية وكذلك طالب الدول الاسلامية أن يعتبروا القضية قضيةاسلامية ، وان يساندوا الدول العربية فى قضية فلسطين .

٢ ـ المؤتمر سيعمل على بث الدعوة الاسلامية فىجميع العـــالم ويعمل على اعداد الدعاة الذين يعدون اعدادا مناسبا للمناطق التى سيرسلون اليها باعتبار ان هناك ثلاثة مجالات للدعوة الاسلامية فى افريقيـــا والدول المختلفة واوروبا وامريكا المتحضرة والمجال الثالث داخل فى البلاد الاسلامية .

وبالنسبة للنقطـــة الاولى وهى قضية فلسطين ايـد المؤتمر القرارات التى اتخذها مؤتمر القمـــة العربى .

اما النقطة الثانية فقد خول لشيخ الازهر فى اعداد الهيئات واللجان التى ســـتقوم بتنظيم اعـداد الدعاة .

وقد استطعت من خلال حديثى مع الاستاذين الشيخ محمد مهدى الخالص رئيس جامعة مدينة العـلم فى العراق والشيخ احمد عمر قاضى كينيا ان احصل على هـــذه الكلمة التى تلقى الضوء على الاسلام فى العراق وكينيا

وكان ســــؤالى عن كيفية ومدى انتشـــار الدعوة الاسلامية ؟

وقد اجاب الشيخ محمد مهدى الخالص بقوله : ان العراق شانه شان اى قطر من اقطار المسلمين من بعـد دخول الاسلام اليه والتمكن فيه بعصور الانحطـــاط الفكرى التى اجتاحت العالم الاسلامى ماقبل اوائـــل القرن العشرين وقد امتاز العراق عن ســـائر الاقطار الاســـلامية بانه كان موطن المدارس الفـكرية الاسلامية فقد نشات فيه المذاهب الاسلامية المختلفة كما نبعت منه كثير من الفرق ولعل هذه الظاهرة تدل على حيوية فكرية كما ان شعاع الاسلام قد امتد من العراق الى آسيا شرقا وشمالا الى أوروبا أما اذا أردنا أن نتحدث عن الحركة الاسلامية فى العراق فى الايام الحاضرة فان بوادر النهضة الفكرية الاسلامية اخذت فى الظهور بعد انحصار النفوذالاجنبى بما كان يعتمد عليه من غزو فـكرى للامة ولكن مخلفات عهود الاحتلال ما زالت تكون مشكلة بالنسبة للجيل الجديد ينبغى معالجتهـا بتربية الجيل تربية اسلامية وتـــكوين الشـــخصية الاسلامية فيهم وكما يقول ابن خلدون فى مقدمته :

ان الامة المغلوبة تحاول محاكاة الامة الغالبة فى كل مظاهر حياتها المادية والفكرية ، ان العراق كما هو شان البلاد الاسلامية الاخرى كان يعانى من هذا الشعور بالمغلوبية وعند تكوين الشخصية الاسلامية لدى الامة سيزول اثر هذا المرض النفسانى الذى تصاب به الامم كما يصاب به الافراد .

اما الشيخ احمد عمر ، قاضى كينيا فاجاب على هذا السؤال بقوله :

ان المسلمين فى كينيا عددهم ثلاثة ملايين نســـمة بينما تعداد كينيا يبلغ سبعة ملايين نسمة ويوجد ٥ر٢ مليون نسمة مســـيحيون والباقى وعددهم مليون ونصـــف مليون وثنيون . والملاحظ ان المســـيحيين هم الذين يتحكمون فى الدولة بمعنى ان الحكم فى ايديهم كذلك لاتوجد سوى مدارس قليلة جدا لتعليم المســـلمين فى كينيا والدراسة فيها تتبع المناهج الابتدائية فقط . أما باقى المـــدارس فيتمتع بها المسيحيون وتعلم اللغـــة الانجليزية فقط ، ويحاول المسلمون فى كينيـــا ان ينشروا الدعوة الاسلامية عن طريق التجمعـــات فى المساجد بعد صلاة الجمعة لكى يفهموا الناس الدين الاسلامى ويفسروا لهم القرآن الكريم الذى يقراونه دون فهم وذلك لافتقار الدولة للغة العربية الصحيحة . كذلك

تنشر الدعوة عن طريق سفر بعض المشايخ الى مكان تجمع المسلمين فى بلدة المنبائة •

* ما هى الجمعيات الموجودة ونشاطها مع ذكر كفاح المرأة المسلمة فى العراق ؟

واجاب فضيلة الشيخ محمد مهدى الخالص مجيبا على هذا السؤال بقوله :

هناك فى العراق جمعيات اسلامية تعمل فى سبيل البر والاحسان . الا أن آثارها فى توجيه الرأى العام توجيها اسلاميا متكاملا غير واضح وذلك لان الاسلام كما نفهمه نظام شامل للحياة لايمكن اخذ جانب منه دون جانب فالبر والاحسان هدفان فى ذاتهما دون الأخذ فى نظر الاعتبار الجوانب الفكرية والسياسية والاقتصادية والتشريعية والتربوية للاسلام وبناء على هذا نشأت فى العراق اتجاهات جديدة للاخذ بالاسلام وارجاعه الى جميع مجالات الحياة بعد العزلة التى فرضها الحكم الاجنبى بين الامة والاسلام •

أما الجمعيات الخيرية التى يمكن تسميتها الآن والتى تخطر ببالى فهى جمعية المقاصد الخيريةالاسلامية فى بغداد وجمعية التضامن الاسلامى فى الناصرية وجمعية الآداب الاسلامية وجمعية التربية الاسلامية وجمعية الاخت المسلمة وجمعية منتدى المراة المسلمة وجامعة مدينة العلم التى انا رئيسها والذى كان الهدف من انشائها أن تكون جامعة اسلامية تجمع كليات شتى لجميع الفروع العلمية بالاضافة الى العلوم الاسلامية لتخريج الطبيب المسلم والمهندس المسلم ليكون كل واحد منهم داعية اسلاميا فى مجالات عمله وقد كان اول انشائها بيد جدنا الكبير الشيخ محمد مهدى الخالص ولكن سرعان ما حدثت الحرب العالمية الأولى فأصبحت الجامعة مجالا للعمل الثورى والتعبئة ضد الاحتلال وهكذا اضطرت الجامعة ان تدخل فى الامور العامة حفاظا على بيضة الاسلام كما كان لها الموقف الحازم فى معارضة الاحتلال والعهد الملكى والعهد القاسمى وطبعا كان كفاحها السياسى الاسلامى على حساب الجانب العلمى وهى الآن تكون مدرسة فكرية أكثر منها جامعة علمية وان كنا نامل أن نوفق ان شاء الله لان تؤدى واجبها العلمى بجانب واجبها الفكرى

واذا تركنا الحديث عن الجمعيات الموجودة وتطرقنا الى الحديث عن كفاح المراة المسلمة وهو السطر الثانى من السؤال • لاستطعنا أن نقول :

ان مظهر تجزئة الامة فى كفاحها الى طبقة وطبقة او فئة وفئة او كفاح المراة وكفاح الرجل ليس مظهرا اسلاميا والامة المسلمة المتفهمة لحقائق الاسلام لاتفرق فى كفاحها بين الرجل والمراة خصوصا وأننا نعلم أن الاسلام جاء بتكاليف لجميع المكلفين رجالا ونساء ، ولم يستثن من التكليف الا القاعدين كالاطفال والمجانين وهذا مافهمه المسلمون الاوائل فى نشر الدعوة الاسلامية ولم يفرق فى ذلك بين الرجل والمرأة من حيث حمل عبء الدعوة وهذا لايمنع أن تختص المراة ببعض التكاليف والرجل بالبعض الآخر وفقا لتكوينها الجسمى والنفسى هذا ماينبغى ان يكون فى الاسلام •

اما ماهو كائن فى العراق فقد كان للمراة المسلمة دور بارز فى الثورة العراقية التى حدثت سنة ١٩٢٠ والتى كانت من ابرز مواقفها تحريض الرجال على الاقدام وتضميد الجرحى فى المعركة والمشاركة الفعلية فى القتال فى بعض الاحيان • ومنذ ذلك التاريخ فان الميدان لم يخل من عنصر المراة فى شتى سبل الكفاح والمأمول فى النهضة الفكرية الحديثة أن يظهر فى صفوف المثقفات ثقافة حديثة نساء مؤمنات يقمن بتكاليف الدعوة فى صفوف النساء خصوصا ، ولا أفشى سرا اذا قلت أننا بحاجة الى امثال هذه العناصر النسوية اللاتى يجمعن بين الثقافة الحديثة والفهم الصحيح لحقائق الاسلام لكى يمكن أن يكن فى المقدمة لتربية النشء تربية علمية اسلامية •

اما فضيلة الشيخ احمد عمر قاضى كينيا فقد أجاب على نفس السؤال السابق بقوله :

لاتوجد فى كينيا سوى جمعيتان فقط الاولى تسمى بجمعية ناصر والثانية تسمى بجمعية اتحاد المسلمين وهاتان الجمعيتان تعملان على نشر الدعوةالاسلامية ونشر اللغة العربية التى تعتبر من أهم نشاطها وذلك لتفهم القرآن للمسلمين •

اما بالنسبة لدور المراة المسلمة فى كينيا ونشاطها فى نشر الدعوة الاسلامية فهو محدد على نشر الدعوة بين نساء الدولة فى منازلهم ولا توجد جمعية لهن كما أن الملاحظ أن نساء كينيا لم يأخذن مكانتهن الاجتماعية وهذا فى الواقع راجع الى الاستعمار ومساوئه الذى أحدث تخلفا كبيرا فى هذه الدولة وان لدينا أملا كبيرا فى السير نحو التطور والنهضة •

وكان السؤال الاخير الذى وجهته هو :

هل توجد عندكم صحافة اسلامية ؟

وقد اجاب فضيلة الشيخ محمد مهدى على هذا السؤال بقوله :

كما قلنا فى الاجوبة السابقة : اننى اعتقد ان الاسلام ينبغى أن يكون ظاهرا فى جميع مجالات الحياة الحيوية ولا يقتصر على جانب دون جانب ولا اعتبر المجلات التى تصدر باسم الاسلام بين آونة وأخرى والتى لها قراء معدودون صحافة اسلامية بل ارى ان جميع الصحف ينبغى ان تعالج الامور على أساس اسلامى باعتبار أن الاسلام نظام شامل للحياة ، بناء على هذا التعريف قد يمكن ان يقال انه ليس فى العالم الاسلامى كله صحافة اسلامية ولكن مالا يدرك كله لايترك كله فان لم يمكن ان تكون صحافة اسلامية صرفة فلا يعنى أن نترك الميسور بالمعسور وفى العراق تصدر بعض المجلات والنشرات من فئات اسلامية كمجلة التربية الاسلامية ومجلة التضامن الاسلامى ومجلة الاسلام بالفارسية كما أننا نصدر نشرة مسلسلةبعنوان « الاسلام فوق كل شىء » تعالج فيه المواضيع الفكرية والسياسية والاقتصادية على اساس الاسلام ولا انسى أن أشيد بدور الصحف الاسلامية فى مكافحة الطغيان الشيوعى والانحراف القاسمى فى ماقبل ثورة ١٤رمضان كجريدة الحياد والتوحيد والفجر الجديد والجهاد تلك الصحف التى عبأت الرأى العام للكفاح ضد الطغيان والتى اغلقها قاسم واحدة بعد أخرى ولكن بعد ان ادت ماعليها •

أما فضيلة الشيخ احمد عمر قاضى كينيا فاجاب على السؤال بقوله :

ان كينيا تفتقر الى وجود صحافة اسلامية وان نشر الدعوة كما سبق أن قلت يقتصر على الاجتماعات والانتقال الى مكان الدعوة •

وبعد فلعل القارىء الكريم يكون قد عرف شيئا عن الاسلام وانتشاره والمرأة وجهادها فى بلدين مسلمين عزيزين العراق وكينيا من خلال هذا الحديث السريع

ساعة مع حرم سفير الكويت في القاهرة

إعداد نجاة الزنيري

بدات المراة الكويتية في غزو المراكز الرئيسية والهامة في الوزارات والمصالح والشركات والصحافة والاذاعة ، وقد استطاعت خلال سنوات قليلة ان تحقق انطلاقه سريعة نحو العلم والتعليم - انها تستعد الان لاقتحام جميع الميادين المختلفة للعمل والنشاط بجانب الرجل

ولكى أتعرف علي معالم الحياة الأسرية فى الكويت ودعائم النهوض بالمراة اجتماعيا وثقافيا التقيت بالسيدة بدرية محمد الرفاعى حرم سفير الكويت بالقاهرة وهى أم لستة ابناء هم : محمود - نودى - مريم - فوزية - فوزى - وليد .

وفوزية طالبة فى معهد الخدمة الاجتماعية اما وليد فطالب بكلية النصر بالمعادى - أما السيدة بدرية فقد درست اللغة العربية وتدرس حاليا اللغة الانجليزية .

الأسرة الكويتية : تهتم وزارة الشئون الاجتماعية برعاية الأسرة فتبحث الحالات النسائية المقدمة التي تستحق المساعدة - كما تهتم بالطفولة بتوفير حدائق الاطفال فى جميع المناطق المختلفة بالكويت وتهتم الوزارة بتوفير الاستقرار السكنى للاسر الكويتية فى مساكن يتوفر فيها الجو الصالح لتكوين جيل سليم بعيد عن المشكلات الاجتماعية والصحية وتقوم بمساعدة الاسر الفقيرة واسر المصورين المرضى - وأسر التلاميذ واهتمت الوزارة بمراكز تنمية المجتمع عن طريق محو الامية فافتتحت مايزيد عن ستة مراكز نسائية بلغ عدد المنتسبات اليها ما يزيد عن ١٤٤٧ منتسبة .

وانشات معهد تدريب الفتيات بقصد تنمية الشخصية المستقلة للفتاة الكويتية وتزويدها بالمعلومات العامة والمتخصصة فى العلوم الاجتماعية والتجارية والسكرتارية واعداد الفتاة الكويتية لشغل الوظائف الرئيسية وزيادة فعاليتهن فى المجتمع . وتعمل مؤسسة دار الطفولة على توفير الرعاية اللازمة للاطفال الايتام واللقطاء بما يعوضهم مافقدوه من حياة اسرية وتهتم الدار بتوفير الطمانينة المادية والروحية لهذه الفئة من الاطفال وتنمية القيم البناءة واتاحة الجو الذى يشجع كل طفل بمفرده على الثقة بنفسه .

اول هيئة نسائيه : وتعتبر الجمعية الثقافية الاجتماعية أول هيئة نسائية بالكويت وقد انشئت عام ١٩٦٣ - وتتضمن اهداف الجمعية تهيئة السبل لأعضائها لممارسة أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى وعدم التدخل فى المسائل السياسية .

ويشترط فيمن تنتسب للجمعية ان تتوافر فيها عدة شروط اهمها ان يتراوح عمرها بين ثماني عشرة سنة وخمسة واربعين سنة وان تجيد القراءة والكتابة - وتنقسم عضوية الجمعية الى عضوة عاملة او منتسبة او زائرة - وتضم الجمعية حوالى خمسين عضوة وقد قامت لممارسة نشاطها النسائى والعمل على تهيئة الفرص للنشاط الاجتماعي والثقافى والرياضى للمراة الكويتية - وتعتبر أموال الجمعية بما فيها الاشتراكات والممتلكات الثابتة والمنقولة والتبرعات والاعانات تعتبر ملكا للجمعية وليس لاعضائها حق فيها وليس للعضو المنسحب أو المفصول اى حق فى اموال الجمعية وتتكون الجمعية العمومية من جميع العضوات العاملات علي شرط ان تكون قد مضت على عضويتهن ٦ شهور على الأقل عند اجتماع الجمعية العمومية ويشترط أن يكن قد سددن اشتراكاتهن ويدير شئون الجمعية مجلس ادارة مكون من ٧ عضوات تنتخبهن الجمعية العمومية

ويشترط فيمن ترشح نفسها لعضوية مجلس الادارة ان تكون عضوة عاملة لها حق حضور الجمعية العمومية والا لا تقل سنها عن عشرين سنة ولا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الادارة والعمل بوظيفة . وينتخب مجلس الادارة بمجرد تكوينه من بين أعضائه رئيسة ووكيلة وسكرتيرة وأمينة صندوق ويجوز لمجلس الادارة أن يعين سكرتيرا موظفا متفرغا باجر على شرط أن لا يكون له حق التصويت فى المجلس ويباشر المجلس ادارة شئون الجمعية من جميع النواحى ووضع الأسس والبرامج التى تساعد على النهوض بمستوى نشاط الجمعية ومدة عضوية مجلس الادارة سنتان .

التعليم فى الكويت :

وبرامج التعليم فى الكويت تاخذ باحدث نظريات العلم واساليبه ويستهدف فى عادته وروحه حث النشء على التامل والدراسة والمناقشة والبحث والتقصى فى جو من الحرية يساعد على نضوج الشخصية وتحمل المسئولية لمواجهة اعباء الحياة .

ومنذ ان تدفق البترول فى الكويت والتعليم يخطو خطوات واسعة فالمدارس بجميع مراحلها وأنواعها تنتشر هنا وهناك كرمز للجهود المخلصة التى تبذل لتسير قدما بهذا البلد ومن اجل هذا استقدمت الحكومة الكويتية المدرسين من سائر البلاد العربية ليعملوا الى جانب مدرسى الكويت .

فى عام ١٩٣٦ كان هناك مدرستان ابتدائيتان للبنين فقط . الى جانب عدد من الكتاتيب للاطفال - وفى عام ١٩٤٦ ومع تصدير اول شحنة من النفط الكويتى ارتفع هذا العدد الى ١٧ مدرسة منها ١٣ مدرسة للذكور و ٤ للاناث .

وفى عام ١٩٦٤ بلغ عدد المدارس ١٣٧ منها ٣٠ مدرسة روضة و ٥٩ مدرسة للذكور و ٤٨ مدرسة للاناث . ايمانا من المسئولين بمساواة المرأة بالرجل والفتاة اليوم تواجه المستقبل بثقة وأمل .

وبالاضافة الى التعليم النظرى بمراحله الثلاث الابتدائية والمتوسطة والثانوية هناك ايضا التعليم المهنى الصناعى والتجارى ودار المعلمات واخرى للمعلمين والمعهد الدينى ومعاهد التربية الخاصة التى تتولى مهمة تعليم الصم والبكم والمكفوفين والمشلولين الى جانب تلقى الرعاية الصحية والغذائية وتزويدهم بالكساء والأدوات المدرسية والكتب مجانا وتنقلهم السيارات لمدارسهم .

ويرسل الطلبة والطالبات بعد المرحلة الثانوية فى بعثات جامعية على نفقة الدولة الى مختلف الجامعات العربية والاجنبية . ويوجد فى القاهرة اكثر من مائة طالبة كويتية يتلقين التعليم فى الجامعات بجميع أنواعه

وانطلقت الفتاة الكويتية انطلاقة سريعة نحو العلم والتعليم ان هناك طفرة للفتاة الكويتية لحبها للعلم حتى وصلت الى نسبة عالية فى التعليم كادت تفوق الشباب لكنها حتى الان لم تتقلد بعد منصبا كبيرا فى الدولة رغم انها قد دخلت مختلف مجالات العمل .

المهر أهم مشكلات الاسرة :

وسألت السيدة حرم سفير الكويت عن المشكلات التي تعترض حياة الاسرة الكويتية فقالت لى :

- أهم المشاكل هو ارتفاع المهر بطريقة غير معقولة مما يحول دون اتمام كثير من الزيجات ، أما حالات الطلاق وتعدد الزوجات فهى نفس مشاكل المرأة فى الجمهورية العربية المتحدة وأى بلد عربى اخر .

وهل نزعت المرأة الكويتية الحجاب ؟

لقد نزعت المرأة الكويتية الحجاب تقريبا وخاصة الجيل الجديد .

هل توجد تقاليد خاصة للزواج والأعياد ؟

وقالت السيدة بدرية : ان تقاليد الزواج والاعياد الدينية فى الكويت هى نفسها تقاليد الجمهورية العربية المتحدة وسائر البلاد العربية .. لان البلاد العربية تتبع تعاليم الدين الاسلامى الحنيف وتشريعاته

ما هو الطعام الشعبى الكويتى ؟

« المكبوس » : وهو لحم بالارز مع صلصة الطماطم بالشطة .

و « المطبق » : وهو سمك الزبيدى وهو أجود أنواع السمك فى الكويت مع الارز

وكان آخر سؤال وجهته للسيدة حرم سفير الكويت هو :

ما هى صورة المستقبل الذى ينتظر المرأة الكويتية ؟ فقالت لى :

المستقبل الذى ينتظر المرأة الكويتية يبشر بكل خير لأنها دخلت كل مراحل التعليم وقد وافق الأهل على ان تعمل وخصوصا وان الفتاة الكويتية طموحة جدا ومحبة للعلم .

أنت تسأل ... ؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ – من السيد حامد آل قاسم من الجمهورية العراقية . يسأل السائل عن تفسير قوله تعالى : ((نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)) .

ج ١ – هذه هى الآية الثالثة والعشرون بعد المائتين من سورة البقرة وتسبقها آية أخرى وهى قوله تعالى : ((ويسألونك عن المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرهن المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرهن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)) وقد نزلت الآية الأولى لبيان حكم معاشرة الزوج لزوجته وهى حائض . وفى سبب نزول هذه الآية : اختلفت روايات المفسرين فقيل أن أهل الجاهلية كانوا لا تساكنهم حائض فى بيت ولا تؤاكلهم فى اناء ، فنزلت هذه الآية للنهى عن قربان المرأة فى حال الحيض فقط دون النهى عما سواه وأبيح للأزواج أن يساكنوا زوجاتهم معهم حال الحيض ليأنسوا بهن وعليهم الامتناع عن اتيانهن حال الحيض وعللت الآية ذلك بقوله تعالى : قل هو أذى لأن دم الحيض قذر ونجس وله رائحة نتنه وما دام كذلك فمن مصلحة الرجل الامتناع عن قربان الحائض من النساء حال الحيض . وهذا هو معنى قوله تعالى ((فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)) والأمر بالاعتزال فى هذه الآية قاصر على اعتزال موضع الأذى دون الاستمتاع بسائر البدن . فعن مسروق ابن الأجدع قال قلت لعائشة ما يحل للرجل من امراته اذا كانت حائضا قالت كل شىء الا الجماع . وبعد انقطاع دم الحيض تغتسل المراة وتتطهر واذ ذاك يباح قربانها وهذا معنى قوله تعالى : ((فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)) وليس الأمر فى هذه الحالة للوجوب ، انما هو أمر يفيد الاباحة – وقوله تعالى : فأتوهن من حيث أمركم الله معناه . فأتوا نساءكم من الوجه الذى نهيتكم عن الاتيان منه حالة الحيض دون غيره وقد نزلت الآية التالية بعد ذلك مؤكدة هذا المعنى وهى قوله تعالى : ((نساؤكم حرث لكم)) ومعناها أن نساءكم مزدرع أولادكم فشبهت الزوجة التى تنجب للرجل الأولاد بالحرث وهو الأرض التى تستنبت لأن النساء كالحرث فما يلقى فى أرحامهن من ماء الرجل يكون منه الذرية والولد كالبذر الذى يلقى فى الأرض فيكون منه النبات والزرع والثمر – فالأمر فى الآية باتيان النساء قاصر على اتيانهن فى المكان الذي يكون منه الزرع دون غيره وهو مكان الولادة ومقتضى ذلك ان الاتيان فى غير هذا الموضع غير جائز شرعا .

وقوله تعالى أنى شئتم - معناه كيفما شئتم وعلى اى حالة يكون قربان الرجل المرأة فى مكان الولادة هو الجائز شرعا والمأمور به كيفما كان الاتيان . فقد روى عن ابن عباس أنه قال جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت فقال رسول الله : « ما الذى اهلكك » فقال : حولت رحلى البارحة ، قال فلم يرد على شيئا فنزلت هذه الآية الكريمة « نساؤكم حرث لكم » فقال عليه السلام : اقبل وادبر واتق الدبر والحيض - ولا يفهم من الآية اباحة قربان الرجل زوجته فى الدبر .

وعن ابن عباس أن ناسا من حمير أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه عن اشياء فقال رجل منهم يا رسول الله انى رجل احب النساء فكيف ترى فى ذلك ؟؟ فانزل الله تعالى فى سورة البقرة بيان ما سالوا عنه وانزل فيما سأل عن الرجل قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتها مقبلة ومدبرة اذا كان ذلك فى الفرج .

س ٢ - ومن عبد الصادق حسين الخوالقة من دمنهور :

يقول مات الميت وترك زوجة واولاد خال وبنت خالة - ويريد أن يعرف نصيب كل من الورثة ؟.

ج ٢ - ان للزوجة ربع تركة المتوفى فرضا لعدم وجود فرع وارث للميت والباقى بعد فرض الزوجة يقسم على أولاد الخال وبنت الخالة جميعا للذكر منهم ضعف الانثى لانهم من الصنف الرابع من ذوى الارحام ، وقد نصت المادة ٣٥ من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ على انه اذا انفرد فريق الأب وهم اعمام الميت لأم وعماته او فريق الأم وهم اخواله وخالاته قدم اقواهم قرابة فمن كان لابوين فهو اولى ممن كان لأب ومن كان لأب فهو اولى ممن كان لأم وان تساووا فى القرابة اشتركوا فى الارث . وبناء على ذلك نظرا لان السائل لم يذكر قرابة ذوى الارحام فان اعطاءهم ما بقى بعد فرض الزوجة انما يكون فى حالة تساويهم فى القرابة بأن كانوا جميعا لابوين او كانوا جميعا لأب او كانوا جميعا لأم - وعلى السائل أن يراعى ذلك فى الجواب والعمل به .

س - ٣ من محيى على حسين - امبابة :

يقول هل يجوز لرجل أن يتزوج بفتاة سبق أن زنى بامها ؟

ج ٣ - ان فقهاء الحنفية يعطون للزنا حكم النكاح فى حرمة المصاهرة فمن زنى عندهم بامرأة كان كمن دخل بها فى نكاح صحيح فيحرم عليه أن يتزوج بابنتها واهدر الشافعية ماء الزنا ولم يجعلوا له حرمة النكاح . وبذلك يبيحون لمن زنى بامرأة أن يتزوج بابنتها .

س - ٤ - من نفس السائل :

يسأل عن الكلام الذى يقوله الشخص بعد المعاشرة الزوجية أثناء الاغتسال ، ويقول ان الزوجة احيانا تكون واقفة بجوار الزوج وهو يرتدى ملابسه فهل لو وقع نظرها عليه وهو عار من ملابسه يفسد الاغتسال ؟

ج ٤ - ان الكلام أثناء الاغتسال مكروه نظرا لأن الشخص أثناء الاغتسال يكون عاريا وفى هذه الحالة يكره ذكر الله او التسبيح أو الدعاء وغير ذلك مما يقوله المتوضىء وأما بعد الاغتسال وارتداء الملابس وستر العور فليذكر الله كما يشاء وليسبح بحمده وليذكر الشهادتين ويصلى على حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله سبحانه ان يجعله من عباده التوابين وعباده المتطهرين .

اما نظر الزوجة الى جسم زوجها وهو عار بعد الاغتسال فانه لا يفسد الغسل ما لم يحدث للرجل ما يوجب الاغتسال كنزول المنى او غير ذلك من موجبات الغسل والله أعلم .

شركة مصر لتجارة السيارات

اجدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيبل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجارت بالمجر

مصانع س. أ. ف — دلوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٢٣١٣٢ - ٢١ - ٧٣٠
بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن

٥ شارع النيل بإمبابة ت ٢٨٦٨٢-٨٠٠٦٨٢-٨٠٩٨٤٩

٤ شارع الادريس بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦

٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

MERCEDES - BENZ

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان الدعوة الاسلامية تقرر فى صراحة ضرورة التلازم فى توازن بين العلم والأخلاق اذا أراد العالمأن يحقق ما يصبواليه من سلام ورخاء .. فعلم بلا اخــلاق شر مستطير وأخلاق بلا علم جهل ضرير .. وما يجتاج العالم اليوم من محن وأزمات تكاد أن تقذف به فى أتون حرب ضارية لدليل قاطع على صدق النظرية الاسلامية فى حتمية صهر التطور العلمى فى بوتقة الأخلاق الانسانية كى تخلصه من أدران المادية العمياء وتمنحه نور السلام وسبل الرخاء وحق البقاء .

تحرير فلسطين .و. الارادة الثورية

السيد/محمد سيد أحمد المسير ــ معهد شبين الكوم الدينى

حقا يأخى .. ان الجهاد من أجل تحرير فلسطين هو جهاد فى سبيل الله ، وقدرسم لنا الرئيس جمال عبد الناصر رائد الثورات التحريرية الافروآسيوية واللاتينية وزعيم العروبة والاسلام رسم للعرب جميعــا فى خطابه الذى ألقاه فى مؤتمر فلسطين الأخير الخطة العملية الايجابية لاستعادة فلسطين ، فصرح بأن تحــرير فلسطين طريقه الارادة الثورية ، طريق الدم لامن أجل تحقيق مبدأ التضحية فحسب بل من أجل تحقيق النصر.

التفسير والحديث . فى . منبر الاسلام ؟!

السيد/عدنان عبد الكريم الزبيــدى ــ بغداد الأعظمية راغبة خاتون

ان المجلة يأخى زاخرة بالتفسير القرآنى ، عامرة بشرح الأحاديث ، عطرة بسيرالصحابة فاذا طالعت على سبيل المثال لا الحصر ــ عدد صفر ١٣٨٥ لقرأت مقالات فى « القرآن الكريم والحقائق العلمية » و « خوارق العادات » فى مجال التفسير ، و « والحديث الرابع » فى باب التفسير ، « واول خليفة فى الاسلام » فى سير الصحابة .

أمل . لن . يتحطم ؟!

السيد/على يوسف على البدوى طالب ثانوى بمعهد الزقازيق الدينى

ان قصتك « أمل يتحطم » تدل على استعداد فطرى مبكر لغزو ميدان القصة القصيرة ، بيد أنه استعداد يعوزه الصقل والمران .. وأنصح لك أن تعطى «شخصياتك القصصية» فرصة التحرك والتعبير عن نفسها والا تدفعها للحركة دفعا ..

القصة الشعرية .و. الصور الأدبية

السيد/عبد العزيز سيد أحمد الشامى ــ عامل زخرفة كفرة القرشى ــ طنطا

ان قصتك الشعرية ، المساواة فى الاسلام مرآة صادقة تعكس لنا أبعاد ثقافتك الدينية الرحبة وتصور لنا ذخيرتك الفنية فى ميدان القصة النثرية ، أما وقد صغت قصتك شعرا فقد أصبحت مطالبا بتحقيق العاطفة الشعرية والصور الأدبية التى تبعث فى القافية الحياة فليس الشعر نثرا مقفى كما تعلم !

مدارج التصوف .و. منهاج الهداية

السيد/ رياض مصطفى البكرى ــ اديب صوفى ومدرس بالعباسية ــ القاهرة

يرسل الينا خلاصة بحث له فى التصوف ، يوضح به منهجا لهداية الناس ، وينعى فيه على عقيدة فصل الدين عن الدنيا ، ويسفه المخترعات الحديثة وأنها وسائل دمار وهلاك ، وترف زائف ونعيم ضال ، وقسم الهداية الى ثلاثة أبواب ، اسلام ، وايمان ، واحسان . والبحث شعلة ادراك واع وطاقة ايمان صادق .. غير أن البحث تنقصه « الموضوعية » وهى سمة لازمة لكل بحث يتناول مثل هذه المشاكل العامة التى يجب دراستها دراسة موضوعية قائمة على ترابط العرض والتحليل ودعم وسائل العلاج بالأدلة القاطعة والبراهين الدامغة .. والى اللقاء

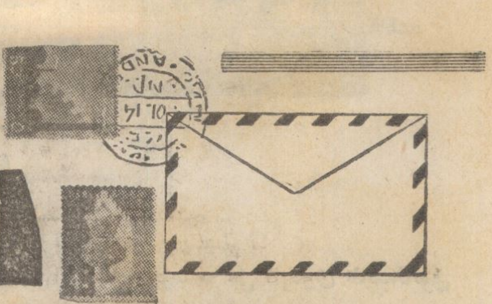

بريد التعارف

الاسم : احمد عبدالرازق بافرط
البلد : المكلا ـ حضرموت
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب والمجلات والمراسلة وتبادل الصور
العنوان : المكلا ـ حضرموت ص.ب رقم ٤٨

الاسم : حسن عبد الله رشيد
البلد : قطر
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مراسلة الشباب العربى وجمع الصور والطوابع
العنوان : الدوحة ـ قطر ص.ب ٦٧

الاسم : عبد الحميد عمرونى
البلد : الجزائر
السن : ١٩ سنة
المهنة : محاسب
الهواية : مكاتبة الاخوان العرب وتبادل الصور والمناظر الطبيعية
العنوان : اكس لترى ـ متدفى عنابة ـ الجزائر

الاسم : احمد انور عبد الغنى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٤٠ سنة
المهنة : موظف بشركة المياه
الهواية : قراءة الكتب الدينية والفلسفية
العنوان : ٥ شارع فتح الباب ـ محرم بك ـ اسكندرية

الاسم : محمد احمد على سليمان
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٣ سنة
المهنة : طالب بكلية التجارة ـ جامعة الازهر
الهواية : الاطلاع وجمع الصور ومراسلة الشباب العربى والاسلامى
العنوان : ٥ عطفة التترى ـ حارة الروم ـ الغورية بالقاهرة

الاسم : خليل ابراهيم حسين
البلد : البحرين
السن : ١٧ سنة
المهنة : عامل فى شركة نفط البحرين
الهواية : جمع الطوابع وتبادل الصور والمراسلة
العنوان : فريق البغلى ـ منزل رقم ٢٤٧٢ ÷ ١ المحرق ـ البحرين

اقرأ فى هذا العدد :

صفحة

معالم الطريق ٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ٥
فى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ... السيد الأستاذ حسين الشافعى ... ٨
تفسير القرآن ... ... فضيلة الامام الأكبر ١١
الإسلام بين المسيحية والاستعمار ... ... الاستاذ على عبد الرحمن الأمين ١٤
فصل الخطاب فى تنظيم النسل ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى .. ١٩
الصوفية فى الهامهم ... ... الاستاذ حسن كامل الملطاوى ٣٢
الاسلام بين انصاره وأعدائه ... ... الدكتور السيد عبدالله بن عبد القادر ٣٥
ارادة التغيير وحقوق الانسان ... ... الاستاذ محمود كمال ٣٨
الزواج بين المسلمين وغير المسلمين ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٤٢
خواطر مستشار ... ... المستشار على على منصور ٤٦
من حضارة الاسلام ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل ٤٩
ما لا يجوز الخلاف فيه ... ... فضية الشيخ عبد الجليل عيسى ٥٧
دعوة الميثاق الوطنى ... ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ٦١
وثيقة النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة ... الدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف ... ٦٥
الجوانية ... ... الدكتور عثمان أمين ٦٩
الدين عدو الاستعمار ... ... الاستاذ عبد الحميد الدواخلى ٧٢
ثورتنا ثورة الحق والكرامة ... ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ٨٦
الفتـوة ... ... الاستاذ محمود الهجرسى ٧٩
من اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم ... الاستاذ مبشر الطرازى ٨١
ميلاد النبى ... ... الاستاذ أنور الجندى ٨٤
شخصية المسلم ... ... الدكتور سعد الدين الجيزاوى ٩١
فى ذكريات المولد ... ... فضيلة الشيخ حسن وهدان ٩٤
مولد النور والهدى ... ... الدكتور محمد مظهر سعيد ٩٧
مولد المصطفى ... ... الاستاذ عبد العليم عمر ١٠٢
المثل الأعلى للانسانية ... ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ١٠٧
مولد النـــور ... ... الاستاذ محمد سيد جاد الحق ١١٢
حول ذكرى ميلاد رسول الانسانية ... ... الاستاذ أحمد مسلم ابراهيم ١١٤
حول الاحتفالات بالمولد النبوى ... ... الاستاذ حسن الشيخه ١١٧
الاسلام ومصالح الناس ... ... الاستاذ محمد زكريا البرديسى ١١٩
حول مشكلة تضخم السكان ... ... الاستاذ عبد العزيز العلى ١٢٣
الاسلام بين العقل والنقل ... ... الاستاذ محمود ابو الفيض ١٢٥
اضواء على المرأة العربية ... ... الدكتورة طلعت الرفاعى ١٢٨
عودة الدراسة الى الجامع الأزهر ... ... الاستاذ عبد الرحيم فوده ١٢٩
الدراسة العلمية فى حلقات الأزهر ... ... فضيلة الشيخ عبدالله المراغى ١٣٢
حلقات الدروس فى الأزهر ... ... الدكتور محمد كامل الفقى ١٣٦
القومية العربية فى شعر شوقى ... ... الدكتور أحمد الحوفى ١٤٠
روح الاسلام ... ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ١٤٣
اليهودية ... ... الدكتور أحمد شلبى ١٤٥
المسلمون وأثرهم ... ... الاستاذ اسماعيل كشميرى ١٤٨
أضواء على انتشار الاسلام فى الصين ... ... الدكتور حسن محمود ١٥١
المقومات الاجتماعية ... ... الدكتور محمود حلمى ١٥٣
اعجاز القرآن البيانى ... ... الدكتور حفنى شرف ١٥٦

ابو بكر الصديق ... الاستاذ عبد العال شعيب ... ١٥٩
عبد الناصر صانع السلام ... الاستاذ كامل عبد المجيد ... ١٦١
حول آراء المستشرقين ... الدكتور صوفى ابو طالب ... ١٦٣
الاسلام والتقاليد الافريقية ... الدكتور محمود سلام زناتى ... ١٦٧
حل الأزمات فى الاسلام ... الدكتور فؤاد فخر الدين ... ١٧٠
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... الدكتور أحمد ابراهيم الشريف ... ١٧٤
فسوح ... الاستاذ بهاء القبانى ... ١٧٧
حياة المقر الشهابى ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ١٨٦
شريعة الاسلام ... الاستاذ ابراهيم هوضين ... ١٩٠
شرف الاسلام ... الاستاذ منصور نسيم ... ١٩٣
التكافل الاجتماعى ... الدكتور محمد سلام مدكور ... ١٩٤
الزار خرافة ... الاستاذ على الجندى ... ١٩٨
التصوف الاسلامى ... الدكتور عبد الرحمن بدوى ... ٢٠٠
فى الاسلام والشعر ... الاستاذ حلمى محمد بدير ... ٢٠٤
يا ضمير الانسان ... الشاعر عبدالله شمس الدين ... ٢٠٩
محمد رسول الله ... الشاعر نجاتى عبد الرحمن ... ٢١٢
خديجة ... الشاعر محمد بدر الدين ... ٢١٣
الشعر الدينى ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ٢١٥
قصة العدد ... الاستاذ حسين القبانى ... ٢١٨
باب الرياضة ... اعداد ناصف سليم ... ٢٢٣
ماذا نعرف عن العالم الاسلامى ... الدكتورة عنايات الطحاوى ... ٢٢٧
فرحة التاريخ ... الاستاذ على الجمبلاطى ... ٢٤٧
انتشار الدعوة الاسلامية فى الهند ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ٢٥١
باب الفن الاسلامى ... الاستاذ محمود وصفى ... ٢٥٤
باب العلم ... الدكتور محمد جمال الدين الفندى ... ٢٥٧
ندوة الشهر ... اعداد عبد الرحمن الشربينى ... ٢٥٩
أم كلثوم ... اعداد عائشة حسنى ... ٢٦٠
حديث مع بعض زعماء المسلمين ... اعداد عفاف توفيق خليل ... ٢٦٢
ساعة مع جرم سفير الكويت بالقاهرة ... اعداد نجاة الزنيرى ... ٢٦٤
المفتى ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ٢٦٦
مع القراء ... اعداد فؤاد هيبه ... ٢٦٩
بريد التعارف ... ٢٧٠

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على 7 اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
باقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية